

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم اللغة العربية



الرسوم القرآنية ومستوياته الدلالية

بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه

تخصص لغة

من إعداد الطالب: مالك محمد

اللجنة المناقشة:
ح ٢٢ ح ٢٣ ح ٢٤ ح ٢٥ ح ٢٦ ح ٢٧ ح ٢٨ ح ٢٩ ح ٣٠ ح ٣١ ح ٣٢ ح ٣٣ ح ٣٤ ح ٣٥ ح ٣٦ ح ٣٧ ح ٣٨ ح ٣٩ ح ٤٠ ح ٤١ ح ٤٢ ح ٤٣ ح ٤٤ ح ٤٥ ح ٤٦ ح ٤٧ ح ٤٨ ح ٤٩ ح ٥٠ ح ٥١ ح ٥٢ ح ٥٣ ح ٥٤ ح ٥٥ ح ٥٦ ح ٥٧ ح ٥٨ ح ٥٩ ح ٦٠ ح ٦١ ح ٦٢ ح ٦٣ ح ٦٤ ح ٦٥ ح ٦٦ ح ٦٧ ح ٦٨ ح ٦٩ ح ٧٠ ح ٧١ ح ٧٢ ح ٧٣ ح ٧٤ ح ٧٥ ح ٧٦ ح ٧٧ ح ٧٨ ح ٧٩ ح ٨٠ ح ٨١ ح ٨٢ ح ٨٣ ح ٨٤ ح ٨٥ ح ٨٦ ح ٨٧ ح ٨٨ ح ٨٩ ح ٩٠ ح ٩١ ح ٩٢ ح ٩٣ ح ٩٤ ح ٩٥ ح ٩٦ ح ٩٧ ح ٩٨ ح ٩٩ ح ١٠٠ ح

- أ. د. بكري عبد الكريم رئيساً
- أ. د. عزوز أحمد مقررًا ومشارفًا
- أ. د. مصطفى عمار مناقشًا
- أ. د. موسوي محمد مناقشًا
- أ. د. سيب خير الدين مناقشًا
- أ. د. جلايلي أحمد مناقشًا

السنة الجامعية: 2012.2013

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة وهران
كلية الآداب واللغات والفنون
قسم اللغة العربية وآدابها

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة
بعنوان :

الرسم القرآني ومستوياته الدلالية

إشراف الأستاذ الدكتور :
أحمد عزوز

إعداد الطالب :
محمد مالك

لجنة المناقشة :

رئيسا	جامعة وهران	أ.د / عبد الكريم بكري
مشرفا ومقررا	جامعة وهران	أ.د / أحمد عزوز
عضوا مناقشا	جامعة وهران	د / عمار مصطفىاوي
عضوا مناقشا	جامعة تلمسان	أ.د / محمد موسوني
عضوا مناقشا	جامعة تلمسان	أ.د / خير الدين سيب
عضوا مناقشا	المركز الجامعي بالنعامة	أ.د / أحمد جلايلي

السنة الجامعية 1433-1434هـ / 2012-2013م

إنه من سليمان وإنه

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

لن أوفي غيري حقه مهما بالغت في رد الجميل ، وشكر الناس من شكر الله.
فالشكر لله أولاً ، ثم لكل فاتح قلبه وعقله ولسانه.

ثانياً ، شكري لأستاذي المشرف الذي لم يرقه تقصيري ، وإن التمس لي
أعدارا ، فقد كان الأستاذ الصديق الجاد الذي لا يرضى إلا بالعمل الراقى ، ديدنه
النشاط ودأبه العزيمة والمثابرة ، لا يبتغي بذلك إلا طلب الحقيقة.

ثم شكري بعد ذلك إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة التي بلا شك أتعبها هذا
الجهد في تتبع سطورهِ لتثريهِ وتزيدهِ إيضاحاً.

ولا أنسى أن أشكر كل من بات همّه أن يرى هذا المولود في ثوب جديد ،
وقد قطفت ثمرته بعد أن أينعت ، فكم أجدني مدينا لكم ، ولا أقدر على فعل
يستحقه مقامكم.

أنتم أسرتي ، وأنتم إختوتي الأساتذة ، وأنتم طلبتي ، عشتم للعلم وبالعلم وفي
العلم ومع العلم.

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

مقدمة

مقدمة

إن القرآن الكريم رسالة إلى العقول من أجل تدبره وإمعان النظر ليس من أجل استنباط تشريعاته وأحكامه وأوامره ونواهيه فحسب، بل يدعوها إلى الوقوف على أسراره وعجائبه التي لا تنقضي لأنها من إعجازه. هذا الإعجاز كانت له مظاهر مختلفة منها ما ارتبط بلغته من حيث أصواتها وتراكيبها وأوجه تأدية دلالاتها، ولا ينفك رسم أحرفها عنها.

وقد جاءت كتابة القرآن لتدعم جمع ما يحفظ في الصدور بما يخط في السطور، ولذلك لم تنفصل عن الوحي إذ أسهمت بطريقتها التي اختلفت عن ما عهد في العربية في تأدية مرامي الرسالة السماوية.

وعلى هذا الأساس جاء عملنا هذا المعنون بـ: "الرسم القرآني ومستوياته الدلالية".

وترجع أهمية البحث في هذا الموضوع إلى غايات متعددة، أبرزها إظهار علاقة هذا الرسم بمقاصد آي القرآن، مع الكشف عن السر الذي جعله يختلف عن الرسم الاصطلاحي، مع إيضاح مظاهر هذا الرسم وأشكاله، وبالتالي محاولة الوصول إلى الضوابط التي أطرت.

وتحقيقاً لهذه الأهداف انطلقنا من إشكالية تعالج السر في خصوصية الكتابة المصحفية، وقد صغناها في الطرح التالي: أين تكمن أهمية أشكال الرسم العثماني

في تحقيق دلالاته؟ وهي إشكالية تدعونا إلى إثارة مجموعة من الأسئلة الجزئية،
وهي:

- ما طبيعة كتابة الحرف العربي؟ ولم تعددت أشكاله؟ وهل لها علاقة
بدلالاته؟

- لم كان الاختلاف بين الرسمين: القياسي والاصطلاحي؟ وما مدى تأثير
خط المصحف في الرسم الإملائي؟

- لم جاء بعض رسم حروف المصحف مضطربا؟ وبعضه غير مضطرب؟

وقد تناولت دراسات سابقة الرسم العثماني منها: "رسم المصحف - دراسة
لغوية تاريخية" للباحث غانم قدوري الحمد، قدم فيها عرضا تاريخيا عن الكتابة
العربية، ثم كتابة القرآن الكريم وجمعه، ثم ناقش رسوم بعض كلمات القرآن
الكريم. ورسالة الباحثة حبيب زحماني فاطمة الزهراء المعنونة بـ"رسم القرآن -
دراسة صوتية". عالجت فيها بعض ظواهر الرسم القرآني بمعالجة صوتية.

أما دراستنا فتميزت بمعالجة ظاهرة الرسم القرآني ودلالاته المختلفة بحسب
سياق رسم أحرف آي القرآن الكريم، وهذا لأسباب ذاتية وموضوعية دعت إلى
ذلك، منها:

- تماشيا مع مرحلة حفظ القرآن في الكتاب "الجامع والمكان" أيام الطفولة
حين كنت أجلس إلى شيوخهم وهم يملون عليّ لأكتب في لوح "اللوحه"

ما أحفظ من القرآن الكريم سورة بعد سورة وحزبا بعد حزب، ثم أعرض عليهم ما تم لي حفظه ختمة بعد ختمة.

فكنت بدافع داعي المعرفة أتساءل عن تعداد وتنوع تلك الظواهر الرسمية سواء ما ثبت في اللوح أو قرئ به في المصحف من إثبات وحذف وإمالة وإدغام أحيانا، ومسائل لم تُعرّف بها.

ولم أجد حلولا لكثير من تلك القضايا إلا حين التحقت بالجامعة، وبدأت اهتماماتي تتوسع في طلب مسائل اللغة وفقهها ونحوها ودراسات أخرى لها صلة بالدرس القرآني إن في أسلوبه وإعجازه وإن في رسم حروفه.

وحين أثري موضوع "رسم المصحف" يوم مناقشة أطروحتي في الماجستير - وكان على هامش تدخلات أحد الأساتذة المناقشين - جعلت أفكر في مضمون هذا البحث، فربطته بسابق عهد الطفولة وعقدت العزم على أن أدق بابه، فكان لي ذلك.

- البحث ميدانيا عن أشكال رسم الحرف في القرآن الكريم مع البحث عن علاقاتها بالدلالات المرادة.

- محاولة استنباط القواعد والآليات التي تحكم هذه الأشكال يوجهها التمعن العلمي القائم على تدبر أصنافها وبيان سر اختلافها.

- الكيفية التي رسم بها الصحابة رضي الله عنهم مصحفهم، والطريقة التي عالج بها العلماء ذلك الرسم.

- بيان السر في تنوع دلالات الرسم العثماني.

ولإثراء مستدعيات هذا الموضوع ومسائله جاء هذا البحث في مدخل وخمسة فصول وخاتمة، تتقدمها مقدمة، عرضنا فيها إشكالية الموضوع وأهميته وخطته ومنهجه وصعوباته.

أما المدخل فوسمناه "أصل الكتابة العربية"، عالجتنا فيها الكتابة في الجاهلية بعرض الروايات في أصلها وأنواعها وترتيب حروفها وتطورها، مع بيان خصائصها قبل رسم المصحف.

وكان الفصل الأول خاصاً بكتابة القرآن الكريم قبل الرسم العثماني وصولاً إلى جمعه، وقد عرفنا بداية بالقرآن والقراءات، ثم تتبعنا مراحل كتاباته الثلاث، مرحلة الكتابة الأولى في حياة النبي محمد ﷺ، ثم مرحلة الصديق الثانية، فمرحلة الكتابة العثمانية، والغرض من هذا الفصل بيان أصل كتابة الرسم العثماني، حيث لم يخرج عن الجمعيين السابقين له صحفاً.

وقد عالجت في الفصل الثاني الموسوم "الرسم العثماني وموقف العلماء من ظواهره وقواعده" مصطلح الرسم من حيث اللغة والاصطلاح، وضمنته الإشارة إلى مصطلحات فنية في علم الرسم، كما عالجت هذا الفصل موقف العلماء من ظواهره بعد أن تعرض إلى الإبداع فيه تأليفاً، من غير أن يترك آراء من وصفوا رسماً المصحف بالبداية الكتابية ليناقدشهم في ذلك، مسجلاً قرارات المجامع الفقهية التي لم تتساهل في استبداله أو تحويره.

أما الفصل الثالث فتعرض إلى قواعد هذا الرسم التي لم تخرج عن ست، وهي قواعد استنبطها علماء الرسم والضبط من خلال ما بدا لهم في كتابة أحرف القرآن مخالفاً للرسم القياسي.

وقد انحصرت هذه القواعد في قاعدة الحذف، وقاعدة الزيادة، وقاعدة الهمز، ثم قاعدة البدل، فقاعدة الوصل والفصل، ثم قاعدة ما فيه قراءتان، وتأتي هذه القواعد في أغلب الحالات مشتركة في كثير من المصحف أي في قراءات مختلفة، كقاعدة حذف الألف من ألفاظ كثيرة على ما اتفق رسمه واختلف أداؤه نحو "يخدعون"، إذ هي صالحة لقراءة "يُخادعون"، و"يخدعون"، إلا أن رسمها اتفق لما كان الألف التي بعد الخاء غير نازلة إلى السطر.

وجاء الفصل الرابع الموسوم "المصحف وعناية الأمة به" ليتابع هذه اللفظة "المصحف" تسمية ورسمًا، وكيفية ضبطه ونقطه عبر مراحل كتابته إلى طباعته.

ولما كان المقروء به في الشمال الإفريقي المصحف الذي برواية ورش عن نافع، ركز البحث هنا بتناوله تعريف ذلك المصحف، وهجاءه المعتمد وطريقة ضبطه، ونظراً لاعتماد رسام هذا المصحف للأخذ بالوقوف الهبطية التي استغنت عن رموز الوقوف الأخرى مكتفية برمز (ص) على ما يوقف عليه، فقد تناولها البحث، وناقش بعضها، ثم أعطى اصطلاحات ضبط هذا المصحف حيناً قد يستجلي الظاهرة مع الإشارة إلى علامات ما حذف من حروف في رسم المصحف.

و قد درست في الفصل الخامس "دلالة الرسم" التي كما ذهب بعضهم إلى أن في رسم كل كلمة من القرآن دلالة، ولعل أول حرف منه جاء منبثاً عنها، إذ خالف الرسام سنة الباء في البسملة "بسم الله" [حين رسموها] لغرض، ولما كان للصحابة عدول في رسمهم كلمات القرآن بما خالف القياس، ظهر أن لهم سرّاً وحكمة في ذلك عرفها من عرفها وجهلها من جهلها، ولم يكن ذلك منهم على أمر كيفما اتفق بل على أمر قد تحقق.

وقد أثبت البحث في هذا الفصل أن لقواعد الرسم دلالة، لا تعرف إلا بها، فلو كتب على غيرها لزالَت الدلالة، إن بالحذف وإن بالزيادة، وإن في البدل أو الفصل والوصل، بل امتدت دلالة هذا المرسوم في إشباع المد أو قصره أو حذفه، وفي التلوينات الصوتية حين الأداء لذا أمر تالي في القرآن بترتيبه على الوجه الأكمل ﴿وَرَزَّلَ الْفُرْءَ أَنْ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل:4].

و قد تأتي دلالة المرسوم بحسب اختلاف القراءة وليس أدل على ذلك من السكتات الخمس التي برواية حفص وقضايا أخرى، ، لأن هذا الكتاب شأنه عظيم وسره عجيب، إذ ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:42].

وأما الخاتمة فكانت بيانا لنتائج البحث، وقد اعتمدنا في هذا العمل المنهج الوصفي القائم على العرض والتحليل وذلك بإثارة القضايا والمسائل ذات العلاقة

بالموضوع، ثم معالجتها ومناقشتها انطلاقاً مما تقتضيه القضية من المصحف مباشرة، ثم إثراء ذلك بالعودة إلى ما ذكره العلماء مع محاولة استنباط ضوابط جامعة.

وقد دعمت هذا العمل مؤلفات متنوعة منها ما له علاقة بمرسوم المصحف ودلالته كـ"عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل" لابن البناء المراكشي (ت721هـ)، و"البدیع في الرسم العثماني في المصاحف الشريفة" لابن معاذ الجهني الأندلسي، و"سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين" لعلي محمد الضباع، و"الرسم العثماني للمصحف الشريف مدخل ودراسة" لحسن سري. ومنها ما عالج الرسم في ثناياه كـ"البرهان في علوم القرآن" للزركشي، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ومناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني. وقد صادفتني في إعداد هذا البحث صعوبات منها: تنوع وتفرع مسائل هذا البحث التي اقتضت جمعاً ودراسة دقيقة وشاملة، وندرة الدراسات المتخصصة في دلالات الرسم بصفة عامة والرسم القرآني بصفة خاصة.

وبالرغم من هذه الصعوبات إلا أن متعة البحث جعلتني أواصل فيه لأنه يخص القرآن الكريم الذي لا تنقضي أسرار إعجازه.

وإنه ليسعني أن أسدي أبهى كلمات الشكر والعرفان والامتنان إلى الأستاذ المشرف الدكتور أحمد عزوز الذي اقتطع من وقته الثمين من أجل استدراك هفوات هذا العمل، فقدم لي ملاحظات أنارت سبيل هذا العمل.

والشكر موصول أيضا إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة الذين يسهرون على
تقييم وتقويم هذه الأطروحة، وكم نحن بحاجة إلى الانتقادات التي تزيد البحث
ثراء وإثراء.

وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، وإن أصبت فمن الله تعالى، وهو نعم
المولى ونعم النصير.

وهران في يوم السبت 26/01/2013م

مدخل:

أصل الكتابة العربية

مدخل : أصل الكتابة العربية

الكتابة في الجاهلية :

يستوقف البحث تساؤلات كثيرة، تطلب استيضاحات كادت تُغشّي كاهل معرفة أهل الجاهلية بأمر الكتابة ومسائل الخط، فهل برع القوم آنذاك في تسويد ما يجول بخاطرهم، وهل تبادلوا فيما بينهم رسائل ووصايا وحررُوا عقوداً ومواثيق؟.

يُجاب عما سبق وعما يفترض طرحه في إشكالية بحث معرفة أهل الجاهلية بالخط والكتابة، بالعودة إلى ما سطره أهل الاختصاص في كتبهم قديمها وحديثها.

فقد ورد في "المزهر في علوم اللغة وأنواعها" للسيوطي (ت911هـ) في باب "معرفة كتاب اللغة" ما يُظمّن البال ويُسدل الستار عن واقع الكتابة عند الجاهليين، إذ يقول: "يُروى أن أول من كتب الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها آدم عليه السلام قبل موته بثلاثمائة سنة. كتبها في طين وطبخه، فلما أصاب الأرض الغرق وجد كل قوم كتاباً فكتبوه، فأصاب إسماعيل عليه السلام الكتاب العربي"¹

أسند السيوطي هذا القول لابن فارس في فقه اللغة تحت باب "القول على الخط العربي وأول من كتب به"، وقد أخذ نبينا إسماعيل عليه السلام خط العربية، "وكان بن عباس رضي الله عنه يقول: أول من وضع الكتاب العربي إسماعيل عليه السلام وضعه على لفظه ومنطقه"².

¹ المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للعلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، شرح وضبط وتصحيح محمد أحمد جاد المولى بك، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد الجاوي، منشورات الكتبة العصرية، 1408هـ-1987م، ج2 / 341.

² المصدر نفسه، ج2/342.

يضاف إلى هذا أن الخط كان موصولاً حتى فرق بين حروفه بنوه أي لم يكن بين حروف الكلمات فرق، ثم فرقه من ولد إسماعيل عليه السلام هميسع وقيدر. ولا يقف السيوطي عند رواية واحدة حين يتحدث عن أصل الكتابة العربية، بل يجمع بين روايات شتى؛ منها ما ينقله عن العسكري الذي ذهب إلى أن من وضع الكتاب العربي إسماعيل عليه السلام وقيل مُرامِر بن مُرّة وأسلم بن جَدْرَة، وهما من الأنبار. وقال شاعرهم:

كَبَبْتُ أَبَا جَادٍ وَحُطِّي مَرَامِرٌ وَسَوَدْتُ سِرْبَالِي وَلَسْتُ بِكَاتِبٍ

وذكر رجالاً آخرين وصفوا الكتابة العربية، وكانوا ملوكاً فسمي الهجاء بأسمائهم وهم: أبجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت.

واعتبر السيوطي حرب بن أمية بن عبد شمس أول عربي كتب بالعربية، كان تعلم من أهل الحيرة الذين أخذوا الخط من أهل الأنبار مصداقاً لسؤال المهاجرين عمّن تعلموا الكتابة، فقالوا: تعلمنا من أهل الحيرة وتعلم أهل الحيرة من أهل الأنبار كما سبق.¹

ويواصل السيوطي حديثه عن أصل الكتابة العربية نقلاً عن ابن فارس أهي اصطلاح أم توقيف مستشهداً بآيات قرآنية قال: "ثم قال ابن فارس: "والذي نقوله فيه: إن الخط توقيف؛ وذلك لظاهر قوله تعالى: ﴿أَلِدِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [العلق:4] وقوله تعالى: ﴿نَّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم:1].

¹ ينظر: المزهر، ج2/342

يؤيد ما قاله من التوقيف ما أخرجه ابن أشتة من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس (ت68هـ) قال: "أول كتاب أنزله الله من السماء أبو جاد.

وأخرج الإمام أحمد بن حنبل () في مسنده عن أبي ذر الغفاري أن النبي ﷺ قال: ((أول من خط بالقلم إدريس عليه السلام))¹.

ولا يتوقف صاحب المزهر عند ظاهر هذا الرأي بل ينقل عن ابن فارس قوله: "و زعم قوم أن العرب العاربة لم تعرف هذه الحروف بأسمائها، وأنهم لم يعرفوا نحواً ولا إعراباً، ولا رفعاً ولا نصباً ولا همزاً، قالوا: والدليل على ذلك ما حكاه بعضهم عن بعض للأعراب أنه قيل له: أتهمز إسرائيل؟ فقال: إني إذا لرجلٌ سوء، قالوا: وإنما قال ذلك، لأنه لم يعرف من الهمز إلا الضغط والعصر"²، ذهب الرجل إلى المعنى الاصطلاحي للهمز الذي يعني الضغط وذهب القوم إلى غيره من تحقيق الهمز أو نبره.

ثم نُلّفِي السيوطي آخذاً عن ابن فارس رأيه في توقيفية اللغة فقال عنه: "والأمر في هذا بخلاف ما ذهب إليه هؤلاء ومذهبنا فيه التوقيف فنقول: إن أسماء هذه الحروف داخلة في الأسماء التي أعلم الله تعالى أنه علّمها آدم عليه السلام وقد قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن:4]، فهل يكون أول البيان إلى علم الحروف التي يقع بها البيان ولم لا يكون الذي علم آدم الأسماء كلها هو الذي علمه الألف والباء والجيم والذال"³.

¹ المصدر نفسه، ج2/343.

² المصدر نفسه، ج2/343.

³ المزهر، ج2/344.

ويُقَدِّد بعد هذا - ابن فارس - زعم ما ذهب إليه الأعراب الذين لم يكن لهم علمٌ بالهمز أو الجر أو معرفة أسماء الحروف كالدال والجيم بأن الأمر غير مطلق، بل بعض العرب عرف الكتابة وبعض آخر لم يعرفها، كحالنا اليوم مُثَمَّنًا رأيه كما عُرِفَ عن أصحاب رسول الله ﷺ من كونهم كانوا كاتبين كعثمان وعلي وزيد، ولم يفصل بينهم وبين الجاهلية زمن بعيد، جاء في رده على أولئك: "فأما من حكى عنه الأعراب الذين لم يعرفوا الهمز والجر والكاف والدال، فإننا لم نزعم أن العربَ كلها مدرأً ووبرأً قد عرفوا الكتابة كلها، والحروف أجمعها، وما العرب في قديم الزمان إلا كنحن اليوم فما كل أحد يعرف الكتابة والخط والقراءة. وأبو حية كان أمس وقد كان قبله بالزمن الأطول من يعرف الكتابة ويخط ويقرأ"¹.

وما برح صاحب المزهري يحدثنا عن كان سباقاً إلى كتابة العربية فينقل قولاً لابن دريد جاء في أماليه، قال: "أخبرني السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن ابن الكلبي عن عوانة قال: أول من كتب بخطنا هذا وهو الجزم مرامر بن مرة وأسلم بن جدرَةَ الطائيان، ثم علّموه أهل الأنبار، فتعلمه بشر بن عبد الملك أخو أكيدر بن عبد الملك الكندي صاحب دومة الجندل، وخرج إلى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان، فعلم جماعة من أهل مكة، فلذلك كثر من يكتب بمكة من قريش، فقال رجل من أهل دومة الجندل من كندة يمن على قريش بذلك:

لَا تَجْهَدُوا نَعْمَاءَ بَشْرِ عَلَيْكُمْو فَقَدْ كَانَ مَيْمُونَ النَّقِيَّةَ أَزْهَرَا
 أَتَاكُمْ بِخَطِّ الْجَزْمِ حَتَّى حَفِظْتُمْو مِنْ الْمَالِ مَا قَدْ كَانَ شَتَّى مَبْعَثَرَا
 وَأَثَقْتُمْو مَا كَانَ بِالْمَالِ مُهْمَلَا وَطَامَثْتُمْو مَا كَانَ مِنْهُ مُنْفَرَا

¹ المزهر، ج 2/344.

فَأَجْرِيْتُمُ الْأَقْلَامَ عَوْدًا وَبَدَأَةً وَضَاهَيْتُمُو كِتَابَ كِسْرَى وَقِيصْرًا
وَأَغْنَيْتُمُو عَنِ مُسْنَدِ الْحَيِّ حِمِيرٍ وَمَا زَبَّرْتُمْ فِي الصُّحُفِ أَقْيَالُ حِمِيرًا¹

جاء في هذه الأبيات ذكر مسمى الكتابة من خط ونوعه الجزم وأدوات
الكتابة من أقلام وصحف، بُغية إفادة شيءٍ أساسٍ لهذه العملية التي جاء بها بشر
على قريش، ولولا الكتابة لضاع المال ولبقي غير العرب في مقدمة الركب.

واختلف في شأن أسماء الحروف، أبي جاد وهوز فجعلهن سبويه عربيات
واعتبر البواقى أعجميات، وبدا لأبي العباس أنهم كلهن أعجميات، واحتج أبو
سعيد لأعجميتها إذ كان يقع عليها تعليم الخط بالسرياني.

وتطول رحلة البحث عن أصل الكتابة العربية وعن معرفة أهل الجاهلية بها
حتى صار حالها إلى التوثيق بالإسناد المعنعن والنقل المدقق، ويكفي خبراً ما ينقله
صاحب المزهري إذ يروي لنا قصة معرفة قريش للكتاب العربي في مقولته: "... عن
عبد الله بن فروخ عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن أبيه قال: قلت لابن عباس:
معاشرَ قريش من أين أخذتم هذا الكتاب العربي قبل أن يُبعث محمد ﷺ تجمعون
منه ما اجتمع وتفرقون منه ما افترق مثل الألف واللام؟ قال: أخذناه من حرب بن
أمية، قال: فممن أخذه حرب؟ قال: من عبد الله بن جدعان، قال: فممن أخذها
بن جدعان؟ قال: من أهل الأنبار، قال: فممن أخذه أهل الأنبار؟ قال: من أهل
الحيرة، قال فممن أخذه أهل الحيرة؟ قال: من طارئ طراً عليهم من اليمن من
كندة، قال: فممن أخذه هذا الطارئ؟ قال: من الخفلاجان بن الوهم كاتب الوحي
لهود عليه السلام"².

¹ المزهري، ج2/347.

² المصدر نفسه، ج2/349.

جاء أخذ الكتاب هنا متسلسلاً إلى أن وصل إلى كاتب الوحي لسيدنا هود عليه السلام، وقد سميت سورة من سورة القرآن الكريم باسم هذا النبي.

تجدر الإشارة هنا أن يسجل البحث أسماء من عُرفوا بالكتابة في الجاهلية، "وهم نفر ذو عدد كانوا يكتبون، والعرب إذ ذاك من عزّيز منهم بشر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل، وسفيان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وأبو قيس بن عبد مناف بن زهرة، وعمرو بن عمرو ابن عدس"¹ عرفت أسماء هؤلاء، ومن لم يعرف قد يكون أكثر.

ومما يذكر لهذه اللغة من حيث حروفها وقد فاقت غيرها كلغة اليونان، فقد قيل عن لغة اليونان أنها عارية من حروف الحلق ومخالفة لسائر لغات الخلق.

وكتب محمد مرتاض مؤلفاً عنونه "بالخط العربي وتاريخه" خص أحد مباحثه بالحديث عن الكتابة في الجاهلية، جعل له عنواناً بارزاً سماه: "البرهنة على وجود الكتابة في الجاهلية" يستطيع البحث هنا أن يُجَلِّيَ معظم نقاطه في التالي:

1- بدا له جلياً من خلال وثائق كان أثبتها في محاور قبل هذا المحور² أن تلك الوثائق كفيلة بأن تؤكد معرفة الجاهلية بأمور الكتابة بأكثر من ثلاثة قرون.

2- وأشار أيضاً إلى أن ثمة مدارس عنيت بالكتابة فخصصت معلمين لتدريسها، قال: "والعثور على ذلك ليس شاقاً بالنسبة للمصادر العربية، ذلك أننا نجد الكثير منها قد أُلْمَّ على طرف أو جوانب من هذه القضية، فقد حدثتنا هذه المصادر أن

¹ المزهري، ج2/353.

² ينظر: الخط العربي وتاريخه، محمد مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، 1994، ص22-28.

عمرو بن زرارة - وكان كذلك يدعى الكاتب- كان معلماً في الجاهلية، كما أن غيلان بن سلمة بن متعب كان من المعلمين أيضاً¹.

3- من الدلائل التي أثبتت وجود مدارس خاصة لتعليم الكتابة عند الجاهليين - وقد عد منها أموراً - لعل أهمها ما قام به سعد بن أبي وقاص من استقدامه واستخدامه "خفينة" ليعلم الكتابة بالمدينة.

ونظراً لقلّة الكاتبين من الأوس والخزرج فقد عُوِّل على بعض اليهود في تعليم الكتابة للنشء العربي في الزمن الأول.

ومما يبرهن على وجود مدارس تعلم الكتابة ما لمسّه خالد بن الوليد حين نزل الأنبار، فقد رأى أهلها يكتبون العربية ويتعلمونها.

جاء في كتاب "الأغاني" أن أبا عدي بن زيد العبادي أدخل ابنه الكتاب حين شبَّ حتى حذق العربية².

4- إلى جانب ما سبق يلاحظ أن مجالس علم وندوات كانت تعقد، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: "كانت قريش تألف منزل أبي بكر رضي الله تعالى عنه لخصلتين للعلم والطعام فلما أسلم أسلم عامة من كان يُجالسه"³.

ومما يقف دليلاً على وجود الكتابة في الجاهلية ما جاء في أكثر من آية نصت على أن القوم عرفوا الكتابة، وإلا ما نُعتوا بالقراءة، أو حاولوا الجدل ليُنزَّل عليهم كتابٌ يقرؤونه. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَسْ نُؤْمِنُ لَكَ حَتَّى تُنزِلَ عَلَيْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَائِدًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾

¹ المصدر نفسه، ص 29-30.

² ينظر: الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ج 2/101.

³ البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة السابعة، 1418هـ/1998م، ج 4/76.

﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُجْعَرُ الْأَنْهَارَ خِلْفَهَا تَفْجِيرًا ﴾ ﴿٩٣﴾ أَوْ
تُسْفِطُ السَّمَاءَ كَمَا رَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَبًا أَوْ تَأْتِيَنِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴾ ﴿٩٤﴾ أَوْ
يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْفِيئِي فِي السَّمَاءِ وَلَسْ نُؤْمِنُ بِرُفْيِكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا
كِتَابًا نُّفَرِّقُوهَ، فُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿ [الإسراء: 90-93]

وقال عز وجل: ﴿ وَقَالُوا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ أَكُتِّبَتْهَا فِيهِ تُمْلِي عَلَيْهِ بُكْرَةً
وَأَصِيلًا ﴾ [الفرقان: 5].

وهل يعقل أن يطالب عرب الجاهلية رسول الله ﷺ بأن ينزل عليهم كتاباً
يقرؤونه لو لم يكونوا على نضح في الكتابة والقراءة.

وماذا عسى المرء يقول بعد أن يتدبر قول الله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
إِذَا تَدَايَنُتُمْ بِيَدَيْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ
وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ
وَلْيَمْسِ اللَّهُ رَبَّهُ، وَلَا يَبْحَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَهِيحًا أَوْ ضَعِيفًا
أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِّنْ
رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن
تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْب الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا
تَسْمَعُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَفْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ

لِلشَّهَادَةِ وَأَدْبُنِي إِلَّا تَرْتَابُونَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ
عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ إِلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ
وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿﴾
[البقرة: 282].

وتعد هذه الآية أطول آية في القرآن الكريم، وفيها من الدليل المنطقي ما يشير
إلى أن كل معاملة تجارية كانت أو مداينة، يجب أن يشملها التدوين، وهي إشارة
صريحة إلى شيوع الكتابة في زمن ما قبل البعثة، وإن دلت الآية على ما يجب أن
يراعى فيه الدين من توثيق وإحكام بكتابه، حتى لا يضيع حق أو يتغني طلب زيادة
حين حلول أجل الإرجاع.

ويعد بيت المرقش الأكبر من أجمل ما قيل في مضممار الكتابة، قال¹:

الدارُ قَفْرٌ والرُّسومُ كما رَقَّشَ في ظَهْرِ الأديمِ قَلَمٌ

خلص محمد مرتاض - في بحثه عن الكتابة عند الجاهليين - إلى أن القوم
مارسوا الكتابة وعلموها، وإن لم تطالعنا المصادر إلا على ثلة منهم، وبحسب
لأولئك معرفتهم باللغات الأجنبية، حتى حذقوا فيها؛ فمنهم من أتقن الفارسية
كعدي بن زيد العبادي ولقيط ابن يعمر الإيادي - وهو شاعر -، ومنهم من كان
على دراية بالسريانية، ولا يخفى أمر زيد بن ثابت الذي تعلم لغات كثيرة على عهد
رسول ﷺ، تعلم الكتابة العبرانية والسريانية والفارسية والرومية والقبطية والحبشية.

الروايات العربية في أصل الكتابة العربية :

¹ الخط العربي وتاريخه، ص 34.

يتجاذب هذا المبحث مسلکان، مسلک کان رواته من القدامى ومسلک یرفع رايته المحدثون، ولا یرح كلا الفريقين في حديثه عن أصل الكتابة العربية الشمالية، أي عن تلك الكتابة التي دون بها القرآن الكريم.

تباينت روايات علماء العربية في أصل الكتابة بعامة والكتابة العربية بخاصة، لذلك كثرت الروايات في هذا الباب واختلفت كما لاحظ ابن فارس¹.

فمن العلماء- من القدامى- من رأى أن الخط توقيف من الله مستشهداً في ذلك ومدعماً رأيه بآيات من الذكر الحكيم كقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:31]، وكقوله تعالى: ﴿نَّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم:1]، وكقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِفْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [الذی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ] ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:3-5]، يقول ابن فارس: "ليس ببعيد أن يوقف آدم عليه السلام أو غيره من الأنبياء عليهم السلام على الكتاب"².

ومما يروى عن كعب الأحبار قوله: "أول من وضع الخط العربي والسرياني وسائر كتب آدم عليه السلام قبل موته بثلاثمائة سنة، كتبه في الطين ثم طبخه، فلما انقضى ما كان أصاب الأرض من الغرق، وجد كل قوم كتابهم فكتبوا به، فكان إسماعيل عليه السلام وجد كتاب العرب".

¹ ينظر: الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، المكتبة السلفية - القاهرة، 1328هـ/1910م، ص7.

² الصحابي في فقه اللغة، ص7. وينظر: صبح الأعشى، الشيخ أبي العباس الفلقشندي، دار الكتب الخديوية، طبع بالمطبعة الأميرية بالقاهرة، 1332هـ/1914م، ج11/3.

وذكر القلقشندي أنه جاء في سيرة ابن هشام: "أن أول من كتب الخط العربي حمير بن سبأ علّمه في المنام قال: وكانوا قبل ذلك يكتبون بالمسند، سمي بذلك لأنهم كانوا يسندونه إلى هود عليه السلام"¹.

وذهبت رواية أخرى إلى أن أول من خط بالقلم بعد آدم عليه السلام إدريس عليه السلام"².

لم يكن لهذه الروايات صدقاً لدى غانم قدوري³، ولم ير فيها حقيقة التوقيف، فلا يقرها-عنده- البحث السديد، لأن سياق الآيات المستشهد بها في هذا الباب لا يوحى- كما أشار- بشيء من الحديث عن أصل الخط، ويبدو أن بقية الروايات كان للإخباريين من أهل الكتاب يد فيها ولا تقوى حجتهم ليُستدل بها.

ولا يقبل غانم قدوري⁴ برأي من ذهب إلى أن من وضع الخط العربي هم جماعة أبجد هوز وخطي وكلمن وسعفص وقرشت الذين نزلوا عند عدنان بن أدد فاستعربوا ووضعوا على أسمائهم الكتاب العربي ثم أضافوا أحرفاً أخرى لم تشملها أسماؤهم وسموها الروادف وهي من قولهم ثخذ ضظغ، وقيل عنهم هلكوا يوم الظلة مع قوم شعيب يرُدُّ هذا كله غانم قدوري، ويرى أن مثل هذه الروايات طغى عليها طابع الخرافة، ويرفضها منهج التحقيق العلمي والوقائع التاريخية.

غير أنه بالرغم مما وُجِّه لهذه الروايات من انتقادات فهي لا تخلو من فائدة تذكر؛ فهي تشير إلى رموز الأحرف الستة التي خُصَّت بها الأبجدية العربية إذا ما

¹ صبح الأعشى، ج3/13.

² ينظر: السيرة النبوية، لابن هشام، ج3/1.

³ ينظر: رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، لغانم قدوري الحمد، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر، الطبعة الأولى، 1402هـ/1982م، ص29.

⁴ المرجع نفسه، ص29.

قُورنت بغيرها من الأبجديات السامية ثم تشير إلى بلاد مدين في شمال جزيرة العرب، وأن أولئك الملوك منها، وفوق ذئِكَ يظهر لاحقاً دور تلك الأنحاء في نشوء وتطور الكتابة العربية.

ولا يفوت البحث أن يسجل روايات تبدو أكثر جدية عن أصل الخط العربي تلخص في الآتي ذكره:

1- كان الخط العربي في الجاهلية يسمى "الجَزْم"¹ وتُعلل التسمية لكونه جُزْم من المسند أي أخذ منه، والمسند هو خط حمير أيام ملكهم² وقد صنف ابن خلدون الخط بضمن الصنائع الحضرية، ومن جملة الصنائع المدنية المعاشية، وجودة الخط تكون - كما يرى - على قدر الاجتماع وال عمران، ورأى أن الخط قد انتقل من اليمن في دولة التبابعة التي أجاد أهلها هذا الفن وأتقنوه، ويسمى الخط الحميري، ومن الحيرة لُقنه أهل الطائف وقريش³.

2- وتوصلت الدراسات والاكتشافات الحديثة لتتفي كل صلة بين الخط العربي الشمالي الذي كتب به القرآن الكريم وبين المسند الذي كان أهل اليمن يكتبون به قبل الإسلام، ولعل ما بينهما من صلة لا يتعدى أنهما اشتقا من أصل سامي واحد قديم، وأشكال حروف الخط المسند تختلف اختلافاً أساسياً عن أشكال حروف الخط العربي⁴.

¹ ينظر: جمهرة اللغة، لابن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الأولى، 1987م، ج1/472.

² ينظر: سر صناعة الإعراب، لابن جني، تحقيق مصطفى السقا وجماعة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة الأولى، 1954م، ج1/45.

³ ينظر: المقدمة، تاريخ العلامة ابن خلدون، (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، الدار التونسية للنشر، 1984م، ج1/755-756.

⁴ رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، ص32-33.

3- وما دام الأمر على هذه الشاكلة من خطأ تفسير القدماء لتسمية الخط العربي بالجزم، كان من الأجدر بمكان البحث عن تفسير يقترب من وضع الظاهرة في مسارها اللائق بها، لذا تساءل البحث عن إيجاد مخرج يقف على دعائم أصل هذا الخط فماذا حقق الابتكار؟

تدور هذه الرواية مصطحبة ذكر أسماء ثلاث رجال تداولهم الرواة وإليهم نُسِبَ وضع الخط العربي، ورد عن ابن القطامي (ت نحو 155هـ) قوله: "اجتمع ثلاثة نفر من طيء ببيعة وهم مرامر بن مرة وأسلم بن سدرة وعامر بن جدرة، فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية، فتعلمه منهم قوم من أهل الأنبار ثم تعلمه أهل الحيرة من أهل الأنبار"¹.

جاء في الفهرست لابن النديم: "وقال بن عباس: أول من كتب بالعربية ثلاثة رجال من بولان - وهي قبيلة - سكنوا الأنبار وأنهم اجتمعوا فوضعوا حروفا مقطعة وموصولة وهم مرار بن مرة وأسلم بن سدرة وعامر بن جدرة ويقال مروة وجدلة فأما مرامر فوضع الصور وأما أسلم ففصل ووصل وأما عامر فوضع الإعجام، وسئل أهل الحيرة ممن أخذتم الكتاب العربي فقالوا من أهل الأنبار"².

يفيد هذا النص البحث في معرفة البدايات الأولى في الخط فقد كان موصولاً ثم فصل بعضه عن بعض، يضاف إلى ذلك وقوفهم على الإعجام سواء أريد به الشكل والضبط أو النقط لتمييز الحروف المتشابهة رسماً.

¹ رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، ص 33.

² الفهرست، محمد بن إسحاق، تحقيق: مصطفى الشويبي، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1406هـ/1985م، ص 59-60.

ولم تلق هذه الرواية من بعض الباحثين المحدثين الترحيب والتصديق التامين لاستنادها على أثر الصنعة والاختراع في أسماء روادها فقد جاءت موزونة مقفاة: مرة، سدره، جذرة، ولم تخضع لصدفة أو اتفاق حصل في أسماء أصحابها بل - وهو زعم أصحاب هذه الرواية - وُضِعَتْ وضِعاً، "ومع ما في هذه الأسماء من أثر للصنعة لما فيها من تتابع مقطعي مسجوع، ومع احتمال كونها مخترعة، إلا أنه لا بد أنها كانت تشير إلى وجود أشخاص، سواء كانت أسماؤهم هي هذه، أم قريباً منها، كان لهم دور ما في تطور الكتابة العربية"¹ لأنه لو رُدَّ كلُّ ما قيل في هذا الباب لأصبح الخبر تخمينياً وأسطورة من أساطير الأولين.

ما يلاحظ على هذه الرواية الأولى إفادة الرجال الثلاثة من الكتابة السريانية بعد وضعهم الخط العربي، وقد قاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية: "وقد ذهب بعض الباحثين المحدثين استناداً إلى هذا القول - على ما يبدو- الذي لا يدل على الأخذ بل الاستفادة فحسب وإلى ما يرويه ابن النديم من أن السريان كان لهم خط يسمى: (أسطر نجالا) ونظيره قلم المصاحف"²

وذهب فريق من الباحثين إلى حد التأثير والإفادة من غير نقل أو اقتباس، غير أنه- كما يقرر غانم قدوري³- لا تعتبر الكتابة السريانية إحدى مراحل الخط العربي، إذ لكل منها تاريخ تطوره المستقل عن الخط الآرامي.

وإذا ما انتقلنا إلى الرواية الثانية، بالرغم من اتفاقها مع الأولى في أسماء أولئك الثلاثة، فإنها اختلفت عنها في عدم إشارتها إلى الإفادة من هجاء السريانية،

¹ رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، ص34.

² رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، ص34.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص35.

وهي تقدم توضيحات لما قام به أولئك فتقف على جهد "عامر" في وضعه الإعجام.

ويتساءل البحث هنا عن الدور الذي قام به أولئك الأعلام، وهل أسندت إليهم الكتابة العربية وضعاً أم أسهموا من قريب أو بعيد في تطور الكتابة؟.

يقدم صاحب رسم المصحف إجابة عن هذا التساؤل فيرى أن كونهم وضعوا الكتابة "أمر ينفيه ما تم كشفه من نقوش عربية تعود إلى وقت سابق على الوقت الذي يُقدَّر أنهم عاشوا فيه - وهو نهاية القرن الخامس أو بداية القرن السادس الميلادي - في أماكن بعيدة عن الأنبار والعراق"¹ ولا يهمل وضع الخطوط واختراعها في كونه يَعَسُرُ انتسابه إلى أفراد معينين. وقد يُعزى إليهم أنهم عدلوا عن تلك الحروف التي كانت متداولة في زمنهم وهي من أصل نبطي بغية ملاءمتها في شكلها مع السريانية.

وربما وجدت إشارة إلى طبيعة ذلك التعديل بالاحتكام إلى مسمى (الجزم) الذي عرفت به الكتابة العربية قبل ظهور الإسلام، وكان من معاني الجزم أنه "ضرب من الكتابة، وهو تسوية الحرف، وقلم جزم لا حرف له"².

ويؤكد غانم قدوري على ما يراد بالجزم وعلى ما قام به الرجال الثلاثة من تسوية الحروف وتنسيقها لتصبح أكثر تنظيماً واستجابة لسرعة الكاتب؛ فلم يكن إطلاق مصطلح (الجزم) على أنهم اقتطعوا الخط وأخذوه من المسند بل لكونهم عدلوا في حروفه فطاوعتهم وصارت أكثر استواءً وانسجاماً.

¹ المصدر نفسه، ص35.

² ينظر: القاموس المحيط، للشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، دار الفكر بيروت، 1403هـ/1983م، مادة (جزم).

تركز الروايات العربية على الدور الذي قام به عرب العراق قبل الإسلام من أجل تطوير الخط العربي ونقله إلى الحجاز، وقد شهدت الحواضر العربية في غربي العراق تداول الخط العربي، وهو في طريقه إلى الحجاز وقلب الجزيرة العربية، حيث تجعل الروايات العربية - كما يستفاد من مؤلف رسم المصحف¹ - طريقها إليها عبر الحيرة ودومة الجندل نازلاً إلى مكة والطائف.

وسيُخصَّصُ حيز لمكان نشوء الخط العربي، وكيف دخل إلى الحجاز وما هي الفترة التاريخية التي حدث فيها ذلك، بالنظر إلى تقدمه الدراسات الحديثة من إضافات قيِّمة في تصور الخط العربي أصلاً ونشأة.

رأي المحدثين في أصل الكتابة العربية :

قبل التعرف على رأي المحدثين في هذه المسألة جدير بالذكر أن يُستحضر - وإن في عجالة - ما سطرته المصادر القديمة عن أصل الكتابة العربية، وهي تبدو في أكثرها غير واضحة بداعي اختلاطها بعناصر قصصية لم تدعم بحقائق علمية ثابتة، إلا أن المحدثين سلكوا طريقاً في البحث بالرغم من أنهم رأوا تقريباً ما ذهبت إليه المصادر العربية وقتاً ليس بالقصير، لكنهم - أي المحدثين - وبفضل اكتشافهم بعض النقوش الجاهلية التي وجدوها مكتوبة بأحد فروع الخط النبطي المتأخر الضارب في الشبه بالخطوط العربية القديمة وفي لغة قريبة من اللغة العربية، كما استخلص ذلك غانم قدوري²، لذلك كله اختلفت وجهة نظرهم.

لا ريب في أن معرفة تاريخ الخطوط السامية وتطورها دفعة قوية بالبحث ليقف على علاقة الخط العربي بالخطوط السامية الأخرى. ويكتفى بالإشارة هنا إلى

¹ ينظر: رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، ص 36-37.

² ينظر: رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، ص 37.

"الخط الفينيقي المشتق من كتابات شبه جزيرة سيناء التي يرجع تاريخها إلى سنة 1850 قبل الميلاد) والتي تعتبر أقدم كتابة أبجدية قد استخدمت لتدوين اللغة الآرامية في القرن التاسع أو الثامن قبل الميلاد، وأن الخط الآرامي قد تطور إلى عدة فروع في بلاد الشام وما اتصل بها لعل من أهمها: النبطي والتدمري والسرياني والعبراني المربع"¹.

ساعدت الاكتشافات الأثرية في جزيرة العرب على التفريق بين نوعين من الخطوط ظل العرب قبل مجيء الإسلام يستعملونها؛ أولهما الخط العربي الذي كُتِبَ به القرآن الكريم، وهو الشمالي، وثانيهما المسمى بالمسند، وقد انتشر في جنوب الجزيرة العربية.

ويمكن إجمال ما يثري هذه النقطة في الآتي ذكره:

- 1- كثرت تلك النقوش المدونة بالمسند في بلاد اليمن وأرض الجزيرة وامتدت إلى حدود بلاد العرب مروراً بمصر ووصولاً إلى جزر اليونان وأطراف العراق.
- 2- مما سبق يستخلص أن المسند عرف وشاع قبل الإسلام في شبه جزيرة العرب وقد يعتبر القلم العام للعرب قبل المسيح لكونه أقدم الأقلام آنذاك.
- 3- وبقي استعمال المسند حتى القرن الخامس أو السادس الميلاديين أي أن ذلك الخط تلاشى استعماله قبل مجيء الإسلام.
- 4- ولم يُتَّفَقْ على أقدم الكتابات المدونة بالمسند؛ فمن مُرَجِّعِهِ إلى سنة (1500 أو 1300 ق.م) في مقابل من ذهب إلى تسجيل أقدم كتابة عثر عليها بالمسند إلى

¹ المصدر نفسه، ص 37-38.

أكثر من (800 أو 700 ق.م)¹، ولتحديد هذا التاريخ قيمة كبيرة من حيث البحث عن أصل ظهوره ومنشئه.

ولابد هنا من وقفة تعريفية بهذا الخط؛ فحروفه بلغت تسعة وعشرين حرفاً، وأبجديته كالسامية الأخرى، تتألف من الحروف الصامتة لا تظهر الحركات في كتابتها ولا تضبط أواخر كلماتها ولا علامة لمسكنٍ أو مشدّدٍ، وربما كتب الحرف المشدد مرتين، ولا اتصال بين حروف الكلمة الواحدة، ويفصل بين الكلمة وأختها فاصل على شكل خط عمودي مستقيم، وتقرأ الكلمة من اليمين إلى اليسار أو بضده.

5- وقد أدى انتشار واستخدام المسند، وما عُثِر عليه مكتوباً بتلك الأقلام بالنقوش اللحيانية والشمودية والصفوية - وإن زالت من الاستعمال قبل الإسلام - أدى ذلك كله إلى الاعتقاد بأن الخط العربي متطور عن هذا الخط، وبمقارنة كلا الخطين وما يخص كلا منهما يُبعد ذلك الاعتقاد.

6- وربما بدا غريباً أن الكتابة العربية الشمالية ليست متطورة عن المسند، بعدما عُرف من علاقات بين جنوب الجزيرة وشمالها وبعد ذيوع المسند واستعماله في شمال الجزيرة قروناً كثيرة قبل الميلاد وبعده إلى ما قبل مجيء الإسلام، غير أن ما أصاب اليمن من تدهور قبل الإسلام، وما امتاز به المسند من خفاف ودقة شكل وصعوبة رسم يوميء إلى ما لحق هذا الخط من إهمال وانحسار أمام غيره من الخطوط المنحدرة من الآرامي الواصل من أطراف الجزيرة الشمالية، وقد امتاز

¹ المصدر نفسه، ص 40.

هذا الخط بالمرونة والسهولة، ولعله كان سبباً من أسباب انتشار بعض فروع الخط الآرامي في بلاد العرب كما ذهب جواد علي¹.

وما يُحسب للبحث في تناوله الظاهرة وقوفه على أصول الخطوط وكيف تطورت وانفصال بعضها عن بعض، ولا يتحقق ذلك إلا بالرجوع إلى ترتيب حروف أبجديات الأمم القديمة التي مارست الكتابة دون أن يُغفل استقراء أسمائها ودراسة أشكالها وصورها ولعل ذلك ما تتناوله المباحث التالية:

ترتيب حروف العربية :

شاركت الأبجدية العربية في ترتيب حروفها كثيراً من الأبجديات السامية، لأن كتابتها كما يرى الداني (ت444هـ)² مرت بالأنبار قبل أن تمر بالحيرة، وتشير الدلائل إلى أن العرب في الجاهلية وفي صدر الإسلام ساروا في تعلم الكتابة على طريقة (أبجد هوز...) كما عرفوا هذه الكلمات التي حوت حروف الكتابة في نظام معين، وقد جاءت في أشعارهم واستخدموها في ترتيب معين في الحساب، بحيث أعطوا كل حرف رقماً محدداً يعرف بقيمته العددية، مما دفع البلوي إلى القول: "والحساب بهذه الحروف أولى من الحساب بالأشكال المصطلح عليها عند الحساب لمعان منها أن بهذه الحروف كانت العرب تحسب ونحن عرب فلا نتعدها إلى سواها"³، لكن يبدو ما ذهب إليه البلوي عسيراً على كثير من الناس وبخاصة من لا يجيد الكتابة.

¹ المصدر نفسه، ص40.

² المحكم في نقط المصاحف، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: عزة حسن، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، ودار الفكر دمشق، سوريا، الطبعة الثانية، 1418هـ/1997م، ص25.

³ رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، ص41 نقلاً من كتاب ألف باج 1/ 75.

ويعد الترتيب المتبع في زمننا الحاضر للحروف العربية من ألفها إلى يائها ترتيباً متأخراً حدث في الإسلام.

ولا شك أن علماء العربية أدركوا قدم ترتيب الأبجدية، وهي كما يرى الداني أصل حروف التهجي، وعرفوا أن تلك الكلمات ما جعلت على هذه الشاكلة إلا لدلالة المتعلم على الحروف، وتعد هذه الكلمات أسماء ملوك مدين، وتوصل العلماء العربية بإحساسهم إلى أنها - تلك الكلمات - دخيلة على اللغة العربية.

ويفيد ترتيب حروف الهجاء إلى جانب قراءتها وكتابتها حين التعلم وفق نمط أبجد هوز في صدر الإسلام في إشارة واضحة إلى مورد انحدار الكتابة العربية، يؤيد هذا ما انفردت به العربية عن باقي اللغات السامية حين وضعت الأحرف الستة المكتملة لأبجد في آخر سلسلتها، وقد أطلق عليها مصطلح (الروادف) جمعت في كلمتي: (تخذ، ضظغ).

ويختم البحث هذه المسألة بنص القلقشندي يذكر أسماء أولئك الذين سموا الحروف بأسمائهم، قال: "أول من اخترعه وألف حروفه ستة أشخاص من طسم كانوا نزولاً عند عدنان بن أدد وكانت أسماؤهم أبجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت فوضعوا الكتابة والخط على أسمائهم فلما وجدوا في الألفاظ حروفا ليست في أسمائهم ألحقوها بها وسموها الروادف وهي الثاء المثناة والخاء والذال والظاء والغين والضاد المعجمات على حسب ما يلحق من حروف الجمل"¹.

تظهر الدقة في مسمى هذه الأسماء (أبجد) فلم يقولوا مثلاً: أبو جاد بل كتبوها كما سبق (أبجد) وفي هذا يقول الداني: "وقال قطرب: إنما كتبوا (أبجد) بلا

¹ صبح الأعشى، ج3/13.

ألف ولا واو لأن هذا إنما وُضع في الكتاب لدلالة المتعلم على الحروف، فكَرِهوا أن يطولوا عليه فلم يعيدوا المثال مرتين... لأن معنى الألف في (أبجد) والواو في (هوز) قد أثبتت فوضحت صورتها. وكلما مُثِّل الحرف مرة استغني عن إعادته"¹.

ولم يفت الداني أن يعلل لذكر الياء مرتين في تلك الأسماء حيث قال: "وإنما أُثبتت ياء (حطي) مع ياء (قريسيات) لاختلاف الصورتين، يعني صورتها في الطرف وصورتها في غيره"².

نشأة الكتابة وتطورها ومراحلها وأسماء حروف العربية :

يصدر عن آلة النطق لدى الإنسان أصوات إذا ما انتظمت في كلمات وجمل عبرت عن أغراض وحاجات أصحابها، وهي كما أشار ابن خلدون في كل أمة بحسب اصطلاحهم³، وقد سبق وأن عرف ابن جني اللغة بقوله: "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"⁴، ويجب- هنا- أن نفرق بين الكتابة واللغة فالأولى وسيلة لتسجيل الثانية، وقد قطعت البشرية قروناً طويلاً لم تعرف فيها الكتابة، بالرغم مما استفاد من روايات نسبت الكتابات إلى أبي البشر آدم عليه السلام.

ويقتضي الحديث عن أصل حروف الهجاء تتبع الكتابة في نشأتها ومراحل تطورها قبل الخوض في أسماء الحروف وترتيبها.

¹ المحكم في نقط المصاحف، ص34.

² المصدر نفسه، ص34.

³ ينظر: المقدمة لابن خلدون، ص546.

⁴ الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ج1/34.

نشأة الكتابة :

بات من اليقين أن الكتابة قديمة في المجتمعات البشرية، لكن يعسر إعطاء تاريخ محدد لنشأتها، ومتى كان الظهور الأول لها، ويظهر أن الكتابة الأبجدية "وهي التي تقوم على تخصيص رمز واحد لصوت واحد جاءت بعد مراحل من التطور حاول فيها الإنسان أن يجد وسيلة لتسجيل أفكاره ولغته"¹.

ويلخص قدوري تلك المراحل التي مرت بها الكتابة قبل أن تصل إلى مرحلة الكتابة الأبجدية، وهو يتصفح ما سجله مؤرخو الكتابات البشرية عبر مراحل مرت بها لعلها تلخص في التالي كتابته:

مرحلة الكتابة التصويرية :

اقتصرت هذه المرحلة على رسم صور الأشياء التي تحيط بالإنسان غير أنه ليس بمقدور هذه الكتابة أن تسجل الجوانب المعنوية والمشاعر الإنسانية، إذ لا تفي الصورة بالغرض، وعليه باتت هذه الطريقة في الكتابة عاجزة مما دفع إلى تطوير هذه المرحلة لتواكب التعبير عن أمورهم.

وسمى السكاكيني هذه المرحلة "مرحلة التصوير الذاتي"، وتقوم على رسم صورة الشيء المراد الإبلاغ عنه؛ فإذا أرادوا أن يكتبوا أسداً رسموا صورته وشكله.

2 - مرحلة الكتابة التصويرية الرمزية :

خرجت الكتابة في هذه المرحلة من التصوير المادي إلى ما هو أبعد منه حيث

¹ مسائل في الرسم والنطق، لغانم قدوري الحمد، دار الوثقائي للدراسات القرآنية، ط1، 1433هـ-2012م، ص9..17.

جمعت بين صورة الشيء المراد التعبير عنه إلى ما له علاقة رمزية تنوب منابه، فقد بدا في هذه المرحلة نضج دلالة المرسوم، فلم يعد للقدم - إذا صُوِّرت - دلالة المشي بل وتشير إلى الوقوف، واعتُبر المرسوم رمزاً لما يُحدثه صاحبه أو يقع منه سلباً وإيجاباً، وبدا تطور الفكر هنا أكبر من الأولى، وجعل الناس يصورون - مثلاً - الحمامة وقصدهم المحبة، ويرسمون الحية ليدلوا على البغض.

3 - مرحلة الكتابة المقطعية :

كان لابد مع مرور الزمن أن تنشأ بدائل للتعبير عن المكنونات لإشباع الرغبات وإيصال الأفكار، فلم يستغن عن مبادئ المرحلة السابقة إجمالاً لكن زيد فيها بما قد يفني بالعرض، ولما كانت هذه المرحلة تُنعتُ بالدور المقطعي صار مآل الناس إلى ما هو أرقى حيث أصبحت صورة الحصان - مثلاً - لا تدل على ذاتية الحصان، وإنما تدل على الصوت الأول من اسمه المشتمل على حرف الحاء وحركته، وكذا صورة الغراب الدالة على مقطع مؤلف من غين مضمومة؟ وكانت هذه المرحلة بمثابة مقدمة مؤسسة للتالية.

4 - مرحلة الكتابة الهجائية :

تُنعتُ بالدور الهجائي، وقد وُظفت في هذه المرحلة مئات الرموز للتعبير عن المقاطع الصوتية التي تتكون منها اللغة، وتعد أقل المراحل أشكالاً وأسهلها استعمالاً، فالتعبير عن كلمة "حسن" يفرض رسومات ثلاثة لحصان وسيف ونحلة ليكون الحرف الأول من هذه المسميات مشتملاً للكلمة المراد نطقها، فحاء للحصان وسين للسيف ونون للنحلة، فتصير بعد التجميع معبرة عن كلمة "حسن".

وقد كان من أسباب ابتكار الكتابة الهجائية التي تحدد للصوت الواحد رمزاً واحداً، أن تتساوى عدد الحروف المستعملة في الكتابة مع عدد الأصوات التي تتألف منها اللغة، وبذلك اختزلت عدد الرموز في الكتابة إلى ما دون الثلاثين رمزاً. ويرى السكاكيني أن الفضل في وضع الحروف الهجائية راجع إلى الفينيقيين إذ اعتُبروا واضعي أهم أسباب الحضارة لأعظم أمم الأرض؛ وبدا له أن ثمة مقاربة بين الأصوات وبين الصور والنقوش الموضوععة لها لوجود علاقة معقولة وواضحة في أدوارها الأولى حتى أول الدور الهجائي، وهو أمر منحها المقروئية من تلقاء نفسها؛ فالباء كانت بيتاً والجيم رأس جمل والكاف كفاً " ولا نزال إلى اليوم نقول صوراً الكلمة أي كتبها"¹.

يستخلص مما سبق عن المراحل والأدوار التي قطعتها الكتابة البشرية - وهي تنشأ التطور وقد تحقق لها ذلك- لا يعدو أن يكون صورة تقريبية، فليس من خطوط فاصلة بين مرحلة وأخرى بقدر ما تنبئ بصورة عامة إلى مراحل تقدم البشرية في طريق إكمال متزن للكتابة؛ فإذا كانت أولى المراحل تتمثل في رسوم خطتها الأمم البدائية على الجدران فإن الكتابة المصرية القديمة التي عرفت بالكتابة الهيروغليفية تمثل مرحلة فيها نوع من التطور لأنها مرحلة كتابة تصويرية رمزية. ويمثل الخط المسماري- وقد كتبت به اللغة البابلية والآشورية في العراق القديم- مرحلة الكتابة المقطعية، ولا يزال هذا النظام متمكناً في الكتابة الصينية واليابانية.

ولم تشذ الكتابة العربية عن هذا النظام -نظام الكتابة الهجائية- لسهولة تعلمها ومرونة استعمالها، غير أنه- ومن المؤسف حقاً- لم يسعف المؤرخين وجود وثائق

¹ خليل السكاكيني اللغوي، بقلم عصام محمد النطي، عن مجلة "رسائل وبحوث" يصدرها معهد البحوث والدراسات الأدبية التابع لجامعة الدول العربية، الطبعة الأولى، 1967م، ص71.

تحدد تاريخاً معيناً لبدء استعمال نظام الكتابة الهجائية في تدوين لغتهم ومعارفهم. ومما يساعد على فهم خصائص الخط العربي الوقوف على تاريخه والروابط التي تربطه بغيره من الخطوط الأخرى، وهو أمر بات يصعب على الدارسين إيضاح لغزه، لذلك تعددت وجهات نظرهم فيه فللمتقدمين منهم -بشأنه- روايات، وللمحدثين تفسيرات، غير أنه قد يأخذ البحث إلى غير مساره، وما من شك في أن الإمام بأهم جوانب المسألة سيساعد على فهم خصائص حروف العربية في أسمائها وترتيبها وطريقة رسمها.

وخلص في كتابه "مسائل في الرسم والنطق"¹ إلى أن الخط المستعمل في كتابتنا العربية اليوم هو الخط الشمالي الحجازي لا الخط العربي الجنوبي القديم المعروف بالمسند الذي كان يكتب به أهل اليمن قديماً ولا تزال آثاره بادية على مباني اليمن القديمة.

ويجب أن يُشار إلى علاقة بين تسميات الحروف باللغة الكنعانية أو الفينيقية ومسميات الحروف العربية، وكأنها إشارة إلى وحدة اللغتين" وهي تبين أن الحرف الأول يسمى ألف وتعني البقرة ويرمز إليها بما يوضح خصائص البقرة وهو الرأس ذو القرنين، وأن بيت (الباء) وتعني المنزل أو البيت كما هو واضح ورمزها مخطط غرفة أو صحن دار، وجميل وتعني (الجمل) ويمثل بسنم، ودال (الذال) وتعني الدالية أو مطرقة الباب وتأخذ هذا الشكل، وياد (الياء) وتعني اليد ورمزها الزند والساعد، وكوف (الكاف) وتعني الكفاء ورمزها مشابه لكف اليد، ورأس (الراء)

¹ مسائل في الرسم والنطق، لغانم قدوري.

وتعني الرأس وتحمل شكل رأس وسين (السين) وتعني السن ويأخذ الحرف شكلاً ممرضاً وميم (الميم) وتعني الماء، ويتجلى بشكل تموج، وهكذا...¹

يتضمن هذا النص ما سبقت الإشارة إليه من مراحل الكتابة.

2- أسماء الحروف العربية :

يطلق الاسم - في الاصطلاح اللغوي - على اللفظ الموضوع على الشيء لتمييزه عن غيره، ويُجمَع الاسم على أسماء بوزن (أفعال)، واختلف في اشتقاقه؛ أمِنَ السموُّ على مذهب البصريين أم من السمة وهي العلامة على رأي الكوفيين.

ويصغَّرُ (سُمِّي) وأصله سميو، وأصل أسماء (أسماو)، وفيه لغات: اسم، وسيمٌ، وسمٌ².

والحرف في الأصل الطرف، وبه سمي الحرف من حروف الهجاء³.

والهجاء القراءة، ويقصد به تقطيع اللفظة بحروفها، يقال تهجيت الحروف هجاءً، وتهجيتته⁴.

وقد ميز علماء العربية الأوائل بين اسم الحرف ومسمّاه، يقول سيبويه: "قال الخليل يوماً وسأل أصحابه: كيف تقولون إذا أردتم أن تلفظوا بالكاف التي في لك والكاف التي في مالك والباء التي في ضرب، ف قيل له: نقول: باء كاف، فقال: إنما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف، وقال: أقول: كهً وبهً، فقلنا: لِمَ ألحقت الهاء،

¹ الخط العربي أصوله، نشأته، تطوره، انتشاره، ص 26.

² ينظر: لسان العرب، لابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير وجماعة، دار المعارف - القاهرة، مادة: سما.

³ المصدر نفسه، مادة: حرف.

⁴ المصدر السابق، مادة: هجا.

فقال: رأيتهم قالوا: عه فألحقوا هاءً حتى صيروها يستطاع الكلام بها لأنه لا يلفظ بحرف¹، يقصد لا يتوصل نطق الحرف من غير حركة يحرك بها.

وقد تفتن بعض علماء العربية إلى ميزة مهمة في أسماء حروف العربية جعلت الواحد من الحروف لفظه في أول حرف من اسمه؛ فعند النطق بالباء مثلاً يتضمن أول الاسم صورة النطق بها، يؤكد هذا ما قاله أبو الفتح عثمان بن جني: "اعلم أن الألف التي في أول حروف المعجم هي صورة الهمزة وإنما كتبت الهمزة واواً مرةً وياءً أخرى على مذهب أهل الحجاز في التخفيف ولو أريدَ تحقيقها البتة لوجب أن تكتب ألفاً على كل حال... وفيها دلالة أخرى وهي أن كل حرف سميت به ففي أول حروف سميت به لفظه بعينه، ألا ترى أنك إذا قلت جيم فأول حروف الحرف (جيم)... وإذا قلت حاء فأول ما لفظت به حاء، وكذلك إذا قلت ألف فأول الحروف التي نطقت بها همزة فهذه دلالة أخرى غريبة على كون صورة الهمزة مع التحقيق ألفاً"²، وما اختلاف الناس في اسم الهمزة أيقال عنها ألف أم همزة إلا كونها لا تستقر في رسمها على حال واحدة.

واستدل المالقي (ت702هـ) على أن الألف هي الهمزة بأمرين اثنين؛ قال:
"والدليل على أن الألف هي الهمزة شيان:

أحدهما: أنا إذا ابتدأنا بالهمزة على أي صورة تحركت من الضم أو الفتح أو الكسر كتبناها ألفاً لا خلاف بين جميعهم في ذلك...

¹ الكتاب، لسيويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الثالثة، 1408هـ/1988م، 3/320.

² سر صناعة الإعراب، 1/46-47.

والثاني: إذا نطقنا بحرف من حروف المعجم، فلا بد من النطق بأول حرف منه في أول لفظه نحو: باء وتاء وجيم وحاء إلى آخر حروف المعجم ولما كنا نقول: ألف، فتكون الألف في أوله علمنا أنه كسائر الحروف في ما ذكرنا"¹.

وتوصلت الدراسات الحديثة وهي تتابع تاريخ الكتابات إلى أن أسماء الحروف في العربية منحدره أيضاً عن أسماء الحروف في الكتابات القديمة التي انبثق عنها الحرف العربي من جهة، ومن جهة أخرى فإن الكتابات التي ترتبط بها الكتابة العربية حوت خاصية وجود لفظ الحرف في أول اسمه، لذا باتت الظاهرة شائعة.

ويلفت نظرنا أن الأبجدية العربية تحتفظ حين سمّت الحروف بأثار أسماء حروف أختها الأبجديات السامية القديمة؛ " إذ يفترض العلماء أن أسماء الحروف السامية جاءت عندما أخذ السينائيون القدماء صور الكلمات الهيروغليفية المصرية وأغفلوا نطقها القديم وأطلقوا عليها ما يقابلها في لغتهم الخاصة للدلالة على الصوت الأول من تلك الكلمات"²، يوضح هذا القول المثال الآتي: أخذ السينائيون صورة رأس الثور وأغفل نطق الصورة في اللغة المصرية، في حين أطلقوا عليها الذي يقابلها في لغتهم، ثم - وأخذاً بمبدأ القانون الأكروفوني الذي يتخذ من الحرف الأول اسم من أسماء الصورة على حساب الباقي من أبجدياتها - صارت هذه العلامة رمزاً لحرف الألف، لأنه هو الأول لكلمة "ألف" السامية المقابلة للكلمة المصرية المذكورة سابقاً: وعلى هذا القياس سار السينائيون في

¹ مسائل في الرسم والنطق، ص14 [نقلا عن وصف الباني، ص104].

² رسم المصحف، ص33.

معالجة صورة "بيت" فأطلقوا عليها ما يقابلها في لغتهم، ثم اعتمدوا على الحرف الأول من اسمها في لغتهم وهو الباء، وهكذا في بقية الحروف"¹.

وقد كُتِبَ للأبجديات السامية أن حافظت على أسماء الحروف السينائية المفترضة وإن بدرجات متباينة، غير أنها أجمعت على قيمة الحرف الأول من اسم الحرف الأول الصوتية، بمعنى أن اسم أي حرف يحمل قيمته الصوتية في أول مقطع من مقاطعه ولا يخرج عنه، فالصاد في أوله صاد والراء في أوله راء وكذلك الألف - كما سبق - في أول نطقه همزة.

ولا يفوت البحث في هذا السياق أن يشير - وإن من قريب - إلى أسماء حروف هجاء العربية، تحت سقف سماتها مرتبة الترتيب الألف بائي: ألف، باء، تاء، ثاء، جيم، حاء، خاء، دال، ذال، راء، زاي، سين، شين، صاد، ضاد، طاء، ظاء، عين، غين، فاء، قاف، كاف، لام، ميم، نون، هاء، واو، ياء.

وقد تكون العودة إلى ما ذكره الداني في كتابه "المحكم في نقط المصاحف"، وبخاصة والبحث يقف مستجلباً حروف التهجي وترتيب رسمها في الكتابة لا يخلو تتبع ما ورد عن الداني في هذا المقام من فائدة يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

1- "عن ابن عباس قال: أول من نطق بالعربية، فَوَضَعَ الكتاب على لفظه ومنطقه ثم جعله كتاباً واحداً مثل (بسمالله) الموصول ثم فرق بينه ولده إسماعيل بن إبراهيم ﷺ"².

2- سئل المهاجرون: من أين تعلمتم الكتاب، فأجابوا من أهل الحيرة وسئل أهل الحيرة عن ذلك فقالوا: من أهل الأنبار.

¹ المصدر نفسه، ص 43.

² المحكم في نقط المصاحف، الداني، ص 25.

وقيل لعبد الله بن عباس: "معاشر قريش، هل كنتم تكتبون في الجاهلية بهذا الكتاب العربي، تجمعون فيه ما اجتمع، وتفرقون فيه ما افرق، هجاء الألف باللام والميم والشكل والقطع وما يكتب به اليوم قبل أن يبعث الله تعالى النبي ﷺ؟ قال: نعم، قلت: فمن علمكم الكتاب؟ قال، حرب بن أمية، قلت: فمن علم حرب بن أمية؟ قال عبد الله بن جدعان، قلت فمن علم عبد الله بن جدعان؟ قال: أهل الأنبار. قلت: فمن علم أهل الأنبار؟ قال: طارئ طراً عليهم من أرض اليمن، من كندة. قلت فمن علم الطارئ؟ قال: الجلجان بن الموهم، كان كاتب هود نبي الله عليه السلام بالوحي من الله عز وجل"¹.

3- يروى أن حروف ألف ب ت ث تسعة وعشرون حرفاً عليها يدور الكلام كله والكتاب العربي، وقيل إنه لما عرضت حروف المعجم على الرحمن تعالى جدّه - وهي كما سبق تسعة وعشرون حرفاً - تواضع الألف من بينها، فشكر له ذلك التواضع، وكُرِّمَ بأن جُعِلَ قائماً أمام كل اسم من أسمائه عز وجل.

4- وتقدمت الألف في كلا الترتيبين الأبجدي والألفبائي المشرقي والمغربي على سائر الحروف الهجاء لأنها صورة للهمزة في بداية الكلمة ولسائر الهمزات أحياناً. وكذا لانفرادها بجعلها صورة الهمزة المتقدمة في الكلام ولكونها تشارك الواو والياء في استقلالها بصورة نفسها وبصورة للهمزة المتوسطة والمتأخرة قدمت.

وتجيء بعد الألف - على الترتيب - الباء والتاء والثاء، لأنها أكثر الحروف شبيهاً، ويلحق بالثلاثة حرفا الياء والنون لكن إذا ما وقعتا أول الكلمة أو وسطها، فصارت خمسة متشابهات في الرسم، ولعل ما أوجب تقديم هذه الخمسة كثرتها، ثم تليها الثلاثة الأخر الجيم والحاء والخاء.

¹ المحكم، ص 26.

5- ويجيء بعد الحروف المتقدمة، الحروف المزدوجة يضبطها دورانها في الكلام كثرة وقلة، فما جاء منها مقدماً في الترتيب كان أكثر دوراناً في الكلام، يُستثنى من ذلك ما يُصوّر منها بصورتين مختلفتين في التطرف والتقدم، كالمقدمتين لتقدم أمثالهما.

6- يذكر لبعض الحروف خاصية الانفصال، فمنها ما لا يتصل بأي حرف بعده، بعد أن كانت تقبل بالاتصال بما قبلها وعددها ستة، الألف والذال والذال والراء والزاي والواو. رسمت على هذه الشاكلة لثلاث تلتبس بغيرها؛ فلو اتصلت الألف بما بعدها لأشبهت اللام، ولو باشرت الواو حرفاً آخر لاختلطت بالفاء، ولو اتصلت الأربع البواقي لأشبهت الياء والتاء وما على شاكلتهما.

7- وقد بدا لأبي عمرو الداني تخريجاً لم يعهده عند سالفٍ وما رآه لمتقدم استقاه من مقارنة هذا الترتيب بترتيب (أبي جاد) قال: "إنما تقدمت الألف، وإن كانت منفردةً للمذكور في الخبر والنظر من استحقاقها ذلك ولتقدمها أيضاً في أول الفاتحة... ولكثرة دورها في الكلام وترددها في المنطق إذ هي أكثر الحروف دوراً وتردداً¹ و يعني بالخبر والنظر، أن الأول ما حكي فيه تواضع الألف لله تعالى، وأن الثاني - بالنظر - قول أهل اللغة.

8- ويضيف الداني شارحاً أسباب تقدم الحروف بعضها عن بعض حين رتبها العلماء، فقد وليت الألف الباء والتاء والثاء لكثرتهم وكونهن على صورة واحدة، وقد جرت العادة على تقديم ما كثرت عادته وانفتحت صورته، غير أنه يجب أن يعلم أن الباء قدمت بسبب تقدمها في التسمية التي يستفتح بها مع التعوذ الذي فيه ألف بداية فيقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم، ولتقدمه أيضاً

¹ المحكم، ص 24.

- أي الباء - في أصل حروف التهجي "أبي جاد" ولكونها امتازت عن أختيها التاء والثاء بنقط مفرد على ترتيب العدد، كما كان للتاء التقدم على الثاء لكسبها نقطتين على خلاف الثاء المثلثة، والكثير بالضرورة مقدم على القليل الدور.

9- ثم رتبت الجيم والحاء والخاء لكثرتهم وتشابه صورتهم، وبالنظر إلى حروف التهجي واتصال الجيم بالباء قُدِّمت الجيم على الحاء كما قُدِّمت الحاء على الخاء لتقدمها في المخرج الحلقي، إذ الحاء من وسطه والخاء من أدناه، لذلك جاءت الخاء آخرًا.

ورُتبت الدال والذال بعد الثلاثة السابقة، وهما برسم واحد، وتقدمت الدال غير المعجمة على الذال المعجمة لقربها من الجيم.

ثم وليت الدال والذال الراء والزاي وهما على صورة واحدة شبيهتان في الرسم بالحرفين الواردين قبلهما، ولم تتقدم الزاي على الراء بداعي النظام الأبجدي، بل روعي فيهما جهة الإعجام - النقط - إذ كانت الحاء متقدمة على الخاء والدال متقدمة على الذال غير منقوتين فكذلك الراء حين قدموها على نظيرتها- الزاي-؛ ليأتي المزدوج كله على طريقة واحدة.

10- وتكون الحروف المتقدمة ذكراً متفقة الترتيب عند السلف والخلف من أهل المشرق وأهل المغرب، ثم يحدث اختلاف في ترتيب ما بعد ذلك فيما تَبَقَّى من حروف، مزدوجها ومنفردا إلى ختام الحروف.

يُجَلِّي مؤلَّفُ الداني "المحكم في نقط المصاحف" اختلاف مرسوم الحروف غير السابقة معللاً تقديم المتقدم وتأخير المتأخر فرأى أن أهل المشرق رسموا بعد الراء والزاي والسين والشين، وهما على صورة واحدة، لاشتراك السين مع الزاي

في الصغير الذي يعد زيادة صوت، وكان تقديمهم السين على الشين لتقدم غير المعجم من المشتبهين في الصورة على المعجم، عُرِّيت السين من النقط فهي الأصل وأُعجِمَت الشين فهي فرع، والأصل يقدم على الفرع، فلذلك تقدم غير المنقوط من المزدوج.

ثم جاء الصاد والضاد وهم على صورة واحدة لتقاسم الصاد السين في الصغير والهمس، وقُدِّمَت الصاد على الضاد كما تقدمت السين الشين غير أنهم لم يراعوا ترتيبها الأبجدي، لمؤاخاة السين الزاي في الصوت واتحاد الشين مع الجيم في المخرج.

ثم رسموا الطاء والظاء وهما على صورة واحدة، وقد اتفقا مع الصاد والضاد في صفتي الإطباق والاستعلاء فوليتهما لذلك، وكان للطاء سبق كما كان للصاد، ولتقدمها في هجاء "أبي جاد" واشتراكها - أي الطاء - مع الدال في المخرج، مخرج النطق.

وتختتم هذه الحروف المزدوجة بالعين والغين وهما على صورة واحدة، وتقدمت العينُ الغينُ كما تقدمت الحاء الخاء من حيث المخرج وجهة الإعجام، إذ الأصل كما سبق يناله غير المعجم، وهو العين.

ثم رسموا المنفرد، فرتبوا بعد العين والغين الفاء والقاف واعتبر الحرفان من المنفرد لاختلاف صورتها في الأطراف من الكلم فشَبَّهتا بالمزدوج لذا قدمت على سائر المنفرد. ولما كانت الفاء متصلة بالعين ومرسومة بعدها في حروف "أبجد"، وهي متقدمة على القاف في الهجاء أيضاً، وتتعاقب مع الشاء في مثل: ثوم وفوم، تقدمت على القاف.

11- وتتجمع في الترتيب الألفبائي أربعة أحرف وهي من المنفرد جاءت مرتبة على رسمهن في كلمة "كلمن"، وهي الكاف واللام والميم والنون وتقدمت الكاف الأربعة أحرف لتقدمها في "أبي جاد" ولاتفاقها في المخرج مع القاف من أقصى اللسان، وتقدمت اللام الثلاثة الباقية لاشتباه صورتها بصورة الألف المتقدمة في حروف التهجي. وقُدِّمت الميم على النون لقوتها ولزوم صوتها، فلا يزول عنها بحال من الأحوال صوتها الغني، لذا أدغم فيها غيرها ولم تدغم في مقاربتها، وقد يزول صوت النون - وهي من الخيشوم - كله أو بعضه، يضاف إلى ميزة الميم أنها من مخرج الباء - فهي شفوية، وهي تبدل من النون إذا كانت ساكنة ولقيتها الياء - فتقلب ميما - في أي موقع كانت نحو: من بعد، ومنبر، ثم يأتي الثلاث الباقيات وهي الواو ثم الهاء ثم الياء، وهن آخر ما بقي من المنفرد، ويعلل مجيء الثلاثة على هذا الترتيب، لقرب الواو في شكلها من القاف الشبيهة الصورة بالفاء أيضاً، وتقدمت الهاء الياء لتقدمها عليها في حروف أبي جاد. وصارت الياء آخر حروف ألف باء ليعرف بصورتها إذا وقعت آخر الكلمة؛ لأن صورتها في هذا الحال اختلفت عن صورتها وهي في أول الكلمة أو وسطها. وكذلك أخروا اللام الألف وقد رسموها قبل الياء لرسمها بشكليين في انفرادها واختلاطها.

12- واختلف رسم أهل المغرب عن أهل المشرق في ترتيب الأحرف فجعلوا بعد الراء والزاي الطاء تم الطاء، فقدموا الطاء هنا لكونها من مخرج الدال، وكون الطاء من مخرج الدال، وتقدمت الطاء لبقاء الدال على الدال.

ثم رسموا الصاد والضاد لمجيئهما بعد هجاء "كلمن" في قولهم "صعفض" وتقدمت الصاد لكون غير المنقوط متقدماً على المنقوط، لتمييز الثاني من الأول.

ثم أعقبوا العين والغين، وقدموا العين لترتيبها قبل الغين في حروف أبي جاد ولتقدمها في مخرج الحلق ولخلوها من النقط.

ثم الفاء والقاف لكون الفاء - كما سبق - مرتبة قبل القاف وهي بعد العين في عبارة "سعفص".

ثم كانت السين بعد الشين وهما آخر المزدوج، وقدمت السين على الشين كما قدمت الصاد على الضاد.

ثم رسموا الهاء والواو والياء مراعين ترتيبهن في حروف أبي جاد من قولهم: "هوز"، "حُطي"¹.

ويختم الداني هذا الباب (باب ذكر القول في حروف التهجي وترتيب رسمها في الكتابة) يقول لقطرب يعلل كتابة تلك الكلمات المعبرة عن أسماء الحروف في ترتيبها، وقد حذف منها ما كان يجب أن يثبت قال: "وقال قطرب: إنما كتبوا (أبجد) بلا ألف ولا واو، لأن هذا إنما وضع في الكتاب لدلالة المتعلم على الحروف، فكرهوا أن يُطَوَّلُوا عليه، فلم يُعيدوا المثال مرتين فكتبوا (أبجد) بلا واو ولا ألف لأن معنى الألف في (أبجد)، والواو في (هوز) قد أُثِّبَتْ، فوضحت صورتها، وكلما مُثِّلَ الحرفُ مرةً استغني عن إعادته، وإنما أُثِّبَتْ ياء (حطي) مع ياء (قريسيات) لاختلاف الصورتين، يعني صورتها في الطرف، وصورتها في غيره"².

يستخلص مما سبق من ذكر تعليقات الحروف ترتيبها إلى أن ترتيب (أ ب ت ث) ترتيب حادث بعد ظهور الدين الإسلامي؛ فنزول القرآن الكريم بالعربية

¹ هذا الترتيب الذي ورد ذكره هو تلخيص من كتاب المحكم للداني، ابتداءً من، ص 27 إلى، ص 34.

² المحكم، ص 34.

ورسمه بالخط العربي وما صاحبه من نشاط في تعلم الكتابة وغيرها من العلوم أتاح للكتابة العربية فرصة التحسين في خطوطها وإعادة النظر في ترتيب حروفها.

وقد يكون الترتيب الألفبائي في ظهوره مرتبطاً بإعجام الحروف إن في إعجام الضبط وإن في إعجام النقط، وحين وقع الناس في التصحيف واختلط عند بعضهم الباء بالتاء رأوا الحاجة ماسة إلى تمييز الحروف المتشابهة صورها فراح بعض تلامذة أبي الأسود الدؤلي بوضع نقاط الإعجام لتمييز التاء من الباء والحاء من الخاء والراء من الزاي وتشير الروايات إلى أن ذلك حدث في زمن ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي في العراق سنة (75هـ)، ويقال إن نصر بن عاصم الليثي هو من قام بذلك، وهو من التابعين، توفي في سنة (90هـ) على خلاف، وكان من تلامذة أبي الأسود الدؤلي، "وكانت له مشاركة في نقط المصاحف وتخميمها وتعشيرها وله دور في وضع العربية... وذكر أن الجاحظ قال: إن نصر بن عاصم أول من نَقَطَ المصاحف، وكان يقال له نصر الحروف"¹.

يدلُّ لقبه هذا - نصر الحروف - على مدى تعلقه بحروف الكتابة العربية ولعله تعدى تنقيطها إلى إعادة ترتيبها، إذ أبرزَ هذا العمل ما بين الحروف من وشائج فلم تبق الروادف الستة التي أضيفت إلى الاثني والعشرين حرفاً من الأبجدية القديمة، لم تبق بمعزل عن باقي الحروف تذكر في الآخر بل شكلت مع نظيراتها ترتيباً جديداً سبق أن تناوله البحث في ترتيب (ألف باء تاء).

وبنظرة متفحصة في هذا الترتيب - الجديد - تدرك الصلة القائمة بين الترتيبين، فالأربعة أحرف الأولى فيه وهي (أ ب ج د) بقيت على شاكلتها وتخللتها متشابهاتها، فآلت إلى (أ ب ت ث ج ح خ د ذ) وقد صرح الداني في محكمه -

¹ مسائل الرسم والنقط، ص 23.

كما سبق - بأن حروف "أبي جاد" هي أصل حروف التهجي، وما مجيء الراء والزاي بعد الدال والذال على هذا الترتيب إلا لقرب صورهن بعضهن من بعض.

وينقل أبو العباس القلقشندي (ت821هـ) ترتيب أهل المشرق وأهل المغرب، وقد لاحظ أن الترتيبين لم يكن فيهما توافق لديهما في المزدوج والمفرد، ويعني بالمزدوج ما تجمعت حروفه في كلمات وهو القديم والمفرد لم تجمع وهو الحديث ولعله روعي في التشابه لتسهيل الحفظ.

قال أبو العباس: "واعلم أن ترتيب الحروف على ضربين: مفرد ومزدوج وبين أهل المشرق وأهل المغرب في كل من النوعين خلاف في الترتيب. أمّا المفرد فأهل المشرق يرتبونه على هذا الترتيب: أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق كل م ن ه و لا ي.

وأما أهل المغرب فإنهم يرتبونه على هذا الترتيب: أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ كل م ن ص ض ع غ ف ق س ش ه و لا ي.

وأما المزدوج فأهل المشرق يرتبونه على هذا الترتيب: أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ.

و أهل المغرب يرتبونه: أبجد هوز حطي كلمن صعفض قرشت ثخذ ظغش"¹.

مما سبق يستخلص أن الحروف العربية كما أشار الرافي "لم تكن على هذا الترتيب الهجائي من قبل، وإنما هو ترتيب نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر العدواني في زمن عبد الملك بن مروان حين بُدئ في إصلاح الخط وتمييز الحروف والحركات

¹ صبح الأعشى، 3/23-24.

وكانت قبل ذلك على ترتيب "أبجد هوز" المعروف وهو ترتيب السريانية والعبرانية¹.

ينقل لنا الداني بعد أن عرّفنا على ترتيب أحرف ألف باء وسبب تقديم المتقدم وتأخير المتأخر، وقد فرق بينهما بنقط بعض وإهمال بعض، يأتي ليرتبها في مجموعات حسب نقطها أو عدمه قال: وقال غير الخليل: حروف المعجم ثمانية وعشرون حرفاً مختلفةً منفردة في التهجي وهي سواكن، وقد دخل فيها لام ألف موصولين لانفادهما في الصورة، وهي أربعة أصناف: صنف منها ستة أحرف متباينة لا تحتاج إلى الفصل بينها وبين غيرها بشيء من النقط (أ كل م وهـ)، وصنف فيها سبعة أحرف متلاسة مخللة (ح د ر س ص ط ع).

وصنف منها أحد عشر حرف متلاسة يفصل بينها وبين ما قبلها من المتلاسين بالنقط (ب ت ث ج خ ذ ز ش ض ظ غ).

وصنف منها أربعة أحرف تُخلى إذا لم يوصل بها شيء، وتنقط إذا وصل بها غيرها: (ف ق ن ي) فجميع ما ينقط منها لالتباسها بغيرها خمسة عشر حرفاً، منها ثمانية أحرف كل حرف منها بنقطة واحدة (خ ذ ز ض ظ غ ف ن)، واثنان بنقطتين من فوقها (تق)، واثنان بثلاث نقط من فوقها (ث ش)، واثنان بواحدة من تحتها (ب ج)، وحرف واحدة بنقطتين من تحته (ي)².

¹ تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط4/1394هـ-1974م، ص36-37.

² المحكم للداني، ص36-37.

و يشير الداني بعد هذا التفريق إلى ما ذهب إليه أهل المشرق من نقط الفاء بواحدة من فوقها، والقاف بنقطتين من فوقها، على حين نقطهما أهل المغرب بواحدة من أسفل للفاء وبواحدة فوق القاف وكلهم طلب الفرق بين الحرفين.

ورأى بعض العلماء تعليلاً آخر للنقط بعد أن جعلوا الحروف المتشابهة رسماً في مجموعة واحدة مثل مجموعة (ب ت ث ن ي)، وهي خمسة تشابهت صورها في الكتابة، لأجل ذلك احتيج إلى النقط ليفرق بينها فواخوا بين حرفي الباء والنون وبين التاء والياء، فأعطوا الباء نقطة من تحت والنون واحدة من فوق، ونقطوا التاء اثنتين من فوق والياء اثنتين من تحت، وانفردت التاء بلا أخت فنقطوها ثلاثاً من فوق مع أنها لم تُخَلُّ من شبه.

و حين جاءوا إلى الثلاثة المتشابهة صورة ورسماً (ج ح خ)، رأوا أنه لا شبيه لها في حروف المعجم، وكان ابتداءهم بالجيم فنقطوها بواحدة من تحت لكونها - حين تنطق - مكسورة، وجرّدوا الحاء من النقط فرقاً بينها وبين الجيم واختاروا للحاء نقطة من فوق لأن اللفظ بها مفتوح.

وعملوا بالبدال والذال مع ما كانوا عملوه بالسابقة، فأخلوا الدال من النقط؛ لأن ما قبلها منقوط وهو الخاء، ونقطوا الذال واحدة من فوق لأنها تلفظ مفتوحة. وقد فعلوا الفعل نفسه بالراء والزاي.

و حين جاءوا إلى السين والشين وقد اتحدت صورتها فلم ينقطوا الحرف الأول (السين)، ليفرق بينها وبين أختها "ونقطوا الشين بثلاث من فوق لأنه حرف واحد، صورته صورة ثلاثة أحرف، واختاروا النقط لها من فوق ولفظها مكسور، لأنها من بين الحروف المزدوجة كثيرة النقط مخالفة في ذلك سائر المنقوط من

المزدوج والمنفرد إلا الثاء فإن علتها مخالفة لعلّة الشين¹، ولو لم يفرقوا بين السين والشين بنقط لقرئت كثير من الكلمات على غير مرادها، نحو (سن) فقد تقرأ على أنها فعل ماضٍ من مصدر شَنَّ، يَشُنُّ، وقد تؤخذ من مصدر التَّيَّن على أنها من الماضي: تَبَّيَّنَ، لذا قرئت كلمة (فسنوا) من سورة [الحجرات: 06] بقراءتين مخرَجَتين من رسم الكلمة فتُؤدِّي: (فَتَبَّيَّنُوا) و(فَتَشَّبَتُوا)، ولعل هذه أهم ميزة لنقط الحروف.

وقد اتفقت نظرتهم إلى الحرفين الصاد والضاد وكذا الطاء والظاء، والعين والغين إذ لعله في جميعها واحدة.

ثم وقفوا وقفة متأنية مع الفاء والقاف، ولما كانا حال الانفراد مختلفي الصورة، مشتبهتين في أول الكلام ووسطه، ولما اختلفت صورتها في موضع واتفقت في آخر اختيار لهما النقط لكن خولف بينهما ليفرق بينهما بذلك النقط، فجعلوا لهما النقط من فوق بإعطاء الفاء نقطة والقاف نقطتين، لأن مخرج لفظهما مفتوح.

ولما جاءوا إلى الكاف وقد وجدوا صورتها لا تشبه صورة حرف من حروف المعجم وهو يتصل بأول الكلام ووسطه وأواخره ولا ينفرد بذاته إلا في أواخر الكلام، أدخلوه من النقط.

وقد فعلوا باللام وهو حرف منفرد الشكل ما فعلوه بالألف والكاف فلم ينقطوه.

ونظروا إلى الميم وهو حرف منفرد لا مثيل له في الرسم نظرتهم إلى الكاف واللام فأدخلوه من النقط وأجروه مجراهما.

¹ المصدر نفسه، ص 38.

ثم جاءوا إلى الواو، وقد وجدوها تشبه القاف في الرسم في الانفراد وفي أواخر الكلام وتختلف عنها في أول الكلام ووسطه فيُوصل بها غيرها ولا تُوصل غيرها رسماً، ولما كان للواو شبه بالقاف في مواضع خالفت القاف فيها الفاء أخلوها - أي الواو - من النقط.

ثم جاءوا إلى الهاء، وهو حرف منفرد لا يشبه حرفاً من حروف المعجم وقد صور في الكتابة بصورتين مختلفين؛ إذ هو في الابتداء أو الوسط مشقوق، وفي الأخير مُدَوَّر غير مشقوق، فلم ينقطوه لخلو الشبه واختلاف الصورة، وربما اعتبر الخط الذي يشق به حين يقع أولاً أو وسطاً عوض النقط عند اختلاف الصورة.

وقد يحتج على حرف الهاء لِمَ لَمْ ينقطوه وقد اختلفت صورته في الكتابة بعد أن علم أن ما اختلف من الحروف المفردة في موضع واتفق في موضع صار محتاجاً إلى النقط ليستدل به، أجيب عنه بنقط الباء والتاء بوحدة واثنين لعله شبههما بالياء والنون، واختير للهاء ثلاث نقط لأن لها أربعة أمثلة كلها منقوطة بما عُرِفَ، ونقط الشين أيضاً بثلاث لعله مشابهتها للسين ولما عرف عنها في صورتها رسماً التي ضاهت صورة ثلاثة أحرف وهذا الحرف أي الهاء لم تكن صورته إلا صورة حرف واحد فلم ينقطوه بوحدة لانفراده أولاً، ولم يعطوه اثنين لعله شبهه ثانياً، ولم ينقطوه بأكثر من اثنين لعله صورته فبات إلزاماً أن يخلى من النقط¹.

يختم البحث هذا المبحث بخلاصة توضع إجابة لسؤال مؤداه، من أول من وضع الكتابة العربية، ومن أين وصلت إلى العرب؟

¹ ينظر: المحكم للداني، ص 39-40.

قيل: إن أول من وضع الكتابة العربية آدم عليه السلام كغيرها من سائر الكتابات، فكان أن كتب الكتابات جميعها في طين ثم أحرقه ودفنه قبل موته، وبعد الطوفان وجد كل قوم كتاباً فتعلموه ملهمين، ونقلوا صورته واتخذوها أصل كتابتهم.

وقيل: إنه كاتب الوحي لسيدنا هود عليه السلام، وتعلمها منه هؤلاء الثلاثة نفر: مرامر بن مرة وأسلم بن سدرة وعامر بن جدرة وقد أخذها عنهم أهل الأنبار، ومنهم انتشرت الكتابة في العراق أي الحيرة وغيرها، فأخذها بشر بن عبد الملك أخو أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل، وكان لبشر صلة صداقة بحرب بن أمية لمتاجرته في بلاد العراق، وحدث أن سافر بشرٌ مع حرب إلى مكة وتزوج بابنته الصهباء؛ فتعلم منه حرب وبعض من أهل مكة الكتابة وكان ذلك الحدث حافزاً لتعلم القرشيين الكتابة فكان أهل مكة أكثر كتابة من أهل المدينة.

ورأى فريق أن أول من وضع الكتابة إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام، وبدأت الكتابة عنده متصلة الحروف بعضها ببعض لما في ذلك من الحروف الواجبة الانفصال كالألف والراء إلى أن فصلها ثلاثة من أولاده أو نزار بن معد بن عدنان¹.

و يُعزى وضع الكتابة العربية إلى ستة ملوك من مدين ببلاد العرب قد وضعوا الكتابة العربية بحسب حروف أسمائهم التي ضمها عبارات (أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت) وجاءت هذه الأسماء غير جامعة للحروف العربية ألحقوا بها البواقي وأسموها الروادف وعددها ستة وهي (تخذ، ضظغ).

¹ المحكم للداني، ص 25.

ومن الروايات التي تُروى عن واضعي الكتابة العربية أن أول من استعملها الحميريون من أهل اليمن، وقد كتبوها بحروف متصلة اختلفت باختلاف موقّعيها، وكانت تسمى بـ"المسند"، ثم انتقلت عنهم إلى الحيرة ثم إلى مكة¹.

وقد عرفنا في ما سبق أن ترتيب الحروف في نظام (أ ب ت) جاء متبايناً بين المشاركة والمغاربة.

فكان ترتيب المشاركة (أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق كل م ن هـ ولا ي).

وترتيب المغاربة (أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ كل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ ولا ي).

ولا ندري - كما أشار محمد مرتاض - ما سبب هذا الاختلاف في الترتيب بين عرب المشرق وعرب المغرب، فليس من تحسن صوتي ولا اعتبار تدريجي "وكان الأسلم لأن يكون هناك ترتيب آخر في صالح المبتدئين من الأطفال كتأجيل الحروف اللثوية مثلاً إلى نهاية دراسة هذه الحروف لأن الطفل الصغير لا يمكن له أن ينطق هذه الحروف إلا بصعوبة كما تأكد لنا ذلك في أثناء ممارستنا لمهنة التدريس مع الصغار"².

وقد لا يستساغ هذا الرأي، فكلا الترتيبين روعي فيه مبدأ تجميع الحروف المتشابهة الصورة والرسم وفرق بينها بالنقط وكان الصغار وهم يُعلّمون يُحفظون الحروف مرتبة ثم معجمة ثم مضبوطة وإن في حال تنوينها.

¹ ينظر: سفير العالمين في إيضاح وتحرير وتحرير سميّر الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، تأليف أشرف محمد فؤاد طلعت، مكتبة الإمام البخاري، الطبعة الثانية، 1426هـ/2006م، ج1/ص: 11-12.

² الخط العربي وتاريخه، محمد مرتاض، ص 49-50.

خصائص الكتابة العربية قبل رسم المصحف :

يشير عنوان هذا المبحث إلى قضية جوهرية، عني بها الباحثون قديماً حين بحثوا الكتابة العربية قبل أن يخطوا بها كتاب المصحف الرسم الذي سمي به خط المصحف أي الرسم العثماني، ويتركز الحديث هنا بخصوص ما لرموز الكتابة من علاقة لتمثيل أصوات اللغة وكيف وفّت بغرضها، وطريقة تتابع تلك الرموز داخل ما يكتب من كلمات وارتباطها بها.

يتكون نظام الكتابة الفينيقية من اثنين وعشرين رمزاً وهي تكتب منفصلة، وتشير هذه الرموز في مجموعها إلى الأصوات الصامتة فقط، ولم تُشير إلى الحركات بنوعها قصيرة أو طويلة، واستعملت الكتابة الفينيقية لتمثيل اللغة الآرامية، وقد أُحتج بعد زمن إلى هذه الحركات التي استخدمها كُتاب الآرامية في القرن التاسع أو الثامن قبل الميلاد، وتوصلوا إلى رسم الواو والياء الصامتين أو أنصاف الحركات لتوظيف الضمة والكسرة الطويلتين، وبات تطور الحركات يسير في ببطء شديد " وعندما استخدم النبط الكتابة الآرامية ورثوا ذلك النظام الصامتي مع الإشارة إلى الحركتين الطويلتين... بواسطة رمزي الواو والياء الصامتين... ففي نقش مؤرخ في سنة (9 ق م) وردت الكلمات الآتية: أبوهي (أبوها)، بيرح (بمعنى شهر)، أول (أيلول)، مقيم (مقيم)، وفي نقش مؤرخ بسنة (76 م) وردت: يتقبرون سيرون (سيروان: اسم شهر)، وكلمة (أربعين) في نقش مؤرخ سنة (180م) وردت (منتو، بيرح، تموز)، في نقش مؤرخ بسنة (267 م)، و(جذيمت، تنوخ)، في نقش مؤرخ سنة (270 م) وهو نقش أم الجمال الأول. ونجد في نقش النمارة (328 م) الكلمات التالية: (ملوكهم، مدينة، بنيه، الشعوب، روم)، وهذه الكلمات كلها تشير إلى استخدام رمزي الواو والياء

الصامتين للدلالة على الضمة والكسرة الطويلتين، كذلك نجد الشيء نفسه في النقوش العربية، ففي نقش حران (568 م) نجد (شرحيل)، (شراحيل)، (المرطول)، وفي نقش القاهرة (31هـ) (الرحيم، أمين، ثلثين)، وهذا الأمر في الكتابة العربية لا يحتاج إلى مزيد أمثلة¹.

ما يلاحظ على النقوش السابقة كتابة الألف الممدودة ألفاً مقصورة في عبارة (أبوهى - أبوها) وحذف الصامت الياء من (أول - أيلول)، وحذف الحركة الطويلة الفتحة من لفظة (سيرون - سيروان)، لكن في نقش القاهرة وبعد تقدم الزمن جاءت الكلمات الثلاث بكتابة مماثلة للكتابة الحالية.

وبدا من خلال النقوش السابقة واضحاً إغفال رمز الفتحة الطويلة في الكتابة الآرامية، بخلاف ما أشارت إليه الكتابة العربية برمزي الواو والياء الصامتين كحركتين طويلتين لهما وهو أمر اشتركت فيه الكتابة النبطية والعربية إرثاً عن الآرامية.

وإذا كانت الكتابة الآرامية لم تُشير إلى رمز الفتحة الطويلة فإن الكتابة النبطية استخدمت رمز الألف دلالة على الفتحة الطويلة واقتصرت على توظيفه في آخر الكلمات دون وسطها، غير أن بعض الباحثين رأى أن ينسب هذا التطور الأخير إلى الكتابة العربية، ولا بأس من نقل بعض الكلمات النبطية التي خلت الإشارة فيها من الألف في وسط الكلمة، منه (بناه)، حرثت (حارثة)، ملكو (مالك)، سلم (سلام)، وكذا في نقش النمارة: التج (التاج)، نزر (نزار)، نجرن (نجران)، فرسو (فارس)، وقرئ في نقش حران: ظلمو (ظالم)، وفي نقش القاهرة: الرحمن (الرحمان)، هذا (هاذا)، اللهم (اللاه)، الكتب (الكتاب).

¹ رسم المصحف، غانم قدوري، ص 70-71.

وقد ثبت رمز الفتحة الطويلة في آخر الكلمات، كما في نقش حران الجاهلي (أنا، ذا) وفي نقش القاهرة (هذا، إننا، إذا)¹.

ومما عرف عن الكتابة العربية في هذه الفترة - قبل الرسم العثماني - أنها ترسم الحرف المكرر الذي لا يفصل بين الأول والثاني منهما حركة برمز واحد، وهو أمر ظاهر في الكتابة النبطية، وكثير من نظم الكتابات السامية².

ونجد من الكلمات التي كانت تكتب في النقوش العربية الجاهلية قد حافظت على رسمها في رسم المصحف نحو: سُنَّت (سُنَّة)، ولا يعني هذا أن الأسماء الدالة على مؤنث مجازي يجب كتابته بتاء مفتوحة بل عُثِرَ على كلمات من هذا القبيل كما في نقش القاهرة وقد كتبت الكلمة هكذا (رحمة) برمز هاء مربوطة.

"و لا شك أن النقوش العربية التي بأيدي الباحثين من فترة ما قبل الرسم العثماني لا تتيح معرفة واسعة بخصائص الكتابة العربية، آنذاك إذ إنها جميعاً لا تُساوي ما تقدمه أقصر سورة في المصحف الشريف"³، ولعل السبب في ذلك ضياع تلك النقوش أو ما أصاب الحجارة التي كان يكتب عليها، أو الجلود أو العظام، وقد يفعل الزمان بالكتابة ما لا يفعله حريق.

فائدة معرفة ترتيب الحروف :

يعود تعلم معرفة أسماء الحروف وتعليمها بفوائد جلييلة، إذ أسماء الحروف إشارة إلى رموزها المكتوبة التي تشكل أصواتاً منطوقة تتألف منها اللغة، ويعتبر تلقين أسماء الحروف للمتعلمين وإيقافهم على رسمها وكيفية نطقها أمراً ذا بالٍ في

¹ ينظر: رسم المصحف غانم قدوري، ص 71.

² ينظر: نفسه، ص 74.

³ رسم المصحف، ص 75.

التعليم، وما فتئ المهتمون بتعليم اللغات يحرصون على ترتيب أبجديتهم ترتيباً يسهل عملية التذكر، ولعله أمرٌ قديم توارثته الأمم جيلاً عن جيل¹.

"وهذه خلاصة تبين للقارئ أن لترتيب الحروف فوائد تستدعي الاستمرار في حفظ ترتيب الحروف منها:

1- الترتيب الأبجدي للحروف: يستعمل نيابة عن الأعداد، فلكل حرف قيمة عددية محددة تبدأ بالرقم (1) لحرف الألف، وتنتهي بالرقم (1000) لحرف الغين في آخر الترتيب..."²، وتسمى هذه الطريقة في ذكر الحروف بحسب أعدادها بحساب الجمل ذكر ذلك بن منظور أن حساب الجمل؛ بتشديد الميم: "الحروف المقطعة على أبجد، قال ابن دريد: لا أحسبه عربياً، وقال بعضهم: هو حساب الجمل بالتخفيف، قال ابن سيده، ولست منه على ثقة"³.

وقد أرخ بعضهم قديماً فاستبدل الأعداد حروفاً، جاء في شرح المقدمة الجزرية للجزري هذا البيت مبيناً عدد أبيات منظومته، فقال:

أَبْيَاتُهَا قَافٌ وَزَايٌ فِي الْعَدَدِ مَنْ يُتَّقِنُ التَّجْوِيدَ يَظْفَرُ بِالرَّشَدِ

فعلم بذلك أنه لما كانت قيمة القاف العددية (100) وقيمة الزاي (7)، بلغت الأبيات (107) بعد جمع العددين.

ومن الأمثلة التي استخدمت فيها الحروف نيابة عن الأرقام "ما ورد في آخر منظومة (تحفة الأطفال) في التجويد للشيخ الجمزوري (توفي بعد سنة 1198هـ) قال:

¹ ينظر: مسائل في الرسم والنطق، ص 31.

² مسائل في الرسم والنطق، ص 32.

³ ينظر: لسان العرب، مادة (جمل).

وَتَمَّ ذَا النَّظْمُ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلاً تَمَامِهِ بِإِلَ تَّاهِي
أَيَّاتِهِ نِدْبَداً لِدِي التُّهَى تَارِيخَهُ بُشْرَى لِمَنْ يُتَّقِنَهَا

...فعدد المنظومة واحد وستون بيتاً وهي مجموعة القيمة العددية لحروف: (ندّ
بدا) على النحو التالي: ن=50، د=4، ب=2، د=4، أ=1، المجموع 61.

وتاريخ نظمها سنة 1198، وهي مجموع القيمة العددية لحروف: (بشرى لمن
يتقنها) وذلك على النحو الآتي: ب=2، ش=300، ر=200، ي=10، ل=30، م=
40، ن=50، ي=10، ت=400، ق=100، ن=50، هـ=5، أ=1، ومجموع
ذلك: 1198 وهو تاريخ نظم هذه الأبيات¹.

وتكاد هذه الطريقة تختفي في زماننا غير أن استعمال حروف (أبجد هوز) بات
مستمراً إن في ترقيم مقدمات الكتب وإن في الرسائل العلمية، ويبقى صالحاً هذا
الترقيم إذا أُتقِن استعماله في كثير من المجالات.

أما الترتيب الألف البائي فتتجاوز فوائده تعليم كتابة الحروف إلى عمل
الفهارس المعتمد إذ يُغني الباحث أو المتصفح في كتاب أو في أجزاءه كاملة
بمجرد النظر في الفهرس: "ويمكن للفهرسة أن تعيننا في مجالات كثيرة منها:
معاجم اللغة ودوائر المعارف ومنها رس الكتب ومنها أي قائمة تصدر بأسماء
أشخاص أو أسماء كتب أو أمكنة... فيفضل في غالب الأحوال أن تكون مرتبة
حسب حروفها ليسهل على من يعنيه شأنها أن يعرف الموضوع الذي يريده منها
دون أن يحتاج إلى مراجعة الأسماء كلها"²

¹ مسائل في الرسم والنطق، ص 33-34.

² نفسه، ص 34.

يُلمس هذا إذا ما أردنا معرفة موضع كلمة في القرآن الكريم من غير لاستعانة بالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم الذي يوفر وقتاً كبيراً للباحث ويحفزه على مواصلة البحث، وقس عليه ما إذا ابْتُغِيَتْ ترجمة علم من الأعلام في مؤلفات التراجم، وقد ضمت آلاف الترجمات، فلو لم تكن مرتبة على شاكلة ألف باء لأخذت الوقت الكبير من أي باحث.

يخلص البحث من خلال ما سبق عرضه إلى نتائج تُوْطر على الشكل التالي:

1- أشارت الكتابة العربية في صياغتها الأخيرة التي انتهت إليها في النقوش العربية الجاهلية، إلى تطور الكتابة النبطية التي اشتقت من الخط الآرامي وهو أمر يقوي ارتباطها بمجموعة الكتابات السامية من غير تحديد مكان التطور في شمال الجزيرة العربية وبلاد الأنبار وسيناء أم في الحيرة وأطراف العراق أم في مدن الحجاز وحواضره¹.

2- بدا أثر الارتباط بين الكتابة العربية والكتابات السامية لاشتراك الكتابتين بعامة والنبطية بخاصة، فهي تخصص - كما سبق - رمزا واحدا لعدة أصوات مختلفة، واستمر هذا الحال حتى النصف الثاني من القرن الأول الهجري عندما استحدثت النقط لتمييز الحروف المتشابهة في الرسم. يضاف إلى هذا أن الكتابة العربية في هذه المرحلة لم تبدأ به لا بخصوص الحركات القصيرة، ولا اصطلاح على رسم الألف المدية بالفتحة الطويلة في وسط الكلمة.

3- وبات واضحاً "أن الكتابة العربية مستعملة قبل الإسلام بفترة طويلة والروايات العربية تؤكد استخدامها على نطاق واسع من أطراف العراق وخاصة الحيرة، ولعلها في ذلك الاستخدام تكون قد استقرت قواعدها وتميزت ما يؤكد أن انتقالها

¹ ينظر: رسم المصحف غانم قدوري، ص 89.

إلى الحجاز في وقت متأخر قبل الإسلام... لا يعني أنها كانت حديثة عهد بالاستخدام... ويجب ألا يغيب عن الملاحظة أن هذا الانتقال من بيئة لغوية إلى أخرى ربما كان عاملاً في بقاء ظواهر كتابية من البيئة القديمة"¹.

4- لا يعدو أن يكون ما تناوله البحث من مباحث تجاذبها الحديث عن دراسة تاريخ الكتابة العربية، وعن أصل نشأتها وعلاقتها بالخطوط السامية ومميزات الكتابة في مرحلة ما قبل الرسم العثماني انطلاقاً من الوثائق وعلى ضوء الكتابات السامية وبحث الأصول التي تقوم عليها الكتابة والقصور الذي لا ينفك عن الكتابات الأبجدية المعروفة، لا يعدو ذلك كله أن يكون تمهيداً لدق باب الرسم المصحفي واستجلاء خصائصه الكتابية.

¹ رسم المصحف، ص 90.

الفصل الأول:

القرآن وكتابته قبل الرسم

العثماني

الفصل الأول : القرآن وكتابه قبل الرسم العثماني

أولاً : قراءة في مصطلح القرآن والقراءات

1- القرآن في اللغة :

وقف ابن منظور مع لفظة "قرأ" وقفة متأنية لأنه يدرك أن هذه المادة ستتناول اسم كتاب عظيم قال: "قرأ. القرآن: التنزيل العزيز وإنما قُدِّم على ما هو أبسط منه لشرفه.

قرأه يقرؤه ويقرؤه (الأخيرة عن الزجاج) قرأاً وقراءةً وقرآناً (الأول عن اللحياني) فهو مقروءٌ.

أبو إسحاق النحوي: يسمى كلام الله تعالى الذي أنزله على نبيه ﷺ كتاباً وقرآناً وفرقاناً، ومعنى القرآن معنى الجمع، وسمي قرآناً لأنه يجمع السُّورَ، فيضمها، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ أي جمعه وقراءته، ﴿بِإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ أي قراءته... وقرأت الشيء قرآناً: جمعته وضممت بعضه إلى بعض... ومعنى قرأت القرآن لفظتُ به مجموعاً أي ألقيته.

وروي عن الشافعي - رضي الله عنه - أنه قرأ القرآن على إسماعيل ابن قسطنطين وكان يقول: القرآن اسم ليس بمهموز ولم يُؤخذ من قرأت ولكنه اسم لكتاب الله تعالى مثل التوراة والإنجيل، ويهمزُ قرأت ولا يهمز القرآن...

وأقرأ غيره يُقرئه إقراءً، ومنه قيل: فلان المقرئ... وحكى أبو زيد: صحيفةٌ معربةٌ وهو نادرٌ إلا في لغة من قال قرئتُ.

وقال ابن الأثير: تكرر في الحديث ذكر القراءة والاقتراء والقارئ والقرآن، والأصل في هذه اللفظة الجمع، وكل شيء جمعته فقد قرأته. وسمي القرآن لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالعفران والكفران... قال وقد تحذف الهمزة منه تخفيفاً فيقال: قرانٌ وقرت وقرارٍ وقاراه مقاراةً وقرأه بغير هاءٍ دارسه، ورجلٌ قرأه: حسن القراءة... وإذا قرأ الرجل القرآن والحديث على الشيخ يقول: أقراني فلانٌ أي حملني على أن أقرأ عليه...¹

يستخلص من تعريف ابن منظور لمادة "قرأ" في مفهومها العام، أنها تعني الجمع من جهة، ومن جهة المصدر "قرآن" أنه يجمع السور فيضمها، واختلف الناس بين محقق لهمزة وبين مخفف فمنهم من نطقه "قرآن" ومنهم من أداه "قران" ومهما يكن من أمر فلا يفهم من لفظ القرآن إلا الكتاب المنزل على نبينا محمد ﷺ فهو اسم لكتاب الله تعالى كما عرف التوراة والإنجيل.

2- القرآن في الاصطلاح:

تكاد كلمة التعريف تتفق عند معظم العلماء الذين عرفوا القرآن التعريف الاصطلاحي من ناحيتين: ناحية الإعجاز أولاً والكتابة المصحفية ثانياً، وقد يزيد بعضهم أموراً أخرى تليق بمقام هذا الكتاب ككونه منزلاً على محمد ﷺ وينقل البحث جملة من التعاريف، ثم يحاول إلقاء نظرة تأملية.

¹ لسان العرب، ابن منظور، مادة (قرأ).

1- عرفه البزدوي بقوله: "أما الكتاب فالقرآن المنزل على رسول الله ﷺ نقلاً متواتراً بلا شبهة"¹.

2- و عرفه الغزالي في مؤلفه المستصفى بأنه "ما نقل إلينا بين دفتي المصحف على الأحرف السبعة المشهورة نقلاً متواتراً"²

3- أما السيوطي فعرفه بقوله: "وقال الفارابي في خطبة ديوان الأدب: القرآن الكريم كلام الله وتنزيله، فصل فيه مصالح العباد في معاشهم ومعادهم مما يأتون ويذرون، ولا سبيل إلى علمه وإدراك معانيه، إلا بالتبحر في علم هذه اللغة"³.

4- و قد استوفى الزرقاني القرآن تعريفاً بشقيه اللغوي والاصطلاحي في كتابه (مناهل العرفان في علوم القرآن) لعل أهم ما جاء في هذا التعريف⁴.

أ - فمن حيث المعنى اللغوي - ولا بأس بإيراده ثانياً- يرى أنه "في اللغة مصدر مرادف للقراءة، ومنه قوله تعالى: "إن علينا جمعه وقرآنه" ثم نقل من هذا المعنى المصدرى وجعل اسماً للكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ من باب إطلاق المصدر على مفعوله".

واختار أن يكون لفظ القرآن مهموزاً، واعتبر أن القرآن يقال له أيضاً الفرقان لأنه فارق بين الحق والباطل، أو مفروق بعضه عن بعض في النزول أو في السور والآيات، قال عز وجل: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:1] والقرآن والفرقان أشهر أسماء النظم الكريم،

¹ القراءات القرآنية، تاريخها، ثبوتها، حجيتها، وأحكامها، عبد الحليم قابة، دار الغرب الإسلامي، ص 19 نقلاً عن: أصول البزدوي، مع كشف الأسرار لعبد العزيز ابن أحمد البخاري، 1/67-70.

² المستصفى للغزالي 1/101.

³ المزهر للسيوطي 2/302.

⁴ ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر، 1/14...20، واعتمد فيها نقل النص برمته وأحياناً تلخيصه.

ويجيء بعد هذين الاسمين من حيث الشهرة الأسماء الثلاثة: الكتاب والذكر والتنزيل.

ب1 - وأما من حيث المعنى الاصطلاحي، فقد وقف الزرقاني على أكثر من تعريف إن عند المتكلمين وإن عند الأصوليين والفقهاء وعلماء العربية.

ذهب علماء الكلام، وشاركهم الفريق الثاني إلى أن القرآن هو: "اللفظ المنزل على النبي ﷺ من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس"، ويطلق القرآن - كما ذهب الزرقاني - وهو يتمحص تخريجات كلام المتكلمين في نظرتهم إلى مصطلح القرآن، يُطلقُ القرآن إطلاقاً رابعاً على الرسوم والحروف المرقومة بين دفتي المصحف إذ النقوش دالة على الصفة القديمة والكلمات الغيبية واللفظ المنزل، ويعدُّ هذا إطلاقاً شرعياً عاماً.

ب2 - وقد انقسم الفريق الثاني - الأصوليون والفقهاء وعلماء العربية - واختلفوا في تعريفهم القرآن بين مطنب، ومختصر موجز، ومقتصد متوسط؛ فجاء تعريف المطنب "أنه الكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته"، وقد قوى هذا التعريف خصائص القرآن العظمى التي امتاز بها الذكر الحكيم؛ من إعجاز وتنزيل على النبي ﷺ وكتابته في المصاحف ونقل بالتواتر وتعبد بتلاوته.

وأما الذين اختصروا وأوجزوا حين عرفوا القرآن، فمنهم من اكتفى بذكر وصف واحد للقرآن هو الإعجاز، دليله في ذلك أن الإعجاز هو الوصف الذاتي للقرآن، وأنه أكبر آية على صدق النبي ﷺ. ومنهم من زاد على الإعجاز الإنزال واقتنع بهذين الوصفين، فلم يكن في نظر هؤلاء داعٍ لغيرها على عهد النبوة،

ومنهم - وهو الطرف الثالث- من اقتصر على وصفي النقل في المصاحف والتواتر، إذ بهما يحصل الغرض ويتميز القرآن عن جميع ما عداه.

والذين توسطوا أخذوا سبيلين؛ فمنهم من عرض لإنزال الألفاظ وللكتابة في المصاحف وللنقل بالتواتر فحسب، وحجته في ذلك خصوصية هذا التعريف لمن لم يدركه زمن النبوة.

و من الذين توسطوا من عرض للإنزال والنقل بالتواتر والتعبد بالتلاوة فقط بدليل أن ذلك هو ما يوافق غرض الأصوليين¹.

5- وعرفه الشوكاني بقوله: "وأما حد الكتاب اصطلاحاً فهو: الكلام المنزل على الرسول ﷺ المكتوب في المصاحف المنقول إلينا متواتراً"².

ولا يبرح البحث - تاركاً هذه التعاريف - يعلق أو يعقب ما أمكنه ذلك.

تعرض تعريف الغزالي وبخاصة في عبارته (...على الأحرف السبعة) لبعض مسائل الخلاف فقد لا يسلم بهذا التعريف، لأنه بمثابة إقرار ببقاء الأحرف السبعة في المصحف الإمام وأنها نقلت إلينا، غير أن المسألة خلافية خاض فيها كثير من العلماء³.

وبالنظر إلى تعريف القرآن بقوله- وقد شاركه في هذه العبارة غيره - (ما نقل إلينا بين دفتي المصحف..) يستوجب التريث، لأن البسمة كانت فاصلة بين السورة والأخرى فهل تعد من القرآن، أي لا بد من قراءتها عند بداية كل سورة، فثمة من يرى غير ذلك يثبت هذا مراجعة المصحف الذي طبع برواية ورش، فلا

¹ ينظر: مناهل العرفان، الزرقاني، 1/19-20.

² إرشاد الفحول، للشوكاني، ص29.

³ ينظر: القراءات القرآنية، لعبد الحميد قابة، ص22.

يلاحظ على آخر كلمة ختمت بها السورة وكانت منونة أنه رسمت ميم صغيرة لتدل على قلب النون الساكنة من التنوين ميماً بل نرى الضبط تابعاً لبداية الكلمة الأولى من السورة اللاحقة، وقد ورد ذلك غير ما مرة.¹

ويبدو أن التعاريف السابقة ظلت تفتقر إلى ما يحصل به تمييز المعرف عن غيره وجعله جامعاً مانعاً، ولم توف الأوصاف الملازمة للقرآن، وقد يميل البحث هنا إلى ما اختار صاحب القراءات القرآنية من تعريفين، أحدهما نحا نحو الاختصار والاقْتصار وثانيهما أثر الإسهاب مبتغياً للإيضاح والبيان.

أما التعريف المختار المختصر الدال على المعرف على نحو جامع مانع فهو الذي يعرف القرآن بأنه "هو كلام الله تعالى المعجز المنزل على سيدنا محمد ﷺ".²

أما التعريف المسهب فقد عرف القرآن بالعبارة التالية: "القرآن هو كلام الله تعالى، العربي، المعجز، المنزل بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ بأحرفه السبعة لفظاً ومعنى، المحفوظ في الصدور، والمكتوب في المصاحف العثمانية برسم يحتمل ما بقي من أحرفه السبعة وقراءته المتعددة والمنقول إلينا بالتواتر والمتعبد بتلاوته والمفتتح بسورة الحمد والمختتم بسورة الناس".³

وقد جاء التعريفان بميزات وخصائص تبرز للتعريف المختصر في كونه جاء جامعاً مانعاً، فلم يُبق تشابهاً بينه وبين الكتب السماوية الأخرى، وقس عليه أمر الأحاديث النبوية قدسية أو غير قدسية.

¹ من الكلمات المختمة بالتنوين في آخر السورة؛ "عليم" من سورة النساء و"تواباً" من سورة النصر و"أحد" من سورة الإخلاص.

² القراءات القرآنية، عبد الحلیم قابة، ص 22.

³ نفسه، ص 22.

ويتجلى في التعريف المسهب أمور فيها إدخاله مسائل لم يدخلها تعريف سابق للقرآن، وجمع كل ما يدخل تحته وطرح كل ما ليس منه ويتبين ذلك بحسب الفهم الآتي:

أولاً: وظف عبارة (لفظاً ومعنى) وهي عبارة ذات دلالة خاصة موحية بها يتأكد تميّز القرآن عن غيره من صور الوحي التي قد يشكّل أمرها بالقرآن كالحديث القدسي والحديث النبوي.

ثانياً: زاد على التعريفات السالفة - وقد تكون هذه الزيادة هي الأولى - التنصيص على الرسم الذي عدّ ضماناً وتقوية لحفظ النص القرآني وتحقيق الوعد الرباني له ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:9] - وهو إجماع من الصحابة - أي أمر الرسم.

ثالثاً: وورد في التعريف عبارة (برسم يحتمل ما بقي من أحرفه السبعة) وهي عبارة استوعبت الخلاف في مسألة (ما بقي من الأحرف في المصحف الإمام)¹.

ما الحكمة من تعدد أسماء القرآن الكريم؟

ج - أفاد صاحب كتاب "بصائر ذوي التمييز" بما جاء إجابة عن هذا التساؤل بقوله: "اعلم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى أو كماله في أمر من الأمور أما ترى أن كثرة أسماء الأسد دلت على كمال قوته، وكثرة أسماء يوم القيامة دلت على كمال شدته، وكثرة أسماء الداهية دلت على شدة نكايتها، وكذلك كثرة

¹ ينظر: المصدر نفسه، ص 150-151.

أسماء الله تعالى دلت على كمال جلال عظمته، وكثرة أسماء النبي ﷺ دلت على علو رتبته وسمو درجته، وكذلك أسماء القرآن دلت على شرفه وفضيلته"¹.

وقد علم أن أسماء القرآن وصفاته توقيفية، فلا يسمى ولا يوصف إلا بما جاء في الكتاب أو السنة، ويورد البحث ذكر بعض أسماء القرآن مدعمة بدليلها من القرآن الكريم، فمن أسمائه:

1- القرآن: قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلتي هِيَ أَفْوَومٌ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ

الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 9]

وقال أيضاً: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصِّلُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ

يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: 76]

و قال أيضاً: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: 77]

2- الكتاب: قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2]

3- الذكر: قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]

4- الفرقان: قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ

لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 1]

5- النور: قال تعالى: ﴿بَقَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا

تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [التغابن: 8]

¹ بصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي، ج 1/88.

6- الوحي: قال تعالى: ﴿فَلِإِنَّمَا أَنْذَرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا

مَا يُنذَرُونَ﴾ [الأنبياء:45]

وللقرآن صفات منها: المبارك، هدى، رحمة، الحكيم، الكريم، الفصل، وقد أفرد بعض العلماء¹ مؤلفات مستقلة في أسماء القرآن الكريم وصفاته، كابن القيم الجوزية (ت751هـ) وقد سُمِّيَ مؤلفه: "شرح أسماء الكتاب العزيز"، وصالح بن إبراهيم البليهي، وسمى كتابه: "الهدى والبيان في أسماء القرآن الكريم". أما محمد جميل أحمد غازي فسمى مؤلفه: "أسماء القرآن في القرآن".

ويعتبر القرآن والكتاب أكثر الأسماء التي اشتهر بها اسم القرآن، وقد دلل صبحي الصالح لهذين الاسمين بقوله: "في تسميته بالكتاب إشارة إلى جمعه في السطور لأن الكتابة جمع للحروف ورسم للألفاظ كما أن في تسميته بالقرآن إيماءة إلى حفظه في الصدور، لأن القرآن مصدر القراءة، وفي القراءة استذكار، فهذا الوحي العربي المبين قد كتب له من العناية به ما كفل صيانتة في حرز حريز وما جعله بنجوة من خوض العابثين وتلاعب المحرفين، إذ لم ينقل كجميع الكتب بالكتابة وحدها، ولا بالحفظ وحده، بل وافقت كتابته تواتر إسناده، ووافق إسناده المتواتر نقله الأمين الدقيق"².

وليس أدل على ما أشار إليه صبحي الصالح في نصه هذا من أن توثيق النص القرآني - وبخاصة في الجمع العثماني - كُتِبَ له من العناية والضبط ما لم يُكْتَبَ لغيره من النصوص الموثقة وإن كانت كتباً منزلةً كالتوراة والإنجيل، وقد بلغ هذا

¹ ينظر: التبيين في أحكام تلاوة الكتاب المبين، للشيخ عبد اللطيف فايز وريان، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ-1999م، ص19-20.

² مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، 1964م، ص17.

التوثيق واستحق هذه الميزة من حسن الثناء والشكر على من قطع على نفسه ألا يكتب ما يكتبُ من القرآن إلا بوجود شهود عدول.

ثانيا : الفرق بين القرآن والقراءات

قبل البدء في إجلاء الفرق بين القرآن والقراءات يجب الوقوف عند تعريف العلماء للقراءات:

1- تعريف العلماء للقراءات :

أ- القراءات في اللغة: القراءة مصدر الفعل (قرأ، يقرأ، قراءة، وقرآناً، فهو قارئ وهم قراءً وقارئون)¹ وجمع القراءة قراءات.

قال ابن فارس وهو يتحدث عن مادة (قرى): "القاف والراء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على جمع واجتماع، من ذلك القرية سميت بذلك لاجتماع الناس فيها، ويقولون، قرئت الماء في المقرأة: جمعته..... وإذا همز هذا الباب (أي قرى) ليصبح (قرأ) كان هو والأول سواء يقولون: ما قرأت هذه الناقة بسلى قط، أي: لم تحمل قط ولم تضم رحماً على ولد... قالوا ومنه القرآن كأنه سمي بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص وغير ذلك."²

وقد سمي تعريف ابن منظور للمادة نفسها³، حيث عرف البحث مصطلح القرآن.

وقال الراغب: "والقراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، وليس يقال ذلك لكل جمع، لا يقال قرأت القوم إذا جمعتهم، ويدل على ذلك انه لا يقال للحرف الواحد إذا تُفُوّه به قراءة، والقرآن سمي بذلك من

¹ تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، 1385هـ/1965م، مادة (قرأ)، ج1/101.

² معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر - بيروت، 1399هـ/1979م، مادة (قرى).

³ ينظر: لسان العرب مادة (قرأ).

بين الكتب السماوية لكونه جامعاً لثمرتها، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم كما أشار تعالى بقوله: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف:111] وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:89]¹

ب- القراءات في الاصطلاح:

جاءت تعريفات علماء التفسير، وعلوم القرآن، والقراءات لمصطلح القراءات متنوعة مختلفة اختلافاً تنوعياً ومغايراً ولم يكن اختلاف تناقض وتضاد، إلا أن المتقدمين كابن مجاهد وابن خالويه وأبي علي الفارسي ومكي بن أبي طالب وغيرهم²، لم يعيروا القراءات في تعريفاتهم ولم يتفقوا في وضع حد لهذا المصطلح، لما لسموه من شهرة القراءات وانتشار تعليمها رواية ودراية يُضاف إلى هذا أن الأقدمين لم يُعنوا عناية كبرى بقضايا الحدود والتعريفات على خلاف المتأخرين من أمثال أبي حيان الأندلسي ثم بدر الدين الزركشي، وشمس الدين بن الجزري، وجلال الدين السيوطي، وشهاب الدين القسطلاني، أما المحدثون فما فتوا ينقلون عنهم.

واقتربت تعاريف أولئك الذين حدوا لها حدودها الاصطلاحية وباتت تعاريفهم تدور في فلك واحدٍ إلا أن بعضها جاء أشمل وأعم من بعض، وبإعمال

¹ المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - بيروت، ص402.

² ينظر: القراءات القرآنية وما يتعلق بها لفضل حسن عباس، دار النفائس، الطبعة الأولى، 1428هـ/2008م، ص79.

الفكر يُتوصل إلى أدق التعاريف وأكثرها شهرة وضبطاً في تعريف ابن الجزري، ويمكن في هذا الصدد أن يورد البحث التعاريف التالية معزوة لأصحابها ثم يعقبه بنقده.

أولاً: تعريف ابن الجزري:

عرف القراءات بقوله: "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقله" ثم واصل حديثه مُعرِّفاً المقرئ قائلًا: "والمقرئ: العالم بها رواها مشافهة؛ فلو حفظ التيسير مثلاً، ليس له أن يُقرئ بما فيه، إن لم يُشافه من شوفه به مسلسلاً، لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسمع والمشافهة"¹، وسيعود البحث لمناقشة هذا التعريف بعد التعرض لتعاريف أخرى.

ثانياً: تعريف الدمياطي:

جاء في كتاب إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر، تعريف القراءات بأنها: "علم يُعرفُ به اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من حيث السماع"².

ثالثاً: تعريف الزرقاني:

عرف الزرقاني القراءات بقوله: "و في الاصطلاح مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها"³.

¹ منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لابن جزري، ص3.

² إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، تأليف الشيخ أحمد بن محمد البنا، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1407هـ-1987م، ص5.

³ مناهل العرفان للزرقاني، 412/1.

رابعاً: تعريف الزركشي:

عرفها بما نصه: " والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كفييتها؛ من تخفيف وتثقيل وغيرها"¹.

استخلاصات من هذه التعاريف:

لا تترك هذه التعاريف من غير إمعان نظر في بعض ألفاظها وإن تشابهت ضمناً.

1- يستخلص من تعريف ابن الجزري للقراءات أنه عالج قضية مهمة جدية بالإشارة إليها، وقد تنبه لها وهي أن القراءات تعول على السماع والمشاهدة والأخذ عمّن تلقاها، وسمعها مشاهدة شيخاً عن شيخ، يحكمها التسلسل إلى النبي ﷺ، لأن كثيراً من الناس أغفلوا هذه الناحية، واكتفوا بحفظ بعض المتون الخاصة بالقراءات²، أو قرؤوا كتباً في ميدان علم القراءات والأداء والتلاوة، ثم راحوا يعلمون غيرهم هذا الفن، وهذا أمر قد تكون عواقبه وخيمة.

2- وقد اكتفي صاحب (كتاب القراءات القرآنية وما يتعلق بها) بتعريف ابن الجزري ورأى أنه أضبّط وأشمل على باقي التعريفات ثم لخص أهم العناصر التي لا بد أن تتوافر في تعريف القراءات وهي:

(1) التوقيف والنقل.

(2) حقيقة الاختلاف بين القراءات والمظاهر التي يعود إليها هذا الاختلاف كالإعراب والحذف والإثبات والإبدال وغير ذلك.

(3) كيفية الأداء.

¹ البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، 1408هـ-1988م، 318/1.

² ينظر: القراءات القرآنية وما يتعلق بها، لفضل حسن عباس، دار النفائس، الطبعة الأولى، 1428هـ-2008م، ص 80.

وهذه العناصر - والقول لفضل حسن عباس - متوافرة في تعريف الإمام ابن الجزري، أكثر من غيره، ولعل هذا هو سبب قبول تعريفه دون غيره من ناحية، كما أن مكانة ابن الجزري عند المتأخرين سبب آخر من ناحية أخرى¹.

ولا شك أنه لما كان القرآن الكريم من عند الله تعالى ومن شك في ذلك فهو معاند مكابر، كانت قراءاته أيضاً من عند الله سبحانه عز وجل نزل به الروح الأمين جبريل عليه السلام على قلب الرسول عليه الصلاة والسلام وهذا أمر مسلم به لا يساورنا فيه أدنى شك لنقطع به مزاعم وأباطيل المستشرقين ومن على شاكلتهم، وإن من العرب والمسلمين الذين راق لهم - وزعمهم باطل - أن ينعثوا القراءات القرآنية بنعوت منها أنها ليست توقيفية، بل اعتبروها اجتهادية من الصحابة ومن تلاهم فيما وافق خط المصحف، ونسوا أو تناسوا أنهم يطعنون في كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ولا يمر البحث من غير إشارة إلى بعض المستشرقين الذين حاولوا الطعن في القرآن الكريم ويتزعم هذا الفريق المستشرق اليهودي الماكر "جولد تسهير" بما يتضمنه كتابه² "المذاهب الإسلامية في التفسير" حين توصل إلى أن القراءات أو قسمها الأكبر - على حد زعمه - يرجع السبب إلى خاصية الخط العربي، الذي من خصائصه أنه قد تقرأ الكلمة الواحدة بأشكال شتى تبعاً لنقط الحروف فوق أو تحت، وزد عليه - كما استنتج - الاختلاف في الضبط والحركات، وفاته أن علماءنا لم يدخروا جهداً في المحافظة على النص القرآني، ضبطاً ونقطاً وإعراباً.

¹ القراءات القرآنية وما يتعلق بها. لفضل حسن عباس، ص 81.

² مذاهب التفسير الإسلامي لجولد تسهير، ترجمة: عبد الحليم النجار، مكتبة الخانجي - القاهرة، 1955م، ص 08.

ويجب أن يعلم أن الصحابة رضوان الله عليهم ظل اعتمادهم في القراءة على التلقي من النبي ﷺ قائماً والأخذ عنه وارداً، ولم يكونوا ليعتمدوا فيما يقرؤون بالأحرف المتعددة على ما كان كتب لأن القرآن جمع في خلافة عثمان رضي الله عنه.

وليس أقوى من أن يختلف الرجلان في عهده ﷺ، ثم يحتكمان إليه فيجعل كلتا القراءتين صحيحةً، ويشير للمختلفين كليهما أنها هكذا أنزلت بل يعدّ هذا أقوى دليل على أن خط المصحف ورسمه يخدم القراءة ولا يبطلها.

3- قد يفهم من تعريف الزرقاني للقراءة وتقييدها باتفاق الروايات والطرق أن ما اختلف فيه لا يدخل في مسمى القراءات، ولا يتناوله علم القراءات بل الأمر خلاف ذلك كما يرى عبد الحلیم قابة¹.

ويختتم هذا المبحث بإمكانية تعريف القراءات بهذا التعريف الموجز الشامل: "القراءات هي مذاهب الناقلين لكتاب الله عز وجل في كيفية أداء الكلمات القرآنية".

يستتج من هذا التعريف أمورٌ ومزايا أهمها:

1. استخدم التعريف عبارة (الناقلين لكتاب الله تعالى) واختارها لما فيها من دقة وهي توفي بالغرض أكثر من عبارة (القراء) مثلاً، لكون هذه اللفظة مشتقة من مادة (قرأ)، والحدود يعاب فيها إعادة المعرف أو أحد مشتقاته لما فيها من الدور².

¹ ينظر: القراءات القرآنية، لعبد الحلیم قابة، ص25.

² ينظر: المصدر نفسه، ص26.

2. أما عبارة (أداء الكلمات القرآنية) وهي من ضمن كلمات تعريف ابن الجزري تُعني عن عبارة غيره؛ (كيفية النطق وطريقة الأداء).

3. قد يستشف من بعض التعاريف أنه يعني بمواضع الخلاف كتعريف الزركشي إذ قال: "القراءات اختلاف ألفاظ الوحي".

و يتضح مما سبق أن اجتماع هذه المزايا في تعريف واحد يخول له التقديم على غيره.

2- الفرق بين القرآن والقراءات :

إذا نظرنا إلى ظاهر عبارة الزركشي التي مفادها أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان مطلقاً حين جاء في كتابه البرهان ما نصه: "القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز، والقراءات: اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفيتها؛ من تخفيف وتثقيل وغيرهما"¹.

ويفهم الأمر نفسه من ظاهر عبارة كثير ممن تناول هذه المسألة وأغلب هؤلاء اقتفى أثر الزركشي فيها².

غير أنه خالف هذا المنهج ابن دقيق العيد وهو من القدامى وأطلق تسمية القرآن على القراءات ولو كانت شاذة، وسار على هذا المنهج محمد سالم محيسن وهو من المعاصرين" فقال في معرض رده على الزركشي: أرى أن كلا من القرآن

¹ البرهان، 318/1.

² ينظر: على سبيل التمثيل: لطائف الإشارات لفنون القراءات، للإمام شهاب الدين القسطلاني، تحقيق وتعليق: عامر السيد عثمان وعبد الصبور شاهين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1392هـ/1972م، ج 1/171.

والقراءات حقيقتان بمعنى واحد، يتضح ذلك بجلاء من تعريف كل منهما، ومن الأحاديث الصحيحة الواردة في نزول القراءات"¹.

وحين تحدث محمود عيسى في مؤلفه (أثر القراءات القرآنية في الفهم اللغوي) أشار إلى العلاقة بين القرآن والقراءات، قال: القرآن والقراءات حقيقتان متحدتان متغايرتان؛ متحدتان لأن القراءات في مفهومها المحدد إنما هي صور متعددة لقراءة بعض كلمات القرآن، ولا يُمكن قراءة القرآن إلا بإحدى هذه الصور المتعددة في القراءة فبين القرآن والقراءات الصحيحة إذن ارتباط وثيق لا يمكن الفصل بينهما، هو ارتباط الجزء بالكل، ومتغايرتان؛ لأن القرآن الكريم يُكتفى في قراءته بإحدى تلك الصور المتعددة الواردة في القراءة وحينئذ يسمى (قرآناً)، أما الصور الأخرى المختلفة عن تلك الصورة، فإنها تسمى (قراءات)، وإذا نظرنا إلى القراءات المختلفة فقط، الصحيح منها والشاذ، والأصول والفروع، فإننا نُطلق عليها (قراءات) لا (قرآن)"².

ويبدو أن خاتمة هذا النص خالفت ما جاء في بدايته وبخاصة ذكره القراءات المختلفة وجمعه بين الصحيح منها والشاذ وقد بذل العلماء جهودهم في تصنيف القراءة فرأوا أن ثمة قراءة يُقرأ بها وأخرى شاذة لا يُقرأ بها.

ولا يفوت البحث أن يَسْطُرَ ما استوقف فضل عباس حسن من مناقشة قول الزركشي والاستدلال على نقصانه وقبوله من غير تمحيص، قال: "ومع إجلالنا له - أي الزركشي - فإننا لا نتفق معه فيما ذهب إليه، فإن كان رحمه الله قصد من قوله: إن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان جميع القراءات الواردة المتواترة فيها

¹ القراءات القرآنية، تاريخها.... عبد الحليم قابة، ص 31.

² أثر القراءات القرآنية في الفهم اللغوي، دراسة تطبيقية في سورة البقرة، تأليف محمد مسعود علي حسن عيسى، دار السلام مصر، ط1، 1430هـ-2009م، ص 16.

وغير المتواترة الموافقة لخطِّ المصحف، والمخالفة له فإنَّ قوله صحيح، وذلك أنا لا نقول بقرآنية ما لم يشب متواتراً من القراءات...أما إن عني بقوله هذه القراءات المتواترة فقوله غير مسلّم له وذلك أن القراءات المتواترة هي وحي منزل من عند الله، كما أن القرآن وحي منزل من عند الله تعالى " ثم يضيف ذاكراً أن الوحي " نزل بكل وجه من الأوجه المتواترة التي يُقرأ عليها القرآن الكريم، فقد نزل الوحي بقراءة (نُنشِزُهَا) وهي من القرآن دون شك ونزل كذلك بقراءة (نُنشِرُهَا) وهي من القرآن أيضاً، فكل قراءة من القراءات المتواترة سدت مسد آية...

فالقرآن الذي بين أيدينا مكتوب ومقروء على رواية حفص عن عاصم، وهو الوحي المنزل من عند الله دون شك، وكذلك المصحف الذي في بلاد المغرب مكتوب ومقروء على رواية قالون من قراءة نافع في ليبيا ومن رواية ورش عنه في الجزائر وهو دون شك الوحي المنزل من عند الله تعالى... فالقراءات القرآنية، هي أبعاض القرآن وأجزاؤه، وبعض الشيء وجزؤه لا يقال عنه غيره، فالقراءات القرآنية بمجموعها تمثل الوحي المنزل على سيدنا محمد ﷺ للبيان والإعجاز، وكل قراءة متواترة تمثل صورة صادقة وكاملة عن وجه من وجوه أداء هذا القرآن كاملاً كما أنزل على سيدنا محمد ﷺ.¹

يستخلص مما سبق أن القراءة ما دامت متواترة عُدَّت من القرآن، ويمكن إجمال ذلك مختصراً في النقاط التالية:

1- إذا قُصد بالقراءات الأحرف - وهو أمر كان في الصدر الأول - فلا لبس في أن القراءات هي الأحرف، وهي ذاتها القرآن المنزل على محمد ﷺ من عند الله.

¹ القراءات القرآنية وما يتعلق بها، ص 83-85.

2- أما إذا عُني بالقراءات كيفية أداء الكلمات القرآنية المعزوة للقراء فلا مناصَ من النظر إلى أقسام القراءات؛ فلا يعد منها قرآناً إلا ما كان متواتراً أو مستفيضاً مشهوراً متلقىً بالقبول وهو ما يراه ابن الجزري ومن سار في نهجه، ويُسمى كل قسم من هذا القسم اسم قرآن ويأخذ أحكام القرآن - وما اختل في قسم من هذه الأقسام - أحد أركانه أو أكثر بحيث اعتبرت القراءة به شاذة، فهذه يطلق عليها قراءة، ولا يصح تسميتها قرآناً.

يتضح مما سبق أن بين القرآن والقراءات تداخلاً، وأن النسبة بينهما نسبة العموم والخصوص المطلق وعليه فكل ما هو قرآن فهو ولا بد من القراءات وليس كل ما هو من القراءات بقرآن¹.

¹ ينظر: القراءات القرآنية، تاريخها، ثبوتها، عبد الحليم قابة، ص32.

ثالثاً : كتابة القرآن قبل الرسم العثماني

يمهد هذا المبحث لما يليه من مباحث، وتعتبر القراءة في دراسة تاريخ كتابة القرآن كما أشار "غانم قدوري" الخطوة الأولى والمحاولة الأساس في أية محاولة لتبغّي دراسة الرسم المصحفي¹، لأن مثل هذه الدراسة ستقدم البعد التاريخي لظاهر الرسم بعامة وتيسر مراحل هذا الرسم وما تبعه من جهود ومحاولات تلاحقت كَمَل بعضها بعضاً وهو بلا شك يفك كثيراً من ظواهر الرسم ومشكلاته فيصير أكثر تحديداً ووضوحاً.

وتعد كتابة القرآن جزءاً من تاريخ القرآن عامة، لأنه تاريخ الدعوة الإسلامية منذ أن بدأ الوحي ينزل على نبينا محمد ﷺ إلى أجيال بعد ذلك، ويكتفى في هذا المقام بالتركيز على جانب الكتابة.

وكان السبق لكتب الحديث في تقديمها تفاصيل عن كتابات القرآن لمراحلها المتعاقبة، إن في حياته ﷺ أو في عهد الخلفاء الراشدين.

وسيتناول البحث في هذا الشأن مراحل كتابة القرآن في عهده ﷺ إذ ثبت أنه ﷺ أمر بكتابة القرآن وأذن بذلك لمن أراد من الصحابة كتابته، وتشمل هذه المرحلة كتابة القرآن وجمعه في خلافة الصديق أبي بكر رضي الله عنه، ثم ما كانت عليه الصحف في خلافة الفاروق عمر رضي الله عنه.

1- كتابة القرآن في حياة النبي ﷺ :

قبلولوج في هذا المبحث يجدر بالبحث أن يجيب عن سؤال قد يتبادر إلى الذهن مؤداه: هل كان من المسلمين وقت البعثة المحمدية من يكتب؟ وإذا ما

¹ ينظر: رسم المصحف، لغانم قدوري، ص 93 وما بعدها.

تصفحنا كتب القراءات ومصنفات علم الرسم وجدنا الإجابة الشافية لذلك، ويمكن أن ننقل نص محمد الضباع - وهو من المحدثين - ذهب إلى أنه " لما ظهرت أمة الإسلام بمكة كان الذين يكتبون العربية فيها من المسلمين أربعة عشر شخصاً وأكثرهم من الصحابة..."¹ وذكر منهم عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله وأبا سفيان بن حرب وولده معاوية وغيرهم رضي الله عنهم.

ولما تمت هجرة الرسول ﷺ وهاجر معه من هاجر إلى المدينة المنورة، وحدثت غزوة بدر، أسر المسلمون من كفار قريش سبعين رجلاً، منهم من افتدى نفسه بالمال ومن عجز عن الافداء فعليه أن يُعلم عشرة من صبيان المدينة الكتابة، وبذلك كثرت فيها الكتابة، وصارت إلى كل ناحية فتحها المسلمون في حياته ﷺ وبعد مماته، وظل أمراء الإسلام يعملون على نشر الكتابة وتعميمها بين المسلمين فحققوا لها بذلك تقدماً كبيراً وبخاصة بعد وضع العلماء لها من القواعد والموازن ما كان دافعاً لها لتصل إلى ما وصلته من جمال خط وكمال وضع وحسن تركيب².

ويعود الفضل في ذلك كله إلى علماء الكوفة، إذ هم أول من أدخل التحسين في الكتابة، حتى غدت تسمى الكتابة الكوفية نسبة إليهم بعد أن كانت تُسمى - كما عُرفَ - قبل ذلك بالجزم، وإن كان قد فنَّدَ غانم قدوري عدم صحة صلة هذه

¹ سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، علي محمد الضباع، المكتبة الأزهرية للتراث، ط1، 1420هـ-1999م، ص6.

² ينظر: سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، ص6، وسفير العالمين في إيضاح وتحرير وتحيير سمير الطالبين، 13/1.

التسمية (الجزم) كذلك¹، ثم كان لعلماء البصرة دورهم في الكتابة، وكانوا يكتبون بأقلام مختلفة على أشكال متنوعة.

ومادام البحث يتناول كتابة القرآن في عهده ﷺ فإنه يجدر بالتناول الوقوف على ما قدمه الصحابة رضي الله عنهم في حملهم كتاب الله تعالى وما يُنزل على الرسول ﷺ من آيات حفظاً في الصدور وكتابة ورسماً في السطور.

لم يدخر الصحابة جهداً في تتبع ما ينزل على الرسول ﷺ من قرآن، بل ظل دأبهم المبادرة إلى حفظه وتصحيحه وتتبع وجوه قراءاته وكتابة الآيات أو السور، ومنهم من كتب جميعه وحفظه كله كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وسعد وابن مسعود وابن عباس وحذيفة وعائشة وحفصة وأم سلمة... وهؤلاء من المهاجرين.

وكان من الأنصار أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو الدرداء وأبو زيد وأنس بن مالك.

وقد يقال: كيف جمع هؤلاء القرآن حفظاً على عهد رسول الله ﷺ وعُرف عن أنس رضي الله عنه قوله: "جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة"، وفي رواية عنه: "لم يجمعه إلا أربعة: أبيُّ ومعاذ وزيد بن ثابت وأبو زيد".

ويرد على هذا أن الرواية الأولى لا تنافي ولا تتعارض مع ما قيل لعدم الحصر فيها، وأما الرواية الثانية فلا يجب حملها على ظاهرها، بل ينقضها من ذكرها، ولا بد من تأويلها بأنه لم يجمعه بوجوه قراءاته من جهة أو لم يجمعه تلقياً عنه ﷺ من جهة ثانية أو يُذْهَب بها - تأويلاً - إلى أنه لم يجمعه شيئاً بعد شيء تبعاً لنزوله إلى أن تمَّ إلا أولئك.

¹ ينظر: رسم المصحف، غانم قدوري، ص 31-36

وقد يؤول ذلك الحصر تأويلاً آخر مفاده: أن ما رآه أنس رضي الله عنه هو ما بلغ إليه وظنّه، يؤيد ذلك قول ابن كثير (ت774هـ) بعد ذكره الأحاديث التي يستشهد بها في هذه المسألة: "ومعنى قول أنس: (لم يجمع القرآن) يعني من الأنصار سوى هؤلاء، وإلا فمن المهاجرين جماعة كانوا يجمعون القرآن؛ كالصديق وابن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة وغيرهم... وقد تضافرت الروايات بأن الأئمة الأربعة جمعوا القرآن على عهد الرسول ﷺ لأجل سبقهم إلى الإسلام وإعظام الرسول لهم"¹.

يخلصُ البحثُ إلى أن جمع القرآن بمعنى كتابته في عهده ﷺ إذ كان القرآن وهو ينزل منجماً كلما نزل منه شيء أمر الرسول ﷺ كتاب الوحي بكتابته وتدوينه، وقد بذل الصحابة ما في وسعهم وبحسب ما توافر لديهم من وسائل لتثبيت القرآن رسماً وكتابةً حتى أنه ﷺ نهاهم عن كتابة غير القرآن فقد صح عنه ﷺ أنه قال: "لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه" باعتبار أن الغرض الأساسي من كتابة القرآن على عهده ﷺ يدعم المحافظة على النص القرآني وبقية من طارئ التغيير، ولكونه لا تحل روايته بالمعنى، ضف إلى ذلك أن القرآن معجز بنظمه متعبداً بتلاوته، فكان لزاماً الاحتياط في ضبط ألفاظه وصيانتها " وهذا لا يتحقق بمجرد الحفظ، بل لابد أن يضاف إليه الكتابة كذلك فكان للحضرة النبوية كاتبون يدونون النص القرآني إبان نزوله يطلق عليهم "كُتّاب الوحي" فكان منهم الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ومنهم:

¹ ينظر: فضائل القرآن، ابن كثير، صححه محمد رشيد رضا، مطبعة المنار، ط: 1347هـ، ص23. وسفير العالمين ج1/ص: 16-17.

أبيّ بن كعب وزيد بن ثابت، وبهذا يتأكد لنا أن القرآن كله من سورة الفاتحة إلى سورة الناس مكتوب في عهده رضي الله عنه¹.

وقد ذكر صاحب كتاب (سفير العالمين) أنه "بلغت عدّة كتابه عليه الصلاة والسلام ثلاثة وأربعين أو أربعة وأربعين رجلاً، منهم أربعة عشر رجلاً كانوا يكتبون الوحي"² وذكر منهم الأربعة الخلفاء الراشدين وأبان بن سعيد وأبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت وغيرهم.

ويُعتبر زيد بن ثابت أكثر الصحابة - كُتّاب الوحي - مداومة على ذلك، ثم معاوية بن أبي سفيان³ بعد فتح مكة، وكان أولئك الكتبة يكتبون القرآن لأنفسهم وللرسول رضي الله عنه بحضرته - قبل أن يكثر الورق فيما يجدونه من عشب السعف والرقاع والخاف.

وتعد هذه المرحلة من الجمع مرحلة تجميع من غير أن يُجمع القرآن في موضع واحد ولا مرتب السور، وما يبرّر تركه رضي الله عنه القرآن غير مجموع في موضع واحد، لأن الجمع يكون للحفظ خشية النسيان أو خوف النزاع حين الشك في لفظ وكلا الأمرين مأمون ما دام الرسول رضي الله عنه موجوداً، وقد يُعلّل ذلك بوجود النسخ لأنه كان يرد على بعضه، فلو حدث أن جمعه ورتبت سورته - فرضاً - ثم جاء النسخ برفع تلاوة بعضه، لأدى إلى الاختلاف والاختلاط فحفظه عز وجل في قلوب

¹ إرشاد القراء والكتّابين إلى معرفة رسم الكتاب المبين، للعلامة الشيخ رضوان بن محمد بن سليمان المخلاّتي، دراسة وتحقيق أبي الخير عمر المؤاطي، مكتبة الإمام البخاري، الطبعة الأولى، 1428هـ-2007م، 16/1.

² سفير العالمين، 17/1-18.

³ ينظر: المصدر نفسه، ج1/ص:18.

الحفظة إلى انقضاء زمن النسخ، فكان تأليفه في الزمن النبوي وجمعه بعد وفاته ﷺ، وقد قال في ذلك الشيخ الشنقيطي:

لم يُجمَع القرآنُ في مُجلَدٍ على الصَّحيح في حياةِ أحمدٍ
للأمنِ فيه منْ خلافٍ ينشأُ وخيفةِ النَّسخِ بوحى يَطْرَأُ¹

طريقة كتابة القرآن في عهده ﷺ :

تعددت الأدوات التي كان يكتب عليها الوحي (القرآن) في عهده ﷺ وتنوعت بحكم طبيعة أهمية هذا الكتاب العزيز ومكانته وشغف قلوب متلقيه من المؤمنين؛ فقد جعلهم حرصهم الزائد على اتخاذ كل وسيلة تُسهم في بقاء القرآن يُتلى على مرَّ الزمان وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فكان أن حضروا أدوات ليدونوا فيها ألفاظ القرآن الكريم، منها²:

1- العُسْبُ: جمع عسيب وهي الجريدة من النخل، كانوا يكشطون الخوصَ ويكتبون في الطرف العريض.

2- اللخاف: مفردها لخفة وهي الحجارة الدقاق، صفائح الحجارة.

3- الأكتاف: جمع كتف وهو عظم عريض من كتف الحيوان أو هو العظم الذي للبعير أو الشاة.

4- الجريد: سعفه طويلة رطبة أو يابسة، وهي التي يجرد عنها الخوص ولا يسمى جريداً ما دام عليه الخوص، وإنما يسمى سعفاً.

¹ ينظر: هامش "سفير العالمين" 19/1.

² ينظر: إرشاد القراء والكتابين، 17/1.

5- الأقتاب: الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه.

6- الرقاع: جمع رقعة، وقد تكون من ورق وغيره.

7- الألواح: مفردة لوح وهو الكتف وكل عريض، واللوح الذي يكتب فيه هو كل صحيفة عريضة خشباً أو عظماً.

8- الضرر: جذر له حد كحد السكين والجمع ظرار.

9- الخزف: أو الفخار وهو الطين المشوي.

10- الكرانيف: الواحدة كرنافة، والكرناف لأصول الكرب التي تبقى في جذع النخلة بعد قطع السعف وما قطع من السعف فهو الكرب.

ولا بأس أن يختتم هذا المبحث بذكر نساء اقتسمن مع إخوانهن الرجال شرف حفظ القرآن الكريم في عهده ﷺ، فقد ورد في "الإتقان" خبر عنون له صاحبه ب (فائدة) قال: ظفرت بامرأة من الصحابيات جمعت القرآن لم يعدّها أحد ممن تكلم في ذلك، ثم ذكر ما أخرجه ابن سعد في الطبقات: حدثني جدتي عن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث، كان رسول الله ﷺ يزورها ويسميها الشهيدة، وكانت قد جمعت القرآن¹.

ويُزاد - ضمن هذا المبحث - رأي الإمام البغوي الذي سجله السيوطي في إتقانه ونصه: "الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله على رسوله من غير أن زادوا أو نقصوا منه شيئاً خوف ذهاب بعضه بذهاب حفظته، فكتبوه كما سمعوا من رسول الله ﷺ، من غير أن قدموا شيئاً أو أخرجوا، أو وضعوا ترتيباً لم يأخذه من رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يُلَقِّنُ أصحابه

¹ الإتقان في علوم القرآن، الإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق عصام فارس الحرساني، دار الجيل، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1419هـ 1998م، ج1/72.

ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل إياه على ذلك، وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تُكتبُ عقب آية كذا في سورة كذا، فثبت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه، فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب"¹.

ثم بعد هذا العرض لتوثيق النص القرآني يسطرُ البحث مايلي:

" إن القرآن الكريم كما هو مكتوب في المصحف العثماني الذي بين أيدينا هو القرآن الكريم الذي نزل على رسول الله ﷺ في العرصة الأخيرة بترتيبه من غير تقديم أو تأخير وبدون زيادة أو نقصان"²، ولا يشك في هذا إلا ممارٍ أو ذو قلب مريض.

ولا يفوت البحث هنا أن يعاين رأي غير المسلمين من مستشرقين؛ بعضهم عدَّ العدة ليضرب المسلمين في أعز ما يملكون بغية التشكيك، في مقابل علماء مستشرقين - أيضاً - درسوا هذا الموروث من قراءات وأراء لعلماء التفسير فلم يتجاوزوا الحد بل ميزوا بين الحق والباطل وانصاعوا لبرهان التنزيل، وحكموا للقرآن بأنه منزل من حكيم خبير، يجمع كل هذا عنوان أطلق عليه (رأي وتعقيب).

رأي وتعقيب:

يجدر بالبحث قبل الانتقال إلى المبحث الذي يليه تناول رأي بعض المستشرقين، الذين أرادوا أن ينالوا من القرآن ويشككوا في سلامته، وأنى لهم ذلك، وقد تكفل الله بحفظه حيث قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ

¹ المصدر نفسه، 61/1.

² معجم القراءات القرآنية، تأليف عبد العال سالم مكرم وأحمد مختار عمر، الطبعة الأولى، 1402هـ/1982م، ج1/6.

لَحْمِظُونَ ﴿ [الحجر:9]، يتزعم هذا الموكب "آرثر جفري" وهو يقدم لكتاب المصاحف للسجستاني.

قبل عرض رأي هذا المستشرق ومناقشته يستوقفنا سؤال يتبادر إلى الذهن وهو: هل كُتِبَ الوحي جمعوا كل ما كتبوه في مصحف موحد في حياته ﷺ؟ وقد سبق أن عرّف البحث بهذه النقطة وأعطاهما ما تستحق ومع ذلك فإنه يسجل هنا وقفة تذكيرية؛ فالحاجة لم تكن ماسة إلى كتابة مصحف موحد لأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتلقون القرآن من فمه ﷺ ثم يتبارون في حفظه وتلاوته والنبي ﷺ بينهم يعرضون عليه ما حفظوا.

ذكر السيوطي في الإتقان السبب المباشر في عدم جمع القرآن في مصحف واحد على عهده ﷺ حين قال: " قال الخطابي: إنما لم يجمع ﷺ القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاءً بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة"¹.

ولا يصاب المرء بدهشة أو استغراب إذا ما صادفه رأي أو اطلع على رأي كاتب لا يبغى الخير لأمة القرآن ويرمي المصحف بدسائس قد تؤثر في ذوي النفوس الضعيفة؛ جاء في مقدمة كتاب المصاحف الذي حققه "آرثر جفري" ما صرحت به عبارته: "... إلا أنه - يقصد القرآن - كان في صحف لا في مصحف، وهذا الرأي لا يقبله المستشرقون لأنه يخالف ما جاء في أحاديث أخرى أنه قبض

¹ الإتقان، 57/1.

ﷺ ولم يجمع القرآن في شيء¹ ورأى أن هذا الأمر مطابق لما رُوِيَ من خوف عمر بن الخطاب على القراء حين استمر القتل يوم اليمامة وبدا له - لجفري - أنه لو جمع القرآن وكتب لما ظهرت علة لخوفهما أي لخوف أبي بكر وعمر، بل وما يزيد الأمر غرابة أن علماء الغرب في نظره لا يوافقون على ترتيب القرآن كما هو اليوم في أيدينا من عمل الرسول ﷺ.

ظل يبحث عن أي مسلك يغمز به في صحة القرآن وثبوته فاتكأ على عدة مسائل؛ منها خلو مصحف عثمان من النقط والشكل وقوة اختيار بعض القراء، وترجيح وتعميم رواية حفص².

ولا يستند هذا الرأي إلى دليل يقويه، بل تقف جميع الأدلة في وجهه وتضرب به عرض الحائط، وسيقف البحث وقفات متأنية لدفع وإبطال ما أراد من زعم باطل.

1- فما قيل من أن النبي ﷺ قُبِضَ ولم يجمع القرآن في شيء لم يكن المراد منه أن القرآن كُتِبَ بل أريد به أنه لم يُجمع في مصحف واحد، وقد أثبت الخطابي سبب عدم الجمع في مصحف.

2- ويُردُّ على "جفري" وأمثاله بأن الروايات الموثقة - وهي عديدة - أثبتت أن القرآن الكريم كان مجموعاً على عهد رسول الله ﷺ وأنه ما نزلت آية إلا وقد أمر رسول الله ﷺ من يكتب له أن يضعها في موضع كذا من سورة كذا³.

¹ كتاب المصاحف للسجستاني، تحقيق آرثر جفري، المكتبة الأزهرية للتراث - الجزيرة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2007، ص5 من المقدمة.

² ينظر: المصدر نفسه، ص5-6.

³ القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، عبد العالي سالم، مؤسسة علي جراح الصباح الكويت، الطبعة الثانية، 1978م، ص5.

3- ويبطل الاستدلال بخوف أبي بكر وعمر حين استمر القتل بالقراء يوم اليمامة بكون هذا الاستدلال غير موفق، لأن خوفهما ناشئ من زيادة التحري والمبالغة في الحرص على القرآن وحفظه لما لطريقة أداء المكتوب من تكاتف وتعويل على طريقة التلقين والرواية، وعليه نشأ خوف الخليفتين الجليلين من أن يموت القراء فتتعرض طريقة الأداء¹.

وحتى يصطبغ البحث بلون النزاهة والإنصاف، فإنه من الواجب أن يسجل موقف بعض المستشرقين الذين التزموا الحياد والموضوعية ولم يحتكموا إلى الهوى، ولم يُحرفوا النصوص عن مواضعها، ومن أولئك المنصفين "سير وليم مولير" الذي نقل رأيه صاحب كتاب "حياة محمد"، فقد قال: "كان الوحي المقدس أساس أركان الإسلام فكانت تلاوة ما تيسر منه جزءاً جوهرياً من الصلوات اليومية عامة أو خاصة، وكان القيام بهذه التلاوة فرضاً وسنةً يُجزى من يؤديها جزءاً دينياً صالحاً... لذلك وعت القرآن كثرةً المسلمين الأولين إن لم يكونوا جميعاً، وقد يسرت عادات العرب هذا العمل، فقد كانوا ذوي ولع بالشعر العظيم... وقد بلغ بعض أصحاب النبي من قوة الذاكرة ودقتها ومن التعلق بحفظ القرآن واستذكاره حداً استطاعوا معه أن يعيدوا بدقة يقينية كل ما عُرفَ منه إلى يوم كانوا يتلونونه"².

لقد أنصف الرجل محمدًا ﷺ وأصحابه وشهد عليهم شهادة حق فوصفهم بما هم أهل له من قوة الحفظ والذاكرة ودقتها.

وأحسب رأي المستشرق الآخر أكثر نزاهة وأصدق مقالاً، إنه رأي المستشرق الأمريكي (بودلي) الذي ينقل لنا محمد الطاهر الكردي المكي نصاً عنه؛ قال

¹ ينظر: للمصدر السابق، ص5.

² حياة محمد لمحمد حسين هيكل، ص33.

بودلي عن القرآن: "فبين أيدينا كتاب معاصر فريد في أصالته وفي سلامته لم يشك في صحته كما أنزل أي شك جدي، وهذا الكتاب هو القرآن الكريم، وهو اليوم كما كان يوم كُتب لأول مرة تحت إشراف محمد، وعل الرغم من أن الأفكار قد دُوّنت في الرقاع وسعف النخل، والعظام في لحظات غريبة، فالسور والآيات الأصلية قد حفظت... وهذا الكتاب ليس مجموعة أحاديث أو تقارير يفترض فيها أن محمداً قد قالها في نفس الآيات التي أملاها بنفسه يوماً بعد يوم، وشهراً بعد شهر خلال حياته... وإن الحسنة الوحيدة في طريقة (زيد) أنها كانت أمينة فوق الشبهات فلم يفعل شيئاً ليضيف فقرات، أو يضع جمل ربط أو يحذف أو ينسخ تفاصيل تشين الإسلام، لقد عمل بإخلاص لا يمكن تصوره".

ثم يواصل - وقد اختصر شيء من قوله - : "والمهم هو أن القرآن هو العمل الوحيد الذي عاش أكثر من اثني عشر قرناً دون أن يبدل فيه ولا يوجد شيء يمكن أن يقارن بهذا أدنى مقارنة في الديانة اليهودية ولا الديانة المسيحية"¹.

لقد لقن صاحب النص درساً لا ينسى كل من يتربص بالقرآن أو يريد الكيد له، فنراه جمع بين كاتب الوحي في زمن النبوة وبعدها وبين الديانات الثلاثة: الإسلام واليهودية والمسيحية، وتوصل إلى أن القرآن لم يطرأ عليه تغيير أو تبديل منذ أكثر من اثني عشر قرناً بل سيبقى كما أنزل بقراءاته محفوظاً في الصدور والسطور، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:9].

¹ تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، لمحمد الطاهر الكردي، ط1، جدة، 1946م، ص 68-69.

2- جمع القرآن في الصحف في خلافة الصديق رضي الله عنه :

حين ولي الصديق الخلافة بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى في شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة كان أول ما واجهه رضي الله عنه ارتداد قبائل من العرب عن الإسلام ومنهم من منع الزكاة، فكان موقفه من تلك الفتن الذي أخذت تنتشر في ربوع الدولة الإسلامية موقفاً حازماً، وقال كلمته المشهورة "والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه، ولو لم أجد أحد أقاتلهم به لقاتلتهم وحدي، حتى يحكم الله بيني وبينهم وهو خير الحاكمين".

وقد انضم بعض المرتدين إلى مدعي النبوات الكاذبة، فجهز الصديق جيشاً كان في طليعته صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام لقتال ومحاربة أولئك المارقين، وما أن قضى على هذه الفتنة حتى عادت الجزيرة العربية كلها إلى الإسلام غير أن عدداً كبيراً من أولئك الذين شاركوا في إخفاء تلك الفتنة قد قتلوا في سبيل الله، وكان من بينهم عدد من حفاظ القرآن.

تشير الروايات إلى أن الأحداث التي حدثت في عهد الصديق رضي الله عنه، وبخاصة موقعه اليمامة، وقد تسابق الحفاظ من الصحابة إلى طلب الشهادة، وقد استشهد من المسلمين يومئذ مائتان وألف، وكان من بينهم من الحفظ ما يقارب الخمسمائة، وبعضهم رفع عددهم إلى السبعمائة¹.

ويعد هذا الأمر من أهم الأسباب التي دعت الفاروق عمر والصحابة إلى التفكير، ثم العمل على جمع القرآن الكريم مكتوباً في مكان واحد خلافاً لسابق الجمع في حياته ﷺ حيث كان مفرقاً في القطع التي كتب عليها.

¹ ينظر: الجامع لأحكام القرآن، الطبري، ج1/49.

فكيف جاءت إشارة الجمع من الفاروق إلى الصديق بعد وقعة اليمامة؟ روى البخاري في صحيحه أن زيد بن الحارث رضي الله عنه قال: "أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة (أي عقب استشهاد القراء السبعين في واقعة اليمامة) فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر- أي اشتد - يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر: كيف نفع ما لم يفعله رسول الله ﷺ، قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه. فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال، ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني، حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر.

فتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره" لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم" حتى خاتمة براءة. فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر.¹

وقد ذكر صاحب كتاب "المصاحف" هذه القصة بروايات مشابهة لما ذكر لكن بطرق مختلفة كرواية ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه قال: لما استحر القتل بالقراء يومئذ فرق أبو بكر على القرآن أن يضع فقال لعمر بن الخطاب ولزيد

¹ الإتيان، ج1/168.

بن ثابت أقعدوا علي باب المسجد فمن جاء كما بشاهدين علي شيء من كتاب الله فاكتباه"¹، ثم يذكر القصة كما هي عند البخاري.

ويذكر السجستاني أيضاً أن علياً رضي الله عنه جمع القرآن في المصحف، فعن أشعث عن محمد بن سيرين قال: "لما توفي النبي ﷺ أقسم علي أن لا يرتدي برداء إلا لجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف ففعل، فأرسل إليه أبو بكر بعد أيام أكرهت إمارتي يا أبا الحسن قال لا والله إلا أني أقسمت أن لا أرتدي برداء إلا لجمعة فبايعه ثم رجع [قال أبو بكر لم يذكر المصحف أحد إلا الأشعث، وهو لين الحديث، وإنما رووا حتى أجمع القرآن يعني أتم حفظه فإنه يُقال للذي يحفظ القرآن قد جمع القرآن]².

يستشف مما سبق -وبخاصة حديث البخاري -اهتمام كبار الصحابة بالمحافظة على القرآن الكريم وعلى مبلغ الصديق والفاروق يزيد بن ثابت الجدير بالثقة لتوافر تلك المناقب التي نعت بها خليفة رسول الله ﷺ ويلتمس ورع زيد ودينه وأمانته وصدقه في ما جال في نفسه ونطق به "فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال، ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن"، ويستدل علي رجاحة عقله، تردهه وتوقفه بداية الأمر ومحاورته أبا بكر إلى أن راجعه الخليفة وأقنعه بوجه الصواب، وانظر إلى تحريه في الأمر وتدقيقه "فتتبع القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال"

فما الدستور الذي انتهجه أبو بكر في كتابه المصحف؟

¹ كتاب المصاحف، للسجستاني، ص 6 وما بعدها.

² كتاب المصاحف للسجستاني، تحقيق محمد بن، ص 59-60.

تلمس إجابة هذا التساؤل من خلال ما أورد الزرقاني في مؤلفه (مناهل العرفان)¹ فقد أطلعنا أن زيداً انتهج طريقة محكمة وضعها له المشيران عليه من قبل بالجمع؛ أبو بكر وعمر، طريقة فيها ضمان كبير لحياطة كتاب الله تعالى بما يليق به من تثبُّت بالغ وحذر شديد، وتحريات شاملة، فلم يعوّل على حفظه - أي زيد - ولا على ما كان كتبه بيده، ولا على ما سمعته أذناه، بل دعم ذلك كله باعتماد مصدرين اثنين: أحدهما ما كتب بين يدي رسول الله ﷺ، وثانيهما ما كان وقر في صدور الرجال حفظاً وبلغ به الأمر مبلغ الحيطه والحذر ليقبل ما يريد كتابته في الصحف ألا يقبل شيئاً مما هو مكتوب حتى يشهد شاهدان عدلان على أنه كتبه بين يديه ﷺ.

وقال السخاوي في "جمال القراء" ما يشير إلى أن المراد بهما رجلا عدلان، ونصه: "المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله ﷺ". ولم يكن اعتماد زيد على الحفظ وحده، ولذلك ورد في الحديث الذي رواه البخاري سابقاً، أنه لم يجد آخر سورة براءة إلا مع أبي خزيمة، يعني لم يجدها مكتوبة إلا معه، مع أن زيداً كان يحفظها إلى جانب كثير من الصحابة كانوا يحفظونها. غير أنه أراد الجمع بين الحفظ والكتابة زيادةً في التوثيق ومبالغة في الاحتياط.

ويروى أن عمر رضي الله عنه قام في الناس فقال: "من كان تلقى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأتنا به، وكانوا كتبوا ذلك في الصحف والألواح والعسب، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان"²، شرح ابن حجر هذا القول بما نصه:

¹ ينظر: مناهل العرفان للزرقاني، ج 1/252-253.

² كتاب المصاحف، ص 62.

"كأن المراد بالشاهدين الحفظ والكتاب، أو المراد على أن ذلك المكتوب بين يدي رسول الله ﷺ، أو المراد على أنهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التي نزل بها القرآن. وكان غرضهم ألا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي النبي ﷺ لا من مجرد الحفظ"¹.

ولا شك أن عملاً مثل جمع القرآن في الصحف مما كان كتب من قطع في عهده ﷺ لابد أنه تطلب جهداً كبيراً، وهو ما يدعو إلى الاعتقاد - كما أشار غانم قدوري - أن بعض الصحابة قد وقف إلى جانب زيد وهو ينجز هذا العمل الجليل، ولعل في مقدمتهم الفاروق عمر رضي الله عنه، وقد أسهم بشكل واسع وهو من ضمن كتاب الوحي، وقد أشارت الرواية السابقة إلى مشاركته في تتبع القرآن وجمعه مع زيد. كما روي أن أبي بن كعب قد شارك في عملية الجمع هذه².

ويعد جمع أبي بكر القرآن منقبة خالدة ما فتى التاريخ يذكرها بالجميل للصديق إشرافاً وللفاروق اقتراحاً ولزيد تنفيذاً وللصحابه معونة وإقراراً.

قال علي بن أبي طالب يمدح أبا بكر: "أعظم الناس في المصاحف أجراً أبو بكر، رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمعه بين اللوحين"³.

وقد قوبلت تلك الصحف التي جمعها زيد بعناية فائقة، بقيت عند أبي بكر حتى توفي، ثم حفظها عمر بعده، ثم أخذتها أم المؤمنين حفصة بنت عمر بعد وفاة الفاروق إلى أن طلبها الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه ليعتمدها في استنساخ المصاحف ليردها بعد ذلك إليها.

¹ فتح الباري لابن حجر، ج10/388. وينظر: الإنفان، ج1/166.

² ينظر: رسم المصاحف، غانم قدوري، ص105.

³ كتاب المصاحف، ص49.

ولا شك أن لهذه الصحف مزايا ومواصفات، فقد امتازت أول ما امتازت به أنها جمعت القرآن على أدق وجوه البحث والتحري وأسلم أصول التثبت العلمي. كما اقتُصِر في هذه الصحف على ما لم تُنسخ تلاوته؛ ثم نُلفِيها ظفرت بإجماع من الأئمة وتواتر ما فيها من غير أن يُنقص أو يُطعن في ذلك التواتر من وجود آخر سورة براءة عند أبي خزيمة، فإن المراد من ذلك أنه لم يوجد مكتوباً إلا عنده، ولا ينافي أو يتعارض ذلك مع ما وُجد محفوظاً عند كثرة غامرة من الصحابة بلغت حدَّ التواتر؛ لأن مناط المسألة حيثُ كان هو الحفظ والاستظهار، وما الكتابة - وهي مصدر من المصادر - إلا زيادة في الاحتياط ومبالغة في الدقة والحذر، ولا يَعزُبُ - كما قال الزرقاني¹ - عن بالك أن ذلك الجمع جاء شاملاً للأحرف السبعة التي نزل بها القرآن تيسيراً على الأمة الإسلامية كما كانت الأحرف السبعة في الرقاع كذلك.

وجعل الزرقاني عنوان (ملاحظة)² لِيُخْتَمَ بها بحث جمع الصّدِّيق يُلخصها البحث في السطور التالية: لم يعرف لأحد قبل أبي بكر أن جمع القرآن في صحف أو مصحف على ذلك النمط المعروف بمزايه السالفة وهذا أمر لا يتعارض مع أن الصحابة كتبوا القرآن في صحف قبل ذلك. غير أن تلك الصحف لم تظفر بما ظفرت به صحف الصّدِّيق من مزايا سبق ذكرها، ولا يضيرنا في هذا الشأن أن يُقال إنَّ علياً رضي الله عنه أوّل من جمع القرآن بعد النبي ﷺ، ولا يُعكّر صفو موضوعنا إذا ما استدلوا على ذلك بما نقله السيوطي... عن عكرمة قال: "لما كان بدءُ خلافة أبي بكر، قعد علي في بيته، فقيل لأبي بكر: قد كره بيعتك، فأرسل إليه فقال:

¹ ينظر: مناهل العرفان، ج/ 253-254.

² ينظر: المصدر نفسه، ج/ 1-254-255.

أكرهتَ بيعتي؟ فقال: رأيت كتاب الله يُزاد فيه؛ فحدثت نفسي ألا ألبس ردائي إلا لصلاة حتى أجمعه. فقال له أبو بكر: فإنك نعم ما رأيت. قال محمد - هو محمد بن سيرين - : فقلت لعكرمة: أَلْفَوْه كما أنزل الأول فالأول، قال: لو اجتمعت الإنس والجن على أن يؤلفوه هذا التأليف ما استطاعوا".

تثبت هذه الرواية أن علياً أو بعض الصحابة كان قد كتب القرآن في مصحف لكن هذه الصحف أو المصحف لا يكسب الصفة الإجماعية، ولا يبلغ تلك المزايا التي بلغها المصحف أو الصحف في الجمع البكري. بل هي مصاحف فردية، وإن ظهرت في الوجود وتقدمت في الزمان على جمع أبي بكر وبقى جمع الصديق الأول من نوعه على كل حال، وقد اعترف بذلك علي رضي الله عنه فيما سبق تسجيله من حديثه "أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر..."

ومما ينبغي ذكره أن جمع زيد بن ثابت في هذه المرحلة لم يكن إلا إعادة لمكتوب كُتب، فقد كان القرآن مكتوباً كله في زمن النبي ﷺ لكنه لم يكن مكتوباً في مصحف، وعليه فعمل زيد في هذه المرحلة - كما جاء في معجم القراءات القرآنية¹ - لا يتعدى عن الرقاع والعسب والعظام التي كان كتب عليها القرآن في عهده ﷺ.

وقد ثمن محمد حسين هيكل خطوط منهج زيد واعتبرها خطوطاً علمية دقيقة يعجز المنهج العلمي المعاصر مجاراتها، قال هيكل: "نستطيع أن نقول في غير تردد؛ إنه أتبع طريقة التحقيق العلمي المألوف في عهدنا الحاضر، وقد اتبع هذه الطريقة بدقة دونها كل دقة"².

¹ ينظر: معجم القراءات القرآنية، ص 10.

² الصديق أبو بكر، محمد حسين هيكل، مكتبة النهضة المصري، الطبعة الخامسة، 1964م، ص 322.

وفي ختام هذا المبحث نُشير إلى أن كتابة القرآن في خلافة عمر أخذت تتسع استجابة لحاجة الناس إلى تعلم القرآن وحفظه خاصة أن الفتوح قد امتدت وزاد عدد الداخلين في الإسلام، فتنامت الرغبة إلى معرفة تعاليم الدين الحنيف فظهرت المصاحف في الأمصار يُملئها كبار الصحابة ليتعلمها أهل تلك البلاد.

فهذا عبد الله بن مسعود يُملئ المصاحف في الكوفة على عهد خلافة عمر، وركب أبو الدرداء إلى المدينة في نفر من أهل دمشق ومعهم المصحف ليعرضوه على أبي بن كعب وزيد بن ثابت وعلي وأهل المدينة.

ويروي أبو عبيدة أن عمر بن الخطاب وجد مع رجل مصحفاً قد كتبه بقلم دقيق فقال: ما هذا؟ فقال: القرآن كله، فكره ذلك وضربه، وقال: عظموا كتاب الله، وكان عمر إذا رأى مصحفاً عظيماً سرّاً¹.

"وبذلك ازدادت المصاحف التي كتبها الصحابة وعامة المسلمين في خلافة عمر، وربما كانت تتضمن بعض آثار رخصة الأحرف السبعة التي يسر الله بها على الأمة في قراءة القرآن، مما أظهر الحاجة إلى مصحف يكون إماماً للمسلمين في كافة الأمصار، خاصة بعد أن برز الاختلاف في القراءة، وهو ما تمّ في خلافة عثمان"².

وسيكون للبحث تناول خاص للمرحلة الثالثة من جمع القرآن يؤطر له المحور التالي إذ يؤخذ عنوانه مما قام به من جمع للقرآن حتى غداً عنواناً مضافاً لكتابة حروف القرآن، فيقال: الرسم العثماني ويقال: الرسم القرآني غير أنه يؤخذ بالعنوان التالي:

¹ ينظر: الإتقان، ج 4/158.

² رسم المصحف، غانم قدوري، ص 106.

3- جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه :

جاء في شعب الإيمان للبيهقي: "وأمر أبو بكر رضي الله عنه بجمع القرآن ونقله إلى مصحف، ثم اتخذ عثمان من ذلك المصحف مصاحف وبعث بها إلى الأمصار ولم يُعرف أنه أُثبت في المصحف الأول، ولا فيما نسخ منه شيء سوى القرآن، فلذلك ينبغي أن يُعمل في كتابة كل مصحف"¹.

تعد مرحلة جمع القرآن في عهد الصديق ثاني مرحلة جمع سيعول عليها لاحقاً في الجمع العثماني، ولا شك أن خلال تلك الفترة - وهي فترة قصيرة - جمع القرآن كله بوثاقه الأولى لدى أبي بكر الصديق فنسخت بين اللوحين، وخرجت إلى الوجود أول نسخة كاملة من القرآن الكريم، بالغة التوثيق والتدقيق، وفي الوقت نفسه أول كتاب ينسخ بالعربية"².

وحين انتقل أبو بكر الصديق إلى جوار ربه ترك ذلك المكتوب المجموع في مصحف عند الخليفة الثاني عمر رضي الله عنه، وبقي الاعتماد الأساس على الحفظ والإقراء، من غير أن يترك التعويل على الصحف الخاصة لدى الصحابة، ومصحف الجمع إلى أن دعا داع لتوحيد الأمة بكتابة مصحف إمام يجتمعون عليه، رسم فيه ما اتفق الصحابة على قرآنيته وحرق ما كان بأيدي الصحابة من صحف كتبوها لأنفسهم، فكيف جاءت المبادرة؟ وماذا عمل عثمان في المصحف، وما المنهج المتبع في رسم كلمات القرآن؟ وما أصل العمل في هذا الجمع؟

¹ شعب الإيمان، للبيهقي، ج2/546.

² القراءات المتواترة وأثرها في الرسم العثماني والأحكام الشرعية، محمد الحبش، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1419هـ/1999م، ص87.

لقد اتسعت الفتوحات في عهد الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه، واستبحر العمران وانتشر المسلمون في الأمصار والأقطار، وبقي القرآن أغلى شيء عند المسلمين يحملونه حفظاً - ويحفظونه غيرهم - إلى تلك الأفاق التي حلوا بها، ورغب أولئك الداخلون في الدين الجديد في تعلم القرآن وقراءته، بل صار شغلهم الشاغل، فظهرت مدارس لتعليم القرآن وقراءته في تلك الأمصار الإسلامية، يتقدمهم في كل مصر جماعة من الصحابة الذين نزلوا بتلك البلاد

وقد عُرف عن المسلمين يومئذٍ تسابقهم على نسخ المصاحف ويات عملهم في اتساع مستمر، وكان ذلك - كما أشار غانم قدوري سواء تعليم القرآن أم نسخ المصاحف - يسري تحت رخصة الأحرف السبعة التي رخص بها رسول الله ﷺ - وهي منة من الله عز وجل على هذه الأمة - في قراءة القرآن، ويظهر أن آثار تلك الرخصة بدا جلياً في الأمصار الإسلامية منها في المدينة بسبب البعد عن مهبط الوحي ومكان الحفظة وبعامل الامتزاج اللغوي إن بين العرب أنفسهم أم مع غيرهم ممن دخلوا في الإسلام.

وقد عملت حركة الفتح الإسلامي وذلك التوسع على التقاء المسلمين بعضهم بعضاً، وفي هذه الظروف نبتت ناشئة جديدة تأخذ من الصحابة معين الحفظ، وتبتغي مدارس القرآن ومذاكرته، وطال عهد الناس بالرسول ﷺ والوحي والتنزيل، وكان كل واحد يحفظ من القرآن ويقرأ على نهج ما سمعه وتعلمه من الصحابي الذي تلقاه عن المصطفى ﷺ؛ فامتازت كل قراءة بما نقل عن صاحبها؛ فأهل الشام قرؤوا بقراءة أبي بن كعب، وأهل الكوفة بقراءة عبد الله بن مسعود، وغيرهم بقراءة أبي موسى الأشعري. وقد ذهب الأمر بأولئك إلى حد ادعى بعضهم أن قراءته أصح من قراءة الآخر.

ويبدو - كما أشار غانم قدوري¹ - أن حالات تنازع قامت بين الحفظة من المسلمين، وقد تكاثرت الأخبارُ على مسامع الخليفة وكبار الصحابة، مما دفعهم إلى التفكير في طرق تقف سداً مانعاً من مواصلة هذا الخطر وما يترتب على ذلك الخلاف.

يروى صاحب كتاب المصاحف روايات كثيرة تشير إلى اختلاف بين القراء جعله ينقل الخبر إلى الخليفة عثمان رضي الله عنه.

" عن أبي الشعثاء قال: كنا جلوساً في المسجد وعبد الله يقرأ، فجاء حذيفة فقال: قراءة ابن أم عبد وقراءة أبي موسى الأشعري، والله إن بقيت حتى آتي أمير المؤمنين - يعني عثمان - لأمرته بجعلها قراءة واحدة. قال: فغضب عبد الله، فقال لحذيفة كلمة شديدة قال فسكت حذيفة"

وفي رواية أخرى عن أبي الشعثاء قال: "كنت جالساً عند حذيفة وأبي موسى وعبد الله بن مسعود فقال حذيفة أهل البصرة يقرؤون قراءة أبي موسى وأهل الكوفة يقرؤون قراءة عبد الله، أما والله أن لو قد أتيت أمير المؤمنين لقد أمرته بحرق هذه المصاحف، فقال عبد الله إذاً تغرق في غير ماء"².

يستشف من النصين السابقين أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا كتبوا لأنفسهم مصاحف حملوها ليعلموا غيرهم قراءة القرآن وحفظه بحسب ما كانوا كتبوه فيها، وقد اختلفت قراءاتهم ولكنها كانت كلها مما يرخص به القراءة وقد أقرها الرسول ﷺ.

¹ ينظر: رسم المصاحف، غانم قدوري، ص 108-109.

² كتاب المصاحف لأبي داود، تحقيق محمد بن عبدة، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 1424هـ/2003، ص 70-71.

ويروي ابن أبي داود أن سويد بن غفلة الجعفي (ت 81هـ) سمع من علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قوله: "يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان ولا تقولوا له إلا خيراً - أو قولوا له خيراً - في المصاحف وإحراق المصاحف، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملإٍ منا جميعاً، فقال ما تقولون في هذه القراءة؟ فقد بلغني أن بعضهم يقول إن قراءتي خير من قراءتك وهذا يكاد أن يكون كفرةً قلنا فما ترى؟ قال نرى أن نجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة ولا يكون اختلاف، قلنا فنعم ما رأيت. قال فقل أيُّ الناس أفصح وأيُّ الناس أقرأ؟ قالوا أفصح الناس سعيد بن العاص وأقرأهم زيد بن ثابت فقال ليكتب أحدهما ويملي الآخر ففعلاً وجمع الناس على مصحف، قال: قال علي والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل¹.

ما يلاحظ هنا أن علياً رضي الله عنه زكى عمل عثمان وأسكت كل طاعن في حرق عثمان للمصاحف، ورأى أنه لو كان قد ولي هذا الأمر لنهج نهج عثمان ولما تردد، وما يلاحظ أيضاً أن عثمان بنى عمله هذا على المشورة ثم قام بتكليف من هو أهل للمهمة.

وتقص علينا مصادر كثيرة رصدت خطوات ذلك العمل الجليل ككتاب البخاري في صحيحه، وابن أبي داود في المصاحف، وصاحب الفهرست، والداني في المقنع، وغير ذلك من المصادر²، ونص رواية صاحب كتاب المصاحف: "حدثنا عبد الله قال حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا عبد الرحمن قال حدثنا إبراهيم بن سعد عن الزهري عن أنس بن مالك أن حذيفة ابن اليمان قدم

¹ كتاب المصاحف (نفسه)، ص 97-98.

² ينظر: كتاب المصاحف، ص 88 - الفهرست، ص 24 - والمقنع، ص 5 - الإتيان للسيوطي، ج 1/169.

على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فرج أرمينية - قال أبو بكر: الفرغ يعني الثغر - وأذربيجان مع أهل العراق، فرأى حذيفة اختلافهم في القرآن، فقال لعثمان بن عفان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب كما اختلف اليهود والنصارى، فأرسل إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت حفصة إلى عثمان بالصحف، فأرسل عثمان إلى زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد الله بن الزبير أن انسخوا الصحف في المصاحف، وقال للرهط القرشيين الثلاثة ما اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فاكتبوه بلسان قريش وإنما نزل بلسانهم حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف بعث عثمان إلى كل أمة بمصحف من تلك المصاحف التي نسخوا وأمر بسوى ذلك في صحيفة أو مصحف أن يحرق - وقال غيره يخرق -".

قال الزهري: "وحدثني خارجة بن زيد أن زيد بن ثابت قال: فقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأها ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ﴾ [الأحزاب: 23]، فالتمستها فوجدتها مع خزيمة بن ثابت - أي أبي خزيمة - وألحقها في سورتها، قال الزهري واختلفوا يومئذٍ في "التابوت" والتابوه فقال نفر القرشيين التابوت، وقال زيد التابوه فرفع اختلافهم إلى عثمان فقال اكتبوه التابوت فإنه بلسان قريش"¹. أقرهم سيدنا عثمان على كتابة التابوت بالتاء المفتوحة، وقد وردت هذه الكلمة في سورة [البقرة: 248] وسورة [طه: 39].

¹ كتاب المصاحف، ص 88-89.

يمكن استخلاص عمل عثمان رضي الله عنه في المصحف حين أمر كتبه من خلال الخبر السالف الذكر - وهو الخبر نفسه الذي يرويه البخاري كما سبقت الإشارة إليه آنفاً - عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه كالتالي تفصيله:

أ- سبب الجمع وما دعا إليه:

يوضح المقطع التالي من نص أنس بن مالك في عبارة "أن حذيفة بن اليمان قديم على عثمان - وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين؛ أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى"، غير أن حذيفة لم يذكر مثلاً على ذلك الاختلاف الذي لوحظ بين القراءة وربما كان اختلافاً بإبدال لفظ بلفظ، وقد يكون بطريقة قراءة وربما قادهم الاختلاف إلى أن يمعنوا في التعجب والإنكار - كما أشار الزرقاني - "كلما سمعوا زيادة في اختلاف طرق أداء القراءان، وتآدى بهم التعجب إلى الشك والمداجاة ثم إلى التأثيم والملاحاة"¹.

يضاف إلى ذلك - وهو من دوافع الاختلاف - أن الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن لم يكن أهل تلك الأمصار يعرفونها، وكان من العسير عليهم أن يعرفوها ليتحاكموا إذا اختلفوا. وإنما ظل كل صحابي يقرئ الحفظة في إقليمه بما يعرف فقط من الحروف التي نزل بها القرآن.

ب- كان القصد من هذا العمل نسخ مصاحف من مصحف الصديق الذي هو أصل العمل، يوضح هذا كلمات وردت في النص الذي سبق وعبارته "فأرسل

¹ مناهل العرفان، ج1/256.

عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان"

يبدو أن الهدف واضح من طلب عثمان، إذ كانت الصحف - كما يُعرف - عند عمر رضي الله عنه ثم عند حفصة رضي الله عنها بعده، فطلبها بقصد نسخ مصاحف منها، ولم تكن له غاية أخرى كالانتخاب منه¹، كما يذهب إليه بعضهم.

ت- تكوين لجنة لهذا العمل العظيم:

يصدق على هذه المسألة عبارات النص التالية: "فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف" كان على رأس لجنة العمل هذه زيد بن ثابت وهو من أئمة الصحابة لكتابة الوحي في حياته ﷺ، وكان - كما سبق - تولى كتابة القرآن وجمعه في المصحف في خلافة أبي بكر، وقد اجتمع لزيد بن ثابت ما لم يجتمع لغيره من صفات أهّلته للقيام بهذا العمل الجبار خير قيام، فقد تربى في كنف الوحي. ويروي الذهبي أن ابن عمر قال يوم مات زيد بن ثابت (ت45هـ): "يرحمه الله، فقد كان عالم الناس في خلافة عمر وحبها، فرقمهم عمر في البلدان، ونهاهم أن يُفتوا برأيهم، وحبس زيد بن ثابت في المدينة يُفتي أهلها"²، ويروي أن عامراً الشعبي قال: "غلب زيد بن ثابت الناس بالقرآن والفرائض"³.

¹ ينظر: المحرر في علوم القرآن، لابن ناصر الطيار، الناشر مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، جدة، الطبعة الثانية، 1429هـ-2008م، ص159.

² سير أعلام النبلاء، شمس الدين بن محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار المعارف، 1957م، ج2/310.

³ الإبانة عن معاني القراءات، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مكتبة نهضة مصر، 1960م، ص53.

ويبدو أنه من الطبيعي - بعد هذا كله - أن يُولي الصديق زيد بن ثابت كتابة القرآن اقتداءً بالرسول ﷺ، وأن يسير على خطاه عثمان فيولي زيداً أمر الجماعة التي شاركته نسخ مصاحف موحدة. يقول القاضي أبو بكر الباقلاني: "ويدل على صحة اختيار زيد أن أحدنا اليوم إذا أراد أن يكتب مصحفاً يتخذه إماماً، لا يلتمس له أقدم أهل عصره حفظاً وأفهمهم وأشجعهم، وإنما تلتبس أحسنهم ضبطاً وخطاً وأحضرهم فهماً دون من كانت تلك صفاته:¹

يلاحظ على اللجنة الرباعية أن الثلاثة مكيون والرابع وهو زيد مدني، وقد نص عثمان على عملهم وهو النسخ فحسب، وقد كان الثلاثة المكيون في ذروة الشباب يعملون مع زيد بن ثابت الذي كان أكثرهم ممارسة لذلك العمل فرضي الله عنهم أجمعين.

4- المنهج المتبع في الرسم حال الاختلاف:

قد لا تتواضع اللجنة الرباعية على رسم القرآن في جميع كلماته، وربما اختلفت وإن في شيء يسير لذا أوكل مهمة القطع في رسم كلمات القرآن - حين الاختلاف - عثمان رضي الله عنه إلى ذي المراس والخبرة زيد بن ثابت، يُدعم ذلك عبارات النص التالية: "وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة".

يفيد نص لفظ الأمر في قول عثمان "فاكتبوه" وجوب رسمه بطريقة نطق قريش، لأن القرآن نزل أول ما نزل بلغتها.

¹ نكت الانتصار لنقل القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، اختصره الصيرفي، تحقيق محمد زغلول سلام، منشأة المعارف الإسكندرية، 1971م، ص369.

قد يتساءل بعضهم: كيف تختلف اللجنة، وأمامهم المصحف الذي يعودون إليه ومنه ينقلون؟ غير أن جوابه يتعلق باللجنة ذاتها. فحين كتب زيد المصحف في الجمع البكري" لم يكن معه مثل هذه اللجنة التي يُظن من اجتماعها على أمر اجتهادي - وهو رسم المصحف - أن تقع في اختلاف، وهذا يدل على أن رسم المصحف لم يكن إلزاماً؛ لأن بينهم اختلاف تنوع في الكتابة - أي: الرسم -، وليس هذا بغريب في علم الكتابة البتة، وما رُوي من أنهم اختلفوا في لفظ (التابوت) هل يكتب بالتاء المفتوحة أو بالتاء المربوطة فإنه يدل على ذلك النوع من الاختلاف"¹.

وقد زاد المسألة وضوحاً ابن ناصر الطيار وهو يقف على هذه العبارة، وجعل ذلك من باب الفائدة صاغها في مسألتين متعلقتين بنسخ عثمان رضي الله عنه للمصاحف².

أولاهها: أن الأصل في القرآن المسموع المحفوظ في الصدور لا المرسوم في السطور، فإذا ما أثبت الرسم كلمة برسم معين فهو لا يعني ألا تُقرأ بما ثبت أي بغير رسمها، لأن المَعُول عليه المحفوظ في الصدور وهو الأصل ويُعدُّ الرسم فرعاً عنه، ويمكن الاستشهاد لذلك بعدة أمثلة قرآنية.

1- فقد رسم في جميع المصاحف لفظ (بضنين) بضاد، في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَىٰ أَعْيُنٍ بِضَنِينَ﴾ [التكوير:24]، غير أن القراءة منهم من قرأها بالضاد كما هو خط المصاحف جميعها، ومنهم من قرأها بالظاء التي لم يكن لها أثر في مرسوم المصاحف، ولكل قراءة تخريج في المعنى.

¹ المحرر في علوم القرآن، ص160.

² ينظر: المصدر نفسه، ص160-161.

2- ورسم في جميع المصاحف لفظ (الصراط) بالصاد وقد قرئ قوله تعالى: "اهدنا الصراط المستقيم" بالصاد، والسين، وإشمام الصاد زائلاً¹.

3- ورسم في جميع المصاحف (لأهب لك) غير أنه قرئ بالياء (ليهب) لكن عولجت الكلمة - بغية التوضيح - برسم ياء كالياء المردودة إلى خلف فيما زيد في هاء الضمير مثل كتابة (به ي)، فألحقوا بها ياء بهذا الشكل (لاهب) أو (ليهب) وكان الأداء بياء المضارعة الدالة على الغائب على خلاف الهمزة الدالة على المتكلم في رسم (لأهب).

وينشأ عن هذه المسألة مسألة أخرى وهي أن الكتابة حين رسموا المصحف لم يقصدوا برسمهم ما يستوعبه مرسوم القراءات، فقد يضمنون القراءات باختلافها في المصاحف، وقد يقتصرون على رسم واحد فقط، فمن الأمثلة التي جاءت برسمين حسب القراءة لفظة (ووصى) وهي برواية حفص، وكتبت في مصاحف أخرى برواية ورش عن نافع (وأوصى) وهنا يلاحظ زيادة الألف بعد الواو - أي الهمزة.

كما يلاحظ على مرسوم المصاحف العثمانية في وقت الصحابة أنها كانت مجردة من النقط والشكل والضبط، لذا لا يقال عن لفظة "نُنشِرُهَا" بالزاي أنها كُتِبَتْ في المصحف برواية حفص بشاكلة وفي المصحف الآخر برواية ورش بحرف الراء؛ لأن ضابط المسألة لا يغلب حرفاً على آخر فما دام الحرف لم ينقط يحتمل القراءتين، لكن حين اختُرِعَ الإعجام الفارق بين الأحرف المتشابهة في الرسم بان الأمر واتضح فصار من يقرأ بالراء على قراءة ومن يقرأ بالزاي على القراءة الأخرى. فصلحت - بصلاح الرسم - أن تقرأ الكلمة ﴿نُنشِرُهَا﴾

¹ ينظر: معجم القراءات القرآنية، ج1/11.

﴿نُنشِرُهَا﴾ ، من قوله تعالى: ﴿وَأَنْظِرْ إِلَى الْعِظْمِ كَيْفَ نُنشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا
لَحْمًا﴾ [البقرة: 259].

ثانيها: أن لمفهوم الأحرف السبعة أثراً في فهم عمل هذه اللجنة.

يظهر ذلك الأثر في فهم كيفية رسم المصحف في عمل الصحابة سواء بالنظر إلى جعل اختلاف الصوتيات الحادث أثناء القراءة من إظهار وإدغام وفتح وإمالة وغيرها من التلوينات الصوتية مُعتبراً ذلك من الأحرف السبعة، فإن عملية الكتابة لا تحكمه جميعه، فمن قارئ بالإمالة ومن قارئ بالفتح ومن قارئ بالتحقيق ومن قارئ بالتسهيل وهذا أمر يتناوله الضبط، وهو ما يكون خارجاً عن رسم المصحف.

5- إلزام الناس بما نُسخ من مصحف الصديق وأمرهم بتحريق مصاحفهم.

رَسَخَت هذه الفكرة عبارة النص: "وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق".

يُعدّ هذا الإلزام أمراً مهماً للغاية، فهذا القرآن الذي قرأ به رسول الله ﷺ وكتب في عهده، وكانت عليه العرضة الأخيرة، وجمعه أبو بكر رضي الله عنه في مصحف ثم نُسخت منه اللجنة التي اختارها عثمان، وما عداه فهو مما تُرك في العرضة الأخيرة ولم يُقرأ به... لكن لما أجمع الصحابة على هذا المصحف، عُلِم أنه هو الذي ثبت في العرضة الأخيرة فحسب، وما عداه مما قد تنقله كتب الآثار يكون مما تُرك لا محالة"¹.

وأصبح هذا الإلزام سداً مانعاً للخلاف، فلو خرج شامي وعراقي مرة أخرى وأثبت كلاهما قراءته بما نسخ عثمان رضي الله عنه وبعث به، فإن الحال هنا إلى

¹ المحرر في علوم القرآن، ص 162.

أن الصادر عن المدينة مما اتفق الصحابة على قرآنيته بهذا الاختلاف الثابت فيه. أما قبل هذا فلم يكن لهم مرجع معين، لذا كل ينسب القراءة إلى من كان قرأ عليه من الصحابة، وهم معذورون يومها إذا قرؤوا بالثابت والمتروك لعدم علمهم بتركه.

وبهذا بدا واضحاً خلاف عمل عثمان عن عمل الصديق رضي الله عنهما، ولا شك أن سيدنا عثمان رضي الله عنه وضع دستوراً - وقد فصل فيه قبل قليل - في كتابة المصاحف تظهر معالمه من خلال ما يقتطفه البحث من كتاب (مناهل العرفان)، قال الزرقاني: "ومما تواضع عليه هؤلاء الصحابة أنهم كانوا لا يكتبون في هذه المصاحف إلا ما تحققوا أنه قرآن، وعلموا أنه قد استقر في العرصة الأخيرة، وما أيقنوا صحته عن النبي ﷺ مما لم ينسخ، وتركوا ما سوى ذلك نحو قراءة "فامضوا إلى ذكر الله" بدل كلمة "فاسعوا" ... إلى غير ذلك".

ويضيف ذاكرةً سبب نسخهم مصاحف عدة فيقول: "وإنما كتبوا مصاحف متعددة، لأن عثمان رضي الله عنه قصد إرسال ما وقع الإجماع عليه إلى أقطار بلاد المسلمين... وكتبوها متفاوتة في إثبات وحذف وبدل وغيرها... وجعلوها خالية من النقط والشكل... فكانت بعض الكلمات يُقرأ رسمها بأكثر من وجه عند تجردها من النقط والشكل نحو (فتبينوا) من قوله تعالى: ﴿إِن جَاءَكُمْ بِبَيِّنَاتٍ فَبَيِّنُوا﴾ [الحجرات:6] فإنها تصلح أن تُقرأ "فتثبتوا" عند خلوها من النقط والشكل وهي قراءة أخرى.

أما الكلمات التي لا تدل على أكثر من قراءة عند خلوها من النقط والشكل مع أنها واردة بقراءة أخرى أيضاً، فإنهم كانوا يرسمونها في بعض المصاحف برسم يدل على قراءة، وفي بعض آخر برسم آخر يدل على القراءة الثانية كقراءة "وصى"

بالتضعيف و"أوصى" بالهمز، وهما قراءتان في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَوْصِي بِهَا
إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ﴾ [البقرة: 132].

وأشار إلى أن الكتابة لم يجمعوا في مصحف واحد قراءتين أو أكثر لتلك
الكلمات التي اتحد رسمها واختلف لفظها فقال عنهم: "وكانوا يتحاشون أن يكتبوه
بالرسمين في مصحف واحد خشية أن يُتوهم أن اللفظ نزل مكرراً بالوجهين في
قراءة واحدة وليس كذلك.

وكذلك كانوا يتحاشون أن يكتبوا هذا اللفظ في مصحف واحد برسمين -
والنص للزرقاني -: "أحدهما في الأصل والآخر في الحاشية، لئلا يُتوهم أن الثاني
تصحيح الأول".

ويبرز سبب انتهاج الصحابة هذا الطريق في رسمهم المصحف أو المصاحف
في قوله: "والذي دعا الصحابة إلى انتهاج هذه الخطة في رسم المصاحف وكتابتها
أنهم تلقوا القرآن عن رسول الله ﷺ بجميع وجوه قراءاته وبكافة حروفه التي نزل
عليها، فكانت هذه الطريقة أدنى إلى الإحاطة بالقرآن على وجوهه كلها حتى لا
يقال: إنهم أسقطوا شيئاً من قراءاته، أو منعوا أحداً من القراءة بأيّ حرف شاء على
حين أنها كلها منقولة نقلاً متواتراً عن النبي ﷺ. ورسول الله ﷺ يقول: "فأيّ ذلك
قرأتم أصبتم فلا تماروا".

ثم يختم الزرقاني هذا المبحث بخلاصة تحت عنوان "فذلّة" لخص فيها أهم
مراحل جمع القرآن الكريم الثلاث وما تميزت كل مرحلة فيقول: "نستطيع مما سبق
أن نفرق بين مرات جمع القرآن في العهود الثلاثة: عهد النبي ﷺ، وعهد أبي بكر
الصديق رضي الله عنه، وعهد عثمان رضي الله عنه، فالجمع في عهد النبي ﷺ كان

عبارة عن كتابة الآيات وترتيبها ووضعها في مكانها الخاص من سورها، ولكن مع بعثرة الكتابة وتفرقتها بين عصب وعظام وحجارة ورقاع ونحو ذلك حسبما تيسر أدوات الكتابة، وكان الغرض من هذا الجمع زيادة التوثيق للقرآن، وإن كان التعويل أيامئذٍ كان على الحفظ والاستظهار.

أما الجمع في عهد أبي بكر رضي الله عنه فقد كان عبارة عن نقل القرآن وكتابه في صحف مرتب الآيات أيضاً، مقتصراً فيه على ما لم تنسخ تلاوته مستوثقاً له بالتواتر والإجماع، وكان الغرض منه تسجيل القرآن وتقييده بالكتابة مجموعاً مرتباً، خشية ذهاب شيء منه بموت حملته وحفظه.

أما الجمع في عهد عثمان - رضي الله عنه - فقد كان نقل ما في تلك الصحف في مصحف إمام واستنساخ مصاحف منه تُرسلُ إلى الأفاق الإسلامية ملاحظاً فيها تلك المزايا السالف ذكرها مع ترتيب سوره وآياته جميعاً. وكان الغرض منه إطفاء الفتنة التي اشتعلت بين المسلمين حين اختلفوا في قراءة القرآن، وجمع شملهم وتوحيد كلمتهم، والمحافظة على كتاب الله تعالى من التغيير والتبديل، ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْقَبْرُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: 64]

قبل ختم هذا المبحث يُوردُ البحث في سطور قليلة الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان مؤداه؛ أن الجمع في عهد الصديق كان عبارة عن نقل القرآن وكتابه في مصحف واحد مرتب الآيات، جمعه في اللخاف والعصب والرقاع وكان سبب ذلك الجمع موت الحُفاظ، وأما جمع عثمان فقد كان عبارة عن نسخ عدة نسخ من

مصحف الصديق لترسل تلك النسخ إلى الأفاق الإسلامية وكان سبب الجمع اختلاف القراء¹.

وقد لا نقف على العدد النهائي للمصاحف التي نسخها عثمان رضي الله عنه؛ فمن قائل إنها أربع نسخ وبعضهم بلغ بها إلى ثماني نسخ، وقد ذكر الداني في (المقنع) ذلك العدد بإيعازه إلى ما قاله العلماء، قال أبو عمرو: "أكثر العلماء على أن عثمان بن عفان رضي الله عنه لما كتب المصحف جعله على أربع نسخ، وبعث إلى كل ناحية من النواحي بواحدة منهن، فوجه إلى الكوفة إحداهن وإلى البصرة أخرى، وإلى الشام الثالثة، وأمسك عند نفسه واحدة. وقد قيل إنه جعله سبع نسخ، ووجه من ذلك أيضاً نسخة إلى مكة، ونسخة إلى اليمن، ونسخة إلى البحرين، والأول أصحّ وعليه الأئمة"².

يتبين أن الداني رجح العدد الرباعي لأن أكثر العلماء قال بذلك، ويختتم هذا المبحث الجمعي - وبخاصة في مرحلتي جمع الصديق وجمع عثمان رضي الله عنها - بما ختم به صاحب (أحكام المصحف، دراسة فقهية مقارنة) إذ قال: "وأياً ما كان فإن كلا الجمعين تحقيق لوعده الله تعالى بحفظ الذكر الحكيم بين دفتي المصحف، ونشره في أصقاع الدنيا دون أن يكون هناك اختلاف أو تحريف، حتى غدا هذا المصحف أحكم وأدقّ وثيقة عرفها الإنسان عبر الأزمان"³.

¹ يُنظر: البيان في علوم القرآن، محمد الصابوني، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى، 1405هـ/1985م، ص 61.

² المقنع، في معرفة مرسوم مصاحف الأمصار لأبي عمرو الداني، تحقيق جمال السيد رفاعي - المكتبة الأزهرية للتراث - القاهرة، الطبعة الأولى، 1428هـ-2007م ص 29.

³ أحكام المصحف، دراسة فقهية مقارنة، رسالة ماجستير (مخطوط)، أعدها الباحث نزار محمد رامي في كلية الشريعة بدمشق، ص 179.

ولما كان هذا المصحف الذي رُسم في عهد عثمان رضي الله عنه ونال قبول كل المسلمين وسيبقى كذلك، وإن ادعى بعض الجهلة أو المغرضين أن رسمه لا يقدر عليه إلا متمرس، سيبقى رسمه رسماً توقيفياً يجب على الأمة ألا تغيره إذا كتبت مصاحف، وعليه فإن مباحث الفصل التالي ستتناول هذه الظاهرة، من حيث مصطلحها ومصادرها وموقف علماء السلف من ظواهرها.

الفصل الثاني:

الرسم القرآني، مصادرُه

وموقف علماء السلف من

نصواته وقواعده

الفصل الثاني : الرسم العثماني ، مصادره وموقف علماء

السلف من ظواهره وقواعده

أولاً: الرسم في اللغة والاصطلاح

1- الرسم لغة :

عُرِّفَ الرسم بأنه الأثر، جاء في معجم "العين" "الرسم: بقية الأثر. وترسّمت نظرت إلى رسوم الدار، والرؤسم: لُويحُ فيه كتاب منقوش يختم به الطعام. وناقاة رَسُوم ترسُم رسماً أي تؤثر في الأرض من شدة وطئها"¹.

قال ابن منظور: "الرسم الأثر وقيل بقية الأثر، وقيل: هو ما ليس له شخص من الآثار، وقيل: هو ما لصق بالأرض منها...والجمع أرسم ورسوم. ورسم الغيث الدار: عفاها وأبقى فيها أثراً لاصقاً بالأرض...

وترسّم الرسم: نظر إليه... والرؤسم: كالرسم... والرؤسم: خشبة فيها كتاب منقوش يختم به الطعام، وهو بالشين المعجمة أيضاً...ورسم على كذا ورشم إذا كتب... والرؤاسيم: كتبٌ كانت في الجاهلية... وثوب مرسمٌ بالتشديد مخطّط...والرسمُ حُسْنُ المشي"².

وجاء في القاموس المحيط: "الرسم: ركية تدفنها الأرض، والأثر أو بقيته، أو ما لا شخص له من الآثار، ... ورسم الغيث الديار: عفاها وأبقى أثرها لاصقاً

¹ معجم العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، الطبعة الثانية، 1409هـ، مادة "رسم".

² لسان العرب، مادة "رسم".

بالأرض...وعلى كذا كتب... والرواسم كتب كاتب كانت في الجاهلية...وثوب
مُرسَم كمعظم مخطط.

رشم: كتب... والأرشم: الذي به رشم وخطوط"¹.

يجمع بين هذه التعاريف الثلاثة معنى مشترك انحصر في لفظ "الأثر" وبالنظر
إلى مدلول هذه الكلمة فهي تقي الشيء من الزوال والاندثار فالأثر باق.

ولم تشذ التعاريف عما عرف به الخليل بن أحمد (ت170هـ) فأعاد غيره
مضمون ما كان قد أتى على ذكره، غير أن صاحب اللسان والقاموس المحيط يبدو
أنه صبغ العبارة بصبغة ما أطلق عليه العرب للفظه من وظيفة، في عبارته: "وعلى
كذا كتب" وأضاف إلى المصطلح لفظة أخرى شابهتها رسماً قبل النقط، فالعبارة قد
تقرأ "رسم" و"رشم" إذا أخذنا بمبدأ الرسم قبل الإعجام أي قبل إحداث النقط
والشكل.

وحين تعرض الشيخ عبد الكريم إبراهيم عوض صالح إلى مفهوم رسم
المصحف عرفه من حيث اللغة بما شاع عند القدامى في معاجمهم، وأضاف أنه
يقال "رسم على كذا ورسم إذا كتب ومنه رسم الكتاب أي كتبه وخطه، والرسم
بهذا المعنى مصدر أريد به اسم المفعول بمعنى المرسوم.

ويُرادف الرّسم ألفاظ منها: [الخط، والكتابة، والهجاء، والإملاء]. فهذه
الألفاظ وردت في اللسان العربي للدلالة على تمثيل الألفاظ برموز مكتوبة"².

¹ القاموس المحيط رسم ج4/120.

² المتحف في رسم المصحف، عوض صالح، دار الصحابة للتراث بطنطا، ط1. 1427هـ - 2006م،
ص8.

يتلخَّص ممّا سبق أن رسم المصحف هو العلامات الحرفية المنقوشة فيه أي المكتوبة وهي خطه، أو كتابته.

ولابد من الوقوف على التفريق بين الرسم والخط.

فالخط هو الطريقة المستطيلة في الشيء، والطريق الخفيف في السهل وجمعه خطوط وأخطاط.

وقد ورد في بعض الكتب استعمال الخط والرسم بمعنى واحد، لكنهما في الحقيقة يختلفان؛ فالخط متعلق بتصوير حروف الكلمات من حيث شكلها، وأما الرسم فمتعلق بتصوير حروف الكلمات من حيث تركيبها وترتيبها ووصلها وفصلها وسُمّي الخط الذي كتب به العرب بالخط الأنباري الحيري، ثم سمي بعد انتقاله إلى الحجاز بالحجازي، وهو ما كتب به المسلمون الوحي بين يديه ﷺ، وكتبوا به صحف الصديق والمصاحف العثمانية.

2- الرسم اصطلاحاً :

يجدر بالبحث أن يذكر قسمي الرسم الذين يسيرون جنباً إلى جنب يتأثر أحدهما بالآخر، لأنه ما دام الرسم يرادفه استعمال مصطلحات الكتاب والخط والهجاء والإملاء، فإن الرسم إما قياسي وإما اصطلاحى.

فالرسم القياسي كما عرفه محمد علي الضباع: "تصوير اللفظ بحروف هجائه بتقدير الابتداء به والوقوف عليه. وأصوله خمسة:

1- تعيين نفس حروف الهجاء دون أعراضها.

2- عدم النقصان منها.

3- عدم الزيادة عليها.

4- فصل اللفظ عما قبله مع مراعاة الملفوظ به في الابتداء.

5- فصله عما بعده مع مراعاة الملفوظ به في الوقف"¹.

ولا تختلف هذه الأصول الخمسة في الرسم الاصطلاحي إلا قليلا كرسـم الواو وهي زائدة في كلمات معدودات كالصلاة والزكاة والحياة حيث رسمت في المصحف على الشاكلة الآتية: "الصلوة، الزكوة الحيواة".

وأما الرسم الاصطلاحي ويقال له رسم المصحف، و"الرسم القرآني" و"الرسم العثماني".

عرف الزرقاني رسم المصحف بقوله: "رسم المصحف يراد به الوضع الذي ارتضاه عثمان رضي الله عنه في كتابة كلمات القرآن وحروفه".

والأصل في المكتوب أن يكون موافقاً تمام الموافقة للمنطوق، من غير زيادة ولا نقص، ولا تبديل ولا تغيير، لكن المصاحف العثمانية قد أهمل فيها هذا الأصل، فوجدت بها حروف كثيرة جاء رسمها مخالفا لأداء النطق وذلك لأغراض شريفة..."²

ولا يخرج ما ارتضاه الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه (ت35هـ) عما كان مكتوبا في صحف أو جمع الصديق، ولم يتدع نظاماً معيناً خالف به ما كتب به الكتبة في الجمعين الذين سبقاه؛ جمعُ النبي ﷺ وجمع أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

¹ سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، ص20.

² مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1/369.

وعرفه رؤوف شلبي بأنه "طريقة الكتابة التي أوصى بها سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه ونفذها سيدنا زيد بن ثابت باتفاق اللجنة القرشية والتي أجمعت عليها الأمة من أول أكابرها حتى ذلك الحين".¹

يظهر جلياً من قراءة هذا التعريف أن الرسم القرآني لم يكن من اختراع سيدنا عثمان رضي الله عنه، وإنما اتفق عليه كبار الصحابة، وكان في التنفيذ زيد بن ثابت.

وبقيت هذه الكتابة هي المعتمدة ويقرأ بها المسلمون اليوم وإلى أن تقوم الساعة بعد أن أدخلت عليها تحسينات كالنقط والشكل تيسيراً على الناس في قراءة القرآن.

ويبدو أن تعريف شعبان محمد إسماعيل قد حدد مصطلح الرسم في إسناده إلى ما سُوِّدَت به المصاحف التي نسخت من صحف أبي بكر في عهد عثمان رضي الله عنه. قال: "و الرسم العثماني هو: عبارة عن المصاحف التي نسخها (عثمان بن عفان) رضي الله عنه وأرسلها إلى الأقطار الإسلامية، وكانت مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة، وكانت مجردة من النقاط والشكل محتملة لما تواترت قرآنيته، واستقر في العرضة الأخيرة، ولم تُنسخ تلاوته".²

جمع هذا التعريف قضايا رسمية كتابية عدة، تشير إلى ما يجب توافره في قبول ما يُكتب في مصاحف عثمان رضي الله عنه، وأشار التعريف إلى سِمة تلك

¹ جواهر العرفان في الدعوة وعلوم القرآن، رؤوف شلبي، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1406هـ-1986م، ص381.

² القراءات أحكامها ومصادرها، شعبان محمد إسماعيل، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1424هـ-2004م، ص84.

المصاحف من حيث كونها خاليةً من النقط والشكل لغرض احتوائها للقراءات السبع.

وفي محاولة لحسن سري مقارباتية للوقوف على إطلاقات اصطلاحية في الرسم فرقت بين قضايا اصطلاحية ثلاث كما جاءت في سطور المؤلف قال:

"فإذا قيل (الرسم العثماني) فالمقصود به الوضع الذي ارتضاه عثمان رضي الله عنه في كتابة كلمات المصاحف وحروفه، وأجمع عليه صحابة رسول الله ﷺ الذين عاصروا نسخ وجمع الصحف التي كتبت في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه في مصحف واحد هو المصحف العثماني.

وإذا قيل (علم الرسم) فالمقصود به القواعد والأصول التي استنبطها علماء الرسم من تتبُّع ألفاظ القرآن وحروفه، والتي من شأنها أن تمنع الخطأ أو التغيير في كتابة المصحف على النحو الذي ارتضاه عثمان والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

أما إذا قيل رسم القرآن فالمراد به الصور والرسوم التي كتب بها القرآن منذ عهد رسول الله ﷺ، فهذا التعبير الأخير عام يتناول القرآن منذ نزول الوحي، كما يتناول كذلك الرسم العثماني، ولا شك في أن الرسم بهذا المعنى قد وُجد منذ عهد الرسول -ﷺ-¹.

مما سبق من هذه الإطلاقات التي أوردها صاحب هذا النص يبدو جلياً أن رسم القرآن أشمل من الرسم العثماني؛ لأن القرآن كان بتلك الطريقة في عهده ﷺ وفي عهد الصديق رضي الله عنه، ثم أعيدت كتابته في خلافة عثمان من غير أن

¹ الرسم العثماني للمصحف الشريف، مدخل ودراسة حسن سري، مركز الإسكندرية للكتاب، الطبعة الأولى، 1418هـ-1998م، ص 5-6.

يحدث فيه تغيير أو تبديل، فاصطلح الناس منذئذ على ذلك الرسم الذي أقره وارتضاه عثمان رضي الله عنه.

تجدر الإشارة هنا مادام الحديث عن مصطلح الرسم إلى أن اللغة العربية عرفت عددًا كبيرًا من الكلمات أفادت في دلالتها على تمثيل منطوقها من الألفاظ برموز كتابية، إلا أن أشهرها استعمالاً - كمصطلح - هي [الكتاب والخط والهجاء والرسم].

وقد شهدت هذه المصطلحات تطوراً عبر القرون من جهة استخدامها، وكان السبق لمصطلح [الكتاب] الذي هو أحد مصادر كتب، فاستخدم أولاً دون غيره علماً على رسم المصحف وكتابة الكتاب على السواء¹، وبقي هذا المصطلح طيلة القرنين؛ الأول والثاني الهجريين، وربما امتد استخدامه أطول زماناً من ذلك غير أنه نافسه مصطلح آخر من مصادر كتب أيضاً، وهو مصطلح [الكتابة].

أما المصطلحان التاليان للكتاب - ترتيباً - فربما ظهرا في وقت مبكر وهما مصطلحا [الخط والهجاء] وصار مصطلح الخط يطلق على الكتابة عامة، وظهر مصطلح (خط المصحف)، لكن الملاحظ أن مصطلح (الخط) صار أكثر دلالة على الجانب الفني للكتابة وصناعة الخطاطين.

وإذا انتقلنا إلى مصطلح الهجاء، وهو المشتق من هجوت الحروف وتهجيتها هجواً وهجاء²، فيعني به تقطيع اللفظة بحروفها، أو التلفظ بأسماء الحروف لا مسمياتها لبيان مفرداتها، حيث تقول مثلاً إذا سئلت: ما هجاء بكر؟ فيقول المجيب: باء وكاف وراء، وبذلك يعد الهجاء بمثابة تعداد حروف الكلمة

¹ ينظر: رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية. غانم قدوري ص 155-156.

² ينظر: لسان العرب، مادة هجاء.

المكتوبة، وكأنه قراءة توضيحية لرسم حروف الكلمة أو هو إملاؤها كتابياً أو نطق حروفها ابتداءً ووقفاً.

ومما يلاحظ أن معظم المصادر الأولى المؤلفة في موضوع الخط والكتابة عرفت بكتب (الهجاء) أو هجاء المصاحف، ولذلك اعتبر مصطلح (الهجاء) أخص من مصطلح الخط، يلمس ذلك من خلال عبارة أحد الكتاب القدامى حين قال: "... لئلا يطول الكتاب بما يخرج من حد الهجاء إلى غيره..."¹

وإذا أرخنا لمصطلح الرسم العثماني أو رسم المصحف فإن ظهوره - على ما يبدو - جاء في وقت متأخر نسبياً، إذ أن كافة المعاجم اللغوية لا تشير لمادة "رسم" إلى معنى يتعلق بالخط²، وربما كان استعمال الرسم ليدلوا به على خط المصحف، ومنه تأتي الإشارة إلى معنى الأثر القديم الذي ما فتى المسلمون يحرصون على المحافظة عليه لذلك ظهر عندهم مصطلح (مرسوم الخط) و(مرسوم خطوط المصاحف) والرسم وما يشتق من هذه المادة.

وقد طغى على كتاب أبي عمرو الداني (ت444هـ) مصطلحات الكتابة كافة وبدا نزوعه الشديد إلى استخدام مادة (رسم) للدلالة بقوة على خط القرآن من ذلك عباراته: "كذلك اتفقوا على أن رسموا ألفا بعد الشين في قوله ﴿النَّشْأَةُ﴾ في [العنكبوت:20]، [النجم:47]، [الواقعة:62]".

"واجتمع أيضا كتاب المصاحف على رسم النون الخفيفة ألفاً".

¹ رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية. ص156.

² ينظر: مادة رسم في المعاجم التالية: لسان العرب والجمهرة والصحاح.

"وكذلك رسموا التنوين نونا في قوله ﴿وَكَأَيِّن﴾ حيث وقع وذلك على مراد الوصل"¹.

وجاءت عناوين أبواب الكتاب متضمنة لفظ (رسم) من ذلك:

"باب ذكر ما رسم بإثبات الألف على اللفظ أو المعنى " المقنع ص 62.

"باب ذكر ما رسم بإثبات الياء على الأصل " المقنع ص 70.

"باب ذكر ما رسم بإثبات الياء زائدة أو لمعنى " المقنع ص 72.

"باب ذكر ما رسمت الألف واوا على لفظ التفخيم ومراد الأصل " المقنع ص 79.

"باب ذكر ما حذف إحدى اللامين في الرسم لمعنى..." المقنع ص 91.

"باب ذكر ما اتفقت على رسمه مصاحف أهل العراق " المقنع ص 119.

وفي الفترات التي تلت عصر الداني بدأ مصطلح الرسم يتخصص بخط المصحف حتى غلب استعمال مصطلح الرسم على خط المصاحف.

ومن العلماء المتأخرين من أطلق على المصطلح هجاء المصاحف مصطلح الرسم أو المرسوم ونجد ابن مالك (ت672هـ) يستخدم مصطلح الرسم السلفي.

وتحدث ابن خلدون (ت808هـ) عن فن الرسم فقال: "وربما أضيف إلى فن

القراءات فن الرسم وهي أوضاع حروف القرآن في المصحف ورسومه الخطية"²

وقد سمي القلقشندي باسم المصطلح الرسمي وقال إنه سمي أيضا المصطلح

السلفي³ في مقال المصطلح العرفي.

¹ المقنع في رسم مصاحف الأمصار. الداني. ص 68.

² المقدمة ابن خلدون مج: 2/ 531.

³ صبح الأعشى، ج3/172.

وقد ظهر مصطلح الإملاء أو الرسم الإملائي مرادفاً للخط والهجاء " ورغم تلك المعاني الخاصة التي لا بدت استخدام كل مصطلح إلا أنها ظلت جميعاً تُستعمل كمرادفات بصورة عامة، إلا مصطلح الرسم المصحفي الذي أصبح خاصاً بخط القرآن.

وتجب ملاحظة أن رسم المصحف كثيراً ما ينسب إلى الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه فيقال الرسم العثماني، ولا شك في أن ذلك جاء بعد إرسال المصاحف التي انسخت في المدينة بأمره رضي الله عنه إلى الأمصار فارتبط اسمه بتلك المصاحف وبطريقة الكتابة فيها.

وإذا أطلقنا (الرسم العثماني - والكلام ما يزال للمؤلف - فغالباً ما نقصد الرسم المجرد قبل أن يكمله العلماء، وهو ما يعرف بعلم الرسم، أي ما خطه الصحابة رضوان الله عليهم حيث نسخوا المصاحف، أما إذا أطلق "الرسم المصحفي" فغالباً ما ينصرف إلى كل من الرسم والضبط).¹

يكشف هذا النص عن حقيقة توظيف المصطلحين، مصطلح علم الرسم الذي بموجبه كتب الصحابة في الجمع النبوي والجمع الصديقي ثم الجمع العثماني وامتاز رسم كلمات المصاحف بميزات سيأتي على ذكرها البحث لاحقاً لعل أهمها أن المصاحف خلت من النقط والضبط.

أما مصطلح الرسم المصحفي فيكاد ينحصر في ما كتبه الصحابة حين استنسخوا المصاحف وما زاد عليه من تلاهم من تكميلات تسهيلية لعملية القراءة من غير أن يخلوا بنظام الرسم العثماني، ومن هنا تبقى أهمية الرسم العثماني

¹ - رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، ص 157.

لُحْتَدَى به في نسخ المصاحف وإن زيد فيه تلك الزيادات التي رأى فيها علماء الأمة خيرا وحظيت بالقبول عندهم ولم تُنكَر بالجملة.

ومادام البحث يتناول جانب الرسم المصحفي فلا بد أن يعرَّج على نوع الخط الذي كانت تكتب به المصاحف، فقد لوحظ بصورة عامة غلبة ما اصطلح على تسميته بالخط الكوفي - كما أشار غانم قدوري - وهو يتناول الموضوع في شقه التاريخي، وذلك "في مصاحف القرون الهجرية الأولى، إلا أن غلبة الخط الكوفي في رسم المصاحف بدأت تنحسر أمام الخطوط اللينة خاصة النسخي منذ القرن الرابع الهجري، ومع ذلك امتد استخدام الكوفي حتى القرن السادس الهجري، وكان أهل المغرب قد طوروا نوعا من الخط الكوفي شيئا قليلا، فتولد عنه ما يعرف الآن بالخط المغربي".

يعد هذا الأمر أمراً مسلماً به، فقد لا يفلح المرء - وبخاصة إذا كان بعيدا عن القرآن حفظا وقراءة - في قراءة ورقة كتبت في القرون الأربعة الهجرية الأولى، ففي أحرف تلك الكلمات لا يفرق بين رائها ونونها ودالها، سيما وهي غير معجمة نقطا أو ضبطا.

ونود هنا أن نثبت مصطلحات فنية كثر مجيئها عند علماء الرسم منها¹:

1- الإثبات ضد الحذف.

2- الاختلاس ويقال له الاختطاف: وهو الإسراع بالنطق بالحركة إسراعا يظن

السامع أن الحركة قد ذهبت من اللفظ لشدة الإسراع.

¹ استفاد البحث في جمعها من: المقنع للداني، ومعجم علوم القرآن تأليف إبراهيم محمد الجرمي وعول أكثر على ما جاء في كتاب إرشاد القراء والكتابين إلى معرفة رسم الكتاب المبين للمخللاتي المتوفى سنة 1311هـ ج 1، ص 61-67.

3- الإسكان: وهو عبارة عن تفرغ الحرف من الحركات الثلاث وهو ضد التحريك.

4- أَلَفَاتِ الْقَطْعِ هي: همزات القطع.

5- أَلَفَاتِ الْوَصْلِ هي: همزات الوصل.

6- الألف الفاصلة هي: ألف الفصل التي تكون بين همزتين.

7- الألف المبطوحة الصغرى هي: الفتحة.

8- الإمام هو: المصحف الذي أمسكه عثمان رضي الله عنه لنفسه، وقيل كل المصاحف العثمانية تسمى بالإمام.

9- البصري هو: المصحف الذي أرسله سيدنا عثمان رضي الله عنه إلى أهل البصرة.

10- تتابع التنوين هو: جعل علامة التنوين أمام علامة الحركة.

11- التخفيف الرسمي: تخفيف الهمزة عند الوقف للإمام حمزة القارئ إتباعاً لخط المصحف.

12- تركيب التنوين هو: جعل علامة التنوين فوق علامة الحركة.

13- التسهيل هو: عبارة عن تغير يدخل الهمزة إما بتسهيلها بين أو بالحذف أو البدل وهو بهذا المعنى مرادف لتخفيف الهمز.

14- التنوين: هي نون ساكنة تلحق آخر الاسم تظهر باللفظ وتسقط في الخط.

15- الجرة الصغرى: هي صلة توضع على الحرف للدلالة على أنه ساكن، وتسمى الدارة اللطيفة.

16- الحجازي هو: عبارة عن مصحفي أهل المدينة وأهل مكة الذين بعث بهما عثمان بن عفان إلى هاتين البلديتين.

17- الحرميان هو: عبارة عن مصحفي أهل المدينة وأهل مكة الذين بعث بهما عثمان بن عفان إلى هاتين البلديتين.

18- الحذف هو: إسقاط أحد حروف الهجاء الخمسة التي هي حروف المد الثلاثة واللام والنون.

19- حذف الاختصار ويطلق عليه حذف التقليل وهو: ما لا يختص بكلمة دون مماثلتها فيصدق بما تكرر من الكلمات وما لم يتكرر منها كحذف ألف جموع السلامة.

20- حذف الإشارة هو: ما يكون موافقا لبعض القراءات وذلك بالإشارة إلى قراءات أخرى.

21- حذف الاقتصار وهو: ما يختص بكلمة أو كلمات دون نظائرها.

22- الخاص: هو المصحف الذي أمسكه عثمان رضي الله عنه لنفسه.

23- الخط العثماني ويقال له الخط المصحفي والرسم القرآني والرسم العثماني هو: الرسم المخصوص الذي كتبت به حروف القرآن وكلماته أثناء كتابة القرآن في جميع مراحل الثلاث، ويسمى الرسم الاصطلاحي.

24- الخلاف المغتفر هي: المخالفة غير الصريحة للرسم، المقبولة من لدن العلماء.

25- الخلاف غير المغتفر هي: المخالفة الصريحة للرسم مما يرفضه العلماء.

- 26- الدائرة المحلاة هي: الدائرة في جوفها رقم تدل بهيئتها على انتهاء الآية وبرقمها تدل على عدد تلك الآية في السورة.
- 27- الدارة هي: الصفر اللطيف الذي يكون على الحروف الزوائد والحروف المخففة وتسمى الدارة الصغرى.
- 28- الرسم هو: تصوير اللفظ بحروف هجائه بتقدير الابتداء والوقف عليه.
- 29- الرسم القياسي هو: ما طابق فيه الخط اللفظ.
- 30- الرسميات هي: المصنفات المشتملة على الرموز المتعلقة برسم المصحف الشريف وضبطه.
- 31- الرقاع جمع رقعة وهي: القطعة من ورق أو جلد أو نحو ذلك. وهو من الأدوات التي كتب عليها القرآن في العهد النبوي.
- 32- الزيادة هي: ما يزداد من حروف المد في الرسم العثماني.
- 33- السكون: دائرة تجعل فوق الحروف السواكن منفصلة عنه وله علامات أخرى كالجرة الصغرى والخاء والهاء، وقد يطلق السكون بمعنى الإسكان هو تفرغ الحرف من الحركات الثلاثة كما تقدم.
- 34- الشامي: المصحف الذي أرسله سيدنا عثمان رضي الله عنه إلى أهل الشام.
- 35- الشدّ: شين غير معرقة ولا مجرورة ولا منقوطة وتكون فوق الحرف.
- 36- الشكل ويطلق عليه الضبط: وضع الحركات من فتحة وضممة وكسرة وسكون وغيرها.

37- الشكل المستطيل: جعل الضمة واواً صغيرة أعلى الحرف والكسرة ياء تحت الحرف والفتحة ألفا مبطوحة فوق الحرف.

38- الشيخان: الإمام أبو عمرو الداني والإمام أبو داود بن نجاح.

39- الصحف: هي التي جمع فيها القرآن الكريم على عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

40- الصفر المستدير: دارة توضع فوق حرف علة للدلالة على زيادة ذلك الحرف فلا ينطق به في الوصل ولا في الوقف مثل الصفر الذي فوق الواو في " سأؤريكم "

41- الصفر المستطيل: دارة توضع فوق ألف بعدها متحرك يدل على زيادتها وصلاً لا وقفاً نحو "أنا خير".

42- الصلة: جرة صغيرة تجعل بالحمراء فوق ألف الوصل أو تحته أو وسطه وهي مرادفة للجرة.

43- الضبط: علامات مخصوصة تلحق الحرف للدلالة على حركة أو سكون أو مد أو تنوين أو شد أو نحو ذلك.

44- العام: هو المصحف الذي جعله سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه لأهل المدينة المنورة

45- العراقي: المصحف الكوفي والبصري.

46- العسيب وجمعه عسب، أضلاع جريد النخل يكتب عليها قديماً وعليها كتب القرآن في العهد النبوي.

47- العقص: رد الياء المتطرفة إلى خلف أو رد الياء إلى اليمين كما في الياءات الزوائد.

48- القطع: قطع الكلمة عما بعدها رسماً، قطع أديم الجلد المدبوغ وهو من الأدوات التي كتب عليها القرآن في العهد النبوي.

49- الكتبة الأولى: الطريقة التي كتب عليها المصحف في العهد النبوي والبكري والعثماني، وهو رسم المصحف الاصطلاحي.

50- الكرانيف: العشب الغلاظ العراض تبقى في الجذع بعد قطع السعف وهو من الأدوات التي كتب عليها القرآن في العهد النبوي.

51- الكوفي: وهو المصحف الذي أرسله رضي الله عنه إلى أهل كوفة.

52- اللخاف: جمع لخفة الحجر الرقيق الذي يكتب عليه القرآن في العهد النبوي.

53- المدني: وهو المصحف الذي جعله عثمان رضي الله عنه لأهل المدينة.

54- المطة: علامة توضع فوق حروف المد الثلاثة ويقال لها (المط).

55- الموافقة الاحتمالية: هي التي يتوافق اللفظ بها مع المرسوم الموجود في كل المصاحف ويطلقون عليها (ما وافق الرسم تقديراً) لقراءة (ملك يوم الدين) بالمد، أي بمد ميم (ملك) لتصبح (مالك).

56- الموافقة الصريحة: هي التي يتوافق اللفظ بها مع الرسم الموجود في كل المصاحف أو في بعضها، وهي الموافقة التحقيقية للرسم.

57- الموصول: وصل الكلمة بما بعدها رسماً وهو ضد المقطوع.

58- النبر: الهمز.

59- النقط وهي نوعان: نقط الإعجام وهو ما يدل على ذات الحرف بما يميز المعجم من المهمل.

والنوع الثاني نقط الإعراب: وهو ما يعرض للحرف من حركة وسكون وشد ومد. وهو بهذا مرادف للنقطة.

60- النقطة: علامة لحركة الحروف.

61- هاء التأنيث: وهي في القرآن نوعان: المرسومة بصورة الهاء مثل (الرحمة) وهي المسماة بالتاء المربوطة.

والنوع الثاني: المرسومة بصورة التاء وهي المسماة بالتاء المفتوحة أو الممطوطة أو المبسوطة أو المجرورة.

62- الهجاء: هو التلفظ بأسماء الحروف لا مسمياتها.

63- هجاء المصاحف: رسم المصحف.

64- الهمز: مصطلح من الأبواب الهامة في الرسم العثماني، ولصعوبة النطق به لجأت العرب إلى تخفيفه بأوجه متعددة تكفل الرسم العثماني بتصويرها وضبطها

65- الوقص: تعريق الياء المتطرفة إلى قدام هكذا (ي) نحو (هي عصاي) أي خلاف العقص. وجاء في كتاب (معجم القراءات القرآنية) ذكر مصطلحات أخرى¹ مست مصطلح الرسم من قريب وردت بعنوان: مصطلحات فنية لا

¹ ينظر: معجم القراءات القرآنية، لعبد العال سالم وكرم وأحمد مختار عمر ج 1 / 131، ..، 138.

بأس من الإشارة إلى مسمياتها من غير شرح بغية تجنب الإطالة كان من أهم هذه المصطلحات:

فرش الحروف، هاء الكناية، الإدغام بنوعيه، الوقف بأقسامه الأربعة: التام والكافي والحسن والقييح، الروم، الإشمام، الاختلاس، السكت، القطع، التحقيق والتسهيل، النقل، المد وألقابه العشرة، القصر، التحقيق في قراءة القرآن، الحدر، التدوير، الترتيل، التجويد، الفتح والإمالة وبين اللفظين.

ولم يذكر البحث جانبا آخرًا ذا صلة بعلم القراءات، أورده صاحبنا معجم القراءات القرآنية " بضمن عنوان (مصطلحات عامة)¹.

¹ ينظر: المصدر نفسه، ج 1 / 124، ..، 130.

ثانياً : مصادر الرسم العثماني

لم ينل كتاب من الكتب منزلة كانت أو غير منزلة ما ناله القرآن الكريم الذي جاء خاتماً للكتب السماوية، ولم يكن للبشرية من نصيب أوفر وجهد أعظم من ذلك النصيب الذي وجهته الأمة الإسلامية لخدمة نص القرآن الكريم على مدى تعاقب الأجيال منذ أن بدأ يتنزل على الحبيب المصطفى ﷺ وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فلقد سخر العلماء أفكارهم وعقولهم وأقلامهم وألستهم لتدبر القرآن ومدارسته وبحث أسراره، إن من حيث كتابته ورسم حروفه، أم من حيث تلاوته وتحقيق قراءته أم معرفة أحكامه وبيانه.

فمن حيث كتابته ورسم أحرفه، انبرى علماء هذا الفن - أي الرسم - يسجلون في كتبهم ويصفون هجاء كل كلمة جاءت في المصحف، وبخاصة إذا ما تميزت برسم معين، فما أن وصلت المصاحف التي نسخت بأمر من الخليفة عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار الإسلامية حتى سارع المسلمون إلى نسخ مصاحف منها من غير أن يغيروا فيها شيئاً، بل نقلوها حرفاً بحرفٍ وكلمةً بكلمةٍ، وأقاموا مصاحفهم بعرضها عليها.

نص بعض العلماء - ومنهم العقيلي في اللوحة (29) - " على أن القول الحق الذي يجب المصير إليه أنه لا بد لكل من قصد نسخ مصحف من أصل يعتمد عليه، فإن من وكل إلى نفسه في انتحال مصنوع تعب ومل¹".

¹ - رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية ص 163.

وإذا كانت الأمصار في العهود الإسلامية الأولى حين وصلتها المصاحف المنسوخة من قبل سيدنا عثمان رضي الله عنه قد اشتهرت بأئمة وهبوا حياتهم للإقراء، فإن هؤلاء الأئمة وجهوا عنايتهم إلى ضبط رسم المصاحف وإقامتها على نحو ما جاء في المصحف الإمام الذي كان مصدرهم، وهكذا قامت المصاحف المنسوخة مقام الأصول باعتبارها نسخة منقولة عنها¹، فروى الأئمة عن المصاحف العثمانية طريقة رسم الكلمات. وما أن وصلت تلك الرواية إلى عصر انتشار تدوين العلوم - في وقت مبكر - حتى بادر العلماء مسرعين إلى تسجيل تلك الروايات في مؤلفات أصبحت مصدرا لحفظ صور الكلمات في المصاحف ومرجعا يقف إلى جانب المصاحف المنسوخة لكل راغب في نسخ مصحف، ثم يتقدم الزمن لتحل مرحلة جديدة أكثر تقدما من سابقتها، حيث نجد العلماء يعقدون مقارنات بين رسم بعض الكلمات في مختلف مصاحف الأمصار: المدينة والمكية والشامية والعراقية

ولما كانت المؤلفات الأولى في الرسم المصحفي لم يكتب لها أن تصل إلينا ظلت الكتب التي ترجع إلى فترات متأخرة نسبياً تنقل ما جاء في تلك الكتب رواية "فوجد المؤلف يسند ما يذكره في كتابه إلى الأئمة المتقدمين، إضافة إلى ما قد يدونه هو من ملاحظاته ونقله عن مصاحف غيره²".

وقد جمعت مدينة رسول الله ﷺ بين منارتين، منارة للسنن ومنارة للقرآن قراءةً ورسمًا، فكان ممن روي عنهم الرسم من أهل المدينة نزيل الإسكندرية عبد

¹ - ينظر: دليل الحيران شرح مورد الظمان في فني الرسم والضبط، منظومة إبراهيم الشريشي الشهير بالخرّاز بشرح الإمام إبراهيم المارغيني التونسي، دراسة وتحقيق عبد السلام محمد البكاري، دار الحديث، سنة الطبع: 1426هـ-2005م، ص17.

² - رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، ص164.

الرحمن بن هرمز الأعرج (ت 117 هـ أو 119 هـ)، إلا أن نافعاً بن عبد الرحمن بن أبي نعيم أبا رويم (ت 169 هـ) عدَّ إمام المدينة في الرسم، وهو أحد القراء السبعة الأعلام قرأ على سبعين من التابعين¹، لذلك صار أهم من يُعول عليه في نقل الرسم، لأنه ولد بالمدينة، وأقرأ الناس بها بكثير من القراءات وكان المصحف الذي أعطى عثمان رضي الله عنه لأهل المدينة لا يزال عنده فلم يلبث أن يطالعه ويواظب على تصوره إياه في خلده وبذلك لم تُؤخذ حقيقة الرسم إلا عنه، وانتهت إليه رئاسة القراءة بالمدينة.

نقل عنه تلامذته ما رواه في رسم المصحف حتى صاروا أئمة في ذلك إضافة إلى نقولاتهم عن مصاحف المدينة، منهم سليمان بن مسلم بن جماز (تبعده 170 هـ) وإسماعيل بن جعفر المدني (ت 180 هـ) وعبد الله بن وهب (ت 197 هـ) والغازي بن قيس الأندلسي (ت 199 هـ) وعيسى بن مينا قالون (ت 220 هـ)². وكان بالبصرة عاصم بن أبي الصباح الجحدري (ت 128 هـ) روى عنه مُعلّى بن عيسى البصري الوراق³.

وكان ممن رُوي عنه الرسم من أهل البصرة إمام القراءة فيها أبو عمرو بن العلاء (ت 154 هـ). وممن وردت عنه رواية في الرسم من مدينة البصرة أيوب بن المتوكل (ت 200 هـ) ويحيى بن المبارك اليزيدي (ت 202 هـ) وخالد بن خدّاش (ت 224 هـ) وقد رحل بعض هؤلاء من البصرة إلى بغداد.

¹ - ينظر: المصدر نفسه، ص 164.

² - ينظر: المقنع للداني، ص 30.

³ - ينظر: المصدر نفسه، ص 57.

وكان في الكوفة من أئمة رواية الرسم قارئها الإمام أبو عمارة حمزة بن حبيب الزيات (ت156هـ) أحد القراء السبعة¹، ثم أجل أصحابه علي بن حمزة الكسائي (ت189هـ)، الذي انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة وفي بغداد بعد ذلك، وكان من أهل الكوفة أيضا يحيى بن زياد الفراء الكوفي (ت207هـ) وخلف بن هشام أبو محمد بن البزار (ت229هـ)².

وممن عرفت عنهم روايات في الرسم في الشام عبد الله بن عامر (ت118هـ) أخذ القراءة عن أبي الدرداء، فنال إمامة الشام في القراءة إلى جانب ما رُوي عنه في رسم مصحف بلده من روايات، وممن روي عنه في الرسم من أهل الشام هشام بن عمار (ت245هـ)، ويعد إمام أهل دمشق في زمانه.

بقيت الإشارة إلى أن هؤلاء الأئمة هم عماد الرواية في رسم المصحف كانوا ينقلون طريقة رسم الكلمات في مصاحف أمصارهم، لكن هناك ملاحظة هامة في هذا الصدد هي أنهم كثيرا ما ينصون على حروف من الرسم في غير مصاحفهم، فقد كانت الرحلة في طلب العلم أو الحج تتيح لهم الاطلاع على مصاحف الأمصار الأخرى.

وهكذا فقد روى أبو عمرو بن العلاء، وأيوب بن المتوكل، واليزيدي، وأبو عبيد، وأبو حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت250 أو 255) وابن مجاهد (ت324هـ) وهم من العراق عن مصاحف أهل مكة وغيرها³.

¹ لمعرفة ترجمته ينظر: المقنع، ص73-74.

² ينظر: المقنع، ص63.

³ رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، ص167.

يستشف من هذا النص أن الاهتمام بدأ واضحاً بمرسوم المصحف وكان أئمة الرسم لا يتوانون في الإفادة من مصاحف غير مصاحف بلدهم وبذلك أفادوا واستفادوا لا لشيء إلا لكون هذا الكتاب نزل بقلوبهم فحكموا لخدمته عقولهم.

يخلص البحث في هذه المسألة إلى أن روايات رسوم مصاحف الأمصار توفرت وكتب لها الظهور في وقت مبكر، فجاء أول ما جاء التأليف في اختلاف رسوم مصاحف أهل الأمصار، إذ ينسب إلى ثلة من العلماء منهم ابن عامر والكسائي والفراء. وقد ظلت المصاحف- تدعمها روايات الأئمة - مصدراً لدراسة الرسم العثماني، فروى أولئك العلماء الروايات التي سبقتهم وثنوا ذلك بقولهم أنهم شاهدوا ذلك في مصاحف أمصارهم، وربما ذهبوا أبعد من ذلك فصصحوا بعض الروايات على ضوء ما قرؤوه في المصاحف التي كانت بحوزتهم.¹

وسيتناول المبحث الثاني ما أبدعه علماء هذا الفن من أجل إطلاقة على ما روته المصادر المؤلفة في ذلك، إلى جانب ذلك ذكر أسماء وعناوين ألفها أصحابها ليعرفوا بها هذا الفن فمن أشهر من ألف في ذلك؟

¹ ينظر: المقنع، ص 57 59.

ثالثاً : الكتب المؤلفة في الرسم :

قبل أن يتعرض البحث إلى أهم المؤلفات التي كتبت في موضوع الرسم وما يجب الاعتماد عليه منها نشير إلى أن دوافع كثيرة إلى التأليف في هذا الحقل سيما والأمر يتعلق بكتاب الله تعالى ، ولعل أبرز الدوافع هو أن كثيرا من رسم الكلمات في المصحف قد جاء على أكثر من صورة¹ ، مخالفا بذلك ما شاع من قواعد الهجاء آنذاك.

غير أن الناس بعد انتشار العلوم وضبط تدوينها وتوسيع استعمالهم الكتابة، مالوا إلى توحيد قواعد الهجاء، وطلبوا في كتابتهم السهل الذي تبغيه العامة ويصطلح عليه العوام وكان شعارهم: الأصل في الكتابة مطابقة الخط للفظ بتقدير الابتداء به والوقف عليه، وظهر من المدارس ما يتزعم ذلك، المدارس النحوية في البصرة والكوفة² فكان من بين اهتمامات علماء المدينتين أن يقدموا أسلوبا أسهل للكتابة، لكن نساخ المصاحف لم يحدوا عن نهج سابقهم فباتوا حريصين على أن لا يخرجوا عن ذلك المرسوم وإن في حرف واحد.

وقد قوى هذا الحرص ارتباط الرسم بالقراءات لأنه بلا شك يعد عاملا أساسيا في الحفاظ على رسم الكلمات على صورتها القديمة وبناءا عليه فقد اتجه علماء القراءات والعربية - منذ وقت مبكر - إلى حصر الكلمات التي خالف رسمها في المصحف مرسومهم القياسي وأسفرت تلك الجهود على ظهور قائمة طويلة من المؤلفات عنيت بموضوع رسم المصحف.

¹ ينظر: المصدر نفسه، ص 34 - 35.

² ينظر: رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، ص 168.

تعتبر كتب التراجم وفهارس المكتبات وكتب القراءات أغنى المصادر التي حظيت بأسماء المصنفات في هذا العلم إذ أفردته بالتصنيف خلائق من المتقدمين والمتأخرين¹ وألفت فيه كتب كثيرة قد لا يصل إليها عد³.

ذكر ابن النديم في فهرسته كتباً ألفها أصحابها في موضوع اختلاف المصاحف:

1- "كتاب اختلاف مصاحف أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة عن الكسائي.

2- كتاب اختلاف المصاحف لخلف.

3- كتاب اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام للمصاحف للفراء.

4- كتاب اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق لابن عامر اليحصبي².

وفي مقطوع القرآن وموصوله ذكر ابن النديم أسماء من ألفوا في هذا الغرض وهم: " كتاب الكسائي، كتاب حمزة بن حبيب، كتاب عبد الله بن عامر اليحصبي، كتاب السري"³.

عقد ابن أبي داود السجستاني (ت316هـ) في كتابه (المصاحف) عدة فصول منها: اختلاف المصاحف وما اجتمع عليه كتاب المصاحف وما كتب في المصاحف على غير الخط⁴.

وبنظرة خاطفة نجده في العنوان الأول (اختلاف خطوط المصاحف) يذكر نقولاً عن كفيات رسم كلمات في مصاحف مختلفة قال: "حدثني أسيد بن يزيد أن

¹ الإثقان، ج 2 / 145.

² الفهرست، ص 174.

³ ينظر: المصدر نفسه، ص 176.

⁴ كتاب المصاحف للسجستاني، ص 257 - 270.

في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه ﴿يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ﴾
[الأحزاب:20] السؤال بغير ألف...

حدثني أسيد بن يزيد قال في مصاحف أهل المدينة ﴿ءَاذُو مُوسَى﴾
[الأحزاب:69] ليس بعد الواو فيها ألف في الخط"¹.

بات إمام المدينة نافع بن تميم (ت169هـ) محط أنظار تلامذته في روايات
الرسم التي كانت مصدرهم يأخذون عنه ما عرف عنه في هذا الفن، لذا ألف
تلامذته كتباً استاقوا منها ما رووه عن شيخهم نافع، فقد رحل الغازي بن قيس
الأندلسي (ت199هـ) إلى المشرق وأقام بالمدينة وشهد تأليف مالك للموطأ،
وأدرك نافعاً وقرأ عليه، واعتبر أول من أدخل إلى الأندلس قراءته، وصحح
مصحفه على مصحف نافع ثلاث عشر مرة فألف كتابه "هجاء السنة"، وضمنه
روايته عن أهل المدينة في رسم المصحف قيل عنه أنه كان يحفظ الموطأ بحيث لا
يسقط منه ياءٌ ولا واواً.²

وكان قالون (ت220هـ) وهو من أشهر تلامذة نافع قد استفاد منه في الرسم
غير أنه لم يؤثر عنه تأليف في ذلك، بالرغم من أنه قد يفهم من قوله: "قرأت على
نافع قراءته غير مرة وكتبتها في كتابي"³ أنه ربما ذكر في كتابه ما رواه عن نافع في
الرسم.

¹ المصدر نفسه، ص 257.

² ينظر: المقنع للداني، ص 43-44.

³ غاية النهاية لابن الجزري، ج 1/615.

وكان الأصبهاني (ت253هـ) ممن قرأ على نصير، وروى عنه ما ذكر في كتابه من روايات في الرسم، وألف كتاباً سماه "هجاء المصاحف"¹.

وممن اشتهر برواية الرسم والتأليف في علوم القرآن أبو بكر بن القاسم الأنباري (ت327هـ) له من الكتب كتاب الهجاء وكتاب الرد على من خالف مصحف عثمان، وكتاب "إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل" أورد فيه كثيراً من الروايات المتعلقة بالرسم.²

مما سبق ذكره يمكن أن يخلص البحث إلى أن معظم تلك المؤلفات وخاصة قبل مطلع القرن الخامس الهجري ظلت حبيسة الذكر في بطون الكتب ولم يكتب لمعظمها أن يصل إلينا، غير أن التأليف في هذا الباب شهد تطوراً كبيراً.

فكان أن بلغ التأليف في رسم المصحف ذروته بما سطرته أنامل أبي عمرو عثمان بن سعيد الأموي الداني المعروف في زمانه بابن الصيرفي (ت444هـ)

وكان من أشهر مؤلفاته إن لم يقل عنه أنه من أشهر كتب الرسم على الإطلاق كتاب "المقنع في معرفة مصاحف الأمصار" ذكره ابن خلدون في مقدمته حين تحدث عن فن الرسم وأوضاع الرسم وقانونيه قال: "وانتهت بالمغرب إلى أبي عمرو الداني المذكور فكتب فيها كتباً من أشهرها: كتاب المقنع وأخذ به الناس وعولوا عليه ونظمه أبو القاسم الشاطبي في قصيدته الشهيرة على روي الرء وولع الناس بحفظها"³.

¹ ينظر: المقنع، ص45.

² ينظر: الفهرست لابن النديم، ص173.

³ المقدمة لابن خلدون مج 2 / 531.

وللداني مؤلفات أخرى غير المقنع منها كتاب الاقتصاد في رسم المصحف وهي أرجوزة في مجلد¹، وكتاب المحكم في نقط المصاحف وكتاب النقط في شكل المصاحف وكيفية ضبطها.

وألف سليمان بن نجاح أبو داود بن أبي القاسم الأندلسي (ت496هـ) وهو إمام الإقراء وشيخ القراء كتابا في الرسم جامعاً سماه (كتاب التبيين لهجاء التنزيل) جاء في ستة مجلدات وعرف عنه أنه أخذ القراءات عن الداني ولازمه كثيراً وسمع منه أكثر مصنفاته وهو أجل أصحابه.²

ولم يقتصر التأليف في الرسم بالأسلوب المنشور بل من العلماء من ألف في هذا الفن بالنظم فأحكم وأجاد ولخص بعض المطولات ثم عكف بعض شراح هذه المنظومات فبسّطوا فيها القول وبسّطوا.

يُذكر أن كتاب الداني (المقنع) نظراً لما اشتمل عليه من مباحث في فن الرسم شدّ بال كثيرين من العلماء حتى لخصوه في نظم رصين منهم الشاطبي (ت590هـ) الذي نظم قصيدته الرائية وسماها (عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد) جمع فيها مسائل المقنع وأضاف إليها ما وصله عن طريق النقلة، ضمت هذه المنظومة ثمانية وتسعين ومائتي بيت (298) من البحر البسيط مطلعها وهي رائية:

الْحَمْدُ لِلَّهِ مَوْصُولًا كَمَا أَمَرَ مُبَارَكًا طَيِّبًا يَسْتَنْزِلُ الدُّرَرًا³

¹ ينظر: مقدمة كتاب المحكم في نقط المصاحف للداني ص15.

² ينظر: رسم المصاحف دراسة لغوية تاريخية، ص173.

³ ينظر: الرسم العثماني للمصحف الشريف مدخل ودراسة، لحسن سري، مركز الإسكندرية للكتاب، الطبعة الأولى، 1418هـ/1998م، ص7.

ونظراً لأهميتها ومنزلتها فقد قام أبو الحسن الهمداني السخاوي (ت614هـ) بشر العقيلة شرحاً وضبطاً مع تحقيق ما جاء فيها من روايات وأصول في مؤلفه: (الوسيلة إلى شرح العقيلة).

وكان لابن القاصح (ت801هـ) طرف من التناول لهذه المقطوعة فشرحها شرحاً مبسطاً تحاشى فيه الخلافات والغوص في باطن المعاني كما أشار حسن سري، وقد سمى شرحه هذا: (شرح تلخيص الفوائد وتقريب المتباعد في شرح عقيلة أتراب المقاصد) بلغت صفحات هذا الشرح عشرين ومائة صفحة (120) "وقد أحسنت إدارة الأزهر الشريف صنفاً بتقرير هذا الشرح الميسر على طلاب معاهد القراءات بالديار المصرية"¹

وممن ساروا على نهج الشاطبي في التأليف في مرسوم المصاحف ومالوا إلى النظم، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الشريشي المشهور بالخرّاز (ت718هـ) ألف تحت أكثر من عنوان، يبقى أبرزها على الإطلاق منظومته المسماة (منظومة مورد الظمان)، أشار في بعض أبياتها إلى أشهر مؤلفات علم الرسم في عصره يقول:

وَوَضَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ كُتُبًا كُلُّ يُبِينُ عَنْهُ كَيْفَ كَتَبَا
أَجَلَهَا - فَاعْلَمْ - كِتَابُ الْمُقْنِعِ فَقَدْ أَتَى فِيهِ بِنَصِّ مُقْنِعِ
وَالشَّاطِبِيِّ جَاءَ فِي الْعَقِيلَةِ بِهِ، وَزَادَ أَحْرَفًا قَلِيلَةَ
وَذَكَرَ الشَّيْخُ أَبُو دَاوُدَا رَسْمًا بِتَنْزِيلِ لَهُ مَزِيدًا²

ويصور ابن خلدون ما بلغته هذه المنظومة من أعلى المنازل في عصر صاحبها ببلاد المغرب بعد أن ذكر كتب الداني وتلميذه أبي داوود والشاطبي فيما كتبه عن

¹ الرسم العثماني للمصحف الشريف، ص 7-8.

² دليل الحيران شرح مورد الظمان، ص 16-18.

الرسم، إذ يقول: " فنظم الخراز من المتأخرين بالمغرب أرجوزة أخرى، زاد فيها على المقنع خلافاً كثيراً، وعزاه لناقله، واشتهرت بالمغرب، واقتصر الناس على حفظها، هجروا بها كتب أبي داوود وأبي عمرو والشاطبي في الرسم"¹.

وقد قام الإمام عبد الواحد بن عاشر الأنصاري الأندلسي (ت1040هـ) بشرح مورد الظمان بمسمى (فتح المنان في شرح مورد الظمان).

وله نظم آخر سماه: (الإعلان في رسم القرآن) ضمنه الاختلاف بين رسم المصاحف، جاء مكملاً لنظم مورد الظمان وفي مقدمة هذا النظم قوله:

بِحَمْدِ رَبِّهِ ابْتَدَأَ ابْنُ عَاشِرٍ مُصَلِّيًّا عَلَى النَّبِيِّ الْحَاشِرِ
هَآكْ زَائِدًا لِمَوْرِدٍ تَفِي بِالسَّبْعِ مَعَهُ مِنْ خِلَافِ الْمُصْحَفِ²

وممن عنوا بالرسم في العصر الحديث الشيخ إبراهيم بن أحمد المراغني التونسي، فقد شرح المورد والضبط والإعلان مستمداً معظم ذلك من شرح التنسي للضبط وشرح ابن عاشر للمورد وما أضافه في الإعلان وسمى كتابه (دليل الحيران على مورد الظمان في فني الرسم والضبط) وكمّله بشرح الذيل الذي كان ابن عاشر قد ختم به منظومة الخراز في آخر الكتاب وسماه (تنبيه الخلان على الإعلان بتكميل مورد الظمان)³ وقد فرغ من تأليفه سنة 1325 هـ.

وتواصلت حركة التأليف في موضوع (الرسم) فظهرت مؤلفات كتب خارج نطاق العقيلة والمورد، فقد ألف أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان المراكشي

¹ المقدمة لابن خلدون، مج2/531-532.

² ينظر: الرسم العثماني للمصحف الشريف، ص9.

³ ينظر: دليل الحيران، ص4.

الشهير بابن البناء (ت721هـ) كتابا مشهورا سماه: (عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل)، علّل صاحبه به مرسوم خط المصاحف.

وجاءت إشارات الزركشي (ت794هـ) في كتابه البرهان، والسيوطي (ت911هـ) في الإتيان، والقسطلاني (ت923هـ) في لطائف الإشارات، والدمياطي (ت1117هـ) في الإتحاف ضمنوا كتبهم هذه فصولا أوجزوا فيها ما ورد في كتب الرسم إن في قضاياها وإن في موضوعاته.

ولم تتوقف وتيرة التأليف في الموضوع بل ظلت وستبقى إلى أن تقوم الساعة، غير أن هذه التأليف وكانت في أواخر القرن الميلادي الماضي والقرن الحاضر كما أشار، غانم قدوري "جاءت في أسلوب يفقد كثيرا من سهولة وشمول المصنفات المتقدمة، وقد جاء بعضها في صورة نظم قام بشرحه آخرون تقيّدوا بألفاظ النظم واعتمدوا على المصادر المتأخرة التي يدور معظمها في فلك القصيدتين الرائدتين في الرسم: العقيلة ومورد الظمان"¹.

من أبرز هذه المؤلفات: إرشاد القراء والكتابين إلى معرفة رسم الكتاب المبين لأبي عيد رضوان بن سليمان المعروف بالمخللاتي (ت1311هـ).

وأرجوزة الشيخ المتولي محمد بن أحمد الحسن (ت1313هـ) المسماة: (اللؤلؤ المنظوم) ثم جاء الشيخ حسن بن خلف الحسيني وشرحها في كتابه (الرحيق المختوم في نثر اللؤلؤ المنظوم).

ومن الكتب المؤلفة في العصر الحديث كتاب (سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين) للشيخ علي محمد الضباع.

¹ رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، ص184.

وإذا كانت مؤلفات القرون في الرسم قد أقامت عملها على الوصف غالباً
ويكفيها تحديد رسم الكلمة من غير أن تعطيها شحنة دلالية أو بعداً معنوياً استناداً
إلى قاعدة (كل تغيير في المبنى ينجر عن تغيير في المعنى) فإننا نجد لدى علماء
القرون التالية محاولات لتعليل ما خالف في رسمه من الكلمات مرسومه القياسي
المعتاد، فخالف بذلك عملهم ما قعد له علماء المصرين الكوفة والبصرة، ويعد
أبو العباس المراكشي الأنموذج الصادق على هذا الاتجاه من خلال مؤلفه السابق
الذكر (عنوان الدليل)، ولعل هذا مما وصف به القرآن من أنه لا تنقضي عجائبه
وقد لا يكون اجتهادهم في أول كلمة سموها في المصحف ويبتدئ بها كل عمل
ذي بال خالفت مرسوم القياس هنا جاءت لغير معنى إنها لفظة (بسم الله...) فقد
خرجت اللفظة في رسمها عن الرسم الإملائي من ناحيتين، بتطويل سنة الباء
ومضاهاتها الألف وحذف ألف الوصل، وقس عليها نظائرها وكم هي مبثوثة في
كلمات القرآن.

يرد تساؤل هنا: ما المنهج الذي بنى عليه الأئمة مادة موضوع الرسم في
مؤلفاتهم؟

رابعاً : منهج التأليف في الرسم

جرى أئمة الرسم في إيراد مادة موضوع الرسم فيما كتبوا من مؤلفات في اتجاهين انماز كل اتجاه عن الآخر بميزات :

الاتجاه الأول: يقوم في أساسه على تجميع ما تشابه من الأمثلة المشتركة في الموضوع الواحد يتناولها فصل معين، وهكذا ينبنى الكتاب من عدة فصول تضم كافة أوجه الرسم، ومما يمثل هذا الاتجاه تلك الكتب التي عنونت بهجاء المصاحف، لمؤلف (هجاء مصاحف الأمصار) للمهدوي و(البديع في هجاء المصاحف) لابن معاذ الجهني و(المقنع) لأبي عمرو الداني الذي جاء في مقدمته بعد الحمد والصلاة على رسول الله: "هذا الكتاب أذكر فيه إن شاء الله ما سمعته من مشيختي، ورويته عن أئمتي من مرسوم خطوط مصاحف أهل الأمصار "المدينة" و"مكة" و"الكوفة" و"البصرة" والشام وسائر العراق....وأجعل ذلك أبوابا وأصنعه فصولا"¹.

وقد سارت تلك الكتب في فصولها على نهج متقارب فخصصت فصلا عن حذف الحروف الثلاثة: الألف والواو والياء، وفصلا عن زيادة تلك الحروف وآخر عن إبدال حرف مكان غيره، وفصلا عن رسم الهمزة، وفصلا عن المقطوع والموصول وهكذا في باقي أبواب الرسم الأخرى، وإن اختلفت تفصيلا وترتيا، غير أنه يغلب عليها جريان إيراد الأمثلة وفق ترتيب الآيات والسور في المصحف.

وحتى يدلل البحث على ذلك لا بد من وقفة مع فهرس موضوع كتاب المقنع الذي ذكر أبواب مادته على الشكل التالي:

¹ المقنع للداني، ص 14.

باب ذكر ما رسم في المصاحف بالحذف والإثبات وذكر ما حذفت منه الألف اختصاراً، وجعل تحت هذا الباب فصولاً من غير ذكر عناوين بل بذكر نقولات عن غيره مسندة إلى أصحابها كقوله: "حدثنا محمد بن علي قال حدثنا محمد بن قطن قال حدثنا سليمان بن خلاد قال حدثنا اليزيدي قال في مصاحف أهل المدينة ومكة: (وسيعلم الكُفْرُ) على واحد¹"

وأحياناً نجده في فصل آخر من الباب نفسه لا يذكر نقلاً عن روى عنهم الرواية بل يقول مثلاً: "وأجمع كتاب المصاحف على حذف الألف من الرسم بعد [يا] التي للنداء و(ها) التي للتنبيه [اختصار أيضاً]²."

الاتجاه الثاني: وقد جاء مخالفاً لسابقه لكونه يتبع المؤلف ظواهر الرسم بادئاً بأول المصحف مراعيًا ترتيب سورته من سورة "الفاتحة" إلى سورة "الناس" وفيه تكون الإشارة إلى الكلمات التي جاء رسمها بطريقة معينة وفق ترتيب الآيات والسور وغالباً ما تأتي إشارات المؤلفين في هذا الاتجاه إلى مجموع أمثلة ظاهرة اشتركت أمثلتها عند أول مثال لها كأن يحيلوا إلى ما كانوا ذكروه عن الحروف المقطعة حين بسطوا القول في حرف "الم" قاصدين بذلك رفع الملل عن القارئ.

وعلى ذلك كما أشار غانم قدوري³ فإن هذه المؤلفات تبدو في أولها - غالباً - أكثر حشداً للأمثلة منها في أجزائها الأخيرة فتقل بتقدم المؤلف مع الآيات والسور حيث يكتفي بالإشارة إلى أن الظاهرة قد أشير إليها في موضع سابق³

¹ المصدر نفسه، ص36.

² المصدر نفسه، ص37.

³ رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، ص186.

ويغلب على من ألفوا في هذا الاتجاه أن يقدموا لكتبهم بمقدمة قبل أن يتناولوا الأمثلة على ترتيب الآيات والسور، يتحدثون في هذه المقدمة عن أبواب جامعة في الرسم كما فعل العقيلي وابن وثيق¹.

وبعد: فمن العرض السابق لأهم ما ألف في علم الرسم من كتب وإشارة - وإن جاءت موجزة - إلى مصادر العلماء فيها بدا واضحا أن الداني كان علما في هذا الفن ويعتبر كتابه المقنع واسطة حوى مجمل روايات المصادر الأولى وصار المصدر الذي لا غنى عنه لمن يبتغي التأليف في الرسم، ولكن لا ينبغي أن يحرم أي بحث من عصارة غيره لما انطوت عليه مؤلفات علماء آخرين على غرار كتاب (هجاء مصاحف الأمصار) لأحمد بن عمار المهدي الذي عاش في عصر الداني وإن ظهر الاختصار في هذا الكتاب إلا أنه يقدم مادة جيدة تعضد أكثر ما أورده الداني في مقنعه كما قال غانم قدوري².

ولا نبخس حق أبي عبيد صاحب مؤلف "فضائل القرآن: إذ أورد في أحد فصوله موضوعا عن اختلاف المصاحف ويعد أقدم مصدر موجود في هذا الفن يضاف إليه ما عالج فيه من مرسوم المصاحف ابن أبي داود السجستاني في كتابه "كتاب المصاحف".

وفي ختام هذا المبحث نقتطف عناوين لعلماء سودوا مؤلفاتهم في مرسوم المصحف في جولة مع مؤلف "المتحف في رسم المصحف" الذي أورد قائمة بأشهر من ألف في علم الرسم العثماني قال: "ونظرا للحاجة الماسة إلى معرفة

¹ ينظر: المصدر نفسه، ص. 186.

² ينظر: المصدر نفسه، ص. 187.

الرسم العثماني والأحكام المتعلقة به وإثبات رواياته فقد ألف فيه علماء أجلاء مصنفات جليلة ومن أشهر من ألف في ذلك:

1- الإمام عبد الله بن عامر اليحصبي (ت118هـ) ومن مصنفاته في هذا الفن اختلاف مصاحف الشام والعراق وكذا (المقطوع والموصول في القرآن).

2- الإمام الثقة زيان بن عامر المعروف بأبي عمرو بن العلاء (ت154هـ) له في هذا العلم (مرسوم المصحف).

3- الإمام الحجة حمزة بن حبيب المعروف بحمزة الزيات (ت156هـ) ومن مصنفاته في هذا الفن مقطوع القرآن وموصوله.

4- إمام اللغة الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ) ومن مصنفاته في هذا الفن (النقط والشكل).

5- الغازي بن قيس الأندلسي (ت199هـ) ومن مصنفاته (هجاء السنة) وفيه دون روايات عن أهل المدينة في رسم الصحف.

6- الإمام أبو محمد بن المبارك بن المغيرة اليزيدي (ت202هـ) ومن مصنفاته النقط والشكل.

7- إمام اللغة والنحو أبو زكريا يحيى الفراء (ت207هـ) وله في هذا الفن اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف.

8- العابد الثقة خلف بن هشام بن مقسم أحد القراء العشرة (ت229هـ) وله (اختلاف المصاحف ورسمها).

9- محمد بن عيسى الأصبهاني المتوفى (ت253هـ) وله من المصنفات في هذا الشأن كتابان (هجاء المصاحف)، (رسم القرآن) وذكره ابن النديم باسم [النقط].

- 10- إمام البصرة سهل بن محمد بن عثمان يزيد السجستاني كان المبرد يلازم القراءة عليه (ت248هـ) له في هذا الفن (اختلاف المصاحف)، (الهجاء).
- 11- أحمد بن إبراهيم الوراق (270هـ) تقريباً، وله (هجاء المصاحف).
- 12- الإمام أبو بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني (316هـ) وله كتاب (المصاحف)، وهو مطبوع متداول.
- 13- ابن المنادي أحمد بن جعفر (320هـ) وله من المصنفات (اختلاف المصاحف ورسمها).
- 14- إمام اللغة محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن أبو بكر بن الأنباري البغدادي (328هـ) وقد صنف في هذا الفن كتاب (الهجاء)، وله أيضاً: (الرد على من خالف مصحف عثمان).
- 15- الإمام محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن بن الحسين بن محمد بن سليمان ابن داود بن عبيد الله بن مقسم العطار المكنى بأبي بكر البغدادي (354هـ) كان أحفظ أهل زمانه لنحو الكوفيين وأعرفهم بالقراءات مشهورها وغريبها وشاذها، له في هذا الفن (المصاحف).
- 16- ابن درستويه عبد الله جعفر (347هـ) صنف في هذا الفن كتابين (اختلاف المصاحف)، (اللطائف في جمع هجاء المصاحف).
- 17- أبو بكر محمد بن أشته الأصبهاني (360هـ) وله في هذا الفن كتاب (المحبر)، وله أيضاً (علم المصاحف).
- 18- أبو الفضل محمد الأصبهاني (370هـ) وله (اختلاف المصاحف).
- 19- الحافظ أحمد بن الحسين بن مهران المقرئ أبو بكر النيسابوري إمام عصره في القراءات (381هـ) وقد صنف في هذا الفن كتاب (الهجاء).

20- مكّي بن أبي طالب القيسي (437هـ) ومن مصنفاته (هجاء المصاحف).

21- أبو العباس أحمد بن عمار المهدي (440هـ) ومن مؤلفاته (هجاء مصاحف الأمصار).

22- الحافظ الثقة عالم الأندلس في عصره أبو عبد الله محمد بن يوسف الجهني (442هـ) ومن تصانيفه: (البدیع في رسم مصاحف عثمان)، وهو مطبوع بتحقيق أ.د/ سعود بن عبد الله الفنیسان، مطبعة دار أشبیلیا.

23- العلامة عثمان بن سعيد بن عمر المكنی بأب عمرو، المعروف بالداني، كان رحمه الله من حفاظ الحديث ومن الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره، (444هـ) ومن مؤلفاته في هذا العلم: (المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار) مع كتاب النقط، وهو مطبوع بتحقيق أوتوترازل عام 1351هـ/1932م بإسطنبول.

ومعه كتاب (المحكم في نقط المصاحف) وطُبع بتحقيق محمد الدهمان عام 1359هـ/1940م بدمشق مطبعة جامعة دمشق.

ومعه كتاب (المحكم في نقط المصاحف) وطبع بتحقيق أ/ محمد الصادق قمحاوي تحت مسمى (المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط) الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية.

و للداني أيضاً: (الاقتصاد في رسم المصحف)، وهو أرجوزة في مجلد، وكذا (المحكم في نقط المصاحف)، (النقط) وألفه بعد (المقنع) وهو غير المحكم، وكلها مطبوعة متداولة، وله أيضاً (ذيل المقنع في معرفة نقط المصاحف)، وله أيضاً: (النقط والضبط في القراءات ورسم المصاحف)، وله: (مختصر مرسوم المصحف)، (و رسالة في رسم المصحف).

- 24- إسماعيل بن خلف بن طاهر بن عبد الله العقيلي المتوفى (455هـ)، وله في هذا العلم: (مختصر في رسم المصحف الشريف).
- 25- أبو داود سليمان بن نجاح الأندلسي، من أبرز تلاميذ أبي عمرو الداني توفي رحمه الله (492) ومن تصانيفه: (التبيين لهجاء التنزيل) في ست مجلدات، وله أيضا (التنزيل في هجاء المصاحف) وهو اختصار لكتابه (التبيين).
- 26- الإمام محمود بن حمزة الكرمانى المتوفى (505هـ) وله منظومة بعنوان: (خط المصحف)
- 27- العلامة علي بن محمد المرادي المكنى بأبي الحسن، من علماء القرن السادس الهجري ومن تصانيفه: (المصنف في الرسم) وهو أحد المصادر التي اعتمد عليها الإمام الخراز في منظومته المسماة بـ (مورد الظمان).
- 28- الإمام الشاطبي أبو القاسم بن فيره المتوفى (590هـ) وله من المصنفات (عقيلة أتراب القصائد في أسمى المقاصد) المشهورة بالرائية في الرسم، طبع مع (حرز الأمانى) بمصر، نشر حسن التتري طبعة حجر، عام 1286هـ/1869م، وطبع الطوخي بمصر عام 1302هـ/1884م.
- 29- الإمام علم الدين السخاوي علي بن محمد بن عبد الصمد المتوفى (643هـ) ومن مصنفاته: (شرح الرائية)، المسمى (الوسيلة إلى كشف العقيلة).
- 30- العلامة إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن المتوفى (651هـ) ومن تصانيفه: كتاب في (رسم المصحف الشريف).
- 31- العلامة أبو عبد الله محمد بن القفال الشاطبي المتوفى (291)، وله في هذا الفن: (شرح القصيدة الرائية).

32- الشيخ محمد بن خليل القشيري الأربيلي، من علماء القرن السابع الهجري، وله في هذا العلم: (واضحة المبهوم في علم المرسوم) وهي منظومة رائية 33- العلامة الشيخ إبراهيم بن محمد بن وثيق الأندلسي المتوفى (654هـ) ومن تصانيفه: الجامع لما احتاج إليه من رسم المصحف) مطبوع محقق.

33- الإمام محمد بن محمد الشرشيري المعروف بالخرّاز المتوفى (718هـ)، وله من المصنّفات في هذا الفن: (مورد الظمّان في رسم حروف القرآن) طبع ومعه ثلاثة كتب (دليل الحيران) و(الإعلان) و(تنبيه الخلان) نشر: صالح العسلي بتونس. المطبعة العمومية عام 1326هـ/1908م، وطبع بالقاهرة عام 1365هـ/1946م، وصور في ليبيا عن طبعة تونس بمكتبة النجاح، وله أيضا منظومة مسمّاة بـ (عمدة البيان في الرسم) وقد ألحق ذيل الضبط المتصل بـ (مورد الظمّان) وقد اشتهر الذيل على (المورد) باسم (ضبط الخراز).

34- الإمام أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي المعروف بابن البناء توفى رحمه الله (721هـ) وله: (عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل) وقد طبع بتحقيق الدكتورة هند شلبي، نشر دار الغرب الإسلامي.

35- الإمام بن جبارة الحنبلي المكنى بأبي عبد الله المتوفى (728هـ) وله في هذا الفن: (نشر القصيدة الرائية في رسم القرآن).

36- الإمام إبراهيم بن عمر برهان الدين الجعبري المتوفى (732هـ)، وقد صنّف في هذا الفن: (روضة الطرائف في رسم المصاحف) منظومة، و(الأبحاث الجميلة في شرح العقيلة)، (خميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة أقرب المقاصد) و(خميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد)، و(تفريد الجميلة لمناولة العقيلة)، و(تجريد الأبحاث في شرح العقيلة).

- 37- الإمام أبو الخير السمرقندي محمد بن محمود الشيرازي المتوفى (780هـ) له: (كشف الأسرار في رسم مصاحف الأمصار).
- 38- الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الجريني المتوفى (783هـ)، وله: (جامع الكلام في رسم مصحف الإمام).
- 39- العلامة يوسف بن محمد الخوارزمي، كان حياً سنة (800هـ)، وله: (موجز كتاب التقريب في الرسم العثماني).
- 40- أبو البقاء علي بن عثمان بن محمد بن القاصد المتوفى (801هـ)، ومن تصانيفه في هذا الفن: (شرح تلخيص الفوائد وتقريب المتباعد على عقيلة أتراب القصائد) مطبوع في القاهرة بتحقيق فصيحة الشيخ عبد الفتاح القاضي، نشر مصطفى البابي الحلبي عام 1369هـ/1949م.
- 41- الإمام محمد بن جابر الغساني المكناسي المتوفى (827هـ) وله: (رسم القرآن).
- 42- الإمام العلامة جعفر بن إبراهيم القرشي المتوفى (894هـ) وله: (الجامع الأزهر المفيد لقراءات الأربعة عشر وصناعة الرسم والتجويد).
- 43- الشيخ العلامة محمد بن أحمد بن محمد أبو عبد الله المكناسي المتوفى (919هـ)، وله: (إنشاء الشريد في رسم القرآن المجيد).
- 44- الشيخ شقرون الوهراني المتوفى (929هـ)، وله: (تقييد على مورد الظمان في الرسم).
- 45- الإمام ملا علي قاري سلطان المتوفى (1014هـ)، وله: (الهبات السنوية العلية على أبيات الرائية في الرسم).

- 46- العلامة الشيخ عبد الواحد بن أحمد بن عاشور المتوفى (1040هـ)، وله: (الإعلان بتكميل موارد الظمآن) مطبوع بذييل مورد الظمآن، نشر صالح العسلي في تونس المطبعة العمومية 1326هـ/1908 م، وطبع في ليبيا بمكتبة النجاح صورة عن مطبعة تونس، وطبع في القاهرة بتحقيق الشيخ عامر السيد عثمان عام 1365هـ/1946 م، وله أيضا: (فتح المنان المروي بمورد الظمآن في رسم القرآن).
- 47- الشيخ محمد بن أحمد الوفي، كان حياً سنة (1049هـ) وله: (الجواهر اليمانية في رسم المصاحف العثمانية).
- 48- العلامة حسن بن علي الأماسي من علماء القرن الحادي عشر، وله في هذا الفن: (الفوائد اللطيفة والطريفة في رسوم المصاحف العثمانية)، وأتم الشيخ رحمه الله هذا المصنف سنة (1064هـ).
- 49- الشيخ الهوريني سيد بركات بن عريشة، كان حياً سنة (1286هـ)، ومن تصانيفه: (الجواهر المفيد في رسم القرآن المجيد).
- 50- الإمام أبو عيد رضوان بن محمد المخلاطي المتوفى (1311هـ)، وله: (إرشاد القراء الكاتبين إلى معرفة رسم الكتاب المبين).
- 51- الشيخ محمد بن أحمد المتولي المتوفى (1313هـ)، وله: أرجوزة في رسم المصحف تسمى: (اللؤلؤ المنظوم).
- 52- أحمد بن عزة البغدادي المتوفى (1352هـ)، وله كتاب (المفيد في رسم خط القرآن المجيد) طبع بتحقيق عبد الرحيم محمد علي النجف، مطبعة النعمان 1395هـ/1975 م.

53- العلامة محمد بن علي بن خلف الحسني المعروف بالحداد المتوفى (1357هـ)، وله في هذا الفن: (إرشاد الحيران إلى معرفة ما يجب اتباعه في رسم القرآن).

54- الإمام الشنقيطي محمد بن حبيب الله المتوفى (1363هـ)، ومن تصانيفه في هذا الفن: (إيقاظ الأعلام لوجوب إتباع رسم القرآن) طبع في القاهرة بمطبعة المعاهد عام 1926/م، وطبع في بيروت بدار الرائد العربي مصور بالأوقست عام 1402هـ/1982م.

55- العلامة محمد جميل بن عمر الشطي الحنبلي المتوفى (1378هـ)، وقد صنف في هذا الفن: (البرهان على صحة رسم مصحف عثمان) فرغ من تأليفه سنة (1360هـ)، وفي آخره موافقة شيخ القراء محمد الحلواني على ما جاء فيه.

56- العلامة محمد بن يوسف التونسي المتوفى (1380هـ)، وله: (الفرائد الحسان في بيان رسم القرآن) طبع في دمشق بمطبعة العلوم والآداب عام 1370هـ/1955م.

57- ابن الخطيب محمد بن عبد الطيف (توفي في القرن الرابع عشر الهجري)، وله: (الفرقان، جمع القرآن، تدوينه، هجاؤه، رسمه، وتلاوته، وقراءته) طبع في القاهرة بمطبعة دار الكتب عام 1368هـ/1948م.

58- الشيخ الإمام حسن بن خلف الحسني من علماء القرن الرابع عشر، وله في هذا الفن: (الرحيق المختوم في نثر اللؤلؤ المنظوم) ألفه في شرح كتاب الشيخ بن أحمد المتولي المسمى بـ (اللؤلؤ المنظوم) طبع في القاهرة بمطبعة المعاهد عام 1432هـ/1923م.

59- الشيخ محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي الخطاط، وله: (تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه) طبع في جدة عام 1365هـ/1945 م، وطبع بتحقيق الشيخ علي محمد الضباع، القاهرة مطبعة البابي الحلبي عام 1373هـ/1945 م.

60- شيخ المقارئ المصرية علي محمد الضباع - رحمه الله - وله في هذا الفن: (سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين) طبع في القاهرة، مطبعة المشهد الحسني.

61- أ.د/عبد الفتاح إسماعيل شلبي، وله: (رسم المصحف والاحتجاج به في الرءاءات) نشر في القاهرة، مكتبة نهضة مصر عام 1380هـ/1960 م.

62- أ.د/عبد الحي حسين الفرماوي، وله: (رسم المصحف ونقطه) وأصله رسالة دكتوراه مقدمة لكلية أصول الدين جامعة الأزهر.

63- د/غانم قدوري الحمد، وله: (رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية)¹.

¹ المتحف في رسم المصحف، ص 10-19.

خامسا : موقف المتقدمين من مظاهر الرسم

كشفت المباحث السابقة عن جهود أولئك الأعلام الذين جاءت أفكارهم وآراؤهم مثيرة الإجلال والاعتزاز لبحثهم الدقيق وتفصيلاتهم ومحاولاتهم إعطاء التفسير الصحيح المقبول لظواهر الرسم العثماني وإن تفاوتوا فيما بينهم.

وبناءً عليه كان لعلماء الرسم والقراءات مواقف وأقوال فيما يتعلق بالتزام الرسم المصحفي إذا أُريد نسخ مصاحف جديدة وكذا دراسة الظواهر ذاتها كما كان لعلماء العربية مواقف اقتربت من هؤلاء وربما خالفتهم.

كان من الضروري قبل الشروع في دراسة الرسم العثماني انطلاقاً مما تتيحه الدراسات المتوفرة أن يوجز القول في مواقف علماء السلف، من مسألتي الالتزام بالرسم العثماني واستبداله بالرسم القياسي، بحجة مسaireة العصر لكل من يكتب مصحفاً أولاً ودراسة تلك الظواهر ذاتها كمسألة ثانية.

1- موقفهم من التزامه في كتابة المصحف :

من المتعارف عليه أن الصحابة رضوان الله عليهم كتبوا المصاحف بما كان متعارفاً بينهم في زمنهم، من قواعد هجاء وأصول رسم، وبات الناس في العهود الأولى للإسلام محافظين على ذلك الموروث الكتابي، قدوتهم رسم المصحف العثماني الذي لم يكن إلا إعادة للكتبة الأولى النبوية، والثانية الصديقية، حتى لا يُحمّل الأمر أكثر مما يحتمل.

وما فتئ الصحابة ومن وافقهم من التابعين وتابعيهم يكتبون ما يكتبون ولو لم يكن ذلك المكتوب قرآناً أو حديثاً على نهج الرسم العثماني، وعاش الناس في أمرهم هذا ردهاً من الزمن "إلى أن ظهر علماء المصريين وأسسوا لهذا الفن ضوابط

وروابط بنوها على أقيستهم النحوية وأصولهم الصرفية نظراً لحاجة الناس بازدياد استعمال الكتابة إلى نظام موحد القواعد ميسور التعلم"¹.

ونلفي ابن قتيبة (ت276هـ) في (باب فن الهجاء أيضا) من كتابه (أدب الكاتب) يحاول استبدال مرسوم المصحف بمرسوم القياس، حين تحدث عن رسم ألفاظ جاءت في المصحف على خلاف الأصل - الإملائي - كلفظة الصلاة، الزكاة، الحياة، قال تكتب "الصلوة" و"الزكوة" و"الحيوة" بالواو إتباعاً للمصحف ولا يكتب شيء من نظائرها إلا بالألف مثل "قطاة" و"قناة" و"فلاة" وقال بعض أصحاب الإعراب إنهم كتبوا هذا بالواو على لغات الأعراب وكانوا يميلون في اللفظ بها إلى الواو شيئاً، وقيل بل كتبت على الأصل وأصل الألف فيها واو ألا ترى أنك إذا جمعت قلت صلوات وزكوات وحيوات، ولولا اعتياد الناس لذلك في هذه الأحرف الثلاثة وما في مخالفة جماعتهم لكان أحب الأشياء إلي أن يكتب هذا كله بالألف"²

ولم تكن في العدة هذه الثلاثة بل غيرها رسم على هذه الشاكلة ومنها: "الغدواة" و"مشكواة" و"منواة" و"الربوا"، وقد التمس تعليل ذلك من خلال ما نص عليه ابن قتيبة في قوله هذا، فعلم بذلك أن رسمهم لم يجيء هكذا بل لأمر قدر وغاية قد تُدرك وقد لا تُدرك.

قد يتوصل البحث إلى أن ثمة محاولات بدأت تحوم حول فكرة إدخال بعض التغييرات تمس صور الكلمات المسطورة في المصاحف، من خلال ما طلبه الناس من التماس مسوغ - من عدمه - لتيسير مرسوم المصحف الذي استصعبه القراءة

¹ رسم المصحف دراسة لغوية نحوية ص198 وينظر: الصحابي لابن فارس ص11.

² أدب الكاتب لابن قتيبة، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط4/1382هـ-1963م، ص201.

وبخاصة أولئك الذين لا يجيدون الهجاء المصحفي، فروي عن الداني في المقنع أن إمام المدينة مالكاً (ت179هـ) رحمه الله سئل: هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟ فقال لا إلا على الكتابة الأولى... وفي رواية، قال أشهب: سئل مالك فقيل له: أريت من استكتب مصحفا اليوم أترى أن يكتب على ما أحدثه الناس من الهجاء اليوم؟ فقال: لا أرى ذلك ولكن يكتب على الكتابة الأولى.

قال أبو عمرو: ولا مخالف له في ذلك من علماء الأمة¹

ويروى عنه أيضا ما نصه قال أشهب: سئل مالك عن الحروف تكون في القرآن مثل الواو والألف، أترى أن تغير من المصحف إذا وجدت فيه كذلك؟ قال: لا.

قال أبو عمرو: يعني الواو والألف الزائدتين في الرسم لمعنى المعدومتين في اللفظ نحو الواو في [أولئك] و[أولي] و[أولات] و[سأوريكم] و[الربوا] وشبهه². وجاء إجماع العلماء على ما ذهب إليه مالك حتى قال بعضهم "إن ذلك هو مذهب الأئمة الأربعة"³.

وقد سبق الاستشهاد قبل قليل بأنه لا مخالف في ذلك لمالك عن علماء الأمة بلسان الداني.

وورد عن الزركشي ما قاله الإمام أحمد بن حنبل (164-241هـ): "تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في باء أو واو أو ألف أو غير ذلك"⁴

¹ المقنع، ص29.

² -المقنع، ص50.

³ رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، ص199.

⁴ البرهان في علوم القرآن ج1/ 379.

وقال البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين (ت458هـ) في شعب الأيمان: "من كتب مصحفاً فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به هذه المصاحف ولا يخالفهم فيه، ولا يغير مما كتبوا شيئاً فإنهم كانوا أكثر علماً وأصدق قلباً ولساناً وأعظم أمانة منا فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم"¹.

وقال اللبيب فما فعله صحابي قلنا الأخذ به والإقتداء بفعله والإتباع لأمره فكيف وقد اجتمع عليه كتاب المصحف حين كتبه نحو اثني عشر ألفاً من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين"².

وأوضح الزمخشري (ت538هـ) رأيه واعتبر خط المصحف سنة لا تغير حين علق على رسم لام الجر التي جاءت مفصولة في رسم المصحف من قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ [الفرقان:7] قال: "وقعت اللام في المصحف مفصولة عن هذا خارجه عن أوضاع الخط العربي وخط المصحف سنة لا تُغَيَّرُ"³.

ثم إذا ما جئنا إلى ما قاله سلطان العلماء العز بن عبد السلام (ت660هـ) ألفيناه يذهب إلى جواز كتابة المصحف بما ألف الناس من الهجاء بل يأخذ من نصه معنى أبعد من ذلك أي أوجب كتابة المصحف بالرسم القياسي خشية وقوع التغيير في القرآن من جهال القراءة، وقد أورد هذا النص الزركشي في البرهان، بعد أن ذكر الرأي أو آراء من تشبث بإتباع مرسوم المصحف حيث قال: "قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: "لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسوم

¹ الإتيان، للسيوطي،

² رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، ص199 نقلا عن الدرّة الصقلية.

³ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، تحقيق مصطفى حسين أحمد، المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة، الطبعة الثانية، 1953م، ج3/209.

الأولى باصطلاح الأئمة؛ لثلا يوقع في تغيير الجهال ولكن لا ينبغي إجراء هذا على إطلاقه؛ لثلا يؤدي إلى دروس العلم، وشيء أحكمته القدماء لا يترك مراعاة لجهل الجاهلين؛ ولن تخلو الأرض من قائم لله بالحجة"¹.

إذا كان هذا الرأي قد لاقى صدىً كبيراً وروج كثير ممن يرغبون عن الرسم المصحفي ويريدون تعويضه بالرسم القياسي، عربا كانوا أو غير عرب كخطوة أولى ثم إذا ما استطاعوا انتقلوا إلى لفظ القرآن بعد رسمه وأتى لهم ذلك وقد تكفل الله بحفظه، قال وقوله الحق: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

فإذا كان رأي العزّ قد نال من الترحاب والقبول والتعويل عليه ما نال فقد انبرى علماء يردون هذا القول ويبطلونه جملة وتفصيلاً، منطلقهم الواقع وسندهم حال قائله ومعياره ألفاظ عبارات نصه، وممن دافع بحجة مقبولة صاحب (سفير العالمين) محمد فؤاد طلعت حين قال: "هذا القول المنسوب للعزّ بن عبد السلام (ت660هـ) لا يُسَلَّم بصحة نسبه إليه؛ فلم نجده في أي من كتبه: "الفوائد" و"الإشارة" و"قواعد الأحكام" و"الفتاوى"، ولا هو مستقيم العبارة؛ فإن آخره ينفي أوله، فكيف يقول: "لا تجوز كتابة المصحف الآن" ثم يتبع ذلك بقوله: "على المرسوم الأول باصطلاح الأئمة"، فإنه لا يليق في حق من نُعت بسلطان العلماء أن يُقرّ بأن المرسوم الأول هو اصطلاح الأئمة من علماء الصحابة، ثم هو ينهى عن اتباعه، ومتى؟ في القرن السابع الهجري أي بعد ستمائة عام ظلت الأمة فيها مطبقة على كتابة مصاحفها على الرسم الذي أجمع عليه سلفها الصالح بلا مخالف"².

¹ البرهان في علوم القرآن ج 1/379.

² سفير العالمين، ص 48.

و تساءل بعد ذلك، لم يغير هذا الرسم؟ وما حجة تغييره؟ إذ العز كان عللّ بعبارة" لثلا يوقع في تغيير الجهال" وردّ عليه من دنيا الناس، وكان العالم الإسلامي صفا له الفكر وقُضي على ساعد الجهال طوال ستة قرون، حتى إذا ما أشرقت شمس القرن السابع عمّ الجهل وانتشر بين ربوع المسلمين بغيته مما حدا بقطب من أقطاب ذلك الزمن أن يفتي بعدم جواز إتباع مرسوم المصحف الذي ما خولف قبل ولا بعد.

ويُضيف أشرف محمد فؤاد طلعت وهو يناقش هذا الرأي ويعمل على إبطاله أو تصحيح ما قد حُرّف في كلماته بحذف عبارة أو إبدالها بأخرى، قال: "وعلى فرض أن هذا القول موجود بالفعل في أحد كتب العز بن عبد السلام، فلا يُبعد أن يكون وقع فيه تحريف غير متعمّد من قِبل النُّسّاخ، أو متعمد من قبل المغرضين، فتحرفت كلمة" إلا " إلى " الآن "؛ فإن رسمها متقارب، ويسهل أن تضاف النون إلى " إلا " لتصبح " الآن" فتقلب المعنى رأساً على عقب، وتخرج العز من حظيرة الإجماع، فبدلاً من أن تكون العبارة: "لا تجوز كتابة المصحف [إلا] على المرسوم الأول باصطلاح الأئمة، لثلا يوقع في تغيير الجهال" - وهي عبارة مستقيمة لفظاً ومعنى، تحمي حمى المصحف الشريف أن يقع نُهبة للتغيير من العوام والجهلة والمغرضين - صارت العبارة: "لا تجوز كتابة المصحف[الآن] على المرسوم الأول..." فآل المعنى إلى الضدّ تماماً بل واضطربت العبارة في نفسها وغمضت"¹

فانظر كيف حرّكت كلمة واحدة عقولاً وأسالت حبراً كثيراً لكن لا يخلو زمن من أناس يقرؤون ما يكتب بتمعن وتدبر وبخاصة إذا كان ذلك المكتوب يمتد إلى أغلى وأنفس ما يدافع عنه المسلم عامة والعالم الرباني النزيه خاصة.

¹ سفير العالمين، ص 49.

وتوقع صاحب (سفير العالمين) في محاولته الرد على ما تحملته عبارات العز بن عبد السلام، قال: "ولو افترضنا أن الإمام العز بن عبد السلام - أو غيره - يرى أن تُكتب المصاحف على قواعد الإملاء الحديثة، فلا يُسلم بذلك أيضاً؛ فإن في قواعد الإملاء الحديث كثير مما يخالف فيه المكتوب المملفوظ - نحو: عمرو، مائة، ذلك، هذه - مما سيوقع الجهال في الخطأ أيضاً، فلا مزية لاستبدال الرسم العثماني بها، كما أنها عرضة للتغيير والإضافات في كل عصر، بل وتختلف من قطر إلى قطر، بخلاف الرسم العثماني المجمع عليه"¹.

لا شك أن في كتاباتنا الإملائية كلمات جاءت على خلاف ما تلفظ به، ولو جارينا سنة الخط لكان إلزاماً علينا أن نصور الكلمات بحروفها من غير زيادة أو نقص لكن لما كان لأحوال الناس تقلبات وحوادث تؤثر في أصحابها بات من الضروري على ذوي الاختصاص أن يحموا لغتهم من كل طارئ وأن يحيطوها بسياج تقعيد يتفق عليه في أكثر بنوده، حتى غدت هذه الكلمات التي خالفت لفظها في مرسومها بالزيادة أو النقصان محصورة محدودة، ومع ذلك نسمع من يلحن أداء هذه الألفاظ، من ذلك مثلاً كلمة (مائة) التي وافق رسمها الاصطلاحي رسمها الإملائي، فينطقها (مائة) بميم مفتوحة، فهل أغنى عنها هذا التعديل؟ أم هو تجميع للكلمات.

وربما بدا اللحن واضحاً في نطق كثيرين - وربما أجادوا العربية وأتقنوها - حين لفظوا بكلمة (أولئك)، لأنها ضبطت في المصحف بما يخاله القارئ غير البارع بأنها مسكنة الواو، والصواب فيها أن ما ظهر من ضبط على هذه الواو هو

¹ المصدر نفسه، ص 49-50

دائرة ليس برسم علامة السكون، لأن المسكّن يُضبط في المصحف كما هو معروف بوضع رأس خاء صغيرة من غير نقط على شاكلة ضبط كلمة (الحَمْدُ).

وبعد فحص رأي العز هذا نجد غانم قدوري تلمس العذر لصاحبه ولا يُخطئه أو يطعن في صحة نسبته إليه، بل عدّه رأياً يتماشى ونظرية قائله التي هي من قواعد المصالح، إذ الشريعة تدرأ المفسد لتجلب المصالح.

فجاء عنه "وليس غريباً على الإمام العز مثل هذا الرأي الذي تفرد به فهو صاحب نظرية المصالح فالشريعة كلها مصالح إما تدرأ مفسد أو تجلب مصالح، وقد أداه اجتهاده أن في مذهبه مصلحة وتيسيراً على الأمة، لكن يبدو أنه قد غاب عنه ما للرسم العثماني من دور في تصحيح القراءات إضافة إلى كونه أثراً من أيدي الصحابة الكرام الذين هم أول من تلقى القرآن وسمعه من النبي ﷺ - وأول من خطه في المصاحف"¹.

وذهب أبعد من ذلك القسطلاني وهو يشيد بعمل الصحابة حين اجتهدوا وكتبوا حروف القرآن في المصحف قال: "ولم يكن ذلك من الصحابة كيف اتفق بل على أمر عندهم تحقق"².

ومما يدعم ذلك اختلافهم في كتابة كلمة (التابوت) أبتاء المفتوحة أم المربوطة؟ ثم بعد مشورة اتفقوا على رسمها بالباء المفتوحة ولو كان الأمر فيه نوع من الشرع لما استوقفتهم هذه الكلمة.

ومما دفع القائلين بأن رسم القرآن توقيفي عجزهم عن إدراك كنه بعض مرسوم الكلمات في هيأتها التي خالفت اللفظ من زيادة حرف أو نقصه لذا ذهبوا-

¹ رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، ص 201-202.

² لطائف الإشارات القسطلاني، ج 1/285.

القائلين بالتوقيف-إلى رسم المصحف بهيئات صور الكلمات يعتبر توقيفاً من النبي ﷺ يعضد ذلك ويقويه " ما ذكره العلامة ابن المبارك نقلاً عن العارف بالله الشيخ عبد العزيز الدباغ إذ يقول في كتابه الإبريز ما نصه: "رسم القرآن سر من أسرار الله المشاهدة وكمال للرفعة قال ابن المبارك: فقلت له: هل رسم الواو بدل الألف في نحو "الصلاة والزكاة والحياة والمشكاة" وزيادة الواو في "سأوريكم وأولئك وأولاء وأولات وكالياء في نحو هديهم وملأيه وبأييكم وبأييد" هذا كله صادر من النبي ﷺ أو من الصحابة فقال: هو صادر من النبي ﷺ وهو الذي أمر الكتاب من الصحابة أن يكتبوه على هذه الهيئة فما نقصوا ولا زادوا على ما سمعوه من النبي فقلت له: إن جماعة من العلماء ترخصوا في أمر الرسم وقالوا إنما هو اصطلاح من الصحابة مشوا فيه على ما كانت قريش تكتب عليه في الجاهلية وإنما كتبوا صدر ذلك من الصحابة لأن قريشا تعلموا الكتابة من أهل الحيرة، وأهل الحيرة ينطقون بالواو في الربا، فكتبوا على وفق منطقتهم، وأما قريش فإنهم ينطقون فيه بالألف وكتابتهم له بالواو على منطق غيرهم وتقليدهم، حتى قال القاضي أبو بكر الباقلاني: كل من ادعى أنه يجب على الناس رسم مخصوص وجب عليه أن يقيم الحجة على دعواه فإنه ليس في الكتاب ولا في السنة ولا في الإجماع ما يدل على ذلك فقال: ما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة وإنما هو توقيف من النبي وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الألف ونقصانها لأسرار لا تهتدي إليها العقول، وهو سر من الأسرار خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية.

ثم واصل حديثه وجعل الإعجاز في القرآن نظماً ورسمًا قال: "وكما أن نظم القرآن معجز فرسمه أيضاً معجز وكيف تهتدي العقول إلى سر زيادة الألف في

"مائة" دون "فئة"... أم كيف تبلغ العقول إلى وجه حذف بعض أحرف من كلمات متشابهة دون بعض تحذف الألف من "قرءان" بيوسف والزخرف وإثباتها في سائر المواضع... وكيف تتوصل إلى فتح بعض التاءات وربطها في بعض؟ فكل ذلك لأسرار إلهية وأغراض نبوية، وإنما خفيت على الناس لأنها أسرار باطنية لا تدرك إلا بالفتح الرباني... وأكثر الناس لا يهتدون إلى أسرارها... فكذلك أمر الرسم الذي في القرآن حرفاً بحرف"¹.

ولم يرد البحث-هنا-أن ينقل هذا الرأي وقد جاء في شكل حوار تساؤلي يراد به الرد على من يزعم أن أمر الرسم قابل للاجتهاد، لم يكن لينقل النص كاملاً لأنه سيرد له ذكر في مباحث أخرى.

2- موقفهم من عدم التزامه في رسم المصحف :

أمّا الاتجاه الآخر الذي راح أنصاره لا يرون ما رآه الفريق الأول فقد ذهبوا إلى أن رسم المصحف ليس توقيفياً بل اصطلاحياً، وضعه الصحابة واصطلحوا عليه في كتاباتهم باجتهاد منهم، حسب ما أتيح لهم في عصرهم، ولم ينقل أن النبي ﷺ كان يملي عليهم - فيما ذهبوا - أي على كاتب الوحي إذ لو كان كذلك لتواتر عنه ﷺ، وما خفي أمره على حي ولم يصح في ذلك أثر عنه عليه الصلاة والسلام وقد دعموا رأيهم بواقع الرسم ذاته بما فيه من هيئات متعددة لرسم كلمات القرآن تنفي أن يكون هذا الرسم توقيفياً².

وممن تحمس لهذا الرأي القاضي أبو بكر في الانتصار فقد جاء في البرهان ما نصه: "وأما الكتابة فلم يفرض الله على الأمة فيها شيئاً، إذ لم يؤخذ على كتاب

¹ مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني، ج1/382-383.

² ينظر: رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، ص203.

القرآن وخطاط المصحف رسماً بعينه دون غيره أوجبهم وترك ما عداه، إذ وجوب ذلك لا يدرك إلا بالسمع وبالتوقيف وليس في نصوص الكتاب ولا مفهومه أن رسم القرآن وضبطه لا يجوز إلا على وجه مخصوص وحد محدود لا يجوز تجاوزه ولا في نص السنة ما يوجب ذلك ويدل عليه، ولا في إجماع الأمة ما يوجب ذلك ولا دلت عليه القياسات الشرعية".

ولم يكتف صاحب هذا الرأي بما قدم من أدلة على تدعيم رأيه وذهب ليستدل بالسنة النبوية أو ما يفهم من ذلك حين قال "بل السنة دلت على جواز رسمه بأي وجه سهل لأن رسول الله ﷺ كان يأمر برسمه ولم يبين لهم وجهها معينا ولا نهى أحدا عن كتابته ولذلك اختلفت خطوط المصاحف"¹.

غير أن أبا بكر اعتبر من وجوه اختلاف الخط والمرسوم كتابة الكلمة بالحروف الكوفية وجعل اللام على صورة الكاف وأن تعوّج الألفات، وأرجع ذلك كله إلى كون الخطوط علامات ورسوما تجري مجرى الإشارات والعقود والرموز وهل كانت نظرتة هذه ماسة قواعد مرسوم المصحف أو ما تباين فيه خط المصاحف عن الخط القياسي؟

ثم طلب الحجة والدليل من كل مَنْ يدّعي أن الرسم أمر يجب فيه الإتيان قال: "وبالجملة فكل من ادعى أنه يجب على الناس رسم مخصوص وجب عليه أن يقيم الحجة على دعواه وأنى له ذلك؟"²

ناقش الزرقاني رأى القاضي أبي بكر واعتبره مردودا غير مقبول، إذ سبق أن أقر الرسول ﷺ كتاب الوحي ما رسموه في الصحف بين يديه ومن هؤلاء زيد بن

¹ مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر، ج 1/380-381.

² مناهل العرفان في علوم القرآن. الزرقاني ج 1/381

ثابت الذي كتب المصحف في عهد الخليفين أبي بكر وعثمان وأورد الحديث الذي يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاوية: "أَلْتَقِ الدَّوَاةَ وَحَرَّفِ الْقَلَمَ وانصب الباءَ، وفرّق السّينَ، ولا تُعَوِّرِ الميمَ، وحسن الله ومُدِّ الرحمنَ، وجوّد الرّحيمَ، وَضَعِ قَلَمَكَ عَلَى أُذُنِكَ الْيُسْرَى، فَإِنَّهُ أَذَكَرَ لَكَ"¹.

يفيدنا هذا الحديث في أمور لعل أهمها: عناية ﷺ بأمر الكتابة والخط بل وأدوات الكتابة حتى تخرج العملية الكتابية - وهي من أدوات التواصل - في أبهى صورها. يضاف إليها تجويد الخط بإعطاء كل حرف حقه من حيث إتقان رسمه، كما يدرك أن الحروف إذا لم تميز في رسمها وتضبط في هندستها، أدى ذلك في تحريف في القراءة وخروج عن مطلب اللفظ، فلو أهملنا إعجام هذه الكلمة لقرئت أكثر من قراءة أي عبارة "تبين" فقد تقرأ: تَبِينُ وَيُبِينُ وَسَنَنْ وَشَنَّ وَعَلِيهِ يَجِبُ إِدْرَاكُ مَا لِلخَطُوطِ مِنْ جَمَالٍ، وَجَمَالِهَا يَدُلُّ عَلَى جَمَالِ خَاطِبِهَا.

ولا يخفى - كما أشار الزرقاني - بطلان كلام من قال باصطلاح الصحابة على مرسوم المصاحف، فقد علم أن القرآن كتب في زمانه إما أن يكون هو عين الهيئة أو هو غيرها، فإن كان عينها بطل الاصطلاح...

وإن كان غير ذلك فكيف يكون النبي ﷺ كتب على هيئة كهيئة الرسم القياسي مثلا، والصحابة خالفوا وكتبوا على هيئة أخرى، فلا يصح ذلك لوجهين: أحدهما نسبة الصحابة إلى المخالفة وذلك محال، ثانيها: أن سائر الأمة من الصحابة وغيرهم أجمعوا على أنه لا يجوز زيادة حرف في القرآن، ولا نقصان حرف منه... - وأضاف قائلا - ولئن جَوَزْنَا لَصْحَابِي أَنْ يَزِيدَ فِي كِتَابَتِهِ حَرْفًا لَيْسَ بِوَحْيِي،

¹ المصدر السابق، ج1/377.

لزمنا أن نجوز لصحابي آخر نقصان حرف من الوحي، إذ لا فرق بينهما، وحينئذٍ تنحلُّ عروة الإسلام بالكلية"¹.

3- الموقف الوسط :

وقد وقف فريق ثالث موقف الوسطية آخذاً بجواز كتابة المصحف الآن للامة على اصطلاحات المرسوم الشائع، ولا تجوز في نظرهم كتابة المصحف بالرسم العثماني الأول، لثلا يقع - كما عُرِف عن العز بن عبد السلام - في تغيير من الجهال "و لكن يجب في الوقت نفسه المحافظة على الرسم العثماني، كأثر من الآثار النفيسة الموروثة عن سلفنا الصالح..."²

وعقد عبد الفتاح إسماعيل شلبي مبحثاً بعنوان: هل يلتزم رسم المصحف العثماني؟ أجاب فيه بذكر المؤيدين والمعارضين ومال إلى الفريق الثاني بحجة مسaire العصر وعدم تمكن العامة من إدراك رسومات المصحف فيما خالفت فيها الرسم القياسي، وذكر لكلا الفريقين أدلته وحججه ناقلاً ما توصل إليه الأزهر الشريف حين استفتي في هذه المسألة.

قال إسماعيل شلبي: وقد أُثيرت هذه المسألة في زماننا، وكان للجنة الفتوى بالأزهر إسهام فيها؛ إذ رأت الوقوف عند المأثور من كتابة المصحف وهجائه، واحتجت لما رآته: "بأن القرآن كُتِب في عهد النبي ﷺ برسم كُتبت به مصاحف عثمان، واستمر المصحف مكتوباً بهذا الرسم في عهد الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والأئمة المجتهدين في عصورهم المختلفة، ولم يُنقل عن أحد من هؤلاء جميعاً أنه رأى تغيير هجاء المصحف عمّا رُسم به أولاً إلى تلك القواعد التي

¹ مناهل العرفان، ج1/383-384.

² المصدر نفسه، ج1/385.

حدثت في عهد التأليف في البصرة والكوفة"¹. بل ظل مصطلح رسم القرآن قائماً مستقلاً بنفسه بعيداً عن التأثير بتلك القواعد²؛ لأنه سنة، والسنة يجب أن تُتَّبَع.

فإذا كان هذا رأي الفريق المحافظ على رسم المصحف باصطلاحه القديم، فإن للفريق الثاني رأياً يجعل سنده التغيير والتبديل بالإملاء المعاصر كي يُقرأ القرآن صحيحاً ويُحفظ صحيحاً، إذ "إن الطلبة في المدارس والمتعبدین بتلاوة القرآن من عامة الناس إذا قرؤوا القرآن مرسوماً بالرسم العثماني فإنهم يقعون في الخطأ والتحريف.

أما إذا قرؤوه مرسوماً بالرسم الذي تعارف عليه الناس فإن ألسنتهم تسلم من التحريف والتبديل...

وخذ مثلاً الآيات الكريمة برسمها العثماني:

﴿مِنْ نَّبَأِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: 34]

﴿مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾ [يونس: 15]

﴿بِأَيْدِيكُمْ الْمَقْتُولُونَ﴾ [القلم: 6]...

"إن القارئ الذي تعودَ قراءة الصحف والمجلات في زماننا بالرسم الإملائي إذا أراد أن يقرأ الآيات السابقة - ولم يكن لها حافظاً - فإن قراءته ستتخالف مع التنزيل الموحى به من عند الله"¹.

¹ رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم، دوافعها ودفعها، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، نشر وتوزيع دار المنارة، جدة، الطبعة الثالثة، 1410هـ-1990م، ص131.

² ينظر: معجم القراءات القرآنية، عبد العال سالم مكرم وأحمد مختار عمر، مطبوعات جامعة الكويت، ط1، 1402-1982، ص42.

لا تقوى هذه الحجة ومثيلاتها لتجعل الرسم الإملائي معوضاً للرسم العثماني، ولا تقف سداً للاستبدال، لأن الواجب على من يريد أن يحفظ القرآن كله أو بعضه، وإن جزءاً منه، وهو يعلم أنه يريد التقرب إلى مولاه بهذا الحفظ، فالواجب عليه أن يأخذه مشافهةً، وأن يتعلم مرسومه ولو بقدر يسمح له بأن يفرق بين أداء كلمة وأخرى، ولا يشفع لأي كان أن يحتمي بهذا، فقد تيسر لكل من يريد القراءة في المصحف من السبل ما هو كفيلاً لأن يُصبح شيخاً معلماً إذا ما لازم ذوي الاختصاص، وأين الغرابة عند الصغار وهم يتعلمون القرآن حفظاً كما يتعلمونه رسماً حرفاً بحرفٍ وصدق الله إذ قال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: 17].

وختم إسماعيل شابي هذا المبحث بذكر رأيه في هذه القضية إذ قال: "والرأي عندي: كتابة القرآن للعامة بالرسم الإملائي الذي يتعرف عليه الناس، ولكن ليس معنى ذلك إهمال الرسم العثماني، بل يبقى أثراً عن أسلافنا الصالحين، يدرسه المتوفرون على البحث العلمي، ويقرؤه الحافظون لكتاب الله الذين يأمنون التغيير والتحريف"².

وسبق أن رخص الإمام مالك رحمه الله تعالى حين سُئِلَ: هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء اليوم؟ فأجاب بالجواز ولكن ليس بإطلاق الحكم على الأمهات، وقد حدّد هذا الترخيص فقال: "وأما المصاحف

¹ رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين. ص 133-134.

² المصدر نفسه، ص 134.

الصغار التي يتعلم فيها الصبيان والواحد منهم فلا أرى بذلك بأساً، وأما الإمام من المصاحف الكبار فلا"¹.

يفهم من كلامه الترخيص لأجل التعلم للصغار بحيث تخصص لهم مصاحف ويؤذن لهم - أيضاً - بالرسم الإملائي في كتابة الواحد، وقد وجدنا من المصاحف ما يدل هذه الصعوبة بالإشارة في هامش ورقة المصحف إلى تحديد رسم بعض الكلمات رسماً إملائياً.

4- نظرة ابن خلدون للرسم المصحفي :

إذا كان القاضي أبو بكر الباقلاني في كتابه الانتصار - كما سبقت الإشارة إليه - قد أباح مخالفة الرسم العثماني باعتبار أن الكتابة لم يفرض الله فيها على الأمة شيئاً، فإن ابن خلدون انتقد فكرة الإصرار على الرسم القديم في سياق حديثه عن الخط العربي وكان أكثر جرأة من غيره، حين عقد فصلاً بعنوان: فصل " في أن الخط والكتابة من عداد الصنائع الإنسانية"، عرّف فيه بالخط وربط تقدمه بتقدم العمران، وآثر أهل الحضرة على أهل البادية، لأن أكثرهم لا يقرؤون ولا يكتبون.

جاء في تعريفه للخط ما نصه: "وهو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس، فهو ثاني رتبة عن الدلالة اللغوية، وهو صناعة شريفة، إذ الكتابة من خواص الإنسان التي تميز بها عن الحيوان. وأيضاً فهي تطلع على ما في الضمائر وتتأدى بها الأغراض إلى البلد البعيد... ويطلع بها على العلوم والمعارف وصحف الأولين... وخروجها في الإنسان من القوة إلى

¹ إرشاد القراء والكتابين إلى معرفة رسم الكتاب المبين، للعلامة الشيخ رضوان بن محمد بن سليمان الشهير بالمخللاتي، دراسة وتحقيق عمر بن حسن بن عبد القادر المرابطي، مكتبة الإمام البخاري مصر، ط1، 1428هـ-2007م، ج1/166.

الفعل إنما يكون بالتعليم، وعلى قدر الاجتماع وال عمران والتناغي في الكلمات والطلب لذلك تكون جودة الخط في المدينة، إذ هو من جملة الصنائع¹.

اعتبر ابن خلدون الخط من جملة الصنائع، وهو من خواص الإنسان وبه يتميز عن الحيوان، ويعد أن تتبع مسيرة الخط العربي قبل مجيء الإسلام عبر مراحل، إلى أن تعلمته قريش، ثم صار يكتب به الوحي، غير أنه بدا له هذا الرسم دون ما يطلبه التحضر والتمدن، قال: "فكان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة، ولا إلى التوسط لمكان العرب من البداوة والتوحش وبعدهم عن الصنائع.

وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف، حيث كتبه الصحابة بخطوطهم، وكانت غير مستحكمة في الإجادة، فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها.

ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها تبركاً بما رسمه أصحاب رسول الله ﷺ وخير الخلق من بعده المتلقون لوحيه من كتاب الله تعالى وكلامه، كما يقتفى لهذا العهد خط ولي أو عالم تبركاً، ويتبع رسمه خطأً أو صواباً، وأين نسبة ذلك من الصحابة فيما كتبوه، فاتبع ذلك وأثبت رسماً ونبه العلماء بالرسم على مواضعه.

ولا تلتفتن في ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين من أنهم كانوا محكمين لصناعة الخط، وأن ما يتخل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ليس كما يتخيل بل لكلها وجه...

¹ المقدمة تاريخ العلامة ابن خلدون، الدار التونسية للنشر 1984م، ط1، دار القلم، تونس، مج2/502-

وما حملهم على ذلك إلا اعتقادهم أن في ذلك تنزيهاً للصحابة عن توهم
النقص في قلة إجادة الخط، وحسبوا أن الخط كمالاً، فنزّهوهم عن نقصه ونسبوا
إليهم الكمال بإجادته، وطلبوا تعليل ما خالف الإجادة من رسمه وذلك ليس
بصحيح.

واعلم أن الخط ليس بكمال في حقهم، إذ الخط من جملة الصنائع المدنية
المعاشية، والكمال في الصنائع إضافي، وليس بكمال مطلق، إذ لا يعود نقصه
على الذات في الدين ولا في الخلال، وإنما يعود على أسباب المعاش وبحسب
ال عمران والتعاون عليه لأجل دلالة على ما في النفوس.

وقد كان النبي ﷺ أمياً، وكان ذلك كمالاً في حقه، وبالنسبة إلى مقامه، لشرفه
وتنزهه عن الصنائع العلمية التي هي أسباب المعاش وال عمران كلها.
وليست الأمية كمالاً في حقنا نحن، إذ هو منقطع إلى ربه ونحن متعاونون على
الحياة الدنيا¹.

لا يخلو نص ابن خلدون هذا من هجوم واضح على تقديس الخط القديم².

يضاف إلى هذا أن رأي ابن خلدون جاء على النقيض من رأي القائلين
بالتوقيف في الرسم القرآني ووجوب الالتزام به " كما نوقش بأن تطور الخط
واختلافه لا يعني بالضرورة جواز تغيير رسم المصحف؛ لأن الخطوط أمر شكلي

¹ مقدمة ابن خلدون، مج2/505-506.

² ينظر: في علوم القرآن، دراسات ومحاضرات، تأليف محمد عبد السلام كفاقي وعبد الله الشريف، دار
النهضة للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص101.

بحث يرجع إلى صورة الحروف، أما الرسم جوهرى يرجع إلى بنية الحروف ومادتها"¹.

ومما هو متعارف بين العلماء المهتمين بالرسم القرآني، وقد أثبتته الكتب التي اهتمت بعلوم القرآن والقراءات، إدخال تحسينات وتكميلات على رسم المصحف، ولكنها كانت في حدود لم يتجاوزها أولئك الذين رأوا ضرورة ما أضيف كالنقط والشكل، وقد تغنيا بلا شك نظرة في صفحة من صفحات مصحف كتب في القرن الأول أو الثاني وبخاصة إذا كان غير معجم، ونظرة في مصحف مطبوع.

لم يكن ابن خلدون سباقاً إلى النيل من رسوم المصحف، بل وظهر غيره وفي قرون متقدمة، اعتبر ما خالف الكتاب فيه الهجاء سوء تقدير.

وكان أبرز من مثل هذا الأمر الفراء (ت207هـ) مع أنه صرح أكثر من مرة برد القراءة المخالفة لرسم المصحف وأنه لا يشتهي مخالفة الكتاب وأن: إتباع المصحف إذا وجدت له وجهاً من كلام العرب وقراءة القراء أحبُّ إلي من خلافه"².

فإذا ما تحدث عن زيادة الألف في مثل قوله تعالى: "لأدبحنه" وغيرها دون المواضع الأخرى، حمل ذلك أو تلك الظواهر على مخالفة الكتابة، قال: "وذلك أنهم لا يكادون يستمرون في الكتاب على جهة واحدة ألا ترى أنهم كتبوا

¹ الرسم العثماني للمصحف الشريف مدخل ودراسة، لحسن سري، مركز الإسكندرية للكتاب، الطبعة الأولى، 1418هـ/1998م، ص51.

² معاني القرآن، للفراء، تحقيق محمد علي النجار وجماعة، دار الكتاب المصرية، الطبعة الأولى، 1955م، ج1/293.

﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ السُّذُرُ﴾ [القمر:5] بغير ياء، ﴿وَمَا تُغْنِي الْأَيْلُتُ وَالسُّذُرُ

عَسَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:101]، بالياء وهو من سوء هجاء الأولين¹.

وإذا كانت عبارات الفراء غير جازمة في حمل من رسموا المصحف وخالفوا المرسوم المؤلف على الخطأ، فإن إشارات ابن قتيبة (ت276هـ) في توجيهه لما عدّ من وجود لحن أو خطأ في رسم بضعة كلمات في المصحف راجعاً إلى أحد احتمالين، ومع ذلك يصرح " بأن كل ما جاء في رسم المصحف من وجوه مخالفة للمشهور من قواعد الهجاء عند الكتاب هو من باب الخطأ"².

وقد بنى ابن قتيبة رأيه على ما ذكرته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وحديث عثمان رضي الله عنه (أرى فيه لحناً) وما قاله النحاة في ذلك.

قال ابن قتيبة: "وليس تخلص هذه الحروف من أن تكون على مذهب من مذاهب أهل الإعراب فيها، أو أن تكون غلطاً من الكاتب، كما ذكرت عائشة رضي الله عنها فإن كانت على مذاهب النحويين فليس ههنا لحن، بحمد الله وإن كانت خطأ في الكتاب فليس على الله ولا على رسوله ﷺ جنابة الكاتب في الخط ولو كان هذا عيباً يرجع على القرآن لرجع عليه كل خطأ وقع في كتابة المصحف من طريق التهجي، فقد كتب في الإمام ﴿إِنَّ هَذَا لَسَجِرَانٍ﴾ [طه:63] بحذف ألف التثنية، وكذلك ألف التثنية تحذف في هجاء هذا المصحف في كل مكان...

¹ المصدر نفسه، ج1/439.

² رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية، غانم قدوري الحمد، ص207، ط1، 1402هـ، مؤسسة المطبوعات العربية للطباعة والنشر والتوزيع.

وكتبوا ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المعارج:36]، فمال بلام مفردة وهذا أكثر في المصحف من أن نستقصيه"¹.

نلاحظ من خلال ما أورده ابن قتيبة من أمثلة وهو يقارن بين ما ورد في المصحف مرسوماً على خلاف الأصل بزيادة الواو مثلاً كلفظة الصلاة والزكاة والحياة التي ترسم بطريقة: الصلوة، الزكوة، الحيوة، وما ورد مطابقاً للأصل المألوف كلفظة (القطاة والقناة والفلاة بالألف) وقوله: "ولا فرق بين تلك الحروف وبين هذه"²، يُستدل بذلك كله على سيطرة وهيمنة قاعدة (الأصل في الكتابة موافقة الخط للفظ).

يضاف إلى ذلك إهماله الجانب التاريخي - كما قال غانم قدوري - لرسم تلك الكلمات" وما قد تكون مرت به من ظروف الاستخدام والانتقال من بيئة إلى أخرى، وهذه هي الغلطة الكبيرة التي وقع فيها أكثر الباحثين في الكتابة العربية عامة ورسم المصحف خاصة، سواء في ذلك من حاول إيجاد تعليل لتلك الوجوه أم من قال بغلط الكاتب فيها"³.

ابْتُغِيَ بهذا التقديم والتعرف على من سار على نهج تخطئة رُسام المصاحف بسط المسألة وإن عدّ ابن خلدون رائداً في هذه الفكرة بتحامله الصريح ونعوته التي قللت من شأن العرب بعد أن خطوا خطوات كبيرة في التحضر بفضل الدين الجديد.

¹ تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، الطبعة الثالثة، 1401هـ-1981م، ص 40-41.

² تأويل مشكل القرآن، ص 40-41.

³ رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، ص 208.

وقد لاقى نص ابن خلدون ردوداً كثيرة، دعمها أصحابها بشواهد من الحديث وواقع الصحابة رضي الله عنهم.

قال الشيخ محمد أبو شُهبة: "أما ما ذكره ابن خلدون: من أن العرب كانوا مغرقين في البداوة، فنقول: إنهم بعد الإسلام قد خطوا في الحضارة العلمية والكتابية خطوات ملموسة، وذلك لما بيّنا من أن الإسلام دين العلم والمعرفة، وأنه دعا إلى إزالة الأمية من أول يوم وأما متابعة من جاء بعد الصحابة لهم في رسم المصحف تبركاً بهم فلم يكن التبرك هو المعول عليه في هذا العصر، وإنما كان ديدنهم أن ما وافق الحق والصواب قبلوه وما خالف الحق والصواب نبذوه.

وأما أن الصحابة لم يكونوا على درجة من إتقان الخط فمردود، لأن النبي ﷺ اختار كُتَّاب القرآن من الحذاق بالكتابة، ومنهم من كان يعرفها في الجاهلية، ثم جاء الإسلام فزاده حذقاً ومعرفة بها، وقد مرت مُثُلٌ مما التزموه في الكتابة يدل دلالة أكيدة على أن هذا أمرٌ كان مقصوداً لهم وأنهم كانوا على درجة من الحذق بالهجاء والكتابة"¹.

وقال حفني ناصف: "ولا نعلم أحداً تحكك في هذا الأمر إلا ابن خلدون في القرن الثامن (ت808هـ)، وبعض رجال الأزهر في القرن الرابع عشر، وليس أحد فيها إماماً مجتهداً والحمد لله"².

جاء هذا النص في بحث بعنوان "تاريخ المصحف"، نشرته مجلة "المقتطف" في عدد أول يوليو 1933، ربيع الأول 1352هـ، الجزء 2 من المجلد 83، ص 205.

¹ سفير العالمين في إيضاح وتحريير ج 1/46-47، نقلًا عن: المدخل لدراسة القرآن ص 319.

² المصدر نفسه، ج 1/47.

ورد غانم قدوري على رأي ابن خلدون إذ قال: "و لا ينبغي أن ننخدع بما في كلام العلامة ابن خلدون رحمه الله تعالى من الجدية والصراحة والتحليل، فمع أنه مصيب في قوله إن أكثر الأوجه التي سيقت في تعليل مخالفة الرسم في بعض الكلمات - المبنية على أساس اختلاف المعاني خاصة - لا أصل له إلا التحكم المحض، ومع صدق الواقع فيما كان من بعض العلماء من مذاهب، تنزيهاً للصحابة من أن ينسب إليهم الخطأ في الرسم فإنه غير مصيب - إطلاقاً - في تصوره لحالة الكتابة العربية لأول الإسلام"¹.

ثم يقدم الأدلة على ذلك ويبرر ما يذهب إليه بقوله: "فلا يعني ضعف القدرة على إجادة كتابة الحروف والتفنن في رسمها في حواضر الحجاز - إن صح ما ذهب إليه في ذلك - أن الكتابة عندهم كانت عاجزة عن الاستجابة لمتطلبات اللغة، أو مضطربة في تمثيل أصواتها، فقد كانت الكتابة العربية قد عاشت تجربة طويلة من الاستعمال الواسع في أطراف الجزيرة قبل أن تذلف إلى الحجاز بقرن أو قرنين من الزمن"².

وقدم تعليقات لهذا العجز - إن وُجد - واعتبره لا يتجاوز صورة الحرف، قال: "وإذا كانت قد عانت - يعني الكتابة العربية - من وحشة البداوة في الحجاز فإن ذلك لم يتجاوز صورة الحرف وأداة الكتابة. وسنجد أن الوجوه المخالفة التي أقلقت العلماء على مدى القرون يمكن أن تكون دليلاً قوياً على رفاهة الحس اللغوي عند الصحابة الذين تولوا كتابة القرآن العظيم، عندما حاولوا تدوين الظواهر الصوتية التي كانوا يحسنونها عند التلاوة مع المحافظة على صورة

¹ رسم المصحف، دراسة لغوية وتاريخية، ص 210.

² رسم المصحف، دراسة لغوية وتاريخية، ص 201.

الكلمات القديمة، فجاء الرسم محافظاً على صور الكلمات وممثلاً للعناصر الصوتية الجديدة"¹.

وتوصل غانم قدوري بقراءته المتأنية نص ابن خلدون فبدا له أن نظام الكتابة في صدر الإسلام لم يكن كما سَطُرَتْ به المصاحف، وكأنه نظر إلى ما آل إليه أمر الكتابة بعد وضع قواعد لها تضبطها وكان ذلك بعد أكثر من نصف قرن، يقول غانم قدوري: "ونحس من قراءة كلام ابن خلدون أنه كان يتصور بأن هناك نظاماً للكتابة - في أول الإسلام - خاصاً بأهل الصناعة من الكتابة وأهل الخط غير الذي جاء في المصحف، وأن الصحابة رضوان الله عليهم قد قصرت همهم عن إجادة استخدام ذلك النظام الكتابي، فوقع نتيجة لذلك ما جاء في المصحف من وجوه عُدَّت في الفترات اللاحقة مخالفة لقواعد أهل الصناعة"².

وقد دفعه هذا الاتجاه الفكري إلى أن يُشارك غيره في نظرتَه إلى رسم المصحف من زاوية القواعد التي بها جاء علماء العربية وفي هذا يقول غانم قدوري: "وهو بهذا قد وقع فيما وقع فيه غيره من محاولة النظر إلى الرسم المصحفي من خلال القواعد التي وضعها علماء العربية بعد نسخ المصاحف بعشرات السنين، وهم حين وضعوها لم يفعلوا أكثر من أنهم درسوا الرسم المصحفي وحاولوا إخضاع الظاهرة الواحدة التي كُتبت بأكثر من صورة لقاعدة واحدة..."³

يعني بذلك ابن وخلدون.

² ينظر: المصدر السابق، ص 210-211.

³ ينظر: المصدر نفسه، ص 211.

وقد تأثر كثير من المحدثين بهذا الاتجاه وبذلوا ما في وسعهم لنشره وترسيخه بـغية طمسِ معلّم من معالم الحضارة الإسلامية وأتى لهم ذلك. فإذا كان سلفنا الصالح قد نظروا إلى الرسم المصحفي نظرة تقديس لما في ذلك الرسم من صور في كلماته التي جاءت بأكثر من صورة أو كُتبت بطريقة تبعث على التأمل في سر ذلك الرسم، قد عصمهم إيمانهم عن الخوض فيما خاض فيه جل المعارضين، "فعبروا بأسلوب العالم الأمين المخلص لكتاب ربه المجل لحملته وكاتبه عما وصل إليه عملهم وبلغه اجتهادهم في فهم تلك القضية، فإن طائفة من المحدثين تنسب إلى العلم أطلقت ألسنتها تصف الرسم بما نُجلَّ الرسم والصحابة الذين كتبوه عن مجرد ذكره، وهو إن دلَّ على شيء فإنما يدل على الجهالة في العلم والبلادة في الذهن والقصور في الإدراك، إن لم يدل على سوء النية وخبث القصد والعداء لكتاب الله العزيز"¹.

ولم يفت غانم قدوري أن يذكر أمثلة لذلك المنهج الضال كما وصفه، يمكن إجماله في النقاط التالية²:

1- ذكر من هؤلاء عبد العزيز فهمي من خلال مؤلفه (الحروف اللاتينية لكتابة العربية) وقد وصف كتابة المصاحف بأنها بدائية سقيمة قاصرة في إحدى صفحات كتابه، ووصف الرسم بأنه سخيف في صفحة أخرى.

2- أما محمد محمد عبد اللطيف في كتابه (الفرقان) فقد سطر كتابه بعبارات تهجم فيها على رسوم الأولين للمصحف كقوله في (ص:27): "لما كان أهل العصر الأول قاصرين في فن الكتابة، عاجزين في الإملاء، لأمتهم وبدائيتهم، وبعدهم

¹ المصدر السابق، ص211-212.

² ينظر: المصدر نفسه، ص212.

عن العلوم والفنون، كانت كتابتهم للمصحف الشريف سقيمة الوضع غير محكمة الصنع، فجاءت الكتابة الأولى مزيجاً من أخطاء فاحشة ومناقضات متباينة في الهجاء والرسم".

وورد عنه في (ص:71) ما نصه: "و فضلاً عن هذا فإن فيه تناقضاً غريباً وتنافراً معيماً، لا يمكن تعليقه ولا استطاع تأويله".

ويدا واضحاً جهل الكاتب الصريح بالرسم والقراءات، لأنه قال كلاماً تأنف من سماعه أسماع الجهلة قبل أن يقرع آذان العلماء، دفع شيخ الأزهر وقتئذٍ إصدار قراره" بتأليف لجنة تكونت من ثلاثة من علماء الأزهر لبحث ما جاء في كتاب ابن الخطاب من أباطيل، ووضعت اللجنة تقريرها بما أوتيت من علم في يوليو (تموز) 1948م.

وقد طُبع في (41صفحة)، ناقشت فيه مؤلف الكتاب ما ادّعاه في كتابه من مزاعم باطلة عن القراءات والرسم، فصدر الكتاب واختفى من أيدي الناس...¹ ولم يكن عمل اللجنة الأزهرية من باب محاربة رأي صادق حر، وإنما كان انتصاراً للحق وإسكاتاً للجهل والباطل.

وتبقى " الجزائر" - بلداً وعلماءً - من البلدان الرائدة في المحافظة على هذا الموروث الديني الحضاري الثقافي في أكثر من مستوى.

1- ففي المستوى التعليمي ظلت وزارة التربية في جميع الأطوار متمسكة بالرسم العثماني، حين توظف الشواهد القرآنية في دروس كتب التربية الإسلامية، أو تثبت للحفظ فيما سطرته مقررراً للناشئة من تلاميذ مدارسها صغاراً وكباراً، تنقل

¹ رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، ص212.

من المصحف من غير تحويل أو تبديل في ذلك الرسم، بل ونسخت الآيات والسور نسخاً تصويرياً مصحفياً، من غير إشارة في هامش الصفحة إلى كتابة بعض الكلمات كتابة إملائية، وقد دفع بكثير من المتلقين - من التلاميذ- وهم على عتبة الانتقال إلى الصف الثانوي أن يحفظوا خطأ، ويلحنوا فيما يقرؤون كقراءتهم هذه الألفاظ: (الربوا، الصلوة، فَحَدَّثَ)، قرؤها بحسب مرسومها: الربوا، الصلوة، فحدث، وهذه الكلمة هي آخر كلمة من سورة (الضحى)، لتأتي بعدها سورة (الانشراح) وبدايتها (ألم)، غير أن الهمزة إذا كانت في أول الكلمة وكان ما قبلها ساكناً، تحرك ذلك الساكن بحركتها، ولما كان الرسم - والضبط جزء منه وتابع له - على الوصل، فإن العبارة تقرأ: (فحدث ألم نشرح...)

وبناءً عليه كان لزاماً على القائمين بهذه المهمة أن يعدوا لها ذوي الاختصاص، فلا يكفي أن ينقل النص من المصحف - آية أو سورة - ثم يُكَلَّف التلاميذ بالحفظ، ولا ينجو من يحفظ من خطأ إلا بالتلقي عن شيخ، لذا كان الحفظ في الألواح عند شيوخ التحفيظ في الكتاب، وشتان بين من يحفظ القرآن من مصحف ومن يحفظ مشافهة وتلقيناً.

2- أما المستوى الثاني فيخص عقد ندوات علمية، ومؤتمرات دولية تعنى بالقرآن دراسة ورسمياً، وما فتئت (وزارة التعليم الأصلي) سابقاً و(الشؤون الدينية) حالياً تشرف على ملتقيات، كان أحدها: ملتقى القرآن الكريم الذي انعقد ما بين (1-7 سبتمبر 1981)، وهو الملتقى الخامس عشر للفكر الإسلامي بالجزائر العاصمة، تحت رعاية وزارة الشؤون الدينية.

كان من ضمن محاضرات هذا الملتقى في قسميه الأول والثاني:

1) نزول القرآن الكريم، للشيخ أحمد بن عبد العزيز المبارك، ص 41.

- (2) رسم المصحف الشريف، عبد العزيز الخياط، ص 51.
- (3) طريقة رسم القرآن الكريم، عبد الرحمن خليف، ص 65.
- (4) مصحف عثمان المحفوظ في طشقند، عبد الغني عبد الله، ص 81.
- (5) تدوين القرآن الكريم وتراجمه، محمد حميد الله، ص 91.
- (6) جمع القرآن الكريم، تنزيل الرحمن، ص 107.
- (7) اهتمام الجزائر بعلم القراءات في القديم والحديث، الشيخ المهدي البوعبدلي، ص 147.

وقد طُبعت هذه المحاضرات - وغيرها - في كتاب الأصالة¹.

إذا تصفحنا موضوع محاضرة (عبد العزيز الخياط) التي جاءت بعنوان (رسم المصحف الشريف) وجدنا صاحبها يجمع شتات الموضوع في جهاته المختلفة، ولا يُخفي الصعوبة التي يتلقاها قارئ المصحف، إذ يجد - كما قال - "صعوبة في معرفة الكلمات التي خالفت كتابتها ما تعلمه هو من الكتابة"².

ومما تعرض إليه في محاضراته هذه "هل رسم القرآن توقيفي؟"

وذكر اختلاف العلماء في ذلك على الأقوال الثلاثة؛ من قائل بالتوقيف، ومجوز كتابة المصحف بغير الرسم العثماني، ومجوز كتابة المصحف - كما أشار - لعامة الناس باصطلاح رسوم الكتابة الشائعة في عصرنا، مع بقاء الرسم العثماني مرجعاً وأثراً نفسياً عن السلف السالف، ودعم كل فريق بما يشفع له من أقوال العلماء، أو أصحاب الفكر.

¹ كتاب الأصالة، ملتقى القرآن الكريم، محاضرات ومناقشات ملتقى الفكر الإسلامي الخامس عشر، الجزء الأول (من 1-7 سبتمبر 1981م)، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة-1983م.

² كتاب الأصالة، ملتقى القرآن الكريم، ملتقى الفكر الإسلامي الخامس عشر، ص 51.

وختم موضوعه بإبداء رأيه في مسألة الرسم المصحفي كخاتمة تحت عنوان
"رأي أخير"

قال في خاتمة مداخلته: " أنا أجنح إلى القول بأن رسم المصحف ليس توقيفياً،
لكنه الرسم الذي تعارفه المسلمون وجروا عليه واحتفظوا به حقبة طويلة من
التاريخ، فأصبح تراثاً ينبغي المحافظة عليه من أجل معرفة كيف بدأت كتابة
القرآن، ومن أجل الكتب المطولة التي كتبت حول هذا الرسم، ومن الضروري أن
يتعلم المسلمون القراءة في المصحف على الرسم العثماني، وهذا يفسر لي سر
حرص الأئمة على التمسك بأن الرسم توقيفي وإن كان الدليل عليه ضعيفاً.

ثم يترخص في كتابة المصحف بالخط القياسي لتعليم الصغار وقد أفتى بذلك
الإمام مالك رحمه الله، مع إلزامهم بمعرفة تباين الخط المصحفي والخط
الإملائي، قال: " غير أنه لا بأس من كتابة المصحف بالخط المعروف اليوم لتعليم
الصغار أول عهدهم بالكتابة، ثم يُعلمون بعد ذلك القراءة في المصحف،
ويتعرفون على الفروق في الرسم والخط بين المصحف الإمام وبين كتابة اليوم،
لأنهم يجدون الصعوبة في تعلمه نتيجة الاختلاف الحضاري واختلاف مناهج
التعليم، ومثلهم أولئك الذين يدخلون في دين الله حديثاً ويحتاجون إلى تعلم
العربية والقراءة في المصحف.

على أنه من الضروري تدريس ما يتعلق برسم المصحف واختلافه عن الخط
العادي في المعاهد العالية والكليات... وهذا الرأي يقارب ما ذهب إليه عز الدين
بن عبد السلام¹.

¹ كتاب الأصالة، ص 63.

أمّا صاحب مقال (طريقة رسم القرآن الكريم) فقد عالج الموضوع في غاية من الدقة، وتعرض إلى مراحل نسخ القرآن بنقله أبياتاً للشاطبي جاءت ملّمة بالمراحل التي مر بها نسخ القرآن العظيم، كما أشارت إلى قضية رسم القرآن على طريقة خاصة، آخذة بعين الاعتبار رأي الإمام مالك رحمه الله تعالى، لا بأس أن يسجلها البحث هنا في هذا المحور.

قال الشاطبي رحمه الله تعالى¹:

¹ المرجع نفسه، ص 66.

إِنَّ الْيَمَامَةَ أَغْوَاهَا مُسَيِّلِمَةُ الْ — كَذَّابٌ فِي زَمَنِ الصُّدَيْقِ إِذْ خَسِرَا
 وَبَعْدَ بَأْسِ شَدِيدِ حَانَ مِصْرَعُهُ وَكَانَ بِأَسَا عَلَى الْقِرَاءِ مُسْتَعْرَا
 نَادَى أَبَا بَكْرَ الْفَارُوقُ خِفْتُ عَلَى الْ — قِرَاءِ فَأَدْرَكَ الْقِرَانَ مُسْتَطْرَا
 فَأَجْمَعُوا جَمْعَهُ فِي الصَّحْفِ وَاعْتَمَدُوا زَيْدَ بْنَ ثَابِتِ الْعَدْلَ الرُّضَى نَظْرَا
 فَقَامَ فِيهِ بِعَوْنِ اللَّهِ يَجْمَعُهُ بِالنَّصْحِ وَالْجِدِّ وَالْحِزْمِ الَّذِي بِهِرَا
 مِنْ كُلِّ أَوْجِهِهِ حَتَّى اسْتَمَّ لَهُ بِالْأَحْرَفِ السَّبْعَةِ الْعُلْيَا كَمَا اشْتَهَرَا
 فَأَمْسَكَ الصَّحْفَ الصُّدَيْقُ ثُمَّ إِلَى الْفَارُوقِ أَسْلَمَهَا لَمَّا قَضَى الْعُمْرَا
 وَعِنْدَ حِفْصَةَ كَانَتْ بَعْدُ فَاخْتَلَفَ الْقِرَاءَ فَاغْتَزَلُوا فِي أَحْرَفِ زُمْرَا
 وَكَانَ فِي بَعْضِ مَغْزَاهُمْ مَشَاهِدَهُمْ حَذِيفَةَ فَرَأَى مَنْ خَلْفَهُمْ عَبْرَا
 فَجَاءَ عَثْمَانَ مَذْعُورًا فَقَالَ لَهُ أَخَافُ أَنْ يَخْلُطُوا فَأَدْرَكَ الْبَشْرَا
 فَاسْتَحْضَرَ الصَّحْفَ الْأُولَى الَّتِي رُسِمَتْ وَخَصَّ زَيْدًا وَمَنْ قَرِيشَهُ نَفْرَا
 عَلَى لِسَانِ قُرَيْشٍ فَاكْتَبُوهُ كَمَا عَلَى الرَّسُولِ بِهِ أَنْزَالَهُ اشْتَهَرَا
 فَجَرَّدُوهُ كَمَا يَهْوَى كِتَابُتُهُ مَا فِيهِ شَكْلٌ وَلَا نَقْطٌ فَيُحْتَجَّرَا
 وَسَارَ فِي نَسْخِ مِنْهَا مَعَ الْمَدْنِيِّ كُوفٍ وَشَامٍ وَبَصْرٍ تَمَلُّ الْبَصْرَا
 وَقِيلَ مَكَّةَ وَالْبَحْرَيْنِ مَعَ يَمَنِ ضَاعَتْ بِهَا نَسْخٌ فِي نَشْرِهَا قَطْرَا
 وَقَالَ مَالِكٌ يَكْتُبُ بِالْكِتَابِ الْأَوَّلِ لَا مَسْتَحْدَثَ أَسْطْرَا

يستفاد من هذه الآيات أن مسألة رسم المصحف مسألة قطع فيها العلماء،

وعلى رأسهم مالك رحمه الله بالتوقيف.

وقد ذكر من خالف التوقيف في الرسم، وكان على رأس القائلين بأن رسم

المصحف - كما عرفنا - ليس أمراً واجباً على الأمة، ولم يكن اقتفاء سلف الأمة

في هذا الشأن إلا لمجرد التبرك، وقد مثل هذا الاتجاه العلامة ابن خلدون (ت808هـ).

غير أنه - صاحب المقال - وقف يبطل رأي ابن خلدون ومن على شاكلته في محوره بعنوان (مناقشة رأي ابن خلدون، ومن انتهج منهجه) قال: "إن ابن خلدون لم يصدع برأيه من غير دليل بل إنه قال: (و لا تلتفتن في ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين...إلى آخر مقولته السابقة، ولقد استند في إثبات رأيه إلى إسقاط التعليل الذي استند إليه البعض من أصحاب الرأي المقابل لرأيه، إلا أن التعليل الذي نقله وزيفه لم يتناول إلا عبارتين: الأولى لأذبحنه والثانية بأيدي... ولكن لا يلزم من انتفاء علة زائفة أو سبب غير وجيه أن لا تكون هناك علة سليمة وسبب وجيه"¹.

وقد توصل الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في تفسيره إلى توضيح علة وجيهة لذلك، حين فسر قوله تعالى: ﴿وَلَا وُضِعُوا خِلْفَكُم﴾ [التوبة:47] وكذلك كتابة ﴿لَا أَذْبَحْنَهُ﴾، قال رحمه الله تعالى: "فلا أراهم كتبوا ألفاً بعد اللام ألف فيما كتبوها فيه إلا لمقصد... ولعلمهم أرادوا التنبيه على أن الهمزة مفتوحة..."²

ويستشهد عبد الرحمن خليف هنا بنص الشيخ موسى بن جار الله حين شرح العقيلة بما نصه: "وعندي أن رسم الصحابة على نوعين:

1- رسم الاحتمال، كالحذف في (ملك يوم الدين) ليحتمل القصر... فاتباع رسم الصحابة فيه واجب، ليبقى الرسم محتملاً لكل ما ثبت من التلاوة.

¹ كتاب الأصالة، ص69.

² التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج10/217.

2- رسم الاصطلاح كحذف الألفين في مثل لفظ السماوات...فاتباع رسم الصحابة فيه غير واجب، ثم قال - أي عبد الرحمن خليف - : فتبين أن الآراء في هذه القضية أربعة:

الأول: الالتزام بإتباع رسم الصحابة.

الثاني: إتباع الرسم القياسي الشائع.

الثالث: الالتزام برسم الصحابة في مصاحف الخاصة من الأمة، وبالرسم القياسي في مصاحف غيرهم.

الرابع: التفصيل بين ما كان من الرسم مخالفاً للقياس، وقصد به مطابقة القراءات المختلفة، فهذا يجب فيه إتباع رسم الصحابة، وبين ما لم يقصد به هذا المعنى، وهذا ينبغي أن يكون على ما يقتضيه القياس"¹.

وقد يُدلل على سداد رأي أولئك الذين رسموا المصحف بما خالف المرسوم القياسي بما يفيد أنهم أدركوا مسائل قد لا يدركها غيرهم بعد، فكم لهم رضي الله عنهم من تصرف سديد عجيب ينبئ على أنهم في رسمهم حين خالفوا القياس أشاروا إلى التنبيه على شيء له اعتبار وجيه.

فهلاً عارضنا ما هو بالرسم القياسي من ألفاظ قد لا تحصر، جاء مخالفاً لمفوضه كعبارات: لدى وإلى وعلى ومتى، فلم تُكتب هذه الألفاظ أو ما يقابلها تبعاً للفظ، مع أن الأصل في الكتابة مطابقة الخط للفظ، لكن علماء الرسم القياسي عللوا

¹ كتاب الأصالة، ص 68.

رسم هذه الألفات بصورة الياء، تنبيهاً على أن لهن صلة قوية بالياء، إذ تتحول ياء إذا أضيفت إلى ضمير نحو: لديك، إليك، عليك¹.

3 - أما المستوى الثالث: وقد يكون أوفر المستويات حظاً، لما له من علاقة مباشرة بين الرسم ومُتعلّمه، ويقصد به هنا مستوى التلقين الذي بموجبه يتحصل الصغار بخاصة والكبار بعامة على أوليات هذا الرسم وهم يتدرجون في تعليم الخط ابتداءً بحفظ الحروف، ومسمياتها وضبطها، ولا يكون ذلك إلا في الكتابات ودور التحفيظ بحسب ما يسطره كل بلد أو كل قطر.

يبدأ المتلقي برسم كلمات القرآن إن صوراً قصاراً وإن بعد ذلك أحزاباً وأجزاءً بتتبع نظام معين مساعد على الحفظ يقوم على أساس معرفة بسيطة ترسخ عند الحافظ العاكف على ختم القرآن بالتصاعد، سورة سورة، فتكون لديه ضوابط هذا الرسم بقدر ما يمتلكه شيخه، مدعماً حفظه بأنصاف تساعد على رسم كلمات القرآن فيما اختلفت فيه عن الرسم الإملائي، مجيداً في ذلك حذف الألفات أو إثباتها ورسم الهمزات في مواقعها تلييناً أو إبدالاً أو تحقيقاً.

ولقد أثبت التجارب أن من يعوّل في حفظه على الأخذ من شيوخ الإقراء والتحفيظ، يكون حظه من الخطأ نطقاً ورسماً وترتيباً أقل من ذلك الذي يتخذ المصحف شيخاً له، وهو أقدر حين الأداء وممارسة اللغة من غير الذي لا يجلس إلى شيخ.

وقد يطول الحديث في هذه المسألة، وبالجملة فإنها مسألة ذات أهمية بالغة في التقرب من القرآن الكريم، قراءة ورسماً وحفظاً وتدبراً.

¹ ينظر: المصدر نفسه، ص 71-72.

يستخلص مما سبق عرضه عن آراء العلماء في رسم المصحف، هل هو توقيفي أم اصطلاحى، وهل من رأي وسطي يحافظ على الرسم كموروث ديني رسمي، ويترخص إذا دعت الضرورة بكتابة مصحف أو سورة للمتعلمين والذين لا يحسنون القراءة بما رسمه الأولون، يستخلص من ذلك كله إلى أنه لا مناص من القول بإتباع مرسوم الصحابة.

وقد قال الشيخ عبد الفتاح القاضي: "... وبناءً على هذا يجب على كاتب المصحف وطابعه وناشره أن يتحرى كل منهم كتابته على قواعد الرسم العثماني، ولا يخل بشيء منها، ولا يغير فيها شيئاً ما، بزيادة أو نقص، أو إثبات أو حذف؛ حفظاً لهذا التراث الخالد، واقتداءً بالصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين وأعلام الإسلام في سائر الأعصار والأمصار، لا فرق بين ذلك في المصاحف الكاملة والمصاحف الصغيرة (الأجزاء) التي يتعلم فيها الصغار ومن في حكمهم من الكبار، ليتعرفوا على قواعد الرسم منذ طفولتهم، وعلى معلمي القرآن - حيث كانوا ألا يدخروا وسعاً في تعليم أبنائهم تلك القواعد من الصغر كي يشبوا وقد وقفوا عليها، وأحاطوا بها خبراً، وأصبحت القراءة في المصحف ميسورة عليهم وسجية لهم"¹.

¹ تاريخ المصحف الشريف للشيخ عبد الفتاح عبد الغني القاضي (ت1403) ط، مكتبة المشهد الحسيني بالقاهرة 1965م، ص 104-105.

سادسا : قرارات المجامع الفقهية حول الرسم العثماني

ضمن شعبان محمد إسماعيل كتابه "رسم المصحف وضبطه" ما أسفرت عنه قرارات المجامع الفقهية بالأزهر الشريف، وما خلصت إليه من قرارات هيئة كبار العلماء بالعربية السعودية، وما وثقته من حكم في شأن رسم المصحف هيئة المجمع الفقهي بمكة المكرمة، وقد أجمعت جميعها على الالتزام بالرسم العثماني خطأً وقراءةً.

وإذا كان علماء السلف قد نصوا بل وأجمعوا على أن الرسم العثماني توقيفي، بحيث لا يجوز تبديله بأي حال من الأحوال، فإن المجامع الفقهية بما ضمت من علماء مخلصين قد أصدرت قراراتها التي تشبه فتوى فقهاء الأئمة الأربعة، وتعتبر قراراتها هذه قرارات واضحة وحاسمة في حق هذه القضية.

وقد حاول شعبان محمد إسماعيل عرض رأي ثلاث قرارات علمية.

أولها: قرار مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، وجاءت مسودة الكلمة المتوصل إليها في النص التالي: "بحث مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر في المؤتمر السادس المنعقد في الفترة من 30 محرم 1391هـ إلى 05 صفر 1391هـ بحثاً لفضيلة الدكتور محمد أبو شهبه عميد كلية أصول الدين بجامعة الأزهر فرع أسيوط، بعنوان: "رسم المصاحف العثمانية" تحدث فيه عن الكتابة عند العرب، وفي بداية الإسلام، وعن كتابة القرآن الكريم بين يدي الرسول ﷺ، وجمعه في عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ونسخ المصاحف في عهد عثمان رضي الله عنه، ثم تحدث عن معنى الرسم وقواعده، ثم بين مذاهب العلماء في كون الرسم العثماني توقيفياً أو اجتهادياً، وعرض أدلة العلماء في ذلك وفوائد

الرسم العثماني، وشبّه بعض المستشرقين حول كتابة القرآن ورسمه وبعد دراسة الموضوع اتخذ المجمع القرار التالي:

1 - يوصي المؤتمر أن يحذر المسلمون مما ينشره أعداء الإسلام عن القرآن، سواء في ذلك ما يأتي في كتابة بعض المغرضين من المستشرقين، وما يأتي في كتابة غيرهم ممن يكيدون للإسلام أو يصدون عن سبيله.

2 - في ما يتعلق بالقراءات: يقرر المؤتمر أن القراءات ليست اجتهادية، بل هي توقيفية تعتمد على الروايات المتواترة.

3 - يوصي المؤتمر بتشجيع مقرئي القرآن الكريم على ألا يقتصروا على رواية حفص، حفظاً لكل هذه القراءات الثابتة من النسيان والاندثار.

4 - تخصيص الأزهر منحاً لدارسي القراءات في البلاد الإسلامية.

5 - دعوة جميع البلاد الإسلامية إلى تشجيع هذه القراءات بالدرس في المعاهد المتخصصة، وعلى أيدي الثقات من المقرئين.

6 - يوصي المؤتمر جميع المسلمين بتعقب أي تحريف في القرآن الكريم في نصه العربي أو في ترجمة معانيه، وأن يبلغ أمانة المؤتمر بذلك، للعمل على اتخاذ ما ينبغي لوضع الأمر في نصابه.

7 - يؤكد المؤتمر توصيته السابقة بشأن دعم إذاعة القرآن الكريم في الجمهورية العربية المتحدة، وتقوية موجاتها، لتسمع في جميع البلاد الإسلامية بوضوح، وكذلك إنشاء برامج قرآنية تعليمية لأحكام القرآن الكريم...

8 - يوصي المؤتمر بأن يعتمد المسلمون على الرسم العثماني للمصحف الشريف، حفظاً له من التحريف"¹.

ثانياً: قرار هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية.

وأصدرت هذه الهيئة قراراً مرقماً برقم 71 في 1399/10/21هـ.

وجاء نصه بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله بالحروف النصية التالية: "وبعد: فإن مجلس هيئة كبار العلماء بعد اطلاعه على البحث الذي أعدته اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في حكم كتابة القرآن بطريقة الإملاء العادية وإن خالف ذلك الرسم العثماني.

وبعد دراسة الموضوع ومناقشته وتداول الرأي فيه تبين للمجلس أن هناك أسباباً تقتضي بقاء كتابة المصحف بالرسم العثماني وهي:

1- ثبت أن كتابة المصحف بالرسم العثماني كانت في عهد عثمان رضي الله عنه، وأنه أمر كتبة المصحف أن يكتبوه على رسم معين، ووافقه الصحابة، وتابعهم التابعون ومن بعدهم إلى عصرنا هذا، وثبت أن النبي ﷺ قال: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي" فالمحافظة على كتابة المصحف بهذا الرسم هو المتعين، اقتداءً بعثمان وسائر الصحابة وعملاً بإجماعهم.

2 - إن العدول عن الرسم العثماني إلى الرسم الإملائي الموجود حالياً بقصد تسهيل القراءة يُفضي إلى تغيير آخر إذا تغير الاصطلاح في الكتابة، لأن الرسم الإملائي نوع من الاصطلاح قابل للتغيير باصطلاح آخر، وقد يؤدي ذلك إلى

¹ رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة، تأليف شعبان محمد إسماعيل، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى، 1419هـ-1999م، ص 81-82، نقلاً عن مجمع البحوث الإسلامية، تاريخه وتطوره، 1403-1983م، ص 425-426.

تحريف القرآن بتبديل بعض الحروف أو زيادتها أو نقصها، فيقع الاختلاف بين المصحف على مر السنين، ويجد أعداء الإسلام مجالاً للطعن في القرآن الكريم، وقد جاء الإسلام بسد ذرائع الشر ومنع أسباب الفتن.

3 - ما يخشى من أنه إذا لم يلتزم الرسم العثماني في كتابة القرآن أن يصير كتاب الله العوبة بأيدي الناس، كلما عنت للإنسان فكرة في كتابته اقترح تطبيقها، فيقترح بعضهم باللاتينية أو غيرها، وفي هذا ما فيه من الخطر، ودرء المفسد أولى من جلب المصالح.

وبناءً على هذه الأسباب اتخذ المجلس القرار التالي:

يرى مجلس هيئة كبار العلماء أن يبقى رسم المصحف على ما كان بالرسم العثماني ولا ينبغي تغييره ليوافق قواعد الإملاء الحديثة؛ محافظة على كتاب الله تعالى من التحريف وإتباعاً لما كان عليه الصحابة وأئمة السلف رضوان الله عليهم أجمعين¹.

ثالثها: قرار المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة. جاءت قرارات هذا المجلس الذي اطلع على خطاب الشيخ هاشم وهبة عبد العال من جدة الذي ذكر فيه موضوع "تغيير رسم المصحف العثماني إلى الرسم الإملائي"، وقد نوقش هذا الموضوع بالرياض تحت رقم 17 بتاريخ 1399/10/21 هـ وأفضت قرارات المؤتمر وما جاء فيه من ذكر الأسباب الداعية لبقاء كتابة المصحف بالرسم العثماني، ومن هذه الأسباب كما رسخها وسجلها المجمع الفقهي، ولم تخرج نقاطها عما خرجت به قرارات هيئة كبار العلماء، فقد جاء في بنود ثلاثة ما نقص منها حرف ولا زادت فيها كلمة، غير أنه ذكر تلك

¹ رسم المصحف وضبطه، ص 83-84

الأسباب المقتضية بقاء الرسم العثماني معمولاً به في كتابة المصحف، ولا يجوز تبديله برسم آخر، وختم القرار بالتوصية التالية: "وبعد اطلاع مجلس مجمع الفقه الإسلامي على ذلك كله قرر بالإجماع تأييد ما جاء في قرار مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية من عدم جواز تغيير رسم المصحف العثماني، ووجوب بقاء رسم المصحف العثماني على ما هو عليه؛ ليكون حجة خالدة على عدم تسرب أي تغيير أو تحريف في النص القرآني، وإتباعاً لما كان عليه الصحابة وأئمة السلف رضوان الله عليهم أجمعين.

أما الحاجة إلى تعليم القرآن وتسهيل قراءته على الناشئة التي اعتادت الرسم الإملائي الدارج، فإنها تتحقق عن طريق تلقين المعلمين، إذ لا يستغني تعليم القرآن في جميع الأحوال عن معلم، فهو يتولى تعليم الناشئين قراءة الكلمات التي يختلف رسمها في المصحف العثماني عن رسمها في قواعد الإملاء الدارجة، ولا سيما إذا لوحظ أن تلك الكلمات عددها قليل، وتكرر ورودها في القرآن الكريم كثير، ككلمة (الصلاة) و(السموات) ونحوها؛ فمتى تعلّم الناشئ الكلمة بالرسم العثماني سهّل عليه قراءتها كلما تكررت في المصحف كما يجري مثل ذلك تماماً في رسم كلمة (هذا) و(ذلك) في قواعد الإملاء الدارجة"¹.

يستشف من مقررات وتوصيات قرارات المجامع الفقهية وهي تعالج إحدى قضايا العصر، بل أخطر قضايا الأمة الإسلامية التي إن تسامح الناس وتساهلوا في إبدال الرسم العثماني بالرسم الإملائي لضاع من أيديهم إرث قد لا يُعوّض، ولفقدوا حلقة الربط بين الأجيال وبخاصة إذا كان ذلك الجيل هو الجيل الرباني

¹ رسم المصحف وضبطه، ص 85، 86 نقلاً عن مجلة المجمع الفقهي الإسلامي، عدد 4 السنة 2، 1989-1410، ص 485-486.

الذي يمثل خيرة القرون، وقد جاء مدحه على لسان النبي ﷺ: "خير القرون قرني
ثم الذين يلونهم...".

يستشف من تلك القرارات إجماع العلماء على بقاء الرسم العثماني لما فيه من
مزايا وفوائد لا يحققها الرسم القياسي الإملائي من جهة، ومن جهة ثانية، لا يُعول
على القراءة في المصحف بالرسم العثماني ثم يُحاجُّ القارئ بأنه وجد صعوبة في
أداء الكلمات القرآنية المرسومة ككلمة ﴿بِأَيِّدٍ﴾ وفواتح السور المبدوءة بحروف
مقطعة "الم" "الر" "طه" "طس" "يس" "حم" "ص" "ق" "ن".

وكان على حق أولئك العلماء وهم يعتنون بالناشئة الذين يقل تركيزهم
ويضعف أداؤهم ما لم يجلسوا إلى معلمين ماهرين وليتهم جمعوا - أولئك
المعلمون - بين حفظهم كتاب الله، ومعرفة لغتهم بنحوها وصرفها وبلاغتها،
وبالجملة آخذين بمعارف ومهارات اللغة ولو بالقدر المقبول حتى يغرَسوا في
نفوس المتعلمين حبَّ القراءة في المصحف وكتابة الآيات والسور في الألواح
للحفظ، وحتى يتعودوا على القراءة بالرسم العثماني.

ولا نخال أحداً أراد أن يتعلم - ولو من غير الناطقين بالعربية - القراءة في
المصحف بشرط أن يأخذ القراءة عن معلم، ثم اشتكى من صعوبة هذا الرسم،
لأن ألفاظ القرآن سهلة يسيرة على لسان كل قارئ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَفَّذْ
يَسِّرْنَا الْفُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: 17].

الفصل الثالث:

قواعد الرسم القرآني ومزاياه

الفصل الثالث : قواعد الرسم القرآني ومزاياه

حصر علماء فن الرسم قواعد رسم المصحف في ست ؛ قواعد جمعها الشيخ محمد العاقب في قوله¹ :

الرَّسْمُ فِي سِتِّ قَوَاعِدَ اسْتَقَلَّ حَذْفُ زِيَادَةٍ وَهَمْزٌ وَبَدَلٌ
وَمَا أَتَى بِالْفَصْلِ أَوْ بِالْوَصْلِ مُوَافِقًا لِلْفِظِّ أَوْ لِلْأَصْلِ
وَذُو قِرَاءَتَيْنِ مِمَّا قَدْ شَهَرَ فِيهِ عَلَى إِحْدَاهُمَا قَدْ اقْتَصَرَ

ولم تكن هذه القواعد الست منهجاً معلوماً لدى كتاب المصاحف لا يحيدون عنه حين كتبوا المصاحف، بل تُعدُّ قواعد استنبطها علماء فن الرسم عن طريق الاستقراء والتتبع.

ويجب أن يعرف القارئ " أن هذه القواعد الست غير لازمة أو مطردة في كل كلمة من كلمات القرآن الكريم، بل قد تخرج عن كل قاعدة عدد من الكلمات أحياناً، وقد يلتزم في كل واحدة كتابتها وفق القاعدة في موضع وبخلافها في موضع آخر، فطريق الكتابة للمصحف الشريف هو النقل فقط"².

وُتَرْتَّبَ هذه القواعد كما ورد في قول الشيخ محمد العاقب الترتيب الآتي :

1 - قاعدة الحذف.

2 - قاعدة الزيادة.

3 - قاعدة الهمز.

¹ المتحف في رسم المصحف، عبد الكريم إبراهيم عوض صالح، دار الصحابة للتراث بطنطا، الطبعة الأولى، 1427هـ - 2006م، ص20.

² المصدر نفسه، ص20.

4 - قاعدة البدل.

5 - قاعدة القطع والوصل.

6 - قاعدة ما فيه قراءتان.

ولابد من الوقوف على هذه القواعد واحدة بعد أخرى ليكون في تفصيلها

إيضاح وتفصيل.

أولاً : قاعدة الحذف

الحذف في اللغة يراد به الإسقاط والإزالة، وحذف الشيء إسقاطه ومنه حذفت من شعري ومن ذنب الدابة أي أخذت¹.

أما من حيث الاصطلاح فيراد به هنا: "اختصار في الخط، والسماع سابق على الكتابة، ومن هنا لا توجد مشكلة في معرفة كيفية النطق رغم حذف ما حُذِف"².

إذ الأمر استدركه علماء الضبط بوضعهم ألفات صغيرة لا تصل إلى السطر كألف الحذف في كلمة: "العلمين".

"و الذي يُحذف من حروف الهجاء خمسة يكثر الحذف في ثلاثة منها وهي الألف والواو والياء المديتان، ويقل في النون واللام"³.

يعني أن هذه الثلاثة وهي حروف المد جاءت غير مرسومة في المصاحف العثمانية، ثم زيدت على شكل أحرف صغيرة إما بلون مخالف للون مرسوم المصحف - الأسود - فرسمت حمراء، أو ألحقت بخط دقيق كلون رسوم المصحف.

وفيما يلي بيان حذف كل حرف من هذه الخمسة.

1- حذف الألف :

يشمل حذف الألف بالنظر إلى المصاحف ثلاثة أنواع من الحذف:

¹ ينظر: لسان العرب، مادة (حذف)

² المتحف في رسم المصحف، ص 21.

³ لطائف البيان في رسم القرآن، شرح مورد الظمان، تأليف أحمد محمد أبي زيتحار، القسم الأول، الطبعة الثانية، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر، مصر، ص 14.

ب- حذف اختصار:

ويسمى هذا النوع حذف "التقليل" وهو: "ما لا يختص بكلمة دون مماثلتها فيصدق بما تكرر منها وذلك كحذف ألف جموع السلامة كالعالمين وذريّات"¹.

ج- حذف الاقتصار:

ويظهر من مصطلحه - الاقتصار - أنه ما اختص بكلمة أو كلمات دون نظائرها² ككلمة "الميعاد" التي حذفت ألفها في سورة "الأنفال" في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ [الأنفال:42]، ومثله كلمة "الكفر" في الرعد؛ إذ تقرأ الكلمة بوجهين يحتملها رسم واحد، إفراداً وجمعاً؛ ففي رواية ورش، تقرأ بالإفراد لكن بحذف الألف التي بعد الكاف فترسم في المصحف حسب هذه القراءة: ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَنِهْرُ﴾ [الرعد:42]، وفي المصحف الذي برواية حفص فرسمت الكلمة وضبطت بما معنى الجمع: ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ﴾، فانظر كيف أدى رسم واحد للكلمة أداءين في القراءة مختلفين؛ جمعاً وإفراداً.

إذا كانت هذه أقسام حذف الألف، فإن مواضعها لا تكاد تنضبط وقد استشهد لذلك صاحب (المتحف في رسم المصحف) بما قاله ابن وثيق الأندلسي (ت654هـ): "اعلم أن هذا الباب - يقصد حذف الألف - كثير الاضطراب ومتشعب، لا يرجع إلى مقياس فيُحصر"³.

¹ سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، تأليف علي محمد الضباع، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الأولى، 1420هـ-1999م، ص24.

² ينظر: سمير الطالبين، ص24. وسفير العالمين، 70/1.

³ المتحف في رسم المصحف، عوض صالح، ص22.

وقد ذكر علماء فن الرسم والضبط أن لحذف الألف ضوابط تقريبية، أدرجها محمد فؤاد طلعت هذا النوع من الحذف تحت قسمين:

القسم الأول: ما يدخل تحت قاعدة وتتفرع منه خمسة أنواع:

- 1- حذف ألف جمع المذكر السالم.
- 2- حذف ألف جمع المؤنث السالم.
- 3- حذف ألف ضمير الرفع المتصل.
- 4- حذف ألف التثنية.
- 5- حذف ألف الأسماء الأعجمية.

أما القسم الثاني: فهو ما يدخل تحت قاعدة، وهو الجزئيات تكرر أم لم تكرر¹.

ويمكن تلخيص هذا النوع من حذف الألف في الوقفات التالية:

- 1- يحذف ألف جمع المذكر إذا لم يقع بعد ألفه همز أو تشديد، قال الداني: "كذلك اتفقوا على حذف الألف من الجمع السالم الكثير الدور في المذكر والمؤنث جميعاً"² أي في جمعي المذكر السالم والمؤنث السالم. وذكر لكل نوع بعض أمثلة؛ فمن ذكر للمذكر: "العلمين"، و"الصبرين"، و"الصدقين"، و"المنفقين"، و"الكافرين"، و"الشيطين"، و"الظلمون"، و"الخشرون"، و"السحرون"، و"الكفرون".

¹ ينظر: سفير العالمين، أشرف فؤاد طلعت، 268...73/1.

² المقنع في معرفة رسم مصاحف الأمصار، لأبي عمرو الداني، ص44، تح: جمال السيد رفاعي، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الأولى، 1428هـ 2007م،

وللمؤنث: "و المسلمت"، و"المومنات"، و"الطيبات"، و"الخيثات"،
و"ثيبت"، و"بينت"، و"الغرفت".

ثم يعلل إثبات الألف بعد الهمزة أو بعد حرف مشدد، قال: "فإن جاء بعده
همزة أو حرف مضعّف نحو: "والسائلين"، و"القائمين"، و"الخائنين"،
و"الظانين"، و"الضالين"، و"العادين" و"حافين"، وشبهه أثبتت الألف في ذلك،
على أني تتبعت مصاحف أهل العراق القديمة؛ فوجدت فيها مواضع كثيرة مما
بعد الألف فيه همزة قد حذف الألف منها، وأكثر ما وجدته في جمع المؤنث
لثقله، والإثبات في المذكر أكثر"¹.

غير أن المهموز من جمع المذكر السالم، كما أشار الداني في النص السابق قد
يعتريه الحذف، من ذلك:

1 - المهموز العين نحو: ﴿التَّيَّبُونَ﴾ و﴿السَّيِّحُونَ﴾ [التوبة: 112]،
و﴿الصَّيِّمِينَ﴾ [الأحزاب: 35].

2 - في المهموز اللام: في نحو: ﴿وَالصَّابِينَ﴾ [البقرة: 62]، و﴿خَنَسِينَ﴾
[البقرة: 65]، و﴿لَخَطِيبِينَ﴾ [يوسف: 91]، و﴿خَطِيبِينَ﴾ [يوسف: 97]،
القصص: 8].

¹ ينظر: سفير العالمين، المجلد الأول-، ص 81.

ويستثنى من ذلك ما جاءت ألفه ثابتة أي مرسومة نازلة إلى السطر وذلك في نحو: ﴿مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف:29]، و﴿بِمَائِثُونَ﴾ [الصفات:66]، الواقعة:53].

ويلخص الشاطبي الحذف في الجمع في البيتين التاليين:

وَكُلُّ جَمْعٍ كَثِيرٍ الدَّوْرِ كَالْكَلِمَاتِ البَيِّنَاتِ وَنَحْوُ الصَّالِحِينَ ذُرًّا
سِوَى الْمُشَدَّدِ والمَهْمُوزِ فَاخْتَلَفَا عِنْدَ الْعِرَاقِ وَفِي التَّأْنِيثِ قَدْ كَثُرًا

وقد يكون من الجمع ما هو قليل الدور نحو: ﴿السَّجِرُونَ﴾ وقد ذكر في القرآن مرة واحدة في سورة [يونس:77]، وكذا: ﴿السَّجِدُونَ﴾ الذي لم يأت في القرآن إلا مرة واحدة في سورة [التوبة:112] مما يجعل عدم اعتبار كثرة الدور مقياساً أو شرطاً لحذف ألفات الجموع السالمة؛ لأن علماء الرسم اختلفوا في حد "كثرة الدور": فمنهم من قال: إذا تكرر ثلاث مرات، ومنهم من قال: خمساً، ومنهم من قال: سبعا.

قال السخاوي: "والقول الأول أظهر، وعليه العمل"

وقال الجعبري: "كثير الدور: هو الذي تكرر في القرآن، والشاطبي لم يحدّ الكثرة، فليستقرأ من الأمثلة"¹.

ومن جمع السلامة المنقوص، وهو كل اسم جاء في آخر مفردة ياء لازمة قبلها كسرة، فكلماته جاءت محذوفة الألف ومنها: ﴿رَاعُونَ﴾ [المؤمنون:8]،

¹ سفير العالمين، المجلد الأول-، ص79.

المعارج:32]، ﴿غَنَوِيْنَ﴾ [الصافات:32]، ﴿طَغِيْنَ﴾ [الصافات:30]،
القلم:31]، ﴿لِلطَّغِيْنَ﴾ [ص:55، النبأ:22].

واستثنى ما جاء مثبتاً أي ألفه وهو من المنقوص، في ﴿طَاغُونَ﴾
[الذاريات:53، الطور:32].

قال الناظم¹:

ثُمَّ مِنَ الْمَنْقُوصِ وَالصَّابُونَ وَمِثْلُهُ الصَّابِينَ مَعَ طَاغِينَا
وَفَوْقَ صَادٍ قَدْ أَتَتْ غَاوِينَا وَمِثْلُهُ الْحَرْفَانِ مِنْ رَاعُونَا
وَعَنْهُ وَالِدَانِي فِي طَاغُونَا ثَبْتُ وَمَا حَذَفَتْ مِنْهُ التُّونَا

وفوق صاد يعني السورة التي سبقت في الترتيب المصحفي وهي سورة
"الصافات"، "واحترز بقيد السورة المعبر عنها بفوق: صاد عن الواقع في غيرها:
﴿إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ في [الحجر:42]. ﴿وَبَرَزَتْ الْجَحِيمَ لِلْغَاوِينَ﴾
[الشعراء:91]، ﴿فَكُكِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ [الشعراء:94]، ﴿وَالشُّعْرَاءُ
يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [الشعراء:224]"².

¹ - دليل الحيران على مورد الظمان في فني الرسم والضبط منظومة شيخ القراء الإمام محمد بن محمد
بن إبراهيم الشهير بالخرّاز، بشرح المارغيني التونسي، دراسة وتقديم عبد السلام محمد البكاري، دار
الحديث، سنة الطبع: 1426هـ-2005م، ص 80-81.

وأما ما جاء من جمع المذكر السالم المحذوف النون للإضافة، فحكمه بحسب ما بعد ألفه؛ فإن جاء همز، أو كان الحرف الذي يلي الألف مشدداً، فإن ألفه مثبتة، نحو: ﴿لَذَآپِفُوا﴾ [الصفات:38]، و﴿بِرَادَى رَزْفِهِمْ﴾ [النحل:71].

" وإن كان غير ذلك: فعن أبي داود بحذف الألف في ﴿مُتَّفُوا رَبَّهُمْ﴾

[البقرة:46، هود:29]، و﴿مُتَّفُوا اللَّه﴾ [البقرة:249]، و﴿مُتَّفُوا﴾

[البقرة:223]، و﴿بَلِّغِيهِ﴾ [النحل:7]، وبإثباتها فيما عداهن¹.

ويدخل بضمن الكلمات المحذوفة الألف: ﴿بَلِّغُوا﴾ [الأعراف:135]،

و﴿بَلِّغِيهِ﴾ [غافر:56].

يؤطر هذا كله قول الناظم الخراز:

وعنه والبدائي في طاعوناً ثبتٌ وما حذفت منه التونا
فَعْنُهُ حَذْفُ بِالْعُوهُ بِالْغِيهِ وَصَالِحُ التَّحْرِيمِ أَيْضاً يَقْتَفِيهِ²

ويعني بعبارة (صالح التحريم) الكلمة التي ذكرت في سورة التحريم في قوله تعالى: ﴿وَصَلِحِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التحريم:4]، على القول بأنه من الجمع، وليس بمفرد.

وأما ما كان مفرده على وزن (فَعَال) أو (فَعَالِي) أو (فَعَالِي) فجمعه يجيء محذوف الألف إلا ما استثني، وهذه أمثله على الترتيب؛ فمن (فَعَال)، نحو:

¹ سفير العالمين، المجلد الأول-، ص81-82.

² دليل الحيران، ص82.

﴿التَّوَابِينَ﴾ [البقرة:222]، و﴿قَوَّامُونَ﴾ [النساء:34] إلا لفظه ﴿جَبَّارِينَ﴾ في [المائدة:22، الشعراء:130]، فقد وردت مثبتة الألف.

وأمثلة جمع "فعالي": ﴿الْحَوَارِيُّونَ﴾ [آل عمران:52، المائدة:112، الصف:14]، و﴿الْحَوَارِيِّينَ﴾ [المائدة:111].

ومن أمثلة جمع "فعالي" كلمة "الربانيين" وقد جاءت بالواو والياء، أي مرفوعة ومنصوبة، وهي في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَيْهِمُ الرَّبَّنِيُّونَ وَالْأَخْبَارُ﴾ [المائدة:44، 63]، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا كُتِبَ كُتُوبًا رَبَّنِيِّينَ﴾ [آل عمران:79]، وهذا داخل في عموم قاعدة الجمع السالم المذكور¹.

2- و في حذف ألف جمع المؤنث السالم وما ألحق به، جاءت عبارة علي محمد الضباع موضحة القاعدة قال: "اتفق الشيخان على حذف جمع المؤنث السالم:

1 - إذا كان ذا ألف واحدة، نحو: مسلمت، مؤمنت، البيئت، وكلمته، آيتنا، إلا آياتنا الثاني والثالث بسورة يونس، وإلا سيئت كيف جاء لحذف صورة همزه، وإلا روضات والجنات على الراجح فيهما عنهما، وإلا سوءات في الأعراف وطه، وعلى بينت منه في قول فيهما، وبنات في غير الأنعام والنحل والطور ونحسات بفصلت عن أبي داود، وآيت للساثلين عن الداني عن أبي عبيد.

¹ ينظر: سفير العالمين المجلد الأول-، ص84.

2 - وما قل دوره، نحو: حسرات، غمرات، في قول لبعض المتأخرين عن الداني.

3 - وأما إذا كان ذا ألفين، فإن لم يكن بعد ألفه الأولى همز أو تشديد نحو: الصلحت، قتلت، رسلت، السموات، مغرات، فأكثر المصاحف على حذف ألفيه، وهو اختيار أبي داود، وأقلها على حذف الثانية فقط ورجحه الخراز...

4 - وإن كان بعدها همز أو تشديد نحو: الصئمت، سئحت، الصفت، فجل المصاحف على حذف ألفيه، وجاء فيه عن بعض المدنية والعراقية ثلاثة أقول: 1- إثبات الأولى وحذف الثانية. 2- عكسه. 3- إثباتهما، وهذان ضعيفان، والعمل على حذف ألفيه معاً¹.

يستوقفنا النص في المحاور التالية:

يقصد بالشيخين أبا عمرو الداني صاحب المقنع، وأبا داود صاحب كتاب التنزيل، وقد اتفقا على حذف ألفات جموع السلامة المؤنث إذا كانت ألف مده واحدة نحو: "مسلمت" و"بينت" واستثني من ذلك كلمتا ﴿ءَايَاتِنَا﴾ المكررة بسورة [يونس: 15-21] فقد جاءت ألفهما ثابتة، وكذا كلمة "سيئات"، لأنهم حذفوا الياء التي هي صورة الهمزة كي لا يؤدي بقاؤها رسماً إلى اجتماع صورتين، فلو حذف الألف - كما جاء في سفير العالمين - لتوالى حذفان من غير فاصل بينهما ويعتبر هذا إجحافاً في حق رسم الكلمة².

¹ سمير الطالبي في رسم وضبط الكتاب المبين، ص 27-28.

² ينظر: سفير العالمين، ص 87.

ومما استثني أيضاً وحقه أن ترسم ألفه بالحذف كلمتا: ﴿رَوْضَاتٍ﴾ و﴿الْجَنَّاتِ﴾ وقد جاءتا في آية واحدة من سورة [الشورى: 22].

قال أبو داود عن هاتين الكلمتين: "وكتبوا من روايتنا عن محمد بن عيسى الأصبهاني خاصة "في روضات الجنات" بألف وتاء بعدها ممدودة في الموضوعين، ولا يجوز فيهما غير التاء، وإنما كان الخلاف في إثبات الألف وفي حذفها، فورد خط المصحف بحذف الألف في كل ما كان من مثل هاتين الكلمتين جميعاً، وشذَّ هذان الحرفان من ذلك من روايتنا عن الأصبهاني المذكور"¹.

ولم تأت العبارتان: ﴿رَوْضَاتٍ لِّلْجَنَّاتِ﴾ إلا في موضع [الشورى: 22]، لذا عدتاً من قبيل الكلام "قليل الدور".

ومما استثني ﴿سَوْءَ تَهُمَا﴾ في الأعراف وقد ذكرت أربع مرات: ﴿سَوْءَ تَهُمَا﴾ [20-27]، و﴿سَوْءَ تَهُمَا﴾ [22]، و﴿سَوْءَ تِكُمْ﴾ [26]، وكذلك في سورة "طه"، ﴿سَوْءَ تَهُمَا﴾ [121]، كلها جاءت بالحذف.

جاء في دليل الحيران: "والعمل عندنا على الحذف في صراط وسوءاتكم حيثما وقع وكيف وقع"².

وأما لفظة "بنات" فقد وردت بالإثبات أي بإثبات ألفها في كل القرآن إلا في ثلاثة مواضع، فقد وردت بالحذف؛ في الأنعام قوله تعالى: ﴿وَحَرَّفُوا لَّهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ

¹ المصدر نفسه، ص 87.

² دليل الحيران إلى مورد الظمان، ص 75.

بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴿ [100] ، وفي النحل: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَجَلًا ﴾ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿ [57] ، وفي الطور: ﴿ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ ﴾ [39].

"وقد أجروا قوله تعالى: ﴿ ثَبَاتٍ ﴾ في [النساء:71]، مجرى "بنات" الثابت الألف"¹

3 - وأما إذا كان ذا ألفين، أي جمع المؤنث السالم، نحو: الصالحات وقانتات، وعابدات وغيرها مما هو على هذا الحال.

1 - إذا لم يكن بعد ألفه الأولى همزاً أو تشديد، فأكثر المصاحف على حذف ألفيه معاً؛ يُعَضَّدُ ذلك ما قاله الداني في المقنع: "و ما اجتمع فيه ألفان من جمع المؤنث السالم؛ فإن الرسم في أكثر المصاحف ورد بحذفهما معاً، سواء كان بعد الألف حرف مضعّف أو همزة نحو: "الصَلَحَاتُ"، "والْحَفِظَاتُ"، "والصَّدَقَاتُ"، "والنُّزَعَاتُ"، "والصِّفَاتُ"، "النَّقِشَاتُ"، "والعَدِيدَاتُ"، "والصِّمَمَاتُ"، "غَيْبَاتُ"، "وَالْمَنْفِقَاتُ"، "تَثْبِيتُ"، "سَلْحَاتُ" وشبهه.

ثم أضاف: وقد أمعنت النظر في ذلك في مصاحف أهل العراق الأصلية، إذ عدمت النص في ذلك، فلم أرها تختلف في حذف ذلك"².

وذكر ابن الجزري في كلمة ﴿إِنَّمَا نُنَبِّئُكَ﴾ من سورة [الفرقان:4]، ما نصه: "وأجمعت المصاحف على حذف الألفين فاحتملتها القراءتان"³، يعني قراءة "النافثات" جمع "نافثة" و"النافثات" جمع "نافثة".

¹ سفير العالمين، المجلد الأول -، ص 89.

² المقنع، ص 45.

³ النشر، لابن الجزري، تصحيح ومراجعة علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية - بيروت، ج 2/405.

ومما جاء مخالفاً للقاعدة قاعدة ما فيه ألفان من جمع المؤنث السالم، الذي تحذف ألفاه، لفظة ﴿سَمَوَاتٍ﴾ [فصلت:12]، قال الداني: "و كذا حذفوها بعد الواو في قوله: "السموات"، و"سموات" في جميع القرآن إلا في موضع واحد، فإن الألف مرسومة فيه، وهو في قوله في [فصلت:12]: ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾.

فأما الألف التي بعد الميم فمحذوفة في كل موضع بلا خلاف¹.

وإذا جاء بعد الألف الأولى من ذي الألفين همز أو تشديد فمعظم المصاحف على حذف ألفيه، نحو: "والصائمات"، و"سئحت"، و"والصفت".

وأختم هذا المبحث - وهو مبحث طويل يستدعي وقفة أطول - بما أورده صاحب دليل الحيران، يؤسس له بأبيات ستة من هذه المنظومة:

وَلَيْسَ مَا اشْتُرِطَ مِنْ تَكَرُّرٍ حَتَّمًا لِحَذْفِهِمْ سِوَى الْمُكْرَرِ
وَإِنَّمَا ذَكَرْتُهُ أَقْتِفَاءً سُنَنِهِمْ وَبِهِمْ أَقْتِدَاءً
فَقَدْ أَتَى الْحَذْفُ بَلْفِظِ الْفَاتِحِينَ عَلَى انْفِرَادِهِ وَلَفْظِ الْغَافِرِينَ
وَمُتَشَاكِسُونَ ثُمَّ الْخَالِفِينَ وَالْحَامِدُونَ مِثْلَهَا وَسَافِلِينَ
وَحَسَرَاتٍ غَمَرَاتٍ قُرْبَاتٍ وَحَرْفِ مَطْوِيَّاتٍ مَعَ مُعَقَّبَاتٍ²

أشار إلى أن شرط التكرار الذي يعد ضابطاً في هذه الألفاظ وهي جموع السلامة بنوعيتها، ليس محتماً بل هو غالب، وليس أدل على ذلك من مجيء كلمات منفردة لم يشملها كثرة التوارد ككلمات: ﴿الْقَبْتِجِينَ﴾ [الأعراف:89]،

¹ المقنع، ص40.

² دليل الحيران، ص84.

و﴿الْعَمِيرِينَ﴾ [الأعراف:155]، و﴿مُتَشَكِّسُونَ﴾ [الزمر:29] ﴿الْخَلِيلِينَ﴾ [التوبة:83]، و﴿الْحَمِيدُونَ﴾ [التوبة:112]، و﴿سَهْلِينَ﴾ في [التين:5]، ومن ألفاظ جمع الإناث السالم: ﴿حَسَرَاتٍ﴾ في [البقرة:167] و﴿عَمَرَاتٍ﴾ في [الأنعام:93]، و﴿فُرَيْتٍ﴾ في [التوبة:99]، و﴿مَطْوِيَّتٍ﴾ في [الزمر:67]، و﴿مُعَفِّبَتٍ﴾ في [الرعد:11].

وعُلم أن غير المكرر لا ينحصر في هذا الكلم الإحدى عشرة، بل غيره كثير، نحو: ﴿وَارِدُونَ﴾ في [الأنبياء:98]، و﴿كَالِحُونَ﴾ في [المؤمنون:104]، و﴿خَمِيدُونَ﴾ في [يس:29]، وغيرها كـ"صدقتهن"، و"المثلت"، و"متبرجت"، و"الذريت"، و"المرسلت"...

3- حذف ألف ضمير الرفع المتصل [نا]:

تحذف ألف ضمير الرفع المتصل "نا" الدال على جماعة المتكلمين، ولا تكون إلا في ماضٍ، ولا يختص الضمير الذي بعدها بمخاطب أو غائب مفردا كان أو مشى أو جمعاً بنوعيه.

جاء في المقنع: "و كذلك حذفوا الألف بعد النون التي هي ضمير جماعة المتكلمين، نحو قوله: ﴿أَنْجَيْنَاكُمْ﴾، و﴿آتَيْنَاكُمْ﴾، و﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ﴾، و﴿مَكَّنَّاهُمْ﴾، و﴿وَأَتَيْنَاهُ﴾، و﴿وَعَلَّمْنَاهُ﴾، و﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾،

﴿ءَاتَيْنَاهَا﴾، و﴿قَرَشْنَاهَا﴾ [الذاريات:48]، و﴿فَبَقَّهْمَنَّاهَا﴾ [الأنبياء:79]،
و﴿أَنْشَأْنَاهُنَّ﴾ [الواقعة:35]، و﴿بَجَعَلْنَاهُنَّ﴾ [الواقعة:36]، وما كان مثله¹.

وقد ورد في القرآن الكريم مثله كثير، لكن بمجيء ضمير بعد "نا" هذه وهو
في موقع النصب على المفعولية، أما الضمير "نا" فهو ضمير رفع للفاعل.

ويوضح علي الضباع هذا الحذف بقوله: "اتفق الشيخان على حذف ألف نا
الواقعة فاعلا إذا اتصل بها ضمير النصب، نحو: زدناهم، علمناه، آتينك.
ويدخل في هذا الأصل: أنجينكم، وواعدناكم، وما رزقناكم بـ[طه] عند من
قرأهن بضمير المتكلم المعظم نفسه"².

وخصّ هذه الثلاثة: " أنجينكم... وواعدناكم"، و"ما رزقناكم" بالذكر
وضمها إلى القاعدة السابقة؛ لأنها تقرأ عند حمزة والكسائي وخلف بتاء الضمير،
والرسم عند الحذف يصبح للقراءتين: (أنجيتكم، أنجينكم)، (واعدتكم،
واعدناكم) (ما رزقتكم، ما رزقناكم)، وتعد هذه القاعدة قاعدة مضطردة لا
استثناء فيها.

4- حذف ألف التثنية:

جاء في المقنع: "وكذلك رسموا للتثنية المرفوعة بغير ألف كقوله: ﴿وَأَمْرًا تَسِي﴾
[البقرة:282]، و﴿رَجُلَيْ﴾، و﴿لَسَجْرَيْنِ﴾، و﴿وَمَا يَعْلَمُنِي﴾، و﴿أَضَلَّنَا﴾،
وشبهه، وسواء كانت الألف اسماً أو حرفاً ما لم تقع طرفاً ووقعت حشواً"³.

¹ المقنع، ص38.

² سمير الطالبي، ص28

³ المقنع، ص38.

أما أبو داود فقد نص " على أن المصاحف اختلفت في حذف ألف التثنية غير المتطرفة في جميع القرآن"¹.

وذكر أمثلة لذلك منها: ﴿قَالَ رَجُلٌ﴾ في [المائدة:23] و﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ إِئْتَنَسِ﴾ في [المائدة:106]، وغيرهما، غير أنه اختار إثباتها.

ومما حذفوا ألفه من التثنية على الاختصار ألفاظ منها: "هذُن"، و"لسحرُن"، و"فذنك"، وإذا جاءت الكلمة بالياء في المخفوض أو المنصوب فإنها لا تسقط.

ويستثنى من المثني لفظة "تُكذِّبان" في سورة الرحمن فقد أثبتت ألفها.

" واجتمعت المصاحف على رسم ﴿الْأُولَئِينَ﴾ [المائدة:107]، بدون ألف بعد الياء ليحتمل القراءتين"²، لأنه من القراء من قرأ اللفظة بصيغة الجمع، فشدد الواو وكسر اللام وفتح النون، قرأ بذلك حمزة وخلف ويعقوب وأبو بكر، كلهم قرأ "الأولين".

وخلاصة القول: أنه نُقل عن الداني الحذف في ألف التثنية غير المتطرفة، وعليه جرى عمل المغاربة في مصاحفهم، غير أن الخلاف باقٍ في ﴿تُكذِّبانِ﴾، وقد أخذ المغاربة بإثبات ألفها³.

5- حذف ألف الأسماء الأعجمية:

يراد بالأسماء الأعجمية، الأعلام الأعجمية التي جاءت زائدة على ثلاثة أحرف،

¹ سفير العالمين، المجلد الأول-، ص96.

² سفير العالمين، المجلد الأول-، ص98.

³ ينظر: سفير العالمين، المجلد الأول-، ص98.

قال الداني: "واتفق كتاب المصاحف على حذف الألف من الأسماء الأعجمية المستعملة، نحو: ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾، ﴿إِسْمَاعِيلَ﴾، ﴿إِسْحَاقَ﴾، ﴿هَارُونَ﴾، ﴿عِمْرَانَ﴾، ﴿لُقْمَانَ﴾، وشبهها"¹.

وذكر أسماء أخرى جاءت ألفها محذوفة²، وهي ليست بأعجمية، وعلل ذلك بكثرة استعمالها، نحو: ﴿سُلَيْمَانَ﴾، ﴿صَالِحَ﴾، ﴿مَلِكَ﴾، ﴿خَلِيدَ﴾. أما الأسماء التي قلَّ استعمالها من الأعجمية، فقد أثبتوا ألفها نحو: ﴿طَالُوتَ﴾، ﴿جَالُوتَ﴾، ﴿يَا جُوجَ وَمَا جُوجَ﴾.

وأشار الداني أن أربعة منها رأى المصاحف اختلفت فيها، وهي:

"هروت"، "مروت"، "همن"، "قرون"، إذ جاءت في بعض المصاحف بغير ألف، والأكثر - كما يرى - على إثبات الألف³، وهو ما أثبت في المصحف برواية ورش عن نافع، غير أن "هامن" ذات الألفين؛ جاءت الأولى فيهما ثابتة الألف، وجاءت الثانية محذوفة الألف، وكذا "هاروت" و"ماروت"، جاءتا مثبتتي الألف، وقد أثبتت الألف أيضاً في اسم "قارون".

ومجمل ما ورد من الأسماء في القرآن الكريم واحد وعشرون اسماً، جاءت على قسمين:

قسم تكرر وكثر دوره وعدده تسعة أسماء وهي: "إبراهيم"، "إسماعيل"، "إسحاق"، "هارون"، "عمران"، "لقمن"، "إسرائيل"، "سليمان"، "داود".

¹ المقنع، ص 43.

² ينظر: المقنع، ص 45-46.

³ ينظر: المقنع، ص 43.

وقسم قلّ استعماله وهو اثنا عشر اسماً: "هروت، مروت"، "همن"، "قرون"، "طالوت"، "جالوت"، "أجوج ومأجوج"، "إلياس"، "إل ياسين"، "بابل"، "ميكئيل".

قال الداني: "فأما "داورد" فلم يختلفوا في رسمه بالألف في المصاحف؛ لأنهم قد حذفوا من هذا الاسم واوا، فلم يحدفوا كذلك الألف منه وكذلك: ﴿إِسْرَائِيلَ﴾ بالألف أيضاً في أكثر المصاحف لأنه قد حُذِفَ منه الياء التي هي صورة الهمزة، وقد وجدت ذلك في بعض المصاحف المدنية والعراقية العتق القديمة بغير ألف، وإثباتها أكثر.¹

وقد ورد الإثبات فيهما في مصاحفنا برواية ورش في دول المغرب.

القسم الثاني: حذف ألفات الجزئيات:

ويقصد به هنا حذف الألف بعد حروف المعجم مرتبة ترتيباً مغريباً (أ، ب، ت، ث، ج...)، وإذا تتبعنا هذا النوع من الحذف بحسب الترتيب، فإنه قد يجرنا إلى الإطالة وربما انجر عنه ملل وسامة، غير أنه يجب أن يُعرف أن الحذف وارد بعد كل حرف من حروف المعجم، والاختلاف حاصل بين المصاحف.

فحذف الألف بعد الهمزة يمثل بكلمة "قرآن"، إذ جاءت ألفها محذوفة في أول سورة يوسف ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فُرْقَاناً عَرَبِيّاً﴾ [2]، وكذا في [الزخرف:3]، وجاءت أوزان سبعة مثبتة الألف وهي²:

1- فُعلان: نحو: بنيان، خسران، طغيان.

¹ المقنع، ص44.

² ينظر: سمير الطالبين، ص30، وسفي العالمين، مج/1، ص105

2- فِعْلَان: نحو: صنوان، قنوان.

3- فاعل: نحو: ظالم، فارض، سارب.

4- فَعَال: نحو: صبار، خوان، ختار.

5- فَعَال: نحو: ثواب، عذاب، متاع.

6- فِعَال: نحو: حساب، عقاب.

7- مفعال: نحو: ميقات، ميزان.

وحذف الألف بعد الباء في نحو: "بشروهن"، "تبشروهن"، "الالبب"،
"أسبب"، "بيلغه"، "بلغ امره"، "مبركة"، "تبرك"، "برك".

أما حذف الألف بعد التاء، فمثالها كلمة "كتاب" التي جاءت بالحذف سوى
أربعة مواضع وهي: ﴿يَكُلُّ أَجَلٍ كِتَابٍ﴾ [الرعد:38]، ﴿كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾
[الحجر:04]، ﴿مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾ [الكهف:27]، ﴿وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾
[النمل:01].

أما حذف الألف بعد الحاء، فقد وردت كلمات حُذِفَ مِنْهَا الألف المديّة
بعد الحاء نحو: "أصحاب" كيف جاء، "سبحن" كيف جاء إلا التي في الإسراء،
في قوله تعالى: ﴿فُلْ سُبْحٰنَ رَبِّي﴾ [93].

قال الداني: "و كذلك حذفوها في قوله: ﴿سُبْحَانَ﴾، ﴿سُبْحَانَ﴾،
﴿سُبْحَانَكَ﴾، فإن المصاحف اختلفت فيه لا غير، ورأيت أنا في مصاحف أهل
العراق العتق بالألف"¹.

ولا يعني أن ما حكاه الداني من رأيه هذه الكلمة بالألف في مصاحف أهل
العراق يقطع بأن ذلك هو الأشهر، أو أنه هو القاعدة، لأن ما حكى الإثبات إلا
عن المصاحف العراقية، وظاهره خلاف ذلك أي أن بقية المصاحف على الحذف
وهي الأكثر²، وقد جرى رسم هذه الكلمة في مصاحف المغاربة - برواية ورش
- على حذف ألف "سبحن".

ومن الكلمات التي جاءت ألفها محذوفة بعد الحاء كلمة ﴿حَذِرُونَ﴾ في
[الشعراء:56]

وقد أثبتتها بعض المصاحف، وعملت على حذفها أخرى؛ ليحتمل رسمها
ما ورد فيها من قراءات حذفاً وإثباتاً، ولإلحاقها على قراءة إثبات الألف بضمن
قاعدة الحذف من جمع المذكر السالم.

أخلص مما سبق إلى أن قاعدة الحذف - وأعني هنا حذف الألف - جاءت
متكررة ولم يستثن أي حرف من حروف المعجم من هذا الحذف، ويمكن
تلخيصها في النقاط التالية:

1- تحذف الألف من ياء النداء: نحو: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾، ﴿يَنْزِبُ﴾، ﴿يَنْفُومُ﴾.

¹ المقنع، ص38.

² ينظر: سفير العالمين، المجلد الأول-، ص126.

2- وتحذف أيضاً من وسط بعض الكلمات، وأسماء الأعلام، وبعض الجموع، نحو: ﴿نَرْيُكَ﴾، ﴿صَلِّحْ﴾، ﴿كَيْتَبْ﴾، ﴿السَّمَوَاتِ﴾، ﴿إِنْعَلَمِينَ﴾...

3- وقد حذفت من بداية بعض الكلمات، نحو: ﴿لَيْكَةَ﴾ في [ص:13] في قراءة من يسهل الهمزة، و"لئكة" في قراءة من يحقق.

وقد جاءت كلمات محذوفة الألف على خلاف الرسم الإملائي، من الألفات التي في أواخر الماضي المسند إلى الجماعة نحو: "جاءو"، "باءو"، "عتو"، "تبوءو" وكذلك من حرف التنبيه المسبوق بنداء، مثل ﴿آيَةَ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

وحذفت ألف الوصل التي حقها أن ترسم من بعض الكلمات، نحو: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ﴿بِسْمِ اللَّهِ مُجْرِبِهَا وَمُرْبِيهَا﴾، وكذلك من فعل الأمر من السؤال المسبوق بواو أو فاء نحو: ﴿وَسْئَلِ﴾، ﴿بَسْئَلِ﴾، و﴿بَسْئَلُوا﴾.

وقد فصل الداني إثبات ألف الوصل من حذفها في فصل خاص بها، قال: "و اعلم أنه لا خلاف في رسم ألف الوصل الساقطة من اللفظ في الدرج إلا في خمسة مواضع؛ فإنها حذفت منها في كل المصاحف.

اعتبر أولها - وقد ذكر - الألف التي في التسمية ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ في فواتح السور وفي سورة هود ﴿بِسْمِ اللَّهِ مُجْرِبِهَا وَمُرْبِيهَا﴾ [41]، وعلل ذلك بكثرة الاستعمال، مستثنياً ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ في سورة [العلق:1]، وغيرها مما لم يأت بعد لفظ "باسم" لفظ الجلالة "الله"، فالألف فيه مثبتة في الرسم بلا خلاف.

111، 114، 116]، ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:17...] حيث وقعا، وهو نعت، كما أثبتوها في الخبر في نحو قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة:30]¹.

وقد علل هذا الحذف محمد شملول بأنه يرجع لأسرار دقيقة².

2- حذف الياء :

ذكر الداني أغلب الياءات التي حذفت من الرسم على ترتيب سورها في كتابه المقنع ابتداء من (ص:53 إلى ص:57) قال: "والياءات المحذوفات من كتاب الله عز وجل اكتفاء بالكسرة منها على غير معنى نداء"³.

ثم رتبها ابتداء من سورة البقرة إلى سورة الكافرون ولم يذكر بعض السور ك(الأنفال)، (التوبة)، (النور)، (الفرقان).

وقد جاء الحذف من صيغة الأمر والمضارع والماضي سواء كانت ياؤه ياء ضمير المتكلم أو كانت ياء الفعل الأصلية نحو: ﴿وَسَوْفَ يُولَى اللَّهُ﴾ [النساء:146]، ويمكن إيراد أمثلة لحذف هذه الياء مع ذكر السورة التي وردت فيها ورقم الآية:

﴿فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة:40]، ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:151]، ﴿دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا﴾ [البقرة:186]، وهنا الحذف في (الداعي) و(دعاني)، ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ﴾،

¹ المقنع، ص51، 52.

² إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، تأليف محمد شملول، دار السلام، الطبعة الثانية، 1431هـ-2010م، ص32.

³ المقنع، ص53-54.

﴿وَأَطِيعُوا﴾ ، ﴿وَحَاقِبُوا إِنْ كُنْتُمْ﴾ [آل عمران:20-50-175] ، ﴿وَسَوْفَ يُوْتِ اللَّهُ﴾ [النساء:146] ، ﴿يَفْصُ الْحَقَّ﴾ [الأنعام:57] ، وقد ذكرت هذه الكلمة بضمن ما حذف ياؤه، وذكرها الداني ليعلم قراءة من قرأها بالضاد من ماض "قضى" ، "يقضي" ، وهي قراءة أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف، وقرأ الباقر كورش وحفص "يُقْص" ، وعليه فلا يدخلها حذف ولا زيادة.

و في يونس: ﴿نُتِّجَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [103]

و في هود: ﴿وَلَا تُخْزَوْنَ فِي ضَيْفِي﴾ [78]

و في يوسف: ﴿فَأَرْسَلُوهُ﴾ [45] ﴿لَوْلَا أَنْ تُبَيِّنُوا﴾ [94]

و في الرعد: ﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [9] ، ﴿وَأَلَيْهِ مَتَابٌ﴾ [30]

و في إبراهيم: ﴿وَحَافَ وَعِيدِ﴾ [14] ، ﴿وَتَفَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [40]

و في الكهف: ﴿مَا كُنَّا نَبْعُ﴾ [64]

و في الشعراء: ﴿بَهُوَ يَشْعِبِ﴾ [80] ، ﴿وَأَطِيعُوا﴾ [108-110-126...]

و في النمل: ﴿وَادِ السَّمْلِ﴾ [18]

و في الروم: ﴿بِهَدْيِ الْعُمِّيِّ﴾ [53]

و في ص: ﴿فَحَقَّ عِقَابٌ﴾ [14]

و في الزمر: ﴿قَبَشِيرُ عِبَادِ ٱلَّذِينَ﴾ [17-16]

و في غافر: ﴿يَوْمَ ٱلتَّلْوِي﴾ [15]، ﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ [32]

و في القمر: ﴿يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [06]، ﴿وَنُذِرِ﴾ [16-18-21-30-37-39]

و في الفجر: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسِرِ﴾ [4]، ﴿أَكْرَمِي﴾ [15]

و في الكافرون: ﴿وَلَيْ دِينَ﴾ [6]¹

ثم ختم الداني حديثه عن حذف الياء في سور القرآن كله بقوله: "قال أبو بكر: فهذه الحروف كلها الياء ساقطة منها في المصحف، والوقف عليها بغير الياء، وما سوى ذلك فهو بالياء"².

وما يلاحظ هنا عن بعض الياءات أنها قد ألحقت في مصاحفنا في دول المغرب - برواية ورش - وليست كلها، فما أثبت رسمه بياء صغيرة - الحمرة - يقرأ بمد الحرف الأخير - ياء - في حال الوصل ويوقف عليه من غير ياء بتسكين الحرف الأخير من الكلمة.

و حين تحدث الداني عن قوله تعالى: ﴿بِمَ تَبَشِّرُونَ﴾ [الحجر: 54]، وقوله تعالى: ﴿تَشْفُونَ بِهِمْ﴾ [النحل: 27]، أشار إلى أن الحذف من عدمه يتبع القراءة، فالكلمتان صالحتان للقراءتين، بكسر النون وفتحها؛ قال الداني عنهما: "و لا خلاف بين المصاحف في حذف الياء من هذه المواضع كسائر ما تقدم؛ فأما

¹ ينظر: المقنع، ص 54-56. للاطلاع على موطن حذف الياء من سور القرآن وقد رتبها ترتيباً مصحفياً.

² المقنع، ص 56

قوله: "فبم تبشرون"، و"تشقون فيهم"؛ فمن كسر النون فيهما ألحقهما بنظائرها من الياءات المحذوفة، ومن فتح النون فيهما أخرجهما من جملة الياءات¹، وبذلك تكون رواية ورش بكسر النون - كما أثبتته المصاحف - موافقة لحملهما على الكلمات المحذوفات ياءها، وتكون رواية حفص غير ذلك لفتح النون فيهما، فيخرجان عن جملة الياءات.

وثمة من الكلمات ما اختلفت المصاحف في رسمها بين حذف الياء وإثباتها، منها قوله تعالى: ﴿يَعْبَادِي لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الزخرف:68]، وقد ذكر الداني² اختلاف المصاحف في حذف يائها فرأى أنها في مصاحف أهل المدينة بـ"ياء" أي على هذا الرسم "يُعْبَادِي" وهو ما عليه مصاحفنا في دول المغرب برواية ورش، أما في مصاحف أهل العراق فبغير ياء وهو ما عليه المصاحف المطبوعة برواية حفص عن عاصم، أي على هذا المرسوم "يُعْبَاد".

وإذا كان اسم "إبراهيم" من الأسماء الأعلام الأعجمية التي جاءت ألفها محذوفة، فإن ياءها التي بعد الهاء حذفت في سورة البقرة.

قال الداني: "و روى معلّى بن عيسى، عن عاصم الجحدري قال: "إبراهيم" في البقرة بغير "ياء" كذا وجد في الإمام، وهو في كل القرآن بـ"الياء"³

وجاء في الفقرة "106" من كتاب "سفير العالمين" ما ينص على رسم ما تعاقبت فيه ياءان من آخر الكلمة: "و اتفقا أيضاً - يعني الشيخين - على رسم كل

¹ المقنع، ص57.

² ينظر: المقنع، ص57.

³ المقنع، ص57.

كلمة وقع في آخرها ياءان - ثانيها ساكنة - بياء واحدة نحو: ﴿يَسْتَحْيِ﴾¹
و﴿يُحْيِ وَيُمِيتُ﴾، و﴿وَلِيٍّ﴾، ورجحا أن تكون المحذوفة الثانية¹.

وقد أُلْحِقَ في المصاحف المطبوعة بهذه الكلمات ياء بخط رقيق مردودة إلى خلف.

وخلاصة القول في حذف الياء، أن هذه الياء حذفت من 21 كلمة في 30 موضعاً، وحذفت الياء الزائدة، وهي التي زيدت على بنية الكلمة التي اتصلت بها، وقد جاءت في تسع وستين كلمة في مائتين وأربعة وعشرين موضعاً، وقد ذكر أمثلتها مختصرة في الصفحات الماضية².

3- حذف الواو :

جاء حذف الواو من آخر أربعة أفعال كلها مرفوعة، وترتيبها المصحفي كما يلي:

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ﴾ [الإسراء:11]، و﴿يَدْعُ الدَّاعِ﴾ [القمر:06]، و﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ [الشورى:24]، و﴿سَدَّعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق:18]، وحذفت من جمع المذكر السالم في قوله تعالى: ﴿وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التحریم:04].

ذكر الداني تحت عنوان: "باب ذكر ما حذفت منه الواو اكتفاء بالضممة منها أو لمعنى غيره"³

¹ سفير العالمين، المجلد -، ص298.

² ينظر: سمير الطالبين، ص48-49.

³ ينظر: المقنع، ص59.

كما جاء حذف الواو من كل كلمة اجتمع فيها واوان اتصلتا خطأً في الفعل والاسم، نحو: ﴿وَدَرَىٰ عَنْهُمَا﴾ [الأعراف:20]، ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ [التوبة:19] ﴿دَاوُدُ﴾ [البقرة:251، وغيرها]، ﴿الْعَاوُونَ﴾ [الشعراء:94-224]، ورجح الشيخان "أن تكون المحذوفة الثانية، إلا أن أبا داود رجح عكس ذلك في "ليستوا" على قراءة نافع ومن معه، وكذا في "و تتوي"، و"تتويه".¹

قال الداني في المحكم: " والأوجه هاهنا أن تكون المرسومة الواو الأولى لتحركها، والمحذوفة الواو الثانية لسكونها، من حيث كان الساكن أولى بالحذف من المتحرك في ذلك في تولده منه، ولدلالة حركة المتحرك عليه."²

أما إذا كانت الواو الأولى محركة بالفتح فلا يحذف أيُّ من الواوين بل ترسمان كما جاء في مصاحفنا اليوم، نحو: ﴿ءَاوُوا﴾ [الأنفال:72]، و﴿تَوَوُّا﴾ [المنافقون:05].

4- حذف اللام :

تحذف اللام من رسم المصحف كما ذكر الشيخان في الأسماء الموصولة بصيغة المذكر والمؤنث في المفرد منهما وفي مثاهما وجمعهما كما تحذف من لفظة "الليل" حيث وقعت، ومن أمثلة هذا الحذف في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَاخْتَلَفِ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [البقرة:164]، ﴿أَلَيْدِي جَعَلَ لَكُمُ﴾ [البقرة:22]، ﴿وَالَّذِينَ يَأْتِيَنَهَا﴾ [النساء:16]، ﴿رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ﴾ [فصلت:29]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ

¹ سمير الطالبين، ص50، وينظر: سفير العالمين، المجلد الأول-، ص304، 305.

² المحكم في نقط المصاحف، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: عزة حسن، دار الفكر، دمشق، ط/2، 1418هـ-1997م، ص173.

كَبَرُوا ﴿ [البقرة:06] ، ﴿فَاتَّفُوا النَّارَ أَلْتِ﴾ [البقرة:24] ، ﴿وَالْتِ يَاتِينَ
أَلْبِحِشَةَ﴾ [النساء:15] ، ﴿أَلِج﴾ [الأحزاب:04] ، [المجادلة:02] ، [الطلاق:04] ،
وما يلاحظ في هذه الكلمات وما يجيء على شاكلتها نرى ضبطها في المصاحف
المطبوعة برواية ورش لم تضبط اللام المشددة في هذه الكلمات، وقد يرجع
ذلك إلى عدم الاتفاق على اللام المحذوفة؛ أهي التي للتعريف في الليل مثلاً أم
الثانية من الأسماء الموصولة؟

قال الداني في هذا المقام - وجعل له باباً سماه: "باب ذكر ما حذف إحدى
اللامين في الرسم لمعنى وما أثبتت فيه على الأصل" - قال: "اعلم أن المصاحف
اجتمعت على حذف إحدى اللامين؛ لكثرة الاستعمال ولكراهة اجتماع الصورتين
متفتتين، - وذكر الأمثلة السابقة... والمحذوفة عندي هي اللام الأصلية، وجائز
أن تكون لام المعرفة؛ لذهابها بالإدغام وكونها مع ما أدغمت فيه حرفاً واحداً،
والأول أوجه، لامتناعهما من الانفصال من همزة الوصل؛ فلم تحذف لذلك"¹.

وقد يكون الاختلاف في المحذوف من اللامين سبباً من أسباب تعرية اللام
من ضبطها في المصاحف التي برواية ورش، على خلاف التي برواية حفص،
فقد جعلت على لامها شدة.

واختار أبو داود أن تكون المحذوفة الأولى، وقد أيد ذلك شرشال واعتبره
أوجه، حيث قال: "و من الحجج القاطعة على صحة مذهب أبي داود أن اللام
الأولى هي أولى بالحذف؛ لذهابها بالإدغام، فلما ذهب في اللفظ بالإدغام

¹ المقنع، ص91.

حذفت أيضاً في الخط؛ حملاً للخط على اللفظ، فإبقاء الثانية كبقائهما معاً، وحذفها كحذفهما معاً، وحذف الأولى كلا حذف وإبقاؤها كالعدم.¹

ويدعم هذا أن الجاهل بقواعد العربية يميز بين لفظ (التي) وهي مفردة وبين (التي) وهي جمع لما حدث حين جمعت لها من تظهير أي بإلحاق ألف في لامها وتسمى هذه الألف عند حفاظ القرآن في الكتابيب باللام المرشوق، وتكتب (ل)، وقد اصطلح عليها - رسماً - في المصاحف برسم ألف صغير بعد اللام نحو (ل).

5- حذف النون :

يلخص حذف النون في ثلاث كلمات من القرآن الكريم، جاءت كلها أفعالاً مضارعة، ووقع اتفاق الشيخين على رسم كلماتها بنون واحدة وقد زيدت نون صغيرة إعلاناً عن المحذوفة.

ففي سورة يوسف [11]، قوله تعالى: ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ وهذه الكلمة كما قال الداني في المحكم جاءت مرسومة "في جميع المصاحف بنون واحدة على لفظ الإدغام الصحيح... واختلف أهل الأداء وعلماء العربية في كيفية تلك الإشارة - يقصد بالإشارة هنا إلى النون الأولى المدغمة في الثانية وذلك باستعمال الشفتين - فقال بعضهم: هي الإشارة بالعضو، وهو الشفتان إلى ضمة النون التي كانت لها في الأصل قبل الإدغام، وقال آخرون، وهم الأكثر: هي الإشارة بالحركة إلى النون، لتأكيد دلالة، ذلك على أصل الكلمة"²

¹ سفير العالمين، المجلد الأول-، ص306.

² المحكم في نقط المصاحف، ص82.

وقد فصل فيها وذكر كيفية أدائها بين من أدغمها وبين من جعل النون الأولى مخففة غير مدغمة.

وبذلك تضبط على مذهب من أدغمها إدغاماً صحيحاً بالشكل التالي: "لا تامناً" فتكون النقطة التي بين الميم والنون المشددة علامة على الإشمام، وتضبط أي وترسم بحسب ما يختاره وفق ما يلي: ﴿لَا تَامِنًا﴾.

وإذا ضبطت هذه الكلمة على مذهب من أخفى فيكون ضبطها بطريقتين "لا تامناً" وهو ما عليه مرسوم مصاحفنا برواية ورش، كما تضبط "لا تامناً" من غير أن تلحق بها نون، وخلص الداني إلى أن الإخفاء في ذلك أوجه، وعليه أكثر العلماء¹.

أما الكلمتان الأخريان اللتان حذف فيهما النون فهما: ﴿فَنَجَى﴾ [يوسف:110]، ﴿نُجَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء:88]، ليحتمل القراءتين؛ لأن رواية ورش - وبها طبعت مصاحفنا في المغرب الإسلامي - جاءت برسم ﴿بَنَجَى﴾، و﴿نَجَى﴾، على صيغة المضارع من رباعي: "أنجى".

"وذكر أن بعض الأئمة حذف النون في ﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ﴾ [يونس:14]، و﴿لِنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر:51]، ونقله عن بعض المدنيين، ولم يأخذا به، بل اعتمدا على ثبوتها، وعليه العمل²."

¹ ينظر: المحكم في نطق المصاحف، ص82.

² سفير العالمين، المجلد الأول-، ص307-308.

يقصد في عبارة "و ذكرًا" الشيخين، وكان اختيار أبي داود في رسمها بنونين، وهو ما خط في المصاحف برواية ورش وحفص.

ثانياً : قاعدة الزيادة

يزاد في المصاحف من حروف الهجاء ثلاثة: الألف، والياء، والواو، وقد جاء النظم موضحاً لذلك:

وَهَاكَ مَا زِيدَ بِبَعْضِ أَحْرَفِ مِنْ وَأَوْ أَوْ مِنْ يَاءٍ أَوْ مِنْ أَلْفٍ

وإنما خصصوا - كما يرى صاحب دليل الحيران - هذه الأحرف الثلاثة بالزيادة دون غيرها لأنهم رأوا ذلك كالجبر لما اعترأها من الحذف الذي كثر فيها¹.

1- زيادة الألف :

ذكر الداني في "المحكم" الكلمات التي جاءت الألف فيها زائدة على الرسم الأصلي، وخصها بباب سماه: "باب ذكر نقط ما زيدت الألف في رسمه"، قال: "اعلم أن كتاب المصاحف زادوا الألف في الرسم بإجماع منهم في أصل مطرد وخمسة أحرف متفرقة، فأما الأصل المطرد فهو ما جاء في لفظ "مائة" و"مائتين"، وأما الخمسة الأحرف فأولها في التوبة: ﴿وَلَا وَضَعُوا خَلْلَكُمْ﴾ [التوبة: 47]، ﴿أَوْ لَا أَذْبَحْتَهُ﴾ [النمل: 21]، ﴿وَلَا تَأْيَسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيَسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ﴾ [يوسف: 87]، ﴿أَقْلَمَ يَأْيَسُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الرعد: 31]².

¹ دليل الحيران، ص 264.

² المحكم في نقط المصاحف، ص 174.

وقد اختلف في لفظتي ﴿لَا أَدْبَحْنَهُ﴾ و﴿وَلَا وُضِعُوا﴾ في أي الألف تعد زائدة "وعليه تكون الألف المعانقة للام صورة الهمزة، وقيل: الزائدة هي المعانقة والتي بعد اللام هي صورة الهمزة"¹ ولم تثبت الألف الزائدة في ﴿وَلَا وُضِعُوا﴾ في المصاحف المطبوعة برواية ورش وكذا حفص.

وتزاد الألف في كلمات أخرى من القرآن:

بعد شين: ﴿لِشَاءِ﴾ [الكهف: 23].

بعد نون: ﴿لَمَكِنَّا﴾ [الكهف: 38].

بعد جيم: ﴿وَجِآءَ بِالنَّبِيِّنَ﴾ [الزمر: 69]، و﴿وَجِآءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: 23]، وقد وافق رسم هاتين الأخيرتين رواية حفص، وخالف ذلك في المصاحف المطبوعة برواية ورش إذ جاءتا من غير ألف بين الجيم والياء ﴿وَجِآءَ﴾.

وكذا بعد نون "أنا" حيث وقع، غير أن هذه الألف التي تعد زائدة، لا تعتبر زائدة في المصاحف المطبوعة عندنا برواية ورش إذا وليتها همزة مفتوحة أو مضمومة نحو: ﴿أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ﴾ [النمل: 39]، و﴿أَنَا أَنبِئُكُمْ﴾ [يوسف: 45]، ومما يدل على إثباتها لفظاً وضع علامة المد على ألفها، أما إذا

¹ سفير العالمين، المجلد الأول-، ص 309.

وليها همز مكسور فلا تمد نحو: ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [الأعراف:188]، وما جاء على مثاله.

وتزاد الألف أيضاً في آخر بعض الكلمات المنصوبة منها:

﴿الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب:10]، ﴿الرُّسُولَا﴾ [الأحزاب:66]، ﴿السَّبِيلَا﴾ [الأحزاب:67]، ﴿سَلْسِيلَا﴾ [الإنسان:04].

واختلف في لفظه ﴿قَوَارِيرَا﴾ المكررة في سورة [الإنسان:15-16]، غير أن الضبط في هذه الثلاثة الأخيرة جاء تابعاً للقراءة؛ فبرواية حفص وضعت حركة الفتحة هكذا ﴿سَلْسِيلَا﴾، ﴿قَوَارِيرَا﴾، وبالتنوين في رواية ورش.

وتزاد في المصاحف - هذه الألف - بعد الهمزة المصورة واواً في كلمتي: ﴿جَزَأُوْأ﴾ [المائدة:29، 33]، [الشورى:40]، [الحشر:17]، و﴿تَفْتَوُوْأ﴾ [يوسف:85].

ومما رسم على هذه الشاكلة، وهو ما خرج من الهمز المضموم المتطرف عن قياسه فرسم على صورة الواو بعدها ألف زائدة، سواء سبقت بألف مدية أو بحركة، ما يلي:

﴿أَنْبَأُوْأ﴾ [الأنعام:5]، [الشعراء:06]، ﴿شَقَعَتُوْأ﴾ [الروم:13]. ﴿دَعَتُوْأ﴾ [غافر:50]، ﴿نَشَتُوْأ﴾ [هود:87]. ﴿عَلَمَتُوْأ﴾ [الشعراء:197]، ﴿إِلْعَلَمَتُوْأ﴾ [فاطر:28]. ﴿أَلْبَلَّغُوْأ﴾ [الصفات:106]، ﴿بَلَّغُوْأ﴾ [الدخان:33]. ﴿الضُّعْبَتُوْأ﴾

إبراهيم:21]، [غافر:47]، ﴿شَرَكُوا﴾ [الأنعام:94]، [الشورى:21].
﴿بَرَاءَةٌ﴾ [المتحنة:04].

﴿نَبَأٌ﴾ [إبراهيم:09]، [ص:21]، [التغابن:05]، ﴿نَبَأٌ﴾ [ص:67]،
﴿يُنَبِّئُ﴾ [القيامة:13]. ﴿أَلْمَلُوءُ﴾ [المؤمنون:24]، [النمل:29-32-38]،
﴿يَتَقَبَّئُ﴾ [النحل:48]. ﴿تَظْمَأُ﴾ [طه:119]، ﴿أَتَوَكَّأُ﴾ [طه:18].
﴿يَبْدَأُ﴾ [يونس:4، 34]، [النمل:64]، [الروم:11، 27]، ﴿وَيَذْرَأُ﴾
[النور:08]. ﴿يَعْبَأُ﴾ [الفرقان:77]، ﴿يُنشَأُ﴾ [الزخرف:18].

ولم يخرج رسم هذه الكلمات عن المرسوم في ما وافق رواية ورش

وزيدت الألف أيضاً بعد واو الجمع المتطرفة المتصلة بفعل أو باسم فاعل¹،
في نحو: ﴿ءَامَنُوا﴾ [البقرة:09]، وغيرها، و﴿لَا تُفْسِدُوا﴾ [البقرة:11]
وغیرها، و﴿بَاسِعُوا﴾ [الجمعة:09]، و﴿كَاشِفُوا﴾ [الدخان:15]،
و﴿مُرْسِلُوا﴾ [القمر:27]، واستثني من ذلك ستة أفعال وهي:

﴿وَبَاءٌ﴾ [البقرة:61-90]، [آل عمران:112] ﴿جَاءٌ﴾ حيث وقعا، ﴿فَاءٌ﴾
[البقرة:226]، ﴿وَعَتُّ﴾ [الفرقان:21]، ﴿سَعَوْ﴾ [سبأ:05]، ﴿تَبَوَّءُ﴾
[الحشر:09].

¹ ينظر: سفير العالمين، المجلد الأول-، ص 318، 319.

وقد استشهد الداني على ما اتفقت عليه المصاحف من إثبات الألف بعد واو الجمع بلفظتي: ﴿ءَاذُوا﴾ و﴿لَيَرْبُوا﴾ برواية حفص، و﴿لَيَرْبُوا﴾ برواية ورش، قال الداني: "وقد روى أحمد بن يزيد الحلواني عن إبراهيم بن الحسين عن بشار عن أسيد: أن في مصاحف أهل المدينة: ﴿لَيَرْبُوا﴾ [الروم: 39]، و﴿كَالَّذِينَ ءَاذُوا مُوسَى﴾ [الأحزاب: 69]، بغير ألف بعد الواو، ولم أجد ذلك كذلك في شيء من المصاحف"¹.

وكذلك زيدت الألف بعد الواو الواقعة لأمّاً في الوزن في الفعل المسند إلى المفرد، أو الجمع الذي في معناه، أي الفعل المسند إلى الضمير "نحن" كـ"ندعو"، نحو: ﴿أَشْكُوا بَنِي﴾ [يوسف: 86]، و﴿قَلَّا يَرْبُوا﴾ [الروم: 39]، و﴿وَتَبَلَّوْا أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد (ﷺ): 31]، ﴿لَسْ نَدْعُو﴾ [الكهف: 14]، ﴿تَتْلُوا الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: 102]، واستثني بعض الكلمات، نحو: ﴿أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ﴾ [النساء: 99]، ﴿ذُو﴾ [البقرة: 105]، وغيرها حيث وقعت، وتعتبر هذه الواو التي في "ذو" علامة الرفع في الاسم المفرد المضاف².

وتزاد الألف قبل باء "ابن" و"ابنة"، كيفما وقعا وصفاً أو خبراً أو مخبراً، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: 114]، وقوله عز اسمه: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ﴾ [التحریم: 12].

¹ المقنع، ص 50.

² ينظر: المقنع، ص 50.

لخص الزرقاني زيادة الياء بذكره الكلمات التي وردت في القرآن وقد زيدت فيها الياء، قال: "و تزداد الياء في هذه الكلمات (نبا، آناء، من تلقاء، بأيكم المفتون، بأييد) من قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾¹.

جاء في دليل الحيران تحت "فصل في حكم زيادة الياء من تلقائي":

قال الناظم:

فصلٌ وياءٌ زيدَ من تلقاءِ ي وقبلَ ذي القربى أتى إيتاءِ ي
وقبلُ في الأنعام قُلْ من نبيّ ي وما خفّضتَ من مضافٍ ملاء²

يشير هنا في البيتين إلى اتفاق شيوخ النقل بأن الياء زيدت في هذه الكلمات: ﴿مِن تَلْقَاءِ ي﴾ [يونس: 15]، وفي: ﴿وإيتاءِ ي﴾ ما دام قبل ﴿ذِي الْقُرْبَى ي﴾، وكذا: ﴿مِن نَّبِيّ ي﴾ [الأنعام: 34]، يضاف إليه كلمة "ملاء" المضافة إلى ضمير، نحو: ﴿إِلَى مِرْعَوْنَ وَمَلَأِيه﴾ [يونس: 75]، و[هود: 97]، و﴿وَمَلَأِيهِمْ: أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ [يونس: 83].

وقيدت كلمة "تلقاء" بكونها مجرورة بحرف الجر "من" أما نظيرتها المنصوبة فلا تزداد فيها الياء من نحو قوله تعالى: ﴿تَلْقَاءَ اصْحَابِ الْبَارِ﴾ [الأعراف: 47]، وأما ﴿إيتاءِ ي﴾ التي زيدت فيها فاشترط فيها أن تقع قبل ﴿ذِي الْقُرْبَى ي﴾ وهي

¹ مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر، ج 1/371.

² دليل الحيران، ص 277.

إذا وليها مضاف - إليها معرفا كالزكاة - فإنها لا تزداد فيها الياء، نحو: ﴿وَإِيْتَاءَ
 الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾ [الأنبياء: 73]، ﴿وَإِيْتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ﴾
 [النور: 37].

أما كلمة "نبا" فقيّدت (بمن) الجارة، وعُني بذلك التي في سورة (الأنعام)،
 ليستثنى منها ما ورد في غيرها سواء سبق (بمن) الجارة أو جاء خالياً منها، كما
 في قوله تعالى: ﴿تَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبإِ مُوسَى﴾ [القصص: 03]، وكذا قوله
 تعالى: ﴿يَكُلِّ نَبإِ مُسْتَفْرِّ﴾ [الأنعام: 67].

كما احتُرز بقيد الجر عن غير المجرور، وبقيد الإضافة عن غير المضاف،
 نحو: ﴿وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا﴾ [يونس: 88]، و﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى﴾
 [الصفات: 08]، فلم تزد الياء فيهما¹.

وقد اختلف العلماء في ياء "التي" بين معتبرها زائدة كما زيدت الياء في
 "تلقاءي" ومنهم الخراز والشاطبي، وبين معتبرها غير زائدة.

"قال الخراز في مورد الظمان:

فَصَلُّ: وَيَاءُ زَيْدٍ مِّن تِلْقَاءِ يِ

وَالْيَاءُ عَن كُلِّ بَلْفِظِ اللَّائِي²

قال ابن الجزري: "و أما اللائي فإنها كتبت في السور الثلاث (الي) على
 صورة "إلى الجارة" لتحتملها القراءات الأربع، فالألف حذفت اختصارا كما

¹ ينظر: دليل الحيران، ص 278.

² سفير العالمين المجلد 1/326.

حذفت من تلقاء نفسي. وبقيت صورة الهمزة عند من حذف الياء وحقق الهمزة أو سهلها بين بين وصورة الياء عند من أبدلها ياء ساكنة. وأما عند وقف حمزة ومن معه ممن أثبت الهمزة والياء جميعاً فحُذفت إحدى الياءين لاجتماع الصورتين والظاهر أن صورة الهمزة محذوفة والثابت هو الياء"¹.

وبإمعان النظر في هذه الكلمة نجد الحذف لم يقع على الياء بل وقع على اللام فاختزلت الكلمة إلى أن صارت شبيهة في رسمها ب"الي"، فلولا الضبط وزيادة الألف بعد لامها ووضع الهمزة قبل الياء لا التبست ب"إلى"، ولكن رسام المصحف لم يتركوا مثل هذه الكلمة من غير توضيح، فجازاهم الله عنا خير الجزاء.

قال الخراز في مورد الظمان:

بأَيِّكُمْ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ثُمَّ مِنْ أَنْاءٍ مَعَ حَرْفٍ بِأَيِّدِ أَفَائِنُ

جمع في هذا البيت كلمات خمساً زيد فيها الياء، وهي بحسب ورودها في القرآن:

﴿بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ﴾ [القلم:06]، وقد جاءت الياء الثانية مشددة وعريت الأولى من أي ضبط، ولا تدخل بضمها ما كانت على شاكلتها، لأن هذه قيّدت بياء الجر غير المسبوقة بحرف آخر، إذ لا تزداد الياء في التي في سورة الرحمن أو الأعراف أو المرسلات وقد جاءت على هذا المنوال "فبأي"، وكذلك التي جاءت مرفوعة في سورة [الملك:02] من قوله تعالى: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

¹ النشر، ج1/452.

أما الثانية فهي التي في [الشورى:51]، ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾، ولم تُزد الياء في غيرها وإن كانت مثلها مسبوقه بـ"من" الجارة، ومضافة إلى غيرها نحو: ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدْرٍ﴾ [الحشر:14].

وأما الثالثة فكلمة "اءناء" المسبوقه بـ"من" الواردة في سورة (طه)، في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ-انَاءِ لَيْلٍ فَسَيَّحٌ﴾ [طه:130]، فقيد بـ"من" ليخرج غير المسبوق بها المنصوب، إذ لا زيادة فيه نحو: ﴿ءَانَاءَ لَيْلٍ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران:113].

والرابعة كلمة ﴿بِأَيْدِي﴾ في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدِي﴾ [الذاريات:47]، وقد احترز بقيد الباء الجارة في غير المجرور بها، وإن بالإضافة، فلم تزد فيها الياء كالتي في (ص)، ﴿ذَا الْأَيْدِي﴾ [ص:17].

وأما الأخيرة وهي الخامسة فعبارة ﴿أَقْبَائِسُ﴾ الواردة في سورة [آل عمران:144] ﴿أَقْبَائِسَ مَاتَ أَوْ فَيْلٍ﴾، فقد قيودها بالهمزة التي للاستفهام، وكذلك، لتخرج غير المقترنة بها نحو: ﴿بِقَانٍ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ [البقرة:279]، فلم تزد فيها الياء.

3- زيادة الواو :

ذكر الداني في "باب ذكر ما زيدت الواو في رسمه للفرقان أو لبيان الهمزة" الكلمات التي أجمع كُتَّابُ المصاحف على زيادة الواو فيها، قال: "اعلم أن كتاب

المصاحف أجمعوا على أن زادوا (واواً) بعد الهمزة في قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ﴾،
﴿وَأُولَئِكُمْ﴾، ﴿أُولَئِكَ﴾، ﴿وَأُولَئِكَ﴾، ﴿وَأُولَئِكَ﴾، حيث وقع ذلك.

ووجدت في مصاحف أهل المدينة، وسائر العراق: ﴿سَاءَ وُورِيكُمْ دَارَ
الْقَسِيفِينَ﴾ [الأعراف: 145]، ﴿سَاءَ وُورِيكُمْ ءَايَاتِي﴾ [الأنبياء: 37]، بواو بعد
الألف.

واختلفت في قوله: ﴿وَأَصْلَبَنَّاكُمْ﴾ [طه: 71]، [الشعراء: 49]، ففي بعضها
بإثبات واو بعد الهمزة، وفي بعضها بغير واو، واجتمعت في حذف الواو في
الحرف الذي في الأعراف¹.

" واختار أبو داود تركها في ﴿لَأَصْلَبَنَّاكُمْ﴾ موافقة للفظ ولحرف الأعراف
[124]، وللمدنية وللأختصار، وعليه العمل².

ولم تزد الواو في لفظة ﴿لَأَصْلَبَنَّاكُمْ﴾ في مصاحفنا برواية ورش، أما
﴿سَاءَ وُورِيكُمْ﴾ المكررة فقد رسمت واوها التي بعد الهمزة في مصاحفنا
المطبوعة برواية ورش وكذا برواية حفص.
لخص الخراز في منظومته "مورد الظمان" حالات زيادة الواو في البيتين التاليين
قال³:

* التي في الأنبياء [34]: "أفأين مت فهم الخلدون".

¹ المقنع، ص 79.

² سمير الطالبين، المجلد الأول، ص 330.

³ دليل الحيران، ص 283.

فصلٌ وفي أولي أولوا أولاتٍ وأوٌ وفي أولاءٍ كيف يأتي

وعن خلافٍ سأوريكم دون مئينٍ ولأصلبئكم في الآخرين

ويظهر من كلامه ما اتفق على كلماته من زيادة الواو فيه وهي أربع: أولي، أولوا،
أولات، أولاء.

واختلف في اثنتين: سأوريكم ولأصلبئكم.

ثالثاً : قاعدة الهمز وأحوال رسمها

الهمز مصدر يعني في اللغة الضغط والدفع، وفي الاصطلاح: النطق بالهمزة، وهو الحرف المسمى همزة، يحتاج في إخراجه من أقصى الحلق إلى ضغط الصوت ودفعه لثقله¹.

ويراد بالهمز النبر، ومفرده (نبرة)، ويقصد بالنبر في اللغة الرفع، وذهب بعضهم، ومنهم الخليل بن أحمد إلى أن النبر يطلق على الهمز المخفف، لذا يعتبران متباينين.

"و لما كانت الهمزة ثقيلة توسعت العرب في تخفيفها واستغنوا به عن إدغامها... فلذلك لم يرسموا لها صورة، بل استعاروا لها شكل ما تؤول إليه في تخفيفها تنبيها على توسعهم فيها... وإنما كتبت واواً مرة وياء مرة أخرى على مذهب أهل الحجاز في التخفيف، ولو أُريد تحقيقها ألبتة لوجب أن تكتب ألفاً على كل حال"².

ويحقق الهمز - وهو الأصل - الذي هو لغة قيس وتميم، وقد يخفف إمّا بتسهيله بين بين، أو بإبداله، أو بحذفه، على لغة قریش³.

وتنقسم الهمزة إلى قسمين؛ فهي إمّا همزة وصل أو همزة قطع.

¹ ينظر: سمير الطالبين، ص 56.

² إرشاد القراء والكتّابين إلى معرفة رسم الكتاب المبين، رضوان بن محمد بن سليمان المخللاتي، دراسة وتحقيق، أبي الخير المرابطي، مكتبة الإمام البخاري، الطبعة الأولى، 1428هـ-2007م، ج 1/ص: 231.

³ ينظر: سمير الطالبين، ص 56.

ترسم همزة الوصل ألفاً سواء دخلت عليها أداة أم لم تدخل، وتكون في الأسماء والأفعال، وهي التي يتوصل بها إلى نطق الساكن، نحو: بالله، تالله، ادخلوا، فاعتبروا.

وقد ذكرت الحالات التي تحذف فيها صورتها وهي خمس في قول الداني السابق: "و اعلم أنه لا خلاف في رسم ألف الوصل...إلا في خمسة مواضع"¹.
وقد ذكر الداني في (المحكم)، كيفية ضبط ألف الوصل في باب: "باب ذكر أحكام الصلات لألفات الوصل"، يمكن تلخيص أحوال الهمزة بالنظر إلى حركة ما قبلها في ما يلي:

1- تجعل على رأس همزة الوصل جرة لطيفة إذا تحرك ما قبلها بالفتح لأنها

تسقط من اللفظ نحو: ﴿تَتَفَوَّنَ ۝ أَلِدَى﴾ [البقرة: 21-22]، ﴿فَلَيْسَفُونَ ۝﴾
﴿إِعْلَمُوا﴾ [الحديد: 16-17]، ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ [التحریم: 10].

2- تجعل الجرة تحتها إذا تحرك ما قبلها بالكسر، ليدل الضبط على انكسار

ما قبلها، نحو: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفتاححة: 02-03]،
﴿فَإِنْ اسْتَطَعْتَ﴾ [الأنعام: 35]، ﴿لِإِنْسَانٍ كَفَرَ﴾ [الحشر: 16].

3- وإن تحرك ما قبلها بالضم جعلت الجرة في وسطها دلالة على انضمام

ما قبلها، نحو: ﴿أَشْتَرُوا الضَّلَالَةَ﴾ [البقرة: 16]، ﴿نَسْتَعِينُ ۝ إِهْدِنَا﴾

¹ ينظر: الصفحة 236 من الرسالة.

[الفتحة: 5-6]، ﴿عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا إِعْدِلُوا﴾ [المائدة: 08]، وسواء كانت

الحركات الثلاث لوازم أو عوارض¹.

أما إذا كان ما قبل ألف الوصل تنويناً فإن ضبط ألفه يتبع لنطقه حال الابتداء به، فإن كان حكمه النصب جعلت النقطة فوقه، ومن تحته في حال الخفض، وأمامه أي في وسطه حال الرفع، لأن النقط هي التي تحدد جهة النطق كما سبق، أما الجرة فتوضع أبداً مع الأحوال الثلاث للتنوين تحت ألف الوصل، لأن التنوين يكسر باعتباره ساكناً وسكون ما بعد الألف.

وأمثلة ذلك: ﴿حَسِيْبًا ﴿۝۸۷﴾ [النساء: 86-87]، ﴿رَّحِيْمًا ﴿۝۸۷﴾ [التَّيْبَةِ﴾

[الأحزاب: 5-6]، ﴿بِعُلْمِ إِسْمِهِ﴾ [مريم: 7]، ﴿مُرِيْبٍ ﴿۝۲۵﴾ [ق: 25-26]،

﴿حَكِيْمٌ ﴿۝۲۲۸﴾ [البقرة: 228-229]، ﴿حَكِيْمٌ ﴿۝۲۲۹﴾ [التوبة: 40-41].

[41].

قال الداني: "و أهل النقط يسمون هذه الجرة صلة، لأن الكلام الذي قبل الألف التي هي علامته يوصل بالذي بعده فيتصلان، وتذهب هي من اللفظ بذلك"².

يستثنى مما سبق تحرك ما بعد الساكن الذي اجتلبت همزة الوصل للابتداء به بضمه لازمة، كالفعل (انصر) و(انظر)، و(استخرج).

وفي هذه الحال اختلف القراء في تحريك التنوين الذي قبل الساكن، فمنهم من كسره للساكن الذي بعده قياساً على ما تقدم وبه ضبطت المصاحف التي

¹ ينظر: المحكم للداني، ص 84-85.

² المحكم، ص 85.

برواية حفص، ومنهم من ضمه اتباعاً للضمة التي كانت بعد الساكن، ليدل بها على أن ألف الوصل الفاصلة بينهما في الخط تبدأ بالضم إذا بُدئ باللفظة منفصلة عن سابقتها.

ويُمثل لذلك بقوله تعالى: ﴿مُيَسِّرِينَ ﴿١٠﴾ فَتُلُوا يَوْسُفَ﴾ [يوسف: 8-9]، فيضبط برواية حفص على نحو: ﴿مُيَسِّرِينَ ﴿١٠﴾ أَقْتُلُوا﴾، وكذا في غيرها من الحالات بتنوين أو بغير تنوين فلا يرى على ألف الوصل إلا هذا (أ)، كأنها إشارة إلى مصطلح (صلة)، ولا تنقط الألف بما يدل على جهة أدائها في حال الابتداء.

أما في رواية ورش فقد ضبطت ألفات الوصل بوضع جرة فوق أو تحت أو وسط الألف لتدل على حركة ما قبلها، وزيدت النقطة لتبين عن جهة الأداء في حال الابتداء، وعليه يكون ضبط الألف السابقة كالتالي: ﴿مُيَسِّرِينَ ﴿١٠﴾ فَتُلُوا﴾ وكان الناطق ينطق: "مُيَسِّرِينَ قُلُوا"، وكذا قوله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾، فيكتبان قراءة "قُلُّدْعُوا" و"أودْعُوا".

أما في رواية حفص فتبقى قاعدة "إذا التقى ساكنان فاكسر ما سبق"، سارية التطبيق، وعليه تكتب الكلمة بالنظر إلى الأداء: "مبين اقتلوا" و"قل ادعوا" ويقاس عليها نظائرها.

وما يجب أن يعلم أن الهمزة باعتبار رسمها ثلاثة أقسام: مبتدأة ومتوسطة ومتطرفة.

أما المبتدأة وهي ما وقعت في أول الكلمة تحقيقاً أو تقديرًا، ويعني بالتقدير إذا دخل عليها حرف دخيل على بنية الكلمة كأن تسبق بالسين أو بحرف جر نحو:

"سأصرف"، "بإيمان"، وقد جاءت في الاسم والفعل والحرف وتُصَوَّرُ ألفاً بأي حركة تحركت من فتح أو ضم أو كسر، واختير لها أن تصور ألفاً، وإن كان حالها في رسمها تصور بما تؤول إليه في التخفيف، لأن الألف لا تخفف أصلاً، ولو خففت لقربت من السكون، والساكن لا يقع ابتداءً، فجاءت في رسمها على صورة واحدة.

"و ما أحسن قول ابن معطي:

وكتبوا الهمز على التخفيف... وأولاً بالألف المعروف

قال الجعبري: أي صوروا الهمزة بالحرف الذي تؤول إليه في التخفيف أو تقرب منه، وأهملوا المحذوفة فيه، ورسموا المبتدأة ألفاً¹.

وقد اقتصروا على الألف دون الواو والياء لاشتراكهما مع الهمزة في المخرج ومفارقتها أختيها في الخفة.

ومن أمثلتها سواء اتصل بها حرف دخيل على بنية الكلمة وهو من حروف المعاني أم لم يتصل بها: "أنعمت"، "أنّي"، "أحمد"، "أبويه"، "أنزل"، "إبراهيم"، "إيّاك"، "إلّا"، "ألا"، "إذا"، "أوحى"، "أولئك"، "أوتي"، "بإيمان"، "بأموالهم"، "بأي"، "لأولي الألباب"، "لبإمام"، "سألقي"، "أفأنت"، "أفأنبئكم"، "لأصلبكم".
وتدخل في المبتدأة همزة الوصل، نحو: "الحمد لله"، "اهدنا الصراط"، "اعبدوا ربكم"، "اتقوا الله".

وقد خرج عن ذلك الأصل تقديراً أربع عشرة كلمة رسمت همزتها على مراد الوصل، إذ صارت الهمزة في حكم المتوسطة، واقتضى على قياس المتوسطة

¹ إرشاد القراء والكتابين إلى معرفة رسم الكتاب المبين، ج 1/233-234.

تصوير إحدى عشرة منها بالياء، وثلاثة بالواو، وجاءت أربع من تلك الكلم متصلة بما يمكن استقلاله وهي: "يومئذٍ"، "حينئذٍ"، "هؤلاء"، "بينوم"، أما غيرها فاتصل بما لا يمكن استقلاله.

وقد أشار لها الشاطبي بقوله:

والهمزُ الاولُ في المرسومِ قُلْ أَلْفٌ سِوَى الَّذِي بِمُرَادِ الْوَصْلِ قَدْ سَطِرَا
فهؤلاءِ بـواوٍ يَبْنُوْمٌ بِهِ وَيَا ابْنَ أُمَّ فَصَلِّهِ كُلَّهُ سَطِرَا
أئنكم ياءُ ثاني العنكبوتِ وفي الـ أنعامٍ معَ فَصَّلَتْ وَالنَّمْلِ قَدْ زَهَرَ
وَخُصَّ فِي أَئِذَا مِتْنَا إِذَا وَقَعْتَ وَقُلْ أَئِنَّ لَنَا يُخَصُّ فِي الشُّعْرَا
وَفَوْقَ صَادٍ أَئِنَّا ثَانِيًا رَسَمُوا وَزِدْ إِلَيْهِ الَّذِي فِي النَّمْلِ مُدَكِّرَا
أئمةٌ وَأئِنَّ ذُكَّرْتُمْ وَأَنْفُ كَا بِالْعِرَاقِ وَلَا نَصٌّ فَيَحْتَجِرَا
ويومئذٍ وَلِئلاً حِينئذٍ وَلِئِنَّ وَلامٌ أَلِفٌ لَأَهَبُ بَدْرُ الْإِمَامِ سَرِي
وفي أَنْبئِكُمْ وَاوُ.....¹

يستخلص من هذه الأبيات أن الهمزة إذا وقعت في أول الكلمة تصور بالألف وعلى أي حال كانت حركتها، إلا في أربع عشرة كلمة خالفت فرسمت على مراد وصلها بما قبلها فصارت في حكم المتوسطة، جاءت ثلاث بالواو وبقية بالياء.

وهذه أمثلتها مع ذكر السورة التي وردت فيها:

أولها: ﴿هَؤُلَاءِ﴾ حيث وقع، الثاني: ﴿يَبْنُوْمٌ﴾ [طه]، الثالث: ﴿أَوْبَيْكُم﴾
[آل عمران]،

¹ إرشاد القراء والكاتبين، ج 1/236.

الرابع: ﴿أَيِّنُّكُمْ﴾ [الأنعام-النمل-العنكبوت-فصلت]، الخامس: ﴿أَيِّدَا
مِثْنًا﴾ [الواقعة]، دون بقية لفظه، السادس: ﴿أَيِّنَّا لَنَا لَأَجْرًا﴾ [الشعراء
(خاصة)]، السابع: ﴿أَيِّنَّا لَمُحَرَّجُونَ﴾ [النمل]، الثامن: ﴿أَيِّمَّةٌ﴾ [التوبة: 12-
الأنبياء: 73- القصص: 3-41- السجدة: 24]،

التاسع: ﴿أَيِسْ دُكْرُتُمْ﴾ [يس]، العاشر: ﴿أَيْفُكَا-الِهَةَ﴾ [الصفات]، الحادي
عشر: ﴿يَوْمِيذٍ﴾ حيث وقع، الثاني عشر: ﴿لَيْلًا﴾ حيث وقع، الثالث عشر:
﴿حِينِيذٍ﴾ حيث وقع، الرابع عشر: ﴿لَيْسَ﴾.

أما لفظة (لأهب) فهي كما أشار رسمت بلام ألف على قاعدة المبتدأة.

الهمزة المتوسطة:

أما المتوسطة، فهي إما ساكنة أو متحركة:

1- فأما الساكنة فصورت بالنظر إلى حركة ما قبلها بثلاث صور:

أولها: تصور ألفاً، لأنها تبدل بها، إذا وقعت بعد فتح، ومن أمثلتها: "أنشأتم"،
"أسأتم"، "تأمرون"، "تأتون"، "تأسوا"، "شان"، "الضأن"، "كأس".

ولم تصور ألفاً وحذفت صورتها على غير قياس في هذا النوع في قوله تعالى:
﴿قَادِرَاتُمْ﴾ [البقرة: 72]، وكذا من لفظة (يثلتكم) على رواية الدوري عن أبي
عمرو، ونقرأ هذه اللفظة عندنا برواية ورش ﴿يَلِيَّتُكُمْ﴾.

ثانيها: وهي التي تقع بعد ضم، وقياسها أن تصور واواً بدليل أنها تبدل منها حال
التخفيف، ومن أمثلتها: "مؤمنون"، "يؤفكون"، "تؤمرون"، "يؤثرون"،

"مؤصدة"، وجميع هذه الأمثلة في رواية ورش وفي مصاحفنا تُقرأ بالتسهيل إبدالاً فترسم الواو وتُقرأ حرف مدٍّ، ولا يوضع على الواو شيء من حركة أو علامة ضبط أخرى، كـ"يوثرون"، وقس عليها شبيهاتها.

واستثني من هذا الباب ألفاظ جاءت على غير قياس فحذفت صورتها من ذلك لفظة "الرءيا" بأي صيغة وردت، و"وتئوي"، "تئويه"، هروباً من اجتماع الصورتين، إذ القياس يقتضي تصويرها واواً، "و هذا معنى قول الشاطبي:

وفي أُبْبِكُمْ واوٌ ويُحذَفُ في الرِّ رُءِيَا ورُءِيَا ورِءِيَا كُلَّ الصُّورَا

و قال:

وحذفُ إحداهما فيما يُزادُ بِهِ بناءً أو صورةً والجمعُ عمَّ سُرَا

داود تُوُوِيهِ مَسْؤُولًا ووُرِي قُلْ وفي لَيْسُوًا وفي الموءودةُ ابتدِرا

فجمعت هذه الأبيات كلمات حذفت منها الواو منها: "رءيا، رءيا رءيا" و"داود، تئويه، مسئولا، وووري، ليسئوا، الموءودة".

ثالثتها: أن تُصوّر ياءً إذا وقعت بعد كسر، لأنها تبدل منها حال التخفيف، ومن أمثلتها: "جئتم"، "شئتم"، "لملئت"، "أنبئهم"، "شئنا"، "سنقرئك".

2- و أما المتحركة: وهي إمّا أن تقع بعد متحرك أو ساكن¹.

أ- فالواقعة بعد متحرك لها تسع صور:

الأولى: أن تكون مفتوحةً بعد فتح، وقاعدتها أن تصور ألفاً، إذ تسهل بين الفتحة والألف إذا خففت، ومن أمثلتها: "سألتم"، "رأيت"، "أنشأها"، "نبرأها" وشبهها.

¹ ينظر: إرشاد القراء والكتّابين، ج1/239-250.

فإن جاء بعدها ألف - أي ألف مدية - حذفت صورتها، مثل: "راء"، "ننا"،
"مثارب"، "مئاب"، "و اختلف الشيخان في حذف صورة الهمزة على ما في أكثر
المصاحف العراقية من قوله تعالى: "و اطمأنوا بها" ومعتمد الداني الحذف.

قال في مورد الظمان:

وإن حذفت في اطمأنوا فحسن وفي اشمأزت ثم في لأملأن

وعن أبي داود أيضا أثراً أطفأها واختار أن يصوراً¹

الثانية: أن تكون الهمزة مفتوحة بعد كسر، والقياس فيها أن تصور ياءً من جنس
حركة الحرف المتقدم، لأنها تبدل منها إذا خففت.

ومن أمثلتها: "ليبطن"، "ننشئكم"، "ناشئة"، "خاطئة"، "مائة"، "فئة"،
"حمئة"، "لنبوئهم"، "ملئت"، "رئاء الناس"، "سيئة"، "خاسئاً".

واستثني ما كان المكسور من الكلمة ياء، فلا يكون للهمزة صورة حتى لا
تجتمع صورتان بل يكتفي بياء واحدة وهي المشددة من جمع (سيئة)،
"السيئات"، "سيئاتكم"، "سيئاتنا"، "سيئاتهم"، أما ما جاء من هذه الكلمات مفرداً
فرسم بياءين تنبيهاً على الأصل وجواز الأمرين².

الثالثة: أن تكون الهمزة مفتوحة بعد ضم، وقياسها أن ترسم على الواو لأنه من
جنس حركة ما قبلها، وتبدل منه إذا خففت.

وأمثلتها: "يؤيد"، "يؤلف"، "يؤخر"، "مؤذن"، "يؤدهي إليك"، "مؤجلاً"،
"والمؤلفة"، "يؤاخذ".

¹ إرشاد القراء والكاتبين، ج1/240-241.

² ينظر: المقنع، ص

وكذلك: "هزواً"، "كفواً"، "بسؤال"، "فؤادك"، "الفؤاد"، وهذه الخمس الأواخر لم تبدل همزتها في رواية ورش بل وجدت في المصاحف بهمزة على الواو.

أما التي قبلها، وهي ثمانية فأبدلت همزتها واواً ورسم على الواو دارة، كالنقطة في حجم أكبر من حجم نقط الحروف، فتؤدّى واواً، وكأنها تقرأ العبارة: "يويد" ورسمت في مصاحفنا: "يويد" وكذا أخواتها.

الرابعة: أن تأتي الهمزة مكسورة بعد فتح فتصور من حركة نفسها ياءً، لأنها تسهل بينها وبين الكسرة، وأمثلتها: "ليطمئن"، "تبتئس"، "بئس"، على قراءة غير نافع والشامي، أما على قراءتيهما فحذفت منه ياء (فعل) فترسم من غير همز: "بيس".

الخامسة: إذا جاءت الهمزة وما قبلها مكسورين، وقياسها أن تُصور ياء من حركة نفسها، إذ تسهل بينها وبين الكسرة من نحو: "بارئكم"، فإن وليها ياء حذفت صورتها، لأنها لو رسمت على القاعدة لاجتمعت صورتان، نحو: "خاطين"، "خاسين"، "المستهزين"، "الصابين".

السادسة: أن تكون الهمزة مكسورة بعد ضم، وقياسها أن تصور من حركة نفسها، لأنها تسهل بينها وبين الكسرة حال التخفيف، وأمثلتها: "كما سُئل موسى"، "سُئلت"، "ثم سُئلوا".

السابعة: إذا وردت الهمزة مضمومة بعد فتح وكذا لو وليها كاف أو هاء ضمير المفعول به، لأنها تعتبر متوسطة بعد أن كانت متطرفة، وأمثلتها: "كتباً نقرؤه"، "يكلؤكم"، "يذرؤكم"، "ثم لتنبؤن".

أمّا إذا وقع بعد الهمزة واو، وكانت الهمزة متوسطة فإن الهمزة تحذف صورتها - أي صورة الواو - كراهة اجتماع الصورتين: نحو: "اقرأوا"، "اقرأون"، "فادروا"، "قالوا"، "كما تبرّأوا"، "يطئون"، "مبرءون"، "يدرءون"، "بدءوكم"، "يئوساً"، "ليوس"، "يئوده".

الثامنة: الهمزة المضمومة بعد كسر، وقياسها أن تصور ياءً، إذا لم يقع بعدها واو ضمير، إذ تخفّف بإبدالها ياء في بعض الوجوه، وذلك في الأمثلة التالية: "سنقرئك"، "ولا ينبئك"، "أنبئكم"، "تنبئهم".

فإذا وقع بعدها واو حذفت صورتها على مذهب سيبويه¹، لأن الحذف أحد وجوهها في التخفيف، نحو: "نبئوني"، "أنبئوني"، "يستنبئونك"، "متكئون"، "المنشئون"، "الخاطئون"، "فمالئون"، "مستهزءون"، "ليواطئوا".

التاسعة: أن تكون الهمزة مضمومة وما قبلها مضموم، وقياسها أن تصور واواً من حركة نفسها، غير أنها تحذف في لفظ "رءوس"، من نحو: "رءوس أموالكم"، "رءوسهم".

أمّا المتحركة بالضم الواقعة بعد ساكن، فلا تصور بأي حركة تحركت بالضم أو الفتح أو الكسر، لأنها تذهب من اللفظ إذا خفّفت إما بالنقل أو الإبدال حرفاً مشابهاً لما قبلها ثم يدغم.

ومن أمثلة المفتوحة: "وينئون"، "تجثرون"، "سوءة"، "يسئم"، "شطئه"، "الظمئان"، "وسئلوا الله من فضله"، وشبهه، و"جزءاً"، "شيئاً"، وشبهه، ونحو: "سيئت"، "هنيئاً مريئاً"، "بريئاً".

¹ ينظر: إرشاد القراء والكاتبين، ج 1/245.

ومثال المكسورة: "فمالثون"، "وليواطئوا".

ومثال المضمومة: "مستولاً"، "مذءوماً"، "ليستوا".

"وأما الهمزة المتحركة الواقعة بعد الألف فقياسها أن تُصور من حركة نفسها، فإن كانت مفتوحة صورت ألفاً لأنها متطرفة في الأصل، لكن لما اتصلت بها الضمائر صارت في حكم المتوسطة فحذفت صورتها كراهة اجتماع الصورتين."¹

ومن أمثلتها: "قد جاءكم"، "فلماً أضاءت"، "فلماً تراءت"، "أدعياءكم"، "هلمّ شهداءكم"، "نساءكم"، "أخرج منها ماءها"، ونحو: "دعاءً ونداءً"، "ماءً"، "غشاءً"، ونحو: "ملجئاً"، "متكئاً"، "خطئاً".

وإن كانت الهمزة مكسورة صورت ياءً لأنها تسهل بينها وبين الألف إذا خُففت.

ومن أمثلتها: "طائفة"، "قائمة"، "للطائفين"، "ورببكم"، "تثبت"، "سئحت".

جاء في "سمير الطالبين"، وهو يتحدث عن الهمز المتوسط المتحرك إذا وقع بعد ألف قال: "وخرج من المتوسط المتحرك بعد الألف ﴿أُولِيَاءُ وَهُمْ أَلَطُّغُوتٌ﴾ [البقرة: 257]، ﴿نَحْنُ أُولِيَاءُ وَكُمُ﴾ [فصلت: 31]، ﴿إِلَى أُولِيَاءِهِمْ﴾ [الأنعام: 121]... فلم تصور في أكثر العراقية، وصورت في أقلها كسائر المصاحف...²

¹ المصدر نفسه، ج 1/248.

² سمير الطالبين، ص 59. وينظر: سفير العالمين، المجلد الأول، ص 356-357.

- الهمزة المتطرفة:

والهمزة المتطرفة التي تقع آخر حرف من الكلمة فلا تخلو من أن تكون ساكنة أو متحركة.

1- فإن أتت ساكنة، رسمت بحرف حركة ما قبلها، وقد وردت في القرآن مسبوقه بفتح أو كسر، ولم يرد في القرآن منها - الهمزة الساكنة - وقبلها ضمة. ومن أمثلتها: "اقرأ"، "نبي"، "إن نشأ"، "أم لم ينبأ".

2- وإن كانت متحركة، وما قبلها ساكن أو متحرك:

فإن كان ما قبلها ساكن لم تصور على أي حال، وفي المصاحف ترسم على السطر، مثل: ﴿دِفْءٌ﴾ [النحل: 05]، ﴿الْخَبَاءُ﴾ [النمل: 25]، وإن كان ما قبلها متحركاً فتكتب فإنها بحرف حركة ما قبلها؛ بالفتحة ألفاً وبالكسرة على الياء مادامت مفتوحة، مثل: ﴿ذَرَأٌ﴾ [الأنعام: 136]، ﴿فِرْعَى﴾ [الأعراف: 204].

ولم ترد في القرآن همزة متطرفة محركة بالفتح وقبلها ضمة، وإن اتحدت الهمزة مع ما قبلها في الضم كتبت على الواو، مثل: ﴿اللُّؤْلُؤُاُ﴾، وإن أتت مضمومة وما قبلها مكسور رسمت على الياء، مثل: ﴿ثِيَوُتُ﴾ [آل عمران: 121].

أما إن كانت مضمومة وما قبلها مفتوح كتبت على الألف مثل: ﴿أَمَلًا﴾ [هود: 27].

وإن كانت مضمومة وما قبلها مكسور رسمت على الياء مثل ﴿إِمْرِي﴾، وإن كانت مكسورة وما قبلها مضموم كتبت على الواو ﴿اللُّؤْلُؤِ اَلْمَكْنُونِ﴾

[الواقعة:23]، وإن كانت مكسورة وما قبلها مفتوح، كتبت على الألف مثل:
﴿عَنِ النَّبِيِّ﴾ [النبا:02].

وخرجت حالات عن رسم الهمزة المألوف في الرسم الإملائي والمعروف في الاصطلاح ذكر بعضها ولا بأس بإيراد ما قد يتم لها الغاية.

خالفت الهمزة المتحركة المنطوقة قاعدتها بعد الألف فرسمت واوا في الكلمات التالية باتفاق وهي: ﴿فِيكُمْ شَرَكَتُؤُا﴾ [الأنعام:94]، ﴿أَمْ لَهُمْ شَرَكَتُؤُا﴾ [الشورى:21]، على خلاف التي في [القلم:41] إذ رسمت على السطر، ونحو: ﴿أَوْ أَنْ نَفْعَلَ بِحِ أَمْوَالِنَا مَا نَشْتُؤُا﴾ [هود:87]، و﴿بِقَالَ الضُّعْبُؤُا﴾ [إبراهيم:21]، و﴿بَيْفُولِ الضُّعْبُؤُا﴾ [غافر:47]، ﴿شَفَعْتُؤُا﴾ [الروم:13]، و﴿وَمَا دَعْتُؤُا﴾ [غافر:50]، و﴿لَهُوَ أَلْبَلُؤُا﴾ [الصافات:106]، و﴿بَلَّؤُا مُبِئُا﴾ [الدخان:33]، و﴿إِنَّا بَرَاءُؤُا﴾ [المتحنة:04]، و﴿جَزَأُؤُا الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة:29].

وفد ذكر الخراز من الهمز المتطرف كلم رسمت فيها صورة الهمزة بواو بعدها ألف على غير القياس، وذكر أقوال بعض علماء هذا الفن فيها قال:¹

فَصَلُّ وَفِي بَعْضِ الَّذِي تَطَرَّفَا فِي الرَّفْعِ وَاوُّ ثُمَّ زَادُوا أَلِفَا
فَعَلِمَاؤُا الْعُلَمَاءُؤَا يَبْدُؤُا وَالضُّعْفَاؤُا الْمَوْضِعَانِ يَنْشَأُؤُا
وَشُفَعَاؤُا يَعْبُؤُا أَلْبَلَاؤُا ثُمَّ بِلَا لَامَ مَعَا أَنْبَاؤُا

¹ إرشاد القراء والكتابين ج/253

جَزَاؤًا الْأَوْلَانَ فِي الْعُقُودِ وَسُورَةَ الشُّورَى مِنَ الْمَعْهُودِ
 وَمِثْلَهَا لِابْنِ نَجَاحٍ ذِكْرًا فِي الْحَشْرِ وَالِدَانِي خِلَافًا أَثْرًا
 وَعَنْهُمَا أَيْضًا خِلَافٌ مُشْتَهَرٌ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ وَطِهٍ وَالزُّمَرِ
 وَمَعَ أَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ الْمَلَكُوتِ فِي النَّمْلِ عَنِ كُلِّ لَفْظٍ تَفْتُوًا
 وَبُرءَاؤًا مَعَهُ دُعَاؤًا فِي الطُّوْلِ وَالِدُخَانِ قُلُوبًا
 وَيَتَفَيَّؤًا كَذَا يُنَبِّؤًا وَفِي سِوَى التَّوْبَةِ جَاءَ نَبَأُ
 ثَمَّتَ فِيكُمْ شُرَكَاءُ يَدْرُؤًا وَشُرَكَاءُ شَرَعُوا وَتَظَمَّؤًا
 وَأَتَوَكَّؤًا وَمَا نَشَأُؤًا فِي هُودٍ وَالْخِلَافُ فِي أَبْنَاءُ
 وَعَنْ أَبِي دَاوُدَ أَيْضًا ذِكْرًا فِي لَفْظِ أَبْنَاءُ الَّذِي فِي الشُّعْرَا
 وَفِي يُنَبِّأُ فِي الْعَقِيلَةِ الْإِلْفُ وَلَيْسَ قَبْلَ الْوَاوِ فِيهِنَّ الْإِلْفُ

بقي أن نشير هنا قبل ختام مبحث الهمزة إلى ذكر أحكام الهمزتين سواء اللتين جاءتا في كلمة واحدة أو اللتين في كلمتين.

وقد ذكر الداني في المحكم في "باب ذكر أحكام الهمزتين اللتين في كلمة"، ورأى أن التقاءهما على ثلاثة أضرب؛ فقد يتحركان معاً بالفتح، وقد تكون الأولى محركة بالفتح والثانية بالكسر، وقد تتحرك الأولى بالفتح والثانية بالضم، وضرب لكل نوع أمثله¹ وكيفية رسم الهمزة الأولى منهما.

وقد ورد التفصيل لدى مؤلفي كتاب: "الدليل الأوفق إلى رواية ورش"، باعتبارهم خطوا مؤلفهم للوقوف على اختيار ورش في قراءته للهمزات وغيرها. لذا جاء وصفهم للظاهرة مميزاً، ويمكن تلخيص ما أقره في السطور التالية:

¹ ينظر: المحكم للداني، ص 93 وما بعدها.

أما عنوان هذا المبحث فقد جاء تحت مسمى: "باب الهمز المزدوج"¹، ضم فصلين: أولهما كان عنوانه: اجتماع همزتين في كلمة واحدة وكيفية قراءتها لورش.

ولم كان معول القراءة بالمغرب الإسلامي على رواية ورش عند أغلب ساكنيه، فقد ارتأيت أن أنهل من ينبوع ما جاد به أصحاب هذا المؤلف، وهذا تلخيص لمبحث "الهمز المزدوج".

1- أحكام الهمزتين في كلمة واحدة وكيفية قراءتهما لورش :

تجيء الهمزتان في هذا الباب إما مفتوحتين أو مكسورة بعد فتح، أو مضمومة بعد فتح.

ويراد بالهمزتين هنا همزتا القطع المتجاورتين في كلمة واحدة، وتأتيان كما سبق وفق التقسيم الثلاثي.

فأما المفتوحتان فتجيء الأولى منهما للاستفهام، والثانية للمضارعة إن دخلت على المضارع، وقد وردت في أربع كلمات لا غير:

الأولى: في قوله تعالى: ﴿فَالْتَّيْلَوَيْلَيْبَىٰ ءَايِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ [هود:72].

الثانية: في قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَفْتَ طِينًا﴾ [الإسراء:61].

الثالثة: في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل:40].

¹ ينظر: الدليل الأوفى إلى رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، تأليف: مصطفى الحيواوي وعبد الهادي حميتو وعبد العزيز العمراوي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الطبعة الأولى، 1430هـ-2009م، ص 121-156.

الرابعة: في قوله تعالى: ﴿ءَاتَّخِذْ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً﴾ [يس: 23].

وإن دخلت على الضمير أو على الماضي الثلاثي فهي زائدة قد دخلت على أصلية، نحو قوله تعالى: ﴿ءَأَنْتَ فُلْتَّ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: 116]، ﴿ءَأَنْتُمْ؛ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾ [الواقعة: 69]، ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: 16].

وإذا دخلت على الفعل الرباعي فهي زائدة، نحو قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ؛﴾ [البقرة: 06]، وقوله تعالى: ﴿ءَأَفْرَزْتُمْ﴾ [آل عمران: 81]، وفي قوله تعالى: ﴿-أَشَقَفْتُمْ؛ أَنْ تَفْدِمُوا﴾ [المجادلة: 13].

وأما المكسورة التي تقع بعد فتح، فإن الأولى منهما وهي مفتوحة للاستفهام، وأما الهمزة الثانية وهي مكسورة فأصلية، وقد وردت في القرآن الكريم في تسعة وعشرين موضعاً منها قوله تعالى: ﴿أَيِّنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ﴾ [الأنعام: 19]، وفي قوله عز وجل: ﴿أَنْتَ لَأَنْتَ يُونُسُ﴾ [يوسف: 90].

وأما الثالثة وهي المضمومة بعد فتح فهي في قراءة نافع واردة أربع مرات في قوله تعالى:

﴿فَلْ أَوْتِيَكُمْ﴾ [آل عمران: 15]، و﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ﴾ [ص: 8]، و﴿أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ﴾ [الزخرف: 19]، و﴿أَلْفِي الذِّكْرُ عَلَيْهِ﴾ [القمر: 25].

وقد أشار إلى الأقسام الثلاثة الإمام الشاطبي بقوله:

وأضرب جمع الهمزتين ثلاثة... ءانذرتهم أم لم أئنا. أنزل¹

ولم يذكر الرابعة، لأنه قرأ بها نافع ولم يقرأ بها حفص وهي عبارة: ﴿أَشْهَدُوا﴾، ففي رواية حفص دخلت الهمزة على ماض غير مهموز وهو (شَهَدُوا) فقرأها حفص ﴿أَشْهَدُوا﴾.

كيفية قراءة ورش للهمزتين في هذا النوع :

قرأ ورش بتحقيق الهمزة الأولى وهي للاستفهام في هذه الأنواع الثلاثة إلا إذا سبقت بتنوين أو ساكن، فإن حركتها تنقل إليهما، لذا جاء رسمها على شكل "جرة" (-) فكانت في رسمها على الشكل التالي:

﴿عَفْوَرٌ رَّحِيمٌ﴾ - ﴿أَشْفَقْتُمْ﴾، ولم يوضع على الجرة ضبط (الحركة)، لأنها انعدمت في النطق، ونُطقت النون التي كان النقل إليها وهي في كتابتها حسب النطق: "رحيمناشفقتم" وقس عليها الثلاث الأخر، وهي: ﴿فَلَّ-آنْتُمْ﴾، ﴿فَلَّ-أَوْتَيْكُمْ﴾، ﴿إِنشَاءً أَشْهَدُوا﴾.

أما الثانية؛ فإن كانت مفتوحة، فإن له وجهين في أدائها؛ إما الإبدال وإما التسهيل.

أ- يكون الإبدال بجعلها - أي الثانية - ألفاً خالصة، وهو الوجه المقدم جاء في التسيير للداني: "و ورش يبدلها ألفاً والقياس أن تكون بين وبين وابن كثير لا يدخل قبلها ألفاً، وقالون وهشام وأبو عمرو يُدخلونها والباقون يحققون الهمزتين"¹.

¹ ينظر: الدليل الأوفى إلى رواية ورش، ص 122.

وعليه فيكون رسم همزتي "أأذرتهم" بقراءة قالون على النحو التالي: بالنظر إلى المصحف المطبوع برواية قالون: "أأذرتهم" وكذا في قوله تعالى: "قال أأقررتهم"، وقوله: "هأنتم"، "قل أأونبئكم"، "أأسلمتم".

وكذلك إذا سُبقت همزة الاستفهام بتنوين، فإن قالون لا يبدلها بل تبقى كأخواتها في الآيات السابقة من إدخال ألف قبل الثانية وتحقيق همزة الاستفهام، كما في قوله تعالى: "رحيمٌ أأشفقتم".

ثم إنه لما كانت الهمزة المبدلة ألفاً، قد يقع بعدها ساكن أو متحرك فإن وقع بعدها ساكن، نحو: ﴿أَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ و﴿أَأَفْرَرْتُمْ﴾، فإنها تمد عند ورش مدّاً مشبعاً لوجود الساكن بعدها، لذا وُجدت علامة المد على الألف المبدلة من الهمزة في "أأذرتهم" وفيما شابهها.

وإن وقع بعدها متحرك - وكلتاهما مفتوحة - وذلك في موضعين: ﴿أَأِيدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ [هود:72]، ﴿أَأَمِنْتُمْ﴾ [الملك:16]، فإن أهل الأداء اختلفوا في المد؛ بين مدّاً طبعي فقط، لأنه جاء ما بعد هذه الهمزة المبدلة ألفا حرف متحرك، وهو لا يوجب المد، وبين من نص على التوسط والإشباع كمد المبدل إلحاقاً بالبَاب.

قال ميمون: "واختار بعضهم الإشباع في هذين الموضعين بالحمل على التسعة عشر ليجري هذا النوع كله على طريق البدل، لأنه رواية أبي يعقوب"²

¹ التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو والداني، تح: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث بطنطا، ط/1247هـ-2006م، ص26.

² الدليل الأوفى إلى رواية ورش، ص124.

أما ما يقرأ به المغاربة، وكل من يقرأ بورش هو التوسط في هاتين الكلمتين حملاً على مدّ البدل وطرذاً للباب.

ب- ويكون تسهيل الهمزة الثانية المفتوحة بين بين من غير مد الأولى ألفاً، وهو الوجه الثاني لورش، لكن الثابت في مصاحفنا المطبوعة يدلُّ على الإبدال ألفاً. أشار الشاطبي إلى الوجهين بقوله:

وقل ألفاً عن أهل مصرٍ تبدلت... لورش وفي بغداد يروى مسهلاً

أما إن كانت الثانية مكسورة أو مضمومة مثل قوله تعالى: ﴿أَيِّنَّا لَنَا لَأَجْرًا﴾ [الشعراء:41] وقوله تعالى: ﴿آلَةٌ مَعَ اللَّهِ﴾ [النمل:60]، وقوله تعالى: ﴿فَلْ أَوْتِيئُكُمْ﴾ [آل عمران:15]، فإنها تسهّل بين بين ويمتنع البدل لانعدام إتحاد حركتيهما.

وقد أشار إلى ذلك المجاصي في قوله: "و لم يُجيزُوا البدل فيما كان من فتح إلى كسر، ومن فتح إلى ضم لأن ما قبلها مخالف لها، نحو: ﴿أَيِّدَا﴾، ﴿آنَزِلْ﴾، وأجاز بعض القراء إشراب الهمزة المسهلة صوت الهاء، سواء كانت مفتوحة أو مكسورة أو مضمومة، ومنع ذلك آخرون واعتبروه لحناً"¹ وهو ما يسمع من الحفظة في الكتابيب ومن حملة القرآن - الطلبة - إذا ما قرؤوا الحزب الراتب أو رتل أحدهم، فقد لا تسمع من معظمهم إلا صوت الهاء فيما اختلفت حركة همزتيه، نحو: ﴿آنَزِلْ﴾ (أهَنْزِل).

ويجب التنبيه إلى أنه:

¹ الدليل الأوفق إلى رواية ورش، ص 125.

أولاً: جاء في القرآن كلمات اجتمعت فيها ثلاث همزات وهما كلمتان:
﴿ءَأْمَنْتُمْ﴾، ﴿ءَأْلِهْتَنَا﴾.

فالأولى وردت ثلاث مرات في قوله تعالى: ﴿ءَأْمَنْتُمْ﴾ [الأعراف: 123-
طه: 71-الشعراء: 49].

والثانية وهي كلمة ﴿ءَأْلِهْتَنَا﴾ وقد وردت في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا ءَأْلِهْتَنَا
خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ [الزخرف: 58].

فقد اجتمع في هذه الكلمات ثلاث همزات؛ لأن أصل آمنتم وآلهتنا بهمزتين
هكذا: ءأمنتم وءآلهتنا، فالهمزة الأولى فيهما وهي زائدة جاءت متحركة، والهمزة
الثانية ساكنة وهي من أصول الكلمة لأنها فاؤها وحين دخلت همزة الاستفهام
اجتمع في الكلمة ثلاث همزات: همزة الاستفهام، والهمزة الزائدة والهمزة
المبدلة ألفاً، فكيف تقرأ؟

قال الشيخ علي النوري موضحاً رواية ورش للكلمتين: "فيه لورش المدّ
والتوسط والقصر، لأن تغيير الهمز بالتسهيل لا يمنع منها وليس له فيها بدل، لأن
كل من روى الإبدال في نحو: ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ ليس له في ﴿ءَأْمَنْتُمْ﴾
و﴿ءَأْلِهْتَنَا﴾ إلا التسهيل... وقال ابن بادش: ومن أخذ لورش في
﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ بالبدل لم يأخذ له هنا إلا بين بين"¹.

قرأ ورش بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثاني، وبالتوسط في المد كمد البدل.

¹ ينظر: الدليل الأوفى إلى رواية ورش، ص 125-126.

ثانياً: كلمة "أئمة" وردت في القرآن في خمسة مواضع وجاء رسمها في مصاحفنا برواية ورش على هذا النحو: ﴿أَيْمَّةٌ﴾، وتقرأ هذه اللفظة بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية، وقد ذكر بعض الأئمة جواز إبدالها ياءً، وهي عند العامة مبدلة ياء.

وقد جاء ذكرها في السور التالية: التوبة [12]، الأنبياء [73]، القصص [5-41]، السجدة [24].

2- أحكام الهمزتين اللتين من كلمتين وكيفية قراءتهما لورش :

يراد بالهمزتين هنا همزتا القطع، المتلاصقتان وصلاً، الواقعتان في كلمتين تكون الأولى في آخر الكلمة والثانية في أول الكلمة التي تليها، ولا يدخل بضمن هذا الباب ما كانت ثانيتهما همزة وصل، وكذا ما فرق بينهما بحاجز كألف المد في أولاهما، ويخرج بقيد الوصل ما إذا وقف على الهمزة الأولى، ثم كان الاستئناف بالثانية، فلا يكون في هذا الحالة إلا تحقيقهما معا باتفاق القراء.

و من أمثلة هذه الحالات، قوله تعالى: ﴿بِمَسْ شَاءَ إِنْخَدَّ﴾ في [النبا: 39]، وقوله عز اسمه ﴿أَلْمَاءَ إِهْتَزَّتْ﴾ في [الحج: 5]، و﴿مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ في [الكهف: 39].

ذكر الداني أحوال التقاء الهمزتين من كلمتين، إذ حصرت في ثمانية أضرب قال: "اعلم أن الهمزتين تلتقيان في كلمتين على ثمانية أضرب..."¹ يمكن تلخيص هذه الأضرب في النقاط التالية:

1- أن تتحركا بالفتح ومثاله: ﴿جَاءَ أَحَدَهُمْ﴾ في [المؤمنون: 99].

¹ المحكم للداني ص 110

2- أن تتحركا بالكسر نحو: ﴿هَتَوُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ﴾ في [البقرة:31].

3- أن تتحركا بالضم نحو: ﴿أُولِيَاءَ أَوْلِيَاكُمْ﴾ في [الأحقاف:32].

4- أن تتحرك الأولى بالضم والثانية بالفتح، نحو: ﴿السَّقِيَاءَ أَلَاءَ﴾ في [البقرة:13].

5- أن تتحرك الأولى بالكسر والثانية بالفتح، نحو: ﴿هَتَوُلَاءِ أَهْدِي﴾ في [النساء:51].

6- أن تتحرك الأولى بالفتح والثانية بالكسر، نحو: ﴿أُولِيَاءَ إِنْ إِسْتَحَبُّوا﴾ في [التوبة:23].

7- أن تتحرك الأولى بالضم والثانية بالكسر، نحو: ﴿شُهَدَاءَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ في [النور:6].

8- أن تتحرك الأولى بالفتح والثانية بالضم، نحو: ﴿كُلُّ مَا جَاءَ أُمَّةٍ﴾ في [المؤمنون:44].

و بهذا التقسيم يمكن أن نؤسس له ضابطا من حيث الاتفاق في الحركة والاختلاف فيها؛ فالهمزتان اللتان اجتمعتا في كلمتين تكونان إما متفتحتين أو مختلفتين فيها، وسيكون بسط القول فيها على هذا الأساس.

أولاً: المتفتقتان في الحركة وكيفية رواية ورش لهما:

يُعنى بالاتفاق في الحركة أنهما جاءتا في القرآن بالأنواع الثلاثة للحركات، مفتوحتين ومكسورتين ومضمومتين¹.

1- فأما المفتوحتان فقد وردتا في القرآن في تسعة وعشرين موضعاً منها، من قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ في [النساء: 5]، وقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ﴾ في [الأنعام: 61] وقوله: ﴿جَاءَ أَمْرُنَا وَقَارَ السَّنُورُ﴾ في [هود: 40] وقوله: ﴿جَاءَ آلَ لُوطٍ﴾ في [الحجر: 61].

وبالنظر إلى الهمزتين في هذه المواضع وما شابهها ندرك أنهما يعتبران زائدتين أو أصليتين، أو أن واحدة منهما زائدة والأخرى أصلية فمن الزائدتين ما استشهد به في الموضعين الأولين في قوله تعالى: "ولا تؤتوا السفهاء أموالكم" فهزمة السفهاء زائدة لأن مفرد السفهاء فيه بوزن "فعليل" وكذا الثانية زائدة باعتبار مفرد أموال (مال) بوزن "فال" وأما في قوله تعالى: ﴿تَلْفَاءَ اصْحَابِ الْبَارِ﴾ في [الأعراف: 47] فكلاهما زائدة، زيدت الأولى في بنية "فعلاء" وزيدت الثانية في جمع صاحب، وليس له أصل في الهمز.

أما اللتان كانت فيهما واحدة أصلية والأخرى زائدة، فقد وردتا في موضعين أيضاً، واحدة في قوله تعالى: ﴿بَقْدُ جَاءَ اشْرَاطُهَا﴾ في سورة [محمد: 18]، فهزمة (جاء) أصلية لأنها من أصول الكلمة وهي لام الفعل، وهزمة "أشراطها" زائدة لأن المفرد من هذا الجمع "شرط" بوزن فعل لا همز فيه.

¹ هذا تلخيص شديد من كتاب: الدليل الأوفى إلى رواية ورش ص 32-127.

والأخرى في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ في [عبس:22]، فهمة (شاء) كهمة (جاء) أصلا ووزنا، وهمة (أنشره) زائدة ليصبح الفعل رباعيا، وأصل الثلاثي "نشر" بوزن "فعل".

وما تبقى من همزتي هذا الباب وعدده خمسة وعشرون، فالهمزتان فيه أصليتان، نحو: ﴿جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ﴾ في [الأنعام:61] وباقي الباب.

2- أما المكسورتان فقد ذكرتا في سبعة عشر موضعا، منها قوله تعالى: ﴿يَأْسَمَاءُ هَتَّوْلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في [البقرة:31]، وقوله تعالى: ﴿مِنَ النِّسَاءِ الْآ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ في [النساء:22]، وقوله: ﴿وَمِنْ وَّرَاءِ اسْحَلَقَ يَعْفُوبَ﴾ في [هود:71] وتعد همزتا هذا النوع أصليتين إلا التي في قوله تعالى: (ولا أبناء اخوانهن) فإن همزة (أبناء) مبدلة عن واو من مفرد (ابن) الذي أصله (بنو) وجمعه (أبناو) أبدلت واوه همزة لتطرفها، وفي قوله تعالى: ﴿وَمِنْ وَّرَاءِ اسْحَلَقَ يَعْفُوبَ﴾ فإن همزة القطع الثانية زيدت في أول الاسم الأعجمي.

3- أما المضمومتان فوردتا في موضع واحد، في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ أَوْلِيَاءَكَ﴾ في [الأحقاف:32]، وتعد همزة الأولى زائدة لأن مفرد أولياء (ولي).

كيفية قراءة ورش للهمزتين في هذا النوع :

قرأ ورش الأنواع الثلاثة من الهمزتين المتحدتين في الحركة، بتحقيق الهمزة الأولى منهما.

وقرأ الهمزة الثانية بوجهين: تسهيلها من غير مد فيها إذ لا موجب له، وقرأ بالوجه الثاني بإبدالها أي إبدال الهمزة حرف مد من جنس حركة ما قبلها؛ ففي المفتوحين جعلها ألفاً وفي المكسورتين ياء وفي المضمومتين واواً، وهو الوجه المقروء به في المغرب الإسلامي والمثبت في المصاحف رسماً، فقد عُرِّت الهمزة الثانية من الضبط وهو المقدم لورش.

وقد أشار الداني إلى أوجه القراءة في الهمزتين المتحركتين بالفتح بقوله: "فأما الضرب الأول فاختلفت القراءة فيه على ثلاثة أوجه، منهم من يحقق الهمزتين فيه، ومنهم من يسقط الأولى فيها إسقاطاً، ويحقق الثانية ومنهم من يحقق الأولى ويسهل الثانية"¹.

وجاء في التيسير: "فإذا اتفقتا بالفتح، نحو "جاء اجلهم" و"شاء انشره" وشبهه، فورش وقنبل يجعلان الثانية كالمدة، وقالون والبزي وأبو عمرو يسقطون الأولى والباقون يحققون الهمزتين"².

يقصد بقوله "كالمدة" أي كالألف، أي فتحة طويلة.

ويحكم هذا الإبدال بالنظر إلى مده ضوابط تؤخذ من كتاب "الدليل الأوفق" مما جاء النص فيه:

فإذا وقع بعد الهمزة ساكن، سواء كان مظهراً كما في قوله تعالى: "جاء امر ربك"، وقوله تعالى "يمسك السماء ان تقع" وقوله تعالى: ﴿مِنَ النِّسَاءِ الْأَمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، فإن المد واجب بمقدار ست حركات، وذلك لوجود سبب

¹ المحكم للداني ص 111.

² التيسير للداني ص 27.

المد...فإن تحرك الساكن لعارض كالنقل، جاز المد نظرا للأصل وهو وجود الساكن وجاز القصر نظرا للعارض... والواقع في القرآن الكريم من هذا، ثلاثة أحرف فقط هي: قوله تعالى: ﴿عَلَى الْبِعَاءِ إِنْ أَرَدْنَ﴾، وقوله تعالى: ﴿لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ إِتَّفَيْتُنَّ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنْ وَهَبْتُ نَفْسَهَا لِلنَّحِيِّ إِنْ أَرَادَ﴾¹.

يشير إلى أن النون في الآية الأولى والثالثة محركة بالفتح بسبب نقل حركة همزة (أردن) وهمزة (أراد)، وفي الآية الثانية جاءت محركة بالكسر لالتقاء الساكنين من نون (إن) وهمزة الوصل.

فتقرأ الآية هكذا تبعا لنطقها: "إِرْدَنْ" "إِنْتَقَيْتُنَّ" "إِرَادَ" أما إذا جاء بعد الهمزة المبدلة محرك، فقد اختلف أهل الأداء في تقدير المد، بين مد طبيعي وعلى التوسط، من ذلك قوله تعالى: "جاء اجلهم" وقوله عز وجل: "و هو الذي في السماء اله وفي الارض اله" وقوله: "يدبر الأمر من السماء الى الأرض".

قال الشيخ محمد التهامي بن الطيب الفلالي - من الأنصاف القرآنية-:

"وإبدال أخرى الهمزتين لورشهم بهذا جرى التجويد بالغرب مسجلا فإن وقع الحرف المسكن بعدها فلا بد من إشباعه عنه قد جلا وإن وقع التحريك بعد فحكمه بفاس جرى التوسيط أخذا مفصلا ووافق أهل الشرق مع بعض غربنا وفي نشرهم والنشر جاء محصلا"²

¹ الدليل الأوفق برواية ورش ص 129

² الدليل الأوفق برواية ورش، ص 130.

و قد ذكر الشيخ محمد بن العربي بن البهلول أحكام الهمزتين المتفتقتين في الحركة من كلمتين في النص المنظوم التالي:

"و الحكم في اجتماع همزتين تجاورا معاً في كلمتين
إن كانتا مفتوحتين أبدلت أخراهما أي ألفاً وسُهلّت
كجاء أمرنا وما يضاهاي نحو جاء أجلهم والأشباه
لكن إذا كَسَرَت بعد كسر تبدل ياءً عند أهل مصر
نحو السماء إن وهؤلاء إن أخراهما عارية بدون مين
وإن أتت مضمومة كأختها فعرها وأبدلن من جنسها
مثاله أتى بلا خلاف أولياء أولاء في الأحقاف"¹

ذكر في هذه الأبيات الكلمة المقصودة وكيفية ضبطها، وكيف تُؤدى الهمزة الثانية إذ تبدل ألفاً من جنس حركة سابقتها.

ومما يجب أن يشار إليه، هو أن لورش في الهمزتين المكسورتين من كلمتين ثلاثة أوجه في هذين الموضعين من قوله تعالى بالبقرة: ﴿هَؤُلَاءِ اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، وقوله: ﴿عَلَى الْبَغَاءِ اِنْ اَرَدْنَ﴾ في النور.

له فيهما ثلاثة أوجه: التسهيل والإبدال حرف مدّ خالص وياء مختلصة، أمّا في غيرهما فله وجهان: التسهيل والإبدال، وقد قال ابن بري:
"و أبدلن ياء خفيف الكسر من على البغاء إن وهؤلاء إن"²

¹ الدليل الأوفق برواية ورش، ص 130.

² المصدر نفسه، ص 131.

وينبه أيضاً إلى أنه وقع بعد الهمزة الثانية من الهمزتين المفتوحتين ألف أي إذا جاءت الثانية ممطولة بحرف المد الألف، ورد ذلك في موضعين: في قوله تعالى: ﴿قَلَمًا جَاءَ أَل لُّوْطٍ أَلْمُرْسَلُونَ﴾ [الحجر: 61]، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ أَل مِرْعَوْنَ أُنْذِرٌ﴾ [القمر: 41]، ويقدم هنا في القراءة - فيهما - التسهيل، وهو ظاهر رسم الهمزة الثابتة بوضع نقطة كبيرة الحجم دالة على التسهيل، لأنه الأشهر والأقيس، وجوز بعضهم على الإبدال القصر والتوسط والطويل لوقوع حرف المد بغير همز ثابت...

والمقروء به عندنا هو التسهيل، قال الشيخ محمد العربي ابن البهلول:

"لكن جاء ءال أي في الموضعين تقرأ بالتسهيل في المفتوحتين"¹

المختلفتان في الحركة وكيف يقرأهما ورش :

حالاتهما: هذا القسم الذي تكون فيه الهمزة الأولى في آخر الكلمة الأولى والثانية في أول الكلمة الثانية، أي تجيئان متجاورتين، وله خمس حالات: الحالة الأولى: تكون فيهما الأولى محركة بالفتح والثانية بالكسر، وجملة ما ورد في القرآن الكريم تسعة عشر موضعاً من ذلك قوله تعالى: ﴿شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ﴾ [البقرة: 133]، وقوله عز اسمه: ﴿وَالْبَعْضَاءَ إِلَيَّ﴾ [المائدة: 14].

الحالة الثانية: تأتي الهمزة الأولى محركة بالفتح والثانية بالضم، وذكرت مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذْبُوهُ﴾ [المؤمنون: 44].

¹ المصدر نفسه، ص 132.

وقد قرأ ورش في هاتين الحالتين بتحقيق الهمزة الأولى وتسهيل الثانية بين
بين ، وإلى ذلك أشار ابن بري بقوله :

"ثم إذا اختلفتا وانفتحت أو لاهما فإن الأخرى سُهِّلت
كأيا وكالواو....."¹

ولا يجوز في هذين القسمين إلا التسهيل بين بين.

الحالة الثالثة: تأتي الهمزة الأولى فيها محركة بالكسر والثانية بالفتح ، وجملة ما
قرأ به نافع من القرآن في النوع ستة عشر موضعاً ، منها قوله تعالى : ﴿ مِنْ خِطْبَةِ
النِّسَاءِ أَوْ أَكَنَّتُمْ ﴾ في [البقرة:235] ، وقوله عز وجل : ﴿ هَتَّؤُلَاءِ أَهْبَدِي ﴾ في
[النساء:50].

الحالة الرابعة: أن تحرك الأولى بالضم والثانية بالفتح ، وجملة ما قرأ به نافع في
القرآن ثلاثة عشر موضعاً ، منها قوله تعالى : ﴿ أَلَسَّبَهَاءَ أَلَا ﴾ في [البقرة:13] ،
وقوله عز وجل : ﴿ وَيَسْمَاءُ أَفْلِحِي ﴾ في [هود:44].

وقد قرأ ورش بتحقيق الهمزة الأولى ، وإبدال الثانية حرفاً من جنس حركة ما
قبلها ، فتصير ياءً مفتوحة بعد المكسورة وواواً مفتوحة بعد المضمومة ، وكأنها
ترسم على ما يلي تبعاً لإبدالها إمّا ياءً أو واواً ، "من خطبة النساء يوكننتم" و"ويا
سما وقلعي".

وإلى هاتين الحالتين أشار ابن بري رحمه الله تعالى بقوله :

"..... ومهما وقعت مفتوحة ياءً وواواً أبدلت"¹

¹ الدليل الأوفق برواية ورش ، ص 133.

الحالة الخامسة: وتكون فيها الهمزة الأولى مضمومة والثانية مكسورة، وحاصل ما في القرآن على قراءة نافع من هذا سبعة وعشرون موضعاً:

منها قوله تعالى: ﴿مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ في [البقرة:142]، وقوله تعالى: ﴿يَنْزَكِرِيَاءَ إِنَّا﴾ [مريم:7]، وهذه في رواية حفص لا تدخل بضمن الهمزتين اللتين من كلمتين، لأن اسم زكرياء من غير همزة في آخر، "يا زكريا إنا نبشرك".

وقد حقق ورش أولى الهمزتين في هذا النوع، وجاء عنه قراءة الثانية بوجهين: إبدالها واواً مكسورة كالمفتوحة بعد ضم، وهذا الوجه هو المعتمد قراءة عند الجمهور أهل الأداء، وهو المشهور من طريق الرواية.

وتسهيلها، وهو ثاني الوجهين بين بين، وهو القياس عند النحاة لمحافظته على ما يدل على الهمزة المسهلة..

ولم يرد في القرآن خلاف هذه الحالة - عكساً - أي بأن تأتي همزة مكسورة بعدها همزة مضمومة في كلمتين.

وتعد الهمزة من الأحرف التي قد لا يسعها مؤلف وقد خط فيها كثيرون، وكتبت فيها رسائل وأبحاث أكاديمية، ربما خصصت لها وقتها للوقوف على رسمها وحالاتها في القرآن وما قد تحمله من دلالات وإشارات.

¹ الدليل الأوفق برواية ورش، ص 134.

رابعاً : قاعدة البدل

يقصد بالبدل في اللغة: العوض، وفي الاصطلاح: "جعل حرف مكان آخر"¹.

و ينقسم البدل بالنظر إلى ما رسم في المصاحف إلى أربعة أقسام:

1- إبدال الألف ياء أو واو :

أ- تبدل الألف ياء أي ترسم ياء في أربعة مواضع :

أولها: إذا كانت منقلبة عن ياء، لتشير إلى أصلها وجواز إمالتها وتقع في الأسماء والأفعال، سواء اتصلت بضمير أم لم تتصل، في وسط أو متطرفة.

فمثالها إذا وقعت في وسط الاسم: ﴿هَوِيَةٌ﴾ [الجاثية:23]، و﴿هُدْيُهُمْ﴾ [البقرة:272].

ومثالها في آخر الاسم: ﴿هُدَى﴾ [البقرة:5]، ﴿عَمَى﴾ [فصلت:44].

ومن أمثلتها في وسط الفعل أو آخره: ﴿يَغْشَاهَا﴾ [الشمس:4]، ﴿إِهْتَدَى﴾ [طه:82]، والشواهد في هذا الباب كثيرة.

ويستثنى من ذلك ما رسم من ذوات الياء بالألف نحو: ﴿الْأَفْصَا﴾

[الإسراء:1]، ﴿أَفْصَا﴾ [القصص:20] و[يس:20]، و﴿تَوَلَّاهُ﴾ [الحج:4]،

و﴿عَصَانِي﴾ [إبراهيم:36]، ﴿سَيِّمَاهُمْ﴾ [الفتح:29]، و﴿طَعَا أَلْمَاءُ﴾

[الحاقة:11]، و﴿مَرَضَات﴾ كيف جاءت في جميع المصاحف، إذا رسمت

بالألف.

¹ سمير الطالبين، ص62.

وقد اختلفت المصاحف في رسم بعض الكلمات، إذ الأصل فيها أن ترسم بالياء، منها: ﴿تُفَاتِيهِ﴾ [آل عمران:102]، و﴿وَجَنَّا﴾ [الرحمن:54]، فرسمت هاتان الكلمتان بالألف في بعض المصاحف، وبالياء في أخرى، لكن العمل على الياء.

علق شرشال على هذا الخلاف بقوله: "هذا الخلاف في إثبات وحذف الألف، وعدم رسم الياء، يجب أن يُعزى إلى مصاحف أهل العراق فقط لا إلى غيرها... وكلام الداني صريح في ذلك، وترجمة الباب أصرح منه، فذكره في باب ما اتفقت على رسمه مصاحف أهل العراق ونسب الخلاف إلى مصاحفهم، وتبعه في ذلك الإمام الشاطبي، فتكون بقية المصاحف بالحذف والياء."

وجاء رسم الكلمتين في المصاحف المطبوعة المقروء بها عندنا في المغرب الإسلامي برواية ورش على هذا النحو: "تقاته" و"وجنا" بالألف فيهما وقد أميلت الأولى منهما.

ومن الكلمات المختلف في رسمها بين المصاحف بالألف وبالياء في بعضها غير أن الاختيار يكون برسم الياء، وعليه العمل: ﴿إِجْتَبَيْكُمْ﴾ [الحج:78]، ﴿إِجْتَبِي﴾ [النحل:121] ﴿ءَاتَبِنِي الْكِتَابَ﴾ [مريم:30] ﴿أُرِينِي﴾ [يوسف:36] ﴿نَادِينَا﴾ [الصفات:75]، ﴿لَس تَرِينِي﴾، ﴿بَسَوْفَ تَرِينِي﴾ [الأعراف:143]، ﴿أُرْبِي﴾ [النحل:92]، ﴿مَا لِي لَا أَرَى الْهُدْهَدَ﴾ [النمل:20].

جاء في دليل الحيران:

وَذَكَرَ التَّنْزِيلُ أَيْضاً كَلِمَةً بِأَلِفٍ أَوْ يَاءٍ أَوْ دُونَهُمَا
 أَتَانِي الْكِتَابَ وَاجْتَبَاكُمْ كَذَلِكَ فِي النَّحْلِ اجْتِبَاهُ يُرْسَمُ
 وَلَنْ تَرَانِي مَعَهُ تَرَانِي بِأَلِفٍ أَوْ يَاءٍ الْحَرْفَانِ
 وَالْيَاءُ عَنْهُمَا بِمَا قَدْ جُهِّلَا أَصْلاً بِكَلِمٍ وَهِيَ حَتَّى وَإِلَى
 أَيْ فِي الْإِسْتِفْهَامِ قُلْ ثُمَّ عَلَى حَرْفِيَّةٍ وَمِثْلَهَا مَتَّى بَلَى¹

ذكر في البيتين الأخيرين كيفية رسم الألف المجهولة الأصل أهي يائية أم
 واوية فأخبر عن الشيخين بأنها رسمت في المصاحف ياء وهي في البيتين ستة:
 (حتى)، (إلى)، (أنى) الاستفهامية، (على) الحرفية، (متى) الاستفهامية، (بلى).
 ويوجه رسمها بالياء لشبهها بألف التانيث حيث وقعت رابعة كألف
 (دعوى)، ورسمت (إلى) بالياء ليفرق بينها وبين (إلا) المشددة، ثم يذكر الكلمة
 السابعة ذات الألف المجهولة، وقد اختلفت المصاحف في ألفها وهي التي في
 قوله تعالى: ﴿لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ [غافر:18]، وكان الاتفاق في التي في
 [يوسف:25]، في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِيَا سَيِّدَهَا لَدَا أَلْبَابٍ﴾.

قال الناظم:

وفي لَدَى فِي غَافِرٍ يُخْتَلَفُ... وفي لَدَا الْبَابِ اتَّفَاقاً أَلِفٌ²

وتوصل علماء الضبط بعد أن أحصوا كلمات القرآن في مرسومها وما خالف
 القاعدة المضطردة إلى أن كل ألف "جاورت ياء قبلها أو بعدها أو اكتفأها، نحو:
 ﴿أَحْيَا﴾ [المائدة:32]، ﴿هُدَايَ﴾ [البقرة:38]، طه: [123]، ﴿رَأَيْتَنِي﴾

¹ دليل الحيران، ص 300-301.

² دليل الحيران، ص 302.

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾، قال: وذلك على وجه الإتيان لما قبل ذلك وما بعده مما هو مرسوم بالياء لتأتي الفواصل على صورة واحدة¹.

ولا يستبعد أن يكون هذا من عجيب صنعهم في صناعة الخط، وارتقاء حسهم وبلوغهم درجة التدبر قراءة ورسمًا.

ب- وتبدل الألف واوًا كما هو متبع في رسمها في المصاحف في ثمانية ألفاظ، ذكرها الداني في المقنع بمسمى: "باب ذكر ما رسمت الألف واوًا على لفظ التفخيم ومراد الأصل"، قال الداني: "و رسموا في كل المصاحف الألف واوًا في أربعة أصول مطردة وأربعة أحرف متفرقة: فالأربعة الأصول هي: "الصلوة"، "الزكوة"، "الحيوة"، "الربوا"، حيث وقعن، والأربعة أحرف هي: قوله في [الأنعام] و[الكهف] ﴿بِالْعَدْوَةِ﴾، وفي [النور]، ﴿كَمِشْكَوَةٍ﴾ وفي [المؤمن] أي غافر ﴿النَّجْوَةِ﴾ وفي [النجم] "منوة"².

غير أنه في الأربعة أصول الأولى ليس الأمر في رسمها بالواو على الإطلاق، بل قيد في هذه الكلمات بأن تُحَلَّى ب (ال) أو تأتي مضافات إلى ظاهر. ولم يرد في القرآن ذكر لها وهي مضافة إلى ظاهر إلا لواحدة منها وهي: (الصلوة)، في قوله تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظُّهَيْرِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ [النور:58].

أما إذا أتت هذه الأربعة مضافات إلى ضمير فأكثر المصاحف بالألف، وعليه العمل.

¹ المقنع، ص 90-91.

² المقنع، ص 79.

قال الداني: "فمرسوم ذلك كله بغير واو، وربما رسمت في بعض المصاحف وهو الأكثر، وربما لم ترسم وهو الأقل، كذا وجدت في مصاحف أهل العراق"¹.

ولم يرد منها مضافاً إلى ضمير إلا في نصفها، أي (الصلاة والحياة) فقد أضيفتا إلى المتكلم والغائب والمخاطب إفراداً وجمعاً وكذا الغائب، ويمثل لها بقوله تعالى: ﴿صَلَاتِي﴾ [الأنعام:162]، ﴿صَلَاتِهِمْ﴾ [الأنعام:92]، ﴿بِصَلَاتِكَ﴾ [الإسراء:110]. ﴿صَلَاتُهُ﴾ [النور:41]، ﴿لِحَيَاتِي﴾ [الفجر:24]، ﴿حَيَاتِكُمْ﴾ [الأحقاف:20]، ﴿حَيَاتِنَا﴾ [الأنعام:22]، وغيرها.

ويستثنى من ذلك ما جاء من لفظة (الصلاة) المضافة إلى ضمير الخطاب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ صَلَوَاتِكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة:103]، فقد جاءت برسم يوافق القراءتين: قراءة الجمع وهي في مصاحفنا برواية ورش، وقراءة الإفراد وهي في المصاحف المطبوعة على رواية حفص، ويفرق بينهما الضبط، فقراءة الجمع ﴿صَلَوَاتِكَ﴾، حركت الواو بالفتح والتاء بالكسر، وقراءة الإفراد ﴿صَلَوَاتِكَ﴾ عريت الواو من الضبط وحركت التاء بالفتح إشارة إلى أن رسمها الموافق لها هو (صلاتك).

أما ما ورد منهن منكرات نحو قوله تعالى: ﴿حَيَوَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ [النحل:97]، وقوله: ﴿مِنَهُ رَكْوَةٌ﴾ [الكهف:81]، "فلا خلاف في رسمهن بالواو عن أبي

¹ المقنع، ص80.

داود، ومقتضى كلام أبي عمرو أنهم رسمن بالألف في بعض العراقية وبالواو في باقي المصاحف، والعمل على رسمهن بالواو¹.

وحين أشار² إلى رسم كلمة (ربا) ذكر بأنه مما اختلف في رسمه، إذ كتبت في بعض المصاحف بالألف، وفي بعضها بالواو، والعمل على الأول، وقد ذكرت في سورة [الروم:39] في قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

2- إبدال السين صاداً :

جاءت كلمات في المصاحف برسم خالف رسمها فأبدلت فيها سينها صاداً، وهذه الكلمات هي: ﴿صِرَاطٌ﴾ كيف جاء، و﴿وَيَبْضُظٌ﴾ في [البقرة:245]، و﴿بَصُطَةٌ﴾ [الأعراف:69] و﴿الْمُصَيِّطُرُونَ﴾ [الطور:37]، و﴿بِمُصَيِّطِرٍ﴾ [الغاشية:22]، رسموا ذلك كله ليحتمل القراءات.

ذكر هذه الكلمات الداني في "باب ذكر ما اتفقت على رسمه مصاحف أهل الأمصار" أشار إلى "أن مصاحف أهل الأمصار اجتمعت على رسم (الصراط) و(صراط) بالصاد... وكذلك رسموا: (المصيطر) و(بمصيطر)³."

وجاء في السبعة لابن مجاهد: "والسين الأصل، والكتاب بالصاد وإنما كتبت بالصاد ليقربوها من الطاء، لأن الطاء لها تصعد في الحنك وهي مطبقة، والسين مهموسة وهي من حروف الصفير، فثقل عليهم أن يعمل اللسان منخفضاً ومستعلياً في الكلمة واحدة، فقلبوا السين إلى الصاد، لأنها مؤاخية للطاء في

¹ سفير العالمين، ج2/400، وينظر: المقنع، ص80.

² ينظر: المقنع، ص80.

³ المقنع، ص112.

الإطباق، ومناسبة للسين في الصغير ليعمل اللسان فيها متصعداً في الحنك الأعلى عملاً واحداً¹

وجاء في النشر: "فانظر كيف كتبوا (الصراط والمصيرون) بالصاد المبدلة من السين، وعدلوا عن السين التي هي الأصل لتكون قراءة السين، وإن خالفت الرسم من وجه قد أتت على الأصل فيعتدلان، وتكون قراءة الإشمام محتملة، ولو كتب ذلك بالسين على الأصل، لفات ذلك، وعُدَّت قراءة غير السين مخالفة للرسم والأصل، ولذلك كان الخلاف في المشهور في ﴿بَصُطَةٌ﴾ [الأعراف] دون ﴿بَسُطَةٌ﴾ [البقرة]، لكون حرف البقرة كتب بالسين وحرف الأعراف بالصاد"².

ويشمن ما قاله ابن الجزري، وابن مجاهد قبله أن المصاحف المطبوعة بروايتي حفص وورش رسمت هذه الأحرف بالصاد، غير أنه زيد في المصحف الذي برواية حفص سين في كلمتي ﴿بَصُطَةٌ﴾ في [الأعراف]، و﴿الْمُصَيِّرُونَ﴾ في [الطور]، وخلت المصاحف المطبوعة برواية ورش من ذلك، أي كتبت في جميعها بالصاد.

وقد وردت كلمة ﴿صِرَاطٌ﴾ في القرآن معرفة ومنكرة ومضافة فمن المنكرة جاء قوله تعالى: ﴿وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ في [النساء: 68] ومن المضافة:

¹ سفير العالمين، المجلد 2 هامش، ص 413، نقلاً عن سبعة لابن مجاهد، ص 107.

² النشر في القراءات العشر لابن الجزري، تصحيح ومراجعة علي محمد الضباع، دار الكتاب، الجزء الأول، ص 12.

﴿صِرَاطِي﴾ في [الأنعام:153]، و﴿صِرَاطِكَ﴾ في [الأعراف:16]، وحمل "معجم القراءات القرآنية" أوجه قراءة كلمة ﴿الصِّرَاطِ﴾ معزوة إلى أصحابها، يتناولها هذا التفريع.

نصها المصحفي، أي كما وردت في المصحف (الصراط) وأوجه قراءتها¹:

- 1- بين الصادر والزاي (باشمام الصاد زايا)، فقد قرأ بها: حمزة - أبو عمرو - رمانه - أبو علي - خلف - خلاد - الدوري - علي بن سالم - ابن سعدان
- 2- الزراط: حمزة - أبو عمرو.

- 3- السراط، قرأها بالسين: ابن كثير - الكسائي - أبو عمرو - قنبل - ابن مجاهد - ابن حمدون - يعقوب - رويس اللؤلؤي - ابن عباس - أبو علي.

وما يلاحظ في هذه الكلمات التي أبدلت سينها صاداً لم تخل واحدة منها في أحرفها من حرف الطاء المطبق المستعلي، فكان إبدالهم في موضعه، لأن الصاد مؤاخية للطاء في الإطباق، ومشاركة للذي عوضته وهو السين في الصغير، لهذا من جهة الحرف أو الحرفين معاً.

أما من جهة العضو الفاعل في إصدار الصوت هو ليعمل اللسان فيهما متصعداً في الحنك عملاً واحداً، وليكون المبتغى نيل الأقوى وبلوغ الأسمى.

- 3- إبدال الهاء تاء: أبدلت الهاء تاءً وجاء رسمها في المصاحف بتاء مفتوحة على خلاف الأصل من أنها مربوطة في ثلاث عشرة كلمة، بعضها تكرر وبعضها ذكر مرة واحدة، وبيان مواقعها حسب الترتيب التالي:

¹ ينظر: معجم القراءات القرآنية، ج1/11.

1- ﴿رَحِمَتْ﴾ في [البقرة:218]، و[الأعراف:56]، و[هود:73]، و[مريم:2]، و[الروم:50]، و[الزخرف:32]، وكلها مضافة إما للفظ الجلالة (الله) أو إلى كلمة "ربك".

2- ﴿نِعَمَتْ﴾ في [البقرة:231]، و[آل عمران:103]، و[المائدة:11]، و[إبراهيم:28-34]، و[النحل:72-83-114]، و[لقمان:31]، و[فاطر:3]، و[الطور:29]

وكلها جاءت مضافة للفظ الجلالة "الله" إلا الأخيرة التي في الطور فللفظة "ربك":

"فما أنت بنعمت ربك بكاهن".

3- ﴿سُنَّتْ﴾: في [الأنفال:38] و[فاطر:43] و[غافر:85] وقد أُضيفت التي في غافر إلى لفظ الجلالة (الله)، أما اللتان في الأنفال وفاطر فجاءتا مضافتين إلى كلمة (الأولين).

4- ﴿إِبْنَتْ﴾: في [التحريم:12] وأضيفت إلى عَلَم، ﴿وَمَزَيْمَ إِبْنَتْ عِمْرَانَ﴾.

5- ﴿شَجَرَتْ﴾: في [الدخان:43] وأضيفت إلى اسم ظاهر، الزقوم.

6- ﴿إِمْرَأَتْ﴾: في [آل عمران:34] و[يوسف:30-51] و[القصص:9] و[التحريم:10، 11]. وقد أُضيفت جميعها إلى اسم زوجها.

7- ﴿فُرَّتْ﴾: في [القصص:9] وأضيفت إلى كلمة عَيْن قال تعالى: ﴿فُرَّتْ عَيْنِي

لِي﴾

8- ﴿بَفَيْتُ﴾: في [هود:86] وجاءت مضافة إلى لفظ الجلالة: "الله".

9- ﴿بَطَّرَتْ﴾: [الروم:30]، وأضيفت إلى لفظ الجلالة (الله).

10- ﴿لَعْنَتْ﴾: في [آل عمران:61] وفي [النور:7] وكلتاها أضيفت إلى لفظ الجلالة "الله".

11- ﴿وَجَنَّتْ﴾: في [الواقعة:89]، أضيفت إلى منكر وهي كلمة ﴿نَعِيمٍ﴾.

12- ﴿وَمَغْصَبَتِ﴾: في [المجادلة:7-8] وكلتاها أضيفت إلى كلمة ﴿الرَّسُولِ﴾.

13- ﴿كَلِمَتٌ﴾: في [الأنعام:115] و[يونس:33]، و[غافر:6]، وجميعها

أضيفت إلى كلمة "ربك" غير أن هذه جاء رسمها بتاء مفتوحة ليناسب القراءة، قراءة الجمع التي يقرأ بها ورش وطبعت بموجبها مصاحفه مع إثبات ألف صغيرة فوق الميم ليعرف الجمع، ورواية حفص في المصاحف المطبوعة على روايته جاءت التاء مفتوحة لكن في صيغة المفرد وليس في الجمع.

قال ابن معاذ الجهني: "فمن قرأ بالجمع فلا تكون كتابتها على قراءته إلا بالتاء وكذلك يقف"¹ يعني كلمة "كلمت" الأخيرة الذكر.

ويوقف على ما كتب بالهاء في هذه الكلمات وغيرها من الأعلام المؤنثة، يوقف عليه بالهاء، ويوصل بالتاء، لكن ما كتب بالتاء المفتوحة فيقرأ بالتاء وصلًا ويوقف عليها أيضاً بالتاء¹، لأن خط المصحف سنة يجب أن تتبع.

¹ البديع في الرسم العثماني في المصاحف الشريفة، لابن معاذ الجهني الأندلسي، تحقيق: حمدي سلطان العدوي، دار الصحابة للتراث بطنطا، الطبعة الأولى، 1427هـ 2006م، ص 40.

واتفق الشيخان على رسم الهاء تاء في الكلمات التالية: "ذات" و"مرضات":
حيث وقعا.

﴿هَيْهَاتَ﴾: في الموضوعين بسورة [المؤمنون:36].

﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾: بد[ص:3].

﴿أَلَّتْ﴾: بد[النجم:19].

﴿يَأْتِي﴾: حيث جاء.

ومما رسم بالتاء أيضاً كلمات اختلف القراء في إفرادها وجمعها وهي:
﴿غَيَّبَتْ﴾ بد[يوسف:10-15] و﴿ءَايَتٌ لِّسَاءِطِينَ﴾ في [يوسف:7]، و﴿ءَايَتٌ
مِّن رَّبِّهِ﴾ في [العنكبوت:50]، وفي ﴿إِلْعْرَفْتِ﴾ بد[سبأ:37] و﴿عَلَى بَيِّنَاتٍ﴾
بد[فاطر:40]، و﴿مِن تَمَرَاتٍ﴾ بد[فصلت:47] ﴿جَمَلَتْ﴾: بد[المرسلات:33]
و﴿كَلِمَاتٍ﴾ بد[الأنعام:115].

فجميع هذه الكلمات جاءت في رواية ورش على صيغة الجمع فكان من
الطبيعي بل والضروري أن ترسم بالتاء المفتوحة وبوضع ألف محذوفة على
الحرف المفتوح قبلها، وهو ما عليه المصحف المطبوع بهذه القراءة.

أما في المصاحف المطبوعة برواية حفص فإنه - وإن جاءت هذه الكلمات
بالتاء المفتوحة - لم ترسم ألف صغيرة على الحرف الذي قبل التاء ومن هذه

² ينظر: المتحف في رسم المصحف، لعوض صالح، دار الصحابة للتراث، الطبعة الأولى: 1427-200م،

الكلمات: ﴿عَيَّبَتِ الْجَبَّ﴾ في [يوسف:10-15] و﴿عَلَى بَيِّنَتٍ﴾ في [فاطر:40] و﴿جَمَلْتِ﴾ التي في [المرسلات:33].

4- إبدال نون التوكيد الخفيفة ألفاً :

خالفت نون التوكيد الخفيفة رسمها الإملائي حين رسمت في المصاحف فقد كتبت ألفاً في موضعين ولم يذكر غيرهما، في: ﴿وَلَيَكُوناً﴾ في [يوسف:32] و﴿لَنَسْبَعَا﴾ في [العلق:5].

وكذلك نون (إذن) حيث وقع.

جاء في المحكم "والقراء مجمعون على إبدال النون فيهما في الوقف ألفاً، كالتنوين الذي يلحق الأسماء المنصوبة. لأن قبل كل واحد منهما ما يشبه الألف وهي الفتحة، ولتأدية كيفية الوقف رسماً كذلك.

وكذلك اتفقوا على جعلهما على الألف في النحو: ﴿وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ﴾ في [الإسراء:76]، و﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ﴾ في [النساء:53]... وما أشبه، وذلك من حيث أشبه ذلك النون الخفيفة في اللفظ والرسم والوقف"¹.

وبدا لغانم قدوري أن رسم كلمة (إذن) بالألف جاء لكونه كان يوقف عليه بالألف، لذا رسموها في المصحف كذلك حيث وقعت².

ونقل في الهامش كيفية رسمها لدى علماء العربية، بعد أن أخذوا أصول قواعد الهجاء من رسم المصحف، لم يتفقوا على كتابتها بالنون، أو بالألف وقد

¹ المحكم للداني، ص 67.

² ينظر: رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية لغانم قدوري ص 266

مال جمهور النحاة إلى كتابتها بالنون، وأهل الرسم أبقوا كتابتها كما رسمت في المصاحف بالألف.

وقد أشار ابن معاذ الجهني إلى كيفية رسم هذه الكلمة (إذن) في قوله: "وحكي عن علي بن سليمان النحوي - يعني الأخفش الصغير - عن المبرد أنه قال: لا يجوز أن تكتب (إذاً) إلا بالنون. وقال: إني لأشتهي أن أقطع يد من يكتبها بالألف.

قال أبو عبيد الله: وقوله مردود عليه غير مأخوذ به¹.

يجب أن يلاحظ أن ابن معاذ الجهني يتحدث عن مرسوم المصاحف، أما المبرد فيتحدث عن غيره في مسائل اللغة بعامة.

¹ البديع في الرسم العثماني، ص 68.

خامساً : قاعدة القطع والوصول ومسائلها

يعني القطع فصل كل كلمة عما بعدها في رسم المصاحف العثمانية ، ويعني الوصل وصل الكلمة بما بعدها رسماً في تلك المصاحف¹.

والقطع هو الأصل ويقابله الوصل ، وقد يقال عنهما: المقطوع والموصول وقد خص له الداني باباً في كتابه المقنع سماه: باب ذكر ما رسم في المصاحف من الحروف المقطوعة على الأصل والموصولة على اللفظ²، ذكر فيه كل ما يدخل تحت هذا الباب، حصرها في عشرين حالة وهي: "أن لا" "من ما"، "عن ما"، "إنما"، "فإن لم"، "أن لن"، "عن من"، "فيما"، "أم ما"، "أين ما"، "أثما"، "إثما"، "بثما"، "كلما"، "لكيلا"، "يوم هم"، "فمال"، "ابن أم"، "ويكأن"، "ولات حين".

وجعل له ابن معاذ الجهني باباً سماه: باب ما رسم في المصحف من المقطوع والموصول³ وزعه على ثمانية عشر باباً لا تخرج عن الكلمات التي ذكر الداني في المقنع.

ويعد القطع والوصل من خصائص الرسم العثماني، ولا مناص لقارئ القرآن من معرفته واتباعه لما حث عليه علماء الأداء من تتبع حروفه. وقد وقع إجماع علماء فن الرسم على أن يقدموا القطع على الوصل وهم يُعَنَوْنُ له أو يدرسونه، لأن الأصل كما سبق القطع والوصل فرع.

¹ ينظر: سير الطالبين، ص66 وسفير العالمين: ج2/415، التحف في رسم المصحف، ص5.

² ينظر: المقنع، ص92-100.

³ ينظر: البديع في الرسم العثماني، ص24-36.

وقد جاء المقطوع والموصول في إحدى وعشرين مسألة، كما أوضحها محمد الضباع، وهذا بيان ملخص لما قيل عنها.

المسألة الأولى : (أن لا).

جاءت نون أن المفتوحة الهمزة خفيفة بعدها لا. قال الداني عنها: "وجميع ما في كتاب الله - عز وجل - من قوله (ألا) فهو بغير نون إلا في عشرة أحرف"¹، وذكر أمثلتها، أي أمثلة العشرة التي جاءت مقطوعة.

وهي: ﴿لَا أَقُولُ﴾ و﴿أَنْ لَا يَقُولُوا﴾ كلاهما في [الأعراف: 105، 169]

و﴿أَنْ لَا مَلْجَأَ﴾ في [التوبة: 118] و﴿وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ بـ[هود: 14]

و﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ الثاني بـ[هود: 26]، ﴿أَنْ لَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئاً﴾ في [الحج: 26]

و﴿أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ﴾ بـ[المتحنة: 12]، و﴿أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا﴾ في [القلم: 24]

واختلف في التي في [الأنبياء: 87]: ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ﴾، فرويت بالفصل وبالوصل.

وأثبت فيها في المصاحف المطبوعة برواية حفص القطع، "وأما حكم فذكر خلافاً بين المصاحف، وأنا أستحب كتب الذي في الأنبياء بالنون مثل العشرة المذكورة"².

¹ المقنع، ص 92.

² سفير العالمين، ج 417/2.

ويفهم مما سبق أن ما عدا هذه الكلمات العشر يكتب موصولاً، فتنزل الكلمة الأولى مع الثانية منزلة الكلمة الواحدة تحقيقاً¹.

المسألة الثانية : (أن لم).

رسمت "أن" مع "لم" بالفصل فجاءت مقطوعة عن "لم" وإن أدغمت في لامها، في كل القرآن. نحو قوله تعالى: ﴿أَنْ لَّمْ يَكُنْ رِثْكَ﴾ في [الأنعام:131] وفي قوله عز وجل: ﴿أَنْ لَّمْ يَرَهُ؛ أَحَدٌ﴾ في [البلد:7].

المسألة الثالثة : (أن لو).

ذكرت في [الأعراف:100]: ﴿أَنْ لَوْ نَشَاءُ﴾، و[الرعد:31]: ﴿أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ﴾، و[سبأ:14]: ﴿أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَلْغَيْبَ﴾، و[الجن:16]: ﴿وَإِنْ لَوْ إِسْتَفْتَمُوا عَلَى الطَّرِيفَةِ﴾.

ففي الثلاث الأول جاءت "أن" مقطوعة عن "لو" وفي الرابعة في الجن وصلت بلو "وألُو"، وذكر أبو داود في "التنزيل" قطعها في غير سورة الجن ووصلها فيه وعليه العمل².

وقد جاءت المصاحف المطبوعة بروايتي ورش وحفص بما وافق هذا، فلم ترسم فيها النون: "وألُو".

ولم يتعرض لها الخراز في منظومته، ويرجع هذا إلى أن ما ذكره أبو داود لم يتعرض له أبو عمرو يقصد الداني¹.

¹ ينظر: دليل الحيران، ص313.

² سفير العالمين ج2/318

المسألة الخامسة : (أنما).

وردت "أنما" غير موصولة في سورة [لقمان:30] في ﴿وَأَنْ مَا تَدْعُونَ﴾ وهذه باتفاق كتاب المصاحف، وزاد الداني التي في [الحج:62]: ﴿وَأَنْ مَا تَدْعُونَ﴾، قال الداني: "وكتبوا (أنما) مقطوعة في موضعين وذكر التي في الحج وفي لقمان لا غير وأشار إلى التي في [الأنفال:41]: ﴿أَنْمَا غَنِمْتُمْ﴾، وفي [النحل:95]: ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾، أنهما في مصاحف أهل العراق موصولان وفي مصاحفنا القديمة مقطوعان والأول أثبت وهو الأكثر".²

وذكر ابن معاذ الجهني سبب قطع "أن" عن "ما" في الآيتين السابقتين لأن "ما" هنا أعطت معنى "الذي" فهي اسم موصول قال: "فهذان مقطوعان وسائرهما موصولة. وهكذا حق الكتابة فيه، لأن معنى (ما) هنا معنى (الذي)".³

المسألة السادسة : (إنما).

قطعت باتفاق في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾ في [الأنعام:134]، وهو الموضع الوحيد في القرآن، ذكر ذلك ابن معاذ الجهني⁴، وأشار إلى التي اختلف في رسمها بين الوصل والقطع الواردة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدًا سَاجِرًا﴾ [طه:69].

¹ ينظر: دليل الحيران، ص325.

² المقنع، ص97-

³ البديع في الرسم العثماني، ص26-27.

⁴ البديع في الرسم العثماني، ص33.

أما التي في [الذاريات: 05]: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ فقد جاءت موصولة.

المسألة السابعة: (إن ما).

قال ابن معاذ الجهني: "و جميع ما في كتاب الله تعالى من ذكر (وإما) فهو بغير نون، إلا في سورة الرعد، فإنه وقع في المصحف بالنون وهو قوله: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ؛ أَوْ نَتَوَقَّيَنَّكَ﴾ [الرعد: 40]"¹ و(إن) هذه شرطية جازمة، وما ورد منها حين تأتي (ما) بعدها جاء مؤكدا بنون التوكيد الثقيلة، وهي فيما عدا هذه موصولة.

المسألة الثامنة: (إن لم).

قال أبو عمرو الداني: "وكتب في كل المصاحف في [هود: 14]: ﴿قَالَتْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ بغير نون، وفي [القصص: 50]: ﴿قَالَتْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾، بالنون قاله لنا محمد بن أحمد، عن الأنباري وقاله محمد عن نصير في اتفاق المصاحف"².

وكان الأولى أن تكتب الأولى التي في هود من غير نون موصولة لتؤدي حكم القاعدة: ﴿قَالَتْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ في [هود: 14]، وتكتب فيما عداه بالقطع كقوله تعالى: ﴿قَالَتْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ في [القصص: 50]، وفي قوله عز وجل: ﴿قَالَتْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَسْ تَفْعَلُونَ﴾ في [البقرة: 24].

¹ البديع في الرسم العثماني، ص 33.

² المقنع، ص 94.

المسألة التاسعة : (إن لا).

جاءت (إن) المكسورة الهمزة التي بعدها (لا) موصولة في كل القرآن¹ من ذلك قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ﴾ في [التوبة:40]، و﴿وَالْأَلْفَ تَغْيِرُ لِي﴾ في [هود:47]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَتَّبِعُوهُ تَكُفِرْ﴾ في [الأنفال:73].

المسألة العاشرة : (من ما) الموصولة.

قطعت (من) عن (ما) باتفاق الشيخين في سورة [النساء:25]: ﴿بِمِ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، وفي [الروم:28]، بخلف عن أبي داود، في قوله تعالى: ﴿هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، وكذا التي في [المنافقون:10]، عنهما بخلف عن الداني² قوله تعالى: ﴿وَأَنْهَبُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾.

وقد جاءت المصاحف التي برواية ورش وحفص بهذا الرسم، وتوصل بها (ما) في غير هذه الثلاثة كقوله تعالى: ﴿مِمَّا نَزَّلْنَا﴾ في [البقرة:23]، و﴿مِمَّا أَخَذَ﴾ في [الأنفال:70].

وإذا دخلت "من" على اسم ظاهر مبدوء بميم فترسم مقطوعة حيث وقعت، كقوله تعالى: ﴿مِمَّا مَالِ اللَّهِ﴾ في [النور:33] وقوله: ﴿مِمَّا مَاءٍ﴾ في سورة [محمد:15].

¹ ينظر: النشر، 148-149/2.

² ينظر: المقنع، ص92، والنشر، ج2/149-154.

أما إذا وليتها "من" فلا خلاف في شيء في المصاحف في وصلها وحذف النون فيها نحو قوله تعالى: ﴿مِمَّنْ مَّنَع﴾ في [البقرة:114] وقوله: ﴿مِمَّنْ إِبْتَرَى﴾ [الأنعام:21]، وقوله: ﴿مِمَّنْ كَذَّب﴾ [الأنعام:157]، وقوله: ﴿مِمَّنْ دَعَا﴾ [فصلت:33]، وقوله: ﴿مِمَّنْ مَّعَكَ﴾ [هود:48].

ومما جاء على مثاله؛ فإنه لا خلاف بين المصاحف في الوصل وحذف نونه، كما رسموا في المصاحف بوصل نون "من" بميم "ما" في قوله تعالى: ﴿مِمَّ خَلِقَ﴾ [الطارق:5].

المسألة الحادية عشرة : (عن ما)

قطعت "عن" في آية واحدة من القرآن في [الأعراف:166] في قوله عز وجل: ﴿عَسَ مَا نُهَوَّأ عَنْهُ﴾ ووصلت في باقي الباب.

قال الداني: "قال لي علي بن كيسة: "عن ما نهوا عنه" في الكتاب "عن" وحدها"، و"ما" وحدها.."¹

المسألة الثانية عشرة : (عن من)

قال الداني: "وكتبوا في كل المصاحف في [النور:43] ﴿وَيَصْرِفُهُ عَسَ مَنْ يَشَاءُ﴾، وفي [النجم:29]: ﴿عَسَ مَنْ تَوَلَّى﴾ بالنون وليس في القرآن غيرها، فأما قوله

¹ المقنع، ص93.

تعالى: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ [المؤمنون:40] و﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [النبأ:1] فموصولان بلا خلاف¹.

المسألة الثالثة عشرة : (أم من)

جاء في النشر: "و" أم من" كتب في أربعة مواضع مفصولا وهي: ﴿أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا﴾ [النساء:109]، ﴿أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾ [التوبة:109]، ﴿أَمْ مَنْ خَلَفْنَا﴾ [الصفات:11]، ﴿أَمْ مَنْ يَأْتِي ءَامِنًا﴾ [فصلت:40]²، ووصلت في باقي الباب.

قال ابن معاذ الجهني: "وكتب في سائر القرآن موصولا مثل قوله تعالى: ﴿أَمْسَ لَا يَهْدِي﴾ [يونس:35]، ﴿أَمْنَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [النمل:60]، ﴿أَمْسَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [النمل:61]، ﴿أَمْنَ يَمْشِي﴾ [الملك:22]".

وليس بين هذه الحروف التي وصلت والتي قطعت فرق يوجب التفرقة بينهما، ولكن هكذا كتبت في المصاحف³.

المسألة الرابعة عشر (كُلَّ مَا):

ذكر الداني أن "كُلَّ مَا" مقطوع في حرفين، في النساء: ﴿كُلَّ مَا رُدُّوْا إِلَى الْهَيْئَةِ اِرْكَسُوا فِيهَا﴾ [النساء:91]، وفي إبراهيم: ﴿مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم:34]، وذكر أن منهم من يصل التي في النساء، ثم ساق بإسناده إلى ابن

¹ المقنع، ص94.

² النشر في القراءات العشر، ج2/149.

³ البديع في الرسم العثماني: ص34.

سعدان أن هذا اللفظة - أي الحرفين - (كُلّ ما) في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه مقطوعة في كل القرآن¹.

وقد جاء الرسم في المصاحف المطبوعة برواية ورش وحفص بقطع الاثنتين المذكورتين، ويضاف إليهما التي في [المؤمنون:44] من قوله تعالى: ﴿كُلّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رَّسُولَهَا كَذَّبُوهُ﴾.

أما التي في [الأعراف:38]: ﴿كُلّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾، والتي في [الملك:8]: ﴿كُلّمَا أَلْفِي فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ فجاءتا في مصاحفنا برواية ورش وحفص موصولتين، وهو اختيار أبي داود وقد حسنه وعليه العمل.

واعتبر ابن الجزري² أن وصل (كُلّ ما) اختلف فيه في بعض المصاحف في كل أمثلتها وهو مشهور إلا في موضع واحد جاءت فيه مقطوعة وهو قوله تعالى: ﴿مِر كُلّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم:34].

المسألة الخامسة عشر (في ما)

رسمت موصولة في القرآن، ورأى علماء الرسم والضبط أن صحة ذلك إذا صلحت "ما" للاسمية أي للموصولية، وكانت بمنزلة الذي، وهو رأي يُناقض ما ذهب إليه آخرون من أن الأصل فيما يكتب منها مقطوعا إذا أتت "ما" بمعنى "الذي" ولو كتب ذلك موصولا لكان حسنا³.

¹ ينظر: المقنع: ص98.

² ينظر: النشر: ج2/14.

³ ينظر: البديع في الرسم العثماني، ص31.

وهذه أمثلتها الإحدى عشرة التي رسمت (في ما) فيها بالقطع:

﴿ فِي مَا بَعَلْنَ بِحِ أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ ﴾ في [البقرة: 240]

﴿ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَاءِ آتِيكُمْ؛ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ ﴾ في [الأنعام: 165]

﴿ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَاءِ آتِيكُمْ فَاسْتَيْفُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ في [المائدة: 48]

﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ﴾ في [الأنعام: 145]

﴿ وَهُمْ فِي مَا إِشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ في [الأنبياء: 102]

﴿ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ في [النور: 14]

﴿ أَتُشْرِكُونَ فِي مَا هَلَنْتُمْ آمِنِينَ ﴾ في [الشعراء: 146]

﴿ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ في [الروم: 28]

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَخُكِّمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ في [الزمر: 4]

﴿ وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ في [الواقعة: 61]

وقد جاءت جميعها على هذا الرسم بالقطع في المصاحف المطبوعة بروايتي

ورش وحفص.

المسألة السادسة عشرة (مالٍ ومجرورها)

يقصد بهذه المسألة اللام الجارة المكسورة المسبوقة ب"ما"، وقد قطع عنها مجرورها أو قطعت عن مجرورها في أربعة مواضع¹. جاءت في القرآن حسب الترتيب التالي:

في [النساء:78]: ﴿قَمَالٍ هَتَوُلَاءِ إِلْفَوْمٍ﴾.

في [الكهف:49]: ﴿مَالٍ هَذَا أَلَكِتَبِ لَا يُعَادِرُ﴾.

وفي [الفرقان:7]: ﴿مَالٍ هَذَا أَلرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾.

وفي [المعارج:36]: ﴿قَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَبَلَّكَ مَهْطِعِينَ﴾.

ووصلت بمجرورها في غير هذه الأربعة.

المسألة السابعة عشرة (أَمْ مَا)

جاءت في قوله تعالى: ﴿أَمْأَ إِشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأَنْثِيِّينَ﴾ في [الأنعام:143-144] وفي قوله عز وجل: ﴿أَمْأَدَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في [النمل:84].

ورسمت بالوصل ثلاثتها في هذين الموضعين، يضاف إليها التي في النمل في قوله تعالى: ﴿أَمْأَ تُشْرِكُونَ﴾ [النمل:59].

قال ابن الجزري: "وَأَمْأَ (أَمْ - مَع - مَا) فإنها كتبت موصولة في جميع القرآن"¹.

¹ بنظر المقنع، ص 99 والنشر، 144/22 [84].

وذكر الأمثلة الثلاث السابقة.

المسألة الثامنة عشرة (أين ما) :

رسمت (أين ما) موصولة ومقطوعة، فهي كما قال ابن الجزري: "أو أين ما كُتِبَ مفصولاً نحو: "أين ما كنتم تواعدون" و"أين ما كنتم تُشركون" إلا في البقرة: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [البقرة:115] وفي النحل: ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ [النحل:76]، فإنه كُتِبَ موصولاً².

وكتبت بالقطع - وهو موضع خلاف - في قوله تعالى: ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ في [الشعراء:92].

قال الداني عنها: "و قال أبو حفص الخراز: (أين ما) موصولة أربعة أحرف، فذكر التي في (البقرة) و(النحل) و(الشعراء) و(الأحزاب)"³.

و بالنظر في المصاحف المطبوعة برواية ورش نجدها:

وُصِلت في قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ في [البقرة:115].

و في قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ في [النحل:76].

و في قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ﴾ في [النساء:78].

¹ النشر، ج2/154.

² النشر، ج2/148.

³ المقنع، ص96.

و في قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تُفِئُوا خِذُوا﴾ في [الأحزاب: 61].

وقطعت في غير هذه الأربع حالات: في [مريم: 31] وفي [الحديد: 4] وفي [المجادلة: 7] وفي [البقرة: 148] وفي [آل عمران: 112] وفي [الأعراف: 37] وفي [غافر: 73] كتبت كلها بالقطع، وهو الأولى لأنه في بعضها جاءت ﴿أَيْنَ مَا﴾
بمعنى: أين الذي فكان قطعها أولى.

أما الأربعة مواضع التي كتبت فيها بالوصل، فهي للجزء أي للشرط قال ابن معاذ الجهني: "و الوجه أن تكتب (أينما) موصولة إذا كانت للمجازاة، ولا تقطع النون عن الميم، وإذا كانت (ما) بمعنى (الذي) فالوجه أن يكتب مقطوعاً وكان الوجه في الشعراء أن يكتب (أين ما كنتم) مقطوعة، لأن (ما) هنا بمعنى الذي ومعناه، أين الذي كنتم تعبدون"¹.

وتعد هذه موضع خلاف من حيث قطعها ووصلها.

المسألة التاسعة عشرة (بئس ما):

وردت (بئس ما) بالوجهين؛ موصولة ومقطوعة، قال عنها ابن الجزري:
" (وبيسما) كُتِبَ موصولاً في موضعين: ﴿بَيْسَمَا إِشْتَرَوْا بِهِ﴾ في [البقرة: 90]
﴿بَيْسَمَا خَلَفْتُمُونِي﴾ في [الأعراف: 150]"².

وقد وافقتا المرسوم في مصحفنا برواية ورش، وكذلك في المصحف الذي بحفص.

¹ البديع ج 1 الرسم العثماني، ص 28.

² النشر ج 2 / 148.

واعتبر الداني أن ثلاثة منها موصولة، منها الاثنتان المذكورتان، والثالثة التي في [البقرة:93]: ﴿قُلْ بَيْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾، وذكر أيضا أن محمد بن عيسى يعتبر أن كل لفظة منها جاء في أولها لام فهي مقطوعة¹.

وكتبت هذه الثالثة في مصاحفنا وفي المصحف الذي برواية حفص موصولة "و قد ذكر أبو داود خلاف المصاحف فيه، وحسن الوجهين، وجرى العمل بالوصل"².

وقطعت فيما عدا ذلك، من ذلك - كما سبق - ما قرنت باللام (لَبِئْسَ مَا) في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ مَا شَرُّوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ في [البقرة:102]، وفي [المائدة:80]: ﴿لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسَهُمْ؛ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾.

ومما جاء موصولا منها في مصاحفنا برواية ورش وحفص أيضا التي في قوله تعالى: ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ بـ[آل عمران:187].

وكان اختيار ابن معاذ الجهني "أن يقطع (بئس) عن (ما) لأن (ما) التي تصحب (بئس) هي في معنى (الذي) والوجه أن تقطع (ما) عن (بئس) وقد ذكر بعض العلماء

أنه إذا كان قبل (بئس) واو أو فاء أو لام فهو موصول حيثما وقع في المصحف"³.

¹ ينظر: المقنع، ص 97.

² سفير العالمين ج 2/433.

³ البديع في الرسم العثماني، ص 29.

المسألة العشرون (كَيُّ لَأَ) :

ذكر عنوانها الداني ب (لكيلا) وكأنه يشير إلى وصلها في ما إذا قرنت باللام.
قال: "قال محمد: لكيلا موصولة ثلاثة أحرف"¹، وذكر مواضعها وهي: ﴿لَيْكَيْلًا
يَعْلَمُ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ في [الحج:5] و﴿لَيْكَيْلًا يَكُونُ عَلَيْكَ حَرْجٌ﴾ في
[الأحزاب:50] و﴿لَيْكَيْلًا تَأْسُؤًا﴾ في [الحديد:23].

وذكر الداني أن التي في [آل عمران:153]: ﴿لَيْكَيْلًا تَحْزَنُونَ﴾ موصولة
وأسند ذلك إلى محمد بن عيسى بن نصير، وكذلك رسمه في كتابه الغازي بن
قيس.²

وقد وصلت هذه الرابعة في رواية ورش وحفص في مصاحفهم وهي موضع
خلاف.

أما التي في [النحل:70]: ﴿لَيْكَيْلًا لَا يَعْلَمُ﴾ والتي في: ﴿لَيْكَيْلًا لَا يَكُونُ﴾
[الأحزاب:37] والتي في [الحشر:7]: ﴿لَيْكَيْلًا لَا يَكُونُ دُونََهُ﴾ فكلها مقطوعة،
وجاءت مرسومة في المصحف برواية ورش وحفص على سنة ذلك.

المسألة الحادية والعشرون (كلمات متفرقة) :

*- حيثما: وكتب مفصلاً كما أشار ابن الجزري حيث وقع، وقد ذكرت في
سورة البقرة مرتين ورسمت بالقطع ووافقت مصاحفنا برواية ورش وحفص ذلك
الخط، في قوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ﴾ في [البقرة:144-150].

¹ المقنع، ص98.

² المصدر نفسه، ص98.

*- ﴿يَبْنُوهُمْ﴾: ب[طه:94]، وقد ترك من هذه الكلمة ألفان أحدهما ألف (أم)

وثانيهما ألف الوصل التي تتصل بالياء الندائية¹، من قوله (يا ابن أم).

و كتبت في المصحف ﴿إِبْنِ أُمَّم﴾ التي في سورة [الأعراف:150] مقطوعة على

حرفين على مراد الانفصال، والأولى التي بالوصل على مراد الاتصال كما جاء

في المقنع².

³من الكلمات التي جاءت موصولة:

*- ﴿نِعِمَّا﴾ في [البقرة:271] وفي [النساء:58]، و﴿رُبَّمَا﴾ في [الحجر:2].

*- ﴿كَأَنَّمَا﴾ في [الأنعام:125] و[الأنفال:6] و[الحج:31].

*- ﴿وَيَكَاَنَ﴾ و﴿وَيَكَاَنَّهُ﴾ كلتاها في [القصص:82].

*- "كَالْوَهْم" ، "وَزَنُوهُم" وهما في [المطففين:3].

يضاف إليها حروف المعجم في فواتح السور: "الم" ، "المص" ، "الر" ،

"ألمر" ، "كهيعص" "طه" ، "طس" ، "طسم" ، "يس" ، "حم" ، جاءت كلها موصولة

إلا "حم. عسق" فرسمت كلمتين.

¹ ينظر: البديع في الرسم العثماني، ص35.

² ينظر: المقنع، ص99.

و(ما) الاستفهامية المسبوقة بحرف جر رسمت موصولة به نحو: ﴿بِمِمْ﴾ في [النساء:97] و[النازعات:43]، و﴿مِمْ﴾ في [الطارق:5] و﴿عَمَّ﴾ في [النبأ:1] و﴿بِمَّ﴾ في [النمل:35] وغيرها. و﴿لِمَّ﴾ في [آل عمران:65] وغيرها.

وقد تعرض المارغني التونسي في كتابه (دليل الحيران) إلى جميع ما جاء في الباب "القطع والوصل" يذكر قول الخراز من منظومته "مورد الظمان" ثم يعقبها بالشرح والتفصيل وذكر الأمثلة القرآنية ومكان ورودها في السور القرآنية.

بدأها بيت صاحب المنظومة الذي أوضح فيه عنوان الباب وهو:

بَابُ حُرُوفٍ وَرَدَّتْ بِالْفَصْلِ فِي رَسْمِهَا عَلَى وفاق الأصل

وبلغت أبيات الباب خمسة وثلاثين بيتاً. وقد أعطى كل مجموعة منها ما يناسبها من عناوين كقوله:

حكم الفصل والوصل لبعض الكلمات والحروف، ثم يذكر الأبيات الدالة على ذلك، ويرددها بالشرح والاستشهاد.

ومن عناوينه، فصل في حكم المقطوع في هذا الباب وهو تسعة أنواع " و"حكم قطع حرفي (عن ما) في الرسم القرآني".
دَعَمَ هذا بيت الناظم:

وعن من الحرفان قل وعن ما نهوا وفي الرعد أتى وإن ما

و كذا "حكم قطع حرفي (أن لم)، ومكان وجود ذلك" وغيرها من تعريفات هذا الباب¹.

¹ ينظر: دليل الحيران إلى مورد الظمان، ص 311-333.

سادسا : ما فيه قراءتان ورسم على إحداهما

يراد بالقراءات: القراءات غير الشاذة، وقد جاءت نسخ المصحف الإمام مجتمعة تشتمل على الأحرف السبعة، "وأن هذه الأحرف مبثوثة فيها، وذلك لأن الصحابة الذين كتبوا المصحف الإمام نسخوا عنه مصاحف متعددة ومتفاوتة في الحذف والإثبات والنقص والزيادة وغير ذلك، وربما كتبوا اللفظ الواحد صالحاً لها جميعاً، وربما تخالفت المصاحف مثل تخالف القراءات"¹.

تنحصر قاعدة ما فيه قراءتان في ثلاثة أنواع:

- *- ما فيه قراءتان ورسم على أحدهما اقتصاراً.
 - *- ما فيه قراءتان ورسم برسم واحد صالح لهما.
 - *- ما فيه قراءتان وورد برسمين على حسب رسم كل منهما.
- 1- النوع الأول : ما فيه قراءتان ورسم على إحداهما اقتصاراً

ويمثل له بكلمة (صراط) كيفما جاءت، وغيرها نحو: ﴿وَيَبْصُطْ﴾ التي في [البقرة: 245] و﴿بَصْطَةً﴾ في [الأعراف: 69] و﴿الْمُصَيِّطِرُونَ﴾ بد[الطور: 37] و﴿بِمُصَيِّطِرٍ﴾ بد[الغاشية: 22]، فقد كتبت جميعها بالصاد اقتصاراً عليها، وتغليباً لها على باقي القراءات الأخرى، وإن كان من القراء من قرأ (صراط) بأشمام الصاد زائياً، أو بالسين.

¹ التبيين في أحكام تلاوة الكتاب المبين، تأليف: عبد اللطيف فايز وريان، دار المعرفة بيروت، الطبعة الأولى: 1999م 1420هـ، ص 558.

وقد يواجه هذا الرسم سؤال يبحث عن حقيقة هذا التنوع في الأداء الذي اكتفى برسم واحد.

فيكون الاستفسار بما مؤداه: كيف تقبل قراءة السين وهي مخالفة للمرسوم مع أن موافقة الرسم للقراءة أحد شروط قبولها؟

ويجاب عن ذلك: إن تواتر القراءة بهذا الحرف بالسين والإجماع على قبولها غلب هذا الشرط، وليس شرطاً في مثل هذه الحالة، وقد يوجه ذلك بكون القراءة بالسين مع مخالفتها المرسوم وافقت الأصل، فحدث ما يقوم مقام الرسم، إذ الأصل في (الصراط) السين، ويعد هذا وما جاء مخالفاً للرسم مخالفة مغتفرة ويقره الإجماع على القراءة بها وتواتر قبوله.

ويعد من جهة المصاحف إذا ما ترك رسمه اختصاراً وتقليلاً لعدد المصاحف "و من حذق الصحابة أن رسموا الصاد في مثل هذا، ولم يرسموا السين مع أنها الأصل ولم يعكسوا، فإن قراءة الصاد توافق الرسم، وقراءة السين توافق الأصل في اللغة، ولو رسموا السين لكانت قراءة السين موافقة للرسم والأصل وقراءة الصاد مخالفة للأصلين فيكون قبولها محرّجاً مع أنها متواترة مجمع على قبولها، فرسّمت دون السين من أجل ذلك."¹

ولم يقف الرسم العثماني حائلاً عن قراءة اتفق عليها، ولم يمنعها أحد، بل جاء المنع مما خالفه، واختلف فيه اختلافاً كبيراً غير مغتفر إلى درجة أن منعت به القراءة منعاً تاماً.

¹ المتحف في رسم المصحف، ص 65.

ومن ذلك أيضا ما جاء الرسم فيه موافقا للقراءتين غير أنه رسم على إحداهما اختصاراً قوله تعالى: ﴿تُفِيَةٌ﴾ في [آل عمران:28]، فقد تقرأ قبل الضبط "تقيّة"، (و هي قراءة يعقوب) وقد تقرأ كما هي قراءة الباقيين: "تقه" بالإمالة عند من يميل وبغيرها عند من يفتح.

قال ابن الجزري: "و اختلفوا في (تقاة)، فقرأ يعقوب (تقيّة) بفتح التاء وكسر القاف وتشديد الياء مفتوحة بعدها على هذه الصورة رسمت في جميع المصاحف. وقرأ الباقيون بضم التاء وألف بعد القاف في اللفظ".¹

لأن الألف غير مرسومة في المصاحف القديمة، إنما زيدت في الزيادات التي لحقت المصاحف.

ومن هذا النوع لفظة "حَيَّ" بـ[الأفعال:42] رسمت بياء واحدة وعلى قراءة المدنيين، نافع وابن كثير ويعقوب وخلف والبزي وأبي بكر بياءين، لذا جاء رسمها في المصحف المطبوع برواية ورش بزياد ياء بالحمرة - ياء صغيرة مردودة إلى خلف - بين الحاء والياء، ولم تشدد الياء الأخيرة وكسرت الياء الزائدة فرسمت ﴿حَيَّ﴾ وبرواية حفص في المصحف المطبوع كتبت ﴿حَيَّ﴾ على قياس "ظل" فهي هنا بالإدغام وفي ورش بالفكّ ومنه أيضا ﴿ثَمُودًا﴾ في [هود:68]، و[الفرقان:38]، و[النجم:51]، جاء رسمها في الأربعة بألف بعد الدال، لكن في ضبطه اختلفت بين مصحفي، ورش وحفص، لأن ورش قرأها بالتنوين فجاءت الألف تدعم ذلك كضرورة من ضرورات الضبط ﴿ثَمُودًا﴾، وقد جاء الاسم منونا أي مصروفا.

¹ النشرح ج2/239.

أما في ضبطه في المصحف المطبوع برواية حفص فكلمة "ثمود" غير مصروفة لذا وضع على الألف التي بعد الدال دارة تشبه الصفر لتدل على زيادة الحرف رسماً فكتبت هكذا (ثموداً) وبذلك صلح رسم واحد لقراءتين.

ومن هذا القسم ﴿لَتَّخَذَتْ﴾ في [الكهف:77]، رسمت من غير ألف بعد اللام والأصل (لا اتخذت) لتوافق قراءة التخفيف، وهي قراءة أبي عمرو وابن كثير ويعقوب فهي عندهم (لتخِذت) بفتح التاء من غير تشديد وكسر الخاء. وقرأ الباقون (لتَّخَذت) بتشديد التاء وفتح الخاء.¹

ومن هذا الباب (لأهب) في [مريم:19] كتب بألف بعد اللام على قراءة الهمز وجاء رسمها في جميع المصاحف بلام ألف، وفرق بين قراءة الهمز والياء بالحاق الحرفين بالحمزة (لأهب) و(ليهب)، فبالياء رواية ورش عن نافع وبالهمز رواية حفص.

ومنه ﴿عَادَاً أُولَى﴾ في [النجم:50]، كتبت بإثبات الألفين، بعد الدال وقبل اللام ألف مع أنه قرئ أيضاً بتركها، وقد جاءت في المصحف المطبوع برواية ورش وحفص برسم واحد، لكن اختلف الضبط والأداء، فعند ورش "عادا الأولى" وعند حفص "عادا الأولى".

ومنه أيضاً (سلسلاً) في [الإنسان:4] رسم بألف بعد اللام ليوافق قراءة التنوين، وهي رواية ورش، وقرئ بترك التنوين غير مصروف وهي رواية حفص ومنه في السورة نفسها (قواريرا- قواريراً) في [الإنسان:15-16] جاءت في التخريج كالتي قبلها، غير أن ورشاً قرأ بالتنوين وحفصاً من غير تنوين فيكون رسم هذه

¹ ينظر: النشر، ج2/314. وسفير العالمين، ج2/444.

الكلمات الثلاث على رواية حفص كما يلي: (سلاسلاً) و(قواريراً- قواريراً) توصل عند ورش بالتنوين ويوقف عليها بالألف وتوصل عند حفص من غير ألف، ويوقف عليها بالألف تبعاً للرسم.

2- النوع الثاني: ما فيه قراءتان ورسم برسم واحد صالح لهما

وقد جاء في القرآن الكريم بكثرة، وقد لا تخلو آية منه ولما كان وروده بهذه الكثرة كان لزاماً أن يقتصر البحث على ما نص عليه علماء الرسم أو معظمهم مما يحتمل قراءات مشهورة عن العشرة المشهورين¹.

من ذلك مثلاً: "ملك يوم الدين" في [الفاحة:4] فقد رسمت لفظه (ملك) بدون ألف بعد الميم لتحتمل قراءة الإثبات بالمد والحذف، فبالألف (ملك) قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف، وجاء الرسم في المصحف الذي برواية حفص بزيادة الألف المحذوفة بين الميم واللام، ومن غير ألف (ملك) قرأ الباقون وعليه رسم في المصاحف التي برواية ورش بدون ألف (ملك).

ومنه ﴿وَمَا يُخَدِّعُونَ﴾ في [البقرة:9] جاء رسم ﴿يُخَدِّعُونَ﴾ صالحاً لقراءة المد أي مد الخاء ولقراءة الحذف من غير مد، وقد قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ﴿يُخَدِّعُونَ﴾ فجاء رسم ألف صغيرة بين الخاء والdal فهي من الثلاثي المزيد (خادع) وأوضح الضبط ذلك.

وقرأها الباقون من غير ألف "وما يخدعون".

¹ ينظر: الشرح/211.

ومنه أيضا ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ﴾ في [البقرة:51] و[الأعراف:142] وكذلك
و﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ﴾ في [طه:80] جاءت بدون ألف بعد الواو فيهما ليؤدي الرسم
فيها قراءة من مد وقراءة من حذف، فيكون من مد الواو جعله من "واعد وغيره
من الثلاثي المجرد (وعد)".

وقد قرأ بحذف الألف "وعد" فيهما أبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب وقرأ
الباقون بإثباتها أي في اللفظ، لأنها لم ترسم في المصاحف العثمانية، وقد زيدت
ليُدلَّ بها عند علماء فن الضبط على ما تحتمله قراءة المد "واعدنا" ومنه أيضا
﴿حَطَّيْنَكُمْ﴾ في [البقرة:58] بسنة واحدة بعد الطاء، وفي [الأعراف:161]
بستين.

وقد رواها الداني مسندة إلى قالون عن نافع قال: "الألف غير مكتوبة -
يعني: في المصاحف - في قوله في (البقرة)؛ وذكر منها التي في [الأعراف:161]
فقال: وحيث وقعت ﴿حَطَّيْنَكُمْ﴾ و﴿حَطَّيْنَهُ﴾ في [البقرة:81] فمعظم
الباب هناك"¹.

وكذلك ﴿أَسْرَىٰ﴾ في [البقرة:85]، و[الأنفال:67]، و﴿أَسْرَىٰ﴾ في
[الأنفال:70]، فقد كُتبتا من غير ألف بعد السين، فجاءت الكلمتان برسم واحد
صالح لقراءة: "أسرى" الذي قرأ به حمزة في البقرة، ولقراءة ﴿أَسْرَىٰ﴾ بألف بين
السين والراء، وهي قراءة الباقيين.

¹ المقنع ص 30-31.

وقرأ أبو جعفر التي في الأنفال ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى﴾، ﴿مِنَ الْأُسْرَى﴾
وافقه أبو عمرو في الموضع الثاني¹.

ومن هذا الباب ﴿وَمِيكَئَلٌ﴾ في [البقرة:98]، كتبت بسنة بين الكاف واللام،
لتشير إلى قراءة نافع التي جاءت بها همزة بين الكاف واللام ورسمت تحت السنة
﴿وَمِيكَئِيلٌ﴾.

وقد اختلف القراء في ﴿جَبْرِيلٌ﴾ التي في [البقرة:97-98] و[التحریم:4]
فقرأها ابن كثير بفتح الجيم وكسر الياء من غير همز، وقرأها حمزة والكسائي
وخلف بفتح الجيم والراء وهمزة مكسورة بعدها ياء، واختلف عن أبي بكر،
فروى يحيى بن آدم عنه بحذف الياء بعد الهمزة أي كقراءة حمزة لكن من غير ياء
بعد الهمزة، وقرأها الباقر بكسر الجيم والراء من غير همزة ويبين هذا كله
برسمها مرتبة ترتيب قرائها "جَبْرِيلٌ"، "جَبْرِئِيلٌ"، "جَبْرِيلٌ"، "جَبْرِيلٌ".

ومن هذا الباب أيضا (أو ننسئها) بدون ألف بعد السين، قرأ ابن كثير وأبو
عمرو: "نَنْسئُهَا" والباقر من العشرة "نُنْسئُهَا من (أنسى).

ومنه ﴿مَسْكِينٌ﴾ في [البقرة:184] رسمت من غير ألف بين السين والكاف
لتحتمل قراءة الأفراد، وهي قراءة غير المدنيين وابن عامر، وقراءة الجمع لذا
رسمت في المصحف الذي برواية ورش بألف بين السين والكاف ﴿مَسْكِينٌ﴾،

¹ ينظر: النشر ج2/218.

وقد ذكرها الداني من الحروف التي رواها بحذف الألف بإسناده إلى قالون عن نافع¹.

ومن هذا النوع ﴿دِقَعٌ﴾ التي في [البقرة:251] و[الحج:40]، فقد جاءت بدون ألف بعد الفاء، وقد قرأ المدنيان ويعقوب ﴿دِقَعٌ﴾ بدال مكسورة وفاء مفتوحة بعدها ألف وقرأ الباقون ﴿دَفَعٌ﴾ بدال مفتوحة وفاء مُسَكَّنَة.

ومن هذا الباب: ﴿يَصِّلِحَا﴾ التي في [النساء:128] جاء الرسم ليثبت قراءة مد الصاد، فرسمت ألف بينها وبين اللام، وهي قراءة غير الكوفيين وليثبت قراءة الكوفيين من غير ألف بين الصاد واللام، على الثلاثي المزيد بالهمز "يُصلِحَا" من "أصلح"، ولذلك رسمت في المصاحف العثمانية بدون ألف بعد الصاد.

ومنه هذه الكلمات التي دل الرسم على أنها تقرأ بالإنفراد وبالجمع، فيكون من قرأ بالجمع قد رسم ألفاً صغيرة قبل التاء في أي كلمة منها، وهي: ﴿رِسَالَتِي﴾ في [المائدة:67]، و[الأنعام:124]، و﴿بِرِسَالَتِي﴾ في [الأعراف:144] و﴿كَلِمَاتِي﴾ في [الأنعام:115]، و[يونس:33-96]، و[غافر:6]، و﴿ذُرِّيَّتِيهِمْ﴾ في [الأعراف:172] و[يس:41] و[الطور:21]، و﴿عَيَّبْتِي﴾ في [يوسف:10، 15]، و﴿بِشَهَادَتِيهِمْ﴾ في [المعارج:33]، و﴿جَمَلَاتِي﴾ في [المرسلات:33]، وغيرها من الكلمات التي وردت برسم يوافق

¹ ينظر: المقنع ص30.

الإفراد والجمع، جاءت كما أشار محمد علي الضياع "بدون ألف قبل التاء في التسع عشرة".¹

وبدا لصاحب سفير العالمين، أن عدد المواضع المذكورة لا يوافق التسع عشرة موضعاً.²

ومن هذا القسم: (لفتينه) رسمت بدون ألف بعد الياء، وإذا جردت من النقط احتملت القراءتين (لفتيته) و(لفتيانه) لذا كتبت بثلاث سنات بين الفاء والهاء من غير ألف فزيدت في الرسم ألف صغيرة بين الياء والنون لتحتمل قراءة (لفتيانه) وهي رواية حفص وحمزة والكسائي وخلف، أما الباقيون فقرؤوا (لفتيته).

وكذلك "خير حفظاً" جاءت بدون ألف بعد الحاء لتحتمل قراءة (حفظاً) بكسر الحاء وتسكين الفاء وهي التي رسمت في مصاحفنا برواية ورش ومن هذا النوع: "وسيعلم الكفر" بدون ألف بعد الكاف، لتحتمل قراءتي (الكافر) مفرداً و(الكفار) جمعاً، وهما قراءتا نافع وحفص على الترتيب.

و منه ﴿خَلَّفَكَ﴾ في [الإسراء:76] بدون الألف بعد اللام.

و قد قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر: "خَلَّفَكَ" وقرأ الباقيون "خَلَّفَكَ" بألف بين اللام والفاء قبلها خاء مكسورة.

1- سمير الطالبي، ص:71.

2- ينظر: هامش سفير العالمين، ج/2 ص: 457.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَلِرَبِّ إِحْكُم بِالْحَقِّ﴾ في [الأنبياء:112]، رسمت بدون ألف بعد القاف لتدل على القراءتين "قل" و"قال" وقد جاءت في مصحفنا برواية ورش من غير أن ترسم ألف صغيرة بعد القاف، وهي التي كانت في مرسوم مصحف حفص.

ومنه كلمة "أيها" التي جاءت في مواضع ثلاثة بدون ألف "أيه" في قوله تعالى: ﴿آيَةُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ في [النور:31]، و﴿يَتَأْتِيَةُ السَّاحِرُ﴾ في [الزخرف:49] و﴿أَيُّهُ الثَّقَلَيْنِ﴾ في [الرحمن:31]، فقد جاءت بدون ألف بعد الهاء في هذه الثلاثة.

وقد قرأ ابن عامر وصلا بضم الهاء، ووقف أبو عمرو والكسائي ويعقوب عليها بالألف¹.

ومن هذا القسم "ءاثر رحمت الله" رسمت بدون ألف بعد الثاء لتوافق قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وأبي جعفر ويعقوب وأبي بكر، وعليه كتبت بألف فوقها همزة: "أثر" ورسمت بهمزة في السطر بعدها ألف وبعد الثاء ألف صغيرة "ءاثر" لتوافق قراءة الباقيين.

وكذلك "تصعر" جاء رسمها في المصاحف العثمانية من غير ألف بعد الصاد تحتمل القراءتين "تصعر" وهي قراءة غير ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وعاصم ويعقوب، وقراءة: "تصعر" وقرأ بها الباقيون غير الذين قرؤوا بالأولى.

¹ سفير العالمين، ج426/2، وينظر: النشر، 141/2-142.

ومنه ﴿هُمَّ عِبْدُ الرَّحْمَنِ﴾ في [الزخرف:19] ف﴿عِبْدُ﴾ رسمت بسنة بعد العين من غير ألف قبل الدال، لتؤدي قراءتين ﴿عِبْدُ﴾ و﴿عِنْدَ﴾ إذ هي سالحة قبل النقط لهما.

ومنه "قل أوكو" رسمت بدون ألف بعد القاف ليكون الرسم صالحاً لـ "قل" و "قل" وفي مصاحفنا في رواية ورش "قُلْ" وبرواية حفص "قال"

ومنه ﴿إِنَّ هَذَا لَسَجِرَانٍ﴾ في [طه:63]، جاء في المقنع "و كذلك رأيت التثنية المرفوعة كلها فيه بغير ألف"¹.

وتحدث عنها الشنقيطي بقوله "كتبت على صورة هذان فعلى قراءة أبي عمرو "هذين" بالياء تلحق ياء حمراء وعلى قراءة غيره بالألف تلحق ألف كذلك، وبهذا يندفع إشكال من استشكل رسمها"².

ومنه ﴿وَلَا تَحْضُونَ﴾ [الفجر:18]، رسم بدون ألف بعد الحاء ليوافق رواية ورش: ﴿تَحْضُونَ﴾ وحفص ﴿تَحْضُونَ﴾.

جاء عن الشنقيطي وهو يعلق على هذا النوع من الرسم بعد أن استشهد بالآية: "ملك يوم الدين" ونحوها مما رسم صالحاً للقراءتين، لأنه رسم بغير ألف وهي قراءة غير عاصم والكسائي، وعلى قراءتهما بالألف نقول هو محذوف رسماً، وهو من الحذف الذي لم يدخل تحت القاعدة، وذلك لأن الرسم التوقيفي لا يعلم

¹ المقنع، ص35.

² إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام، تأليف محمد حبيب الله بن الشيخ عبد الله الشنقيطي: تحقيق جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث بطنطا، الطبعة الأولى، 1428هـ/2007م، ص68.

المحذوف منه بقاعدة ولا غيرها إلا بعد النقل الصحيح، ووضع القاعدة إنما كان بعد الاستقراء وموافقة النقل، وهذا النوع في القرآن أكثر من أن يحصى فلا تكاد تخلو آية من وجود كلمة للقراءتين"¹.

3- النوع الثالث : ما فيه قراءتان وجاء برسمين على حسب كل منهما

و قد جاء هذا النوع على قسمين: ما ورد برسمين على وجه التعيين وما ورد برسمين لكن على وجه الإبهام.

الأول:

ما ورد برسمين على وجه التعيين، فأما ما ورد من هذا القسم فنحو ﴿إِهْبِطُوا مِصْرًا﴾ في [البقرة:61]، كتب لفظ "مصرًا" في المصاحف العثمانية بألف بعد الراء فجاءت مصروفة وفي مصحف أبي وابن مسعود "مصر" بدونها وبها قرئ"². جاءت بغير تنوين فيكون بذلك من قرأ "مصر" قد خالف الرسم وترك المشهور المجمع عليه. ومنه ﴿وَقَالُوا إِنَّا تَخَذْنَا لِقْدَاءَ اللَّهِ وَآلِهِ﴾ في [البقرة:116]، قرئ بالواو وبغير الواو، لذا رسم في المصحف الشامي من دون واو: "قالوا" وفي البقية بالواو "وقالوا" وبهما قرئ"³.

ومنه ﴿وَأَوْصِي﴾ في [البقرة:132] كتب في الإمام والمدني والشامي بألف بين الواوين، وهي في قراءتنا برواية ورش، وكتب ﴿وَوَصَّى﴾ في البقية بدونها وهي رواية حفص.

¹ إيقاظ الأعلام، ص 68.

² سفير الطالبين، ص 73.

³ ينظر: النشر، 11/1.

ومنه أيضا ﴿سَارِعُونَ﴾ بد[آل عمران:133] ، كتبت في المكي والعراقي بواو قبل
السين وفي المدني والشامي والإمام بحذفها "سارعوا" وبهما قرئ.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ في [النساء:66] ، كتبت في الثانية بألف بعد اللام أي
بالنصب، وفي البقية بدونها أي بالرفع قليل¹.

ومنه في [المائدة:54]: ﴿مَنْ يَّرْتَدِدْ﴾ كتب بدالين وبدال واحدة، قال عنها
الداني: "في مصاحف أهل المدينة والشام ﴿مَنْ يَّرْتَدِدْ مِنْكُمْ﴾ بدالين. قال أبو
عبيد: وكذا رأيت في الإمام بدالين وفي سائر المصاحف ﴿يَرْتَدُّ﴾ بدال واحدة"².

ومنه ﴿يَقُولُ﴾ في [المائدة:53] كتب في بعض المصاحف بواو العطف "ويقول"
وفي البقية بدونها "يقول" وبهما قرئ، قرأ نافع بدون واو، وجاءت كذلك في
مصاحفنا المطبوعة.

ومنه ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ [التوبة:100] ، كتب في المكي بزيادة "مِنْ" وفي غيرها
بعدها ﴿تَجْرِي تَحْتَهَا﴾ وبها خط المصحف الذي برواية ورش وبالرسمين جاءت
القراءة.

وفي السورة نفسها ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾ في [التوبة:107] ، كتبت بالواو وبحذفها
أي قبل الذين "والذين اتخذوا".

¹ المقنع، ص123.

² المقنع، ص123.

ومنه ﴿يُسَيِّرُكُمْ﴾ في [يونس:22]، إذا عريت الحروف الثلاثة الأولى من

النقط صلحت القراءة: "ينشركم"، "يسيركم" لذا قرئ بهما.

قال ابن الجزري: "واختلفوا في "يسيركم في البر" فقرأ أبو جعفر وابن عامر: "ينشركم" بفتح الياء وبنون ساكنة بعدها وشين معجمة مضمومة من (النشر) وكذلك هي في مصاحف أهل الشام وغيرها. وقرأ الباقون "يُسَيِّرُكُمْ" بضم الياء وسين مهملة مفتوحة بعدها ياء مكسورة مشددة من: (التسيير) وكذلك هي في مصاحفهم¹.

ومنه في [الإسراء:93]: ﴿قَالَ سُبْحَانَ﴾ جاءت (قَالَ) مرسومة بألف بعد

القاف في المصحف المكي والشامي ومن غير ألف ﴿فُلٌ﴾ في المدني والعراقي وبهما قرئ.

ومن هذا القسم: ﴿حَيْرًا مِّنْهَا﴾ في الكهف، كتبت بدون ميم التوحيد، وميم

"منهما" على التثنية وبهما قرئ، فقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ﴿حَيْرًا مِّنْهُمَا﴾ وقرأ الباقون: ﴿مِنْهَا﴾.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا عَمِلْتُهُ﴾ في [يس:35]، كتب في الكوفي بدون هاء

وفي البقية ﴿عَمِلْتُهُ﴾ بالهاء وقرئ بالرسمين.

¹¹ النشر، ج2/480-.

قال ابن الجزري: "واختلفوا في ﴿وَمَا عَمِلْتُهُ أَيْدِيهِمْ﴾ فقرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر عملت بغير هاء الضمير وهي في مصاحف أهل الكوفة كذلك وقرأ الباقر باللهاء"¹.

ومنه ﴿وَأَنْ يُظْهِرَ﴾ في [غافر: 26]، كتب في الكوفي بألف قبل الواو، وفي غيره بحذفها ﴿وَأَنْ﴾ فتكون القراءة الأولى بحرف العطف "أو" وتكون الثانية بالواو ورسمت في مصاحفنا برواية ورش بالواو ﴿وَأَنْ﴾ خلافاً لرواية حفص: ﴿أَوْ أَنْ﴾.

ومن هذا القسم أيضاً ﴿حُسْنًا﴾ بـ[الأحقاف: 15] كتب في الكوفي ﴿إِحْسَانًا﴾ بألف قبل الحاء وأخرى بعد السين وفي غيره بحذفها².

ومنه "بضنين" في [التكوير: 24]، كتبت بالضاد في الأئمة "السته" وقال الجعبري: إنه رسم برأس معوجة وهو غير طرف فاحتمل القراءتين وقيل: إنه في مصحف أبي وابن مسعود بالظاء³.

يعنى بالمصاحف الستة: المصحف المدني والمصحف المكي والمصحف الشامي والمصحف البصري والمصحف الكوفي والمصحف الإمام.

ومنه "فلا يخاف" في [الشمس: 15]، كتبت في المدنية والشامية بالفاء وفي بقيتها بالواو أي "ولا يخاف".

قال الداني: "وفي" الشمس وضحاها" أهل المدينة: "فلا يخاف عقباها" بالفاء، وأهل العراق: "ولا يخاف" بالواو"¹.

¹ النشر ج 2/353.

² ينظر: النشر، ج 2/373.

³ سمير الطالبين، ج 2/497-498.

الثانى: ما ورد برسمين على وجه الإبهام.

ومنه كلمة: "الريح" كتبت في بعض المصاحف بألف على الجمع وفي بعضها بحذفها على الأفراد وعليه العمل، إلا التي في [الروم:46] فبالإثبات: ﴿الرِّيحَ﴾ وقرئ بها فيما سوى ذلك.

جاء في دليل الحيران: "والعمل عندنا على حذف ألف "الريح" حيث وقع إلا الذي في أول [الروم:46] فالعمل عندنا على إثبات ألفه لعدم ثبوت أصل الحذف فيه مع إجماع القراء على قراءته بالجمع.

وذكر من نظم الخراز:

.....وعنهما في الحجرِ خلفاً في الرياحِ
وسورة الكهفِ ونصُّ الفرقانِ... كذاً بإبراهيمَ عن سليمانَ
والبكرِ والشورى ونصُّ المقنعِ... بالحذفِ في الثلاثِ عن تتبعِ
وجاءَ أولى الرومِ بالتَّخْيِيرِ... لابنِ نجاحٍ ليسَ بالمأثورِ
وكلُّ ما بقيَ منه فاحذفِ.....²

وقوله "فاحذف" يشير إلى ما بقي من كلمة "الريح" لأبي داود في خمسة مواضع وهي: قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَافِحَ﴾ في [الحجر:22]، وقوله تعالى: ﴿إِشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ في [إبراهيم:18]، وقوله تعالى: ﴿تَذُرُوهُ الرِّيحُ﴾ في [الكهف:45]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ نُشْرًا﴾ في

¹ المقنع، ص128.

² دليل الحيران، ص100-101.

[الفرقان:48]، وقوله تعالى: ﴿وَتَصْرِيْفُ الرِّيْحِ﴾ في [البقرة:164]، وقوله عز وجل: ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾ في [الشورى:33]. وقد جاءت القراءة كما أشار المارغني في كل المواضع الإثني عشر عدا أول الروم بالإفراد والجمع¹.

ومنه: ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ في [الأنعام:96]، كتب في بعض المصاحف بألف بعد الجيم على الاسمىة، وفي بعضها بحذفها على الفعلية وعليه العمل، وفي مصحفنا برواية ورش جاء الرسم الثاني ﴿وَجَعَلَ﴾ برسم ألف صغيرة بين الجيم والعين على أنه اسم فاعل من "جعل".

ومن هذا القسم ﴿يَبْشُرِي﴾ في [يوسف:19]، ورد رسمها في بعض المصاحف بألف - صغيرة - بعد الراء لتقرأ "يا بشراي" وهي برواية ورش، وكتبت من غير ألف في بعض المصاحف لتقرأ "يا بشرى" وكان الرسم صالحا للقراءتين، وبهما قرئ وعليه العمل.

ومنه ﴿زَكِيَّةٌ﴾ في [الكهف:74]، كتب في بعض المصاحف بألف بعد الزاي مع تخفيف الياء ﴿زَاكِيَّةٌ﴾ وبها مطبوع مصاحفنا برواية ورش، وكتب في بعضها بحذف الألف مع تشديد الياء "زكية" وهي برواية حفص.

ومنه ﴿حَذِرُونَ﴾، ﴿بَرِهِيْنَ﴾ كلاهما في [الشعراء:56، 149]، كتبا في بعض المصاحف بألف بعد الحاء والفاء، وفي بعضها من غير ألف فيهما وعليه العمل وبهما قرئ¹.

¹ ينظر: دليل الحيران، ص 101.

ومنه: ﴿قُلْ إِنَّمَا﴾ في [الجن:20] كتب في بعض المصاحف بألف بعد القاف
فقرئ بصيغة الماضي ﴿قَالَ﴾ وجاءت الألف مثبتة إلى السطر ليست بالحمراء
وكتبت من غير ألف بين القاف واللام "قُلْ" بصيغة الأمر، والأولى برواية ورش
﴿قَالَ﴾، والثانية برواية حفص ﴿قُلْ﴾.

وقد لخصت أبيات صاحب كشف العمى هذا الباب مما جاء صالحا للقراءتين
يخدمه رسم واحد في قوله:

"إن ذو طريقتين فلتتهج في رسمه إحداهما ولا حرج

كالصاد في الصراط رسما غلبا والألف المرسوم في لأهبا

وربما رسم في اللوحين بصيغته يصلح للوجهين

وما من الخلاف في اللفظ اشتمل رسما على زيادة لا تحتمل

كعملت بها أو غيرها وتحتها بحذف من أو ذكرها

فكلهم يكتب وفق ما قرا وكل ذلك في المصاحف جرى"²

تشير عبارته (كلهم) إلى أن من قرأ لفظة "عملته" بالهاء وجب عليه كتابتها
كذلك رسماً ومن لم يزد لها لفظاً يعدمها رسماً، وقد جاءت في المصاحف
العثمانية ملبية ذلك، والقراءة سنة متبعة والرسم كذلك.

¹ إيقاظ الأعلام، ص 69.

² ينظر: النشر: ج2/335/336.

مزايا الرسم العثماني :

لم يكن رسم المصحف بالطريقة التي كتب بها الصحابة رسماً بما ساغته طريقة كتابتهم بل ورد ذلك بما يشير إلى إعمال فكر وتدبر في كل ما أرادوا خطه وإن خالف ما ألفه القوم في رسمهم الذي اصطلحوا عليه، وليس أدلّ على ذلك من إجماعهم على رسم أول حرف في المصحف بما لم يتعارف عليه القوم، وهو لفظ "بسم" الذي طولت فيه الباء وحذفت الألف التي بعدها، ولم تكن هذه إلا في الذي جاء بعده لفظ الجلالة (الله) على خلاف ما جاء في الذي بعده لفظ رب: "باسم ربك".

ومن هنا يمكن القول: إن بقاء المصحف على رسم الأولين بما ارتضاه الخليفة عثمان - رضي الله عنه - ومن معه من الصحابة لا ريب يدل على فوائد ومزايا وأسرار كثيرة:

1- تعتبر أول فائدة للرسم العثماني اتصال السند بالقرآن الكريم إذ لا يجوز لأحد أن يقرأه أو يحفظه غيره من غير روايته بسند متصل، فلا يغني العالم بقواعد العربية ترك أخذ القرآن عن شيخ يتقن أو يكاد مبادئ رسم المصحف، لأنه قد يخطئ في قراءة ألفاظ كثيرة من القرآن الكريم، "فإن بعض ألفاظه كتبت على غير النطق بها، كفواتح السور التي كتبت برسم الحروف لا بهيئات النطق بها، وإلا فقل لي كيف يتوصل القارئ إلى قراءة "كهيعص"، و"حم.عسق"، و"طسم"، و"المص"، وغيرها"¹.

فلا يكفي اكتساب مهارات علم الإملاء وتحصيل قسط وافر من علم العربية دون التلقي والسماع من قراء القرآن وحفظته المشتغلين به.

¹ المتحف في رسم المصحف، ص 97.

وكم وقفت على أخطاء كنا تعلمناها في الكتابيب وهي خلاف ما أقره علماء الرسم والضبط، وبخاصة أداء الهمزات.

"و ليس من شك في أن الرسم المخصوص له أعظم الأثر في اتصال السند، إذ لو كانت جميع ألفاظه مكتوبة طبق النطق بها لتجرأ الكثيرون على قراءته، بغير رواية عن غيره، وحينئذ يفوتهم معرفة ما فيه من طرق الأداء من مد وتخفيف وإمالة وإظهار وإدغام وإخفاء إلى غير ذلك من طرق الأداء"¹.

فهل من غنى لطالب القرآن حفظاً وتدبراً وقراءةً عن شيوخ الأداء؟

2- منها الدلالة على أصل المرسوم في شكله وحروفه، فقد جاء في المصحف حروف تبدو للناظر زائدة، لكنها في الواقع رسمت لتدل على الأصل، نحو: ﴿وَإِيتَاءٌ﴾ في [النحل:90]، إذ رسمت الهمزة تحت الياء، وترسم إملائيًا على السطر "إيتاء" وكان ينبغي أن تكتب الهمزة على السطر إذ لا صورة لها، وتأتي الياء بعدها زائدة لتشير إلى الكسرة، وقد جرى بذلك العمل في المصحف المطبوع بروايته ورش "وَإِيتَاءٌ"، أما المطبوع برواية حفص فقد كتبت فيه الكلمة بهمزة تحت الياء "إيتاء" اتباعاً لقاعدة الهمزة المكسورة تكون صورتها الياء، وهو في الأصل كما أشار محقق سفير العالمين².

ومما رسم برسم يدل على أصل الكلمة، قوله تعالى: ﴿سَاءَ وَرِيكُمْ﴾ في

[الأعراف:145]، و[الأنبياء:37]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا وَضَعُوا﴾ في [التوبة:47]،

وإن كان هذا يعد من المختلف فيه في المصاحف بزيادة الألف وحذفها، وكتابة

¹ المصدر نفسه، ص97.

² ينظر: سفير العالمين، ج51/2.

"الصلوة" و(الزكوة) و(الحيوة) بواو بدل الألف، ليفهم أن الألف منقلبة عن واو، فإذا كانت في الأوليين دلت زيادة الواو والياء في "وإيتاء" على أصل الحركة فإنه في هذه الثلاثة الأخيرة دلت على أصل الحرف¹.

3- ومن فوائد الرسم الدلالة على القراءات المتنوعة حين تمثل في رسم واحد، ولا يتحقق هذا إلا في المرسوم العثماني، لأن المصاحف جاءت خالية من النقط والضبط، فكان ذلك أحد دعائم القراءة بأكثر من وجه تبعاً لما يقرأ به قارئوها.

ولوحظ - كما سبق حيث أشار البحث إلى قواعد الرسم - أن الكلمة إذا كان فيها قراءتان أو أكثر جاء رسمها بصورة تحتمل تلك القراءات، ما لم يكن الحرف الواحد غير محتمل لذلك، بأن كانت صورة الحرف تختلف باختلاف القراءات، لأن الرسم هنا يجيء على الحرف الذي هو خلاف الأصل حتى يُعلم جواز القراءة به وبالحرف الذي هو الأصل، وإذا لم يكن في الكلمة إلا وجه واحد في قراءتها رسمت بحرفها الأصلي.

ويمثل للكلمة التي تكتب بصورة واحدة وتقرأ قراءات متعددة بقوله تعالى: "إن هذين لساحران" من غير نقط ولا الشكل كما جاءت في أصل مرسوم المصحف العثماني.

يشير رسمها بهذه الطريقة إلى طرق أدائها أي إلى ما تحتمله من قراءة:

1- قرأها نافع ومن معه بتشديد نون "إن" وتخفيف نون "هذان" فكانت في

المصحف المطبوع برواية ورش: ﴿إِنَّ هَٰذَانِ لَسَٰجِرَٰنِ﴾ [طه: 63].

¹ ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، تأليف محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر، ج/1/375

2- وفي رواية حفص "إِنَّ هَذَا لَسَاحِرَانِ" بتخفيف نون "إِنَّ".

3- وقرأها ابن كثير وحده بتخفيف نون "إِنَّ" و تشديد نون "إِنَّ هَذَا".

4- وقرأها أبو عمرو بتشديد نون "إِنَّ" وبياء بين الذال والنون وتخفيف النون وكأنها ترسم هكذا: "إِنَّ هَذَيْنِ" غير أن رسمها في القراءات الأربع واحد: "إِنَّ هَذَا لَسَحْرَانِ"، وهو ما يشير إلى أن سلفنا الصالح كتبوا المصحف بطريقة مثلى تضبط وجوه القراءة، فكانوا بذلك أبعد منا نظراً وأهدى سبيلاً¹.

ومما يمثل لهذه المزية رسمهم كلمات بوجه واحد يحتمل أكثر من قراءة نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ في سورة [البقرة:9]، وقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ في [الأنعام:115].

فلو جاء الرسم في الأولى بإثبات الألف في "وما يخادعون" لكانت قراءة "يخدعون" من غير ألف من الثلاثي "خدع".

ولو جاء رسم الثانية بألف على قراءة الجمع "كلمات" لفاتت الأفراد "كلمة" وذلك ما جعلهم يرسمون التاء مجرورة أي مفتوحة لتنفيذ ما ذكر.

4- ومن مزايا الرسم إفادته ونصه على بعض اللغات الفصيحة نحو كتابة تاء التأنيث تاء مفتوحة وحقها في الرسم الإملائي أن تأتي مربوطة ليوقف عليها بالهاء، جاء هذا الرسم ليدل على لغة "طيء" ويمثل له بتاءات: "رحمت، نعمت..." و كحذف ياء المضارعة من غير جازم كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ

¹ ينظر: البرهان في علوم القرآن، ج 1/373، 374.

لَا تَكَلِّمْ نَفْسُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴿ في [هود: 105]، رسمت تاء ﴿يَاتِ﴾ دون ياء على لغة هذيل.

قال الزجاج: "الذي يختاره النحويون: "يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه" بإثبات الياء، والذي في المصحف وعليه القراء: "يأت" بكسر التاء، وهذيل تستعمل حذف هذه الياءات كثيرا، وقد ذكر سيبويه والخليل أن العرب تقول: " (لا أدر) فتحذف الياء وتجتزئ بالكسرة، والذي أراه اتباع المصحف مع إجماع القراء، لأن القراءة سنة، وقد جاء مثله في كلام العرب"¹.

5- ومن فوائد الرسم العثماني: الدلالة على المعاني المختلفة، بما حمل الرسم من قطع ووصل في بعض الكلمات، نحو قوله تعالى: ﴿أَمْ مِّنْ يَّكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا﴾ [النساء: 109] وقوله تعالى: ﴿أَمْنَ يَمْشِي سَوِيًّا﴾ في [الملك: 22]، يختلف معنى "أم" حين وصلت عن معناها إذا قطعت، فقطعها يفيد معنى "بل" ووصلها لا يعطي ذلك المعنى.

6- وقد يكون للرسم المصحفي فوائد لا تظهر للعيان ولا تكتشف إلا بإمعان وهو ما يعني أن الرسم قد يفيد معنى خفيا ودقيقا كما قيل في زيادة الياء من كلمة "بأييد" التي كتبت بياءين في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ في [الذاريات: 47] فقد أشارت إلى تعظيم قوة الله تعالى التي بنى بها السماء وأنها لا تشبهها قوة وفقا لقاعدة (زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى) وسيتوسع البحث في هذه النقطة حين الشروع في الفصل الذي يتناول: الدلالة في الرسم.

¹ سفير العالمين، هامش، ص 52 من ج 2، نقلاً عن معاني القرآن للزجاج، 77/3.

الفصل الرابع:

المصحف وعناية الأمة به

الفصل الرابع : المصحف وعناية الأمة به

يعد هذا الموضوع موضوعا متشعبا بعنوانه الواسع الدلالة، إذ تدخل فيه مضامين كثيرة، يشمل تاريخ المصحف وكتابه عبر العصور، وما تعرضت له هذه الكتابة من عناية كبيرة في طريقة الخط وطريقة التنسيق والتزويق والتهذيب والتجليد واختيار المداد.

غير أن اللافت للنظر هنا ما حظي به رسم المصحف عن الصحابة، وكان البحث قد عالج هذا المحور، ثم ما أبداه علماء الأمة في شتى محاور التحسين والتكميل من جهة ضبط مرسومه المصطلح عليه بعلم الضبط وتجزئته ووقوفه. وقد مر بنا كتابة المصحف منذ نزول الوحي، وفي عهد الجمعين التاليين: جمع أبي بكر وجمع عثمان - رضي الله عنهما - وصار الرسم بمثابة إجماع منذ جمع الخليفة عثمان الأمة على المصحف الإمام. لكن المصحف الذي نراه اليوم مر بمراحل جاءت لتسهل على القارئ تتبع أحرفه، من غير مساس في أصله أو ذهاب إلى إحلال الرسم الإملائي.

أولاً : المصحف ، تسميته ورسمه ونقطه

1- تسمية المصحف :

دلت آيات كثيرة على أن القرآن مكتوبا في صحف، منها تلك التي وردت باسم الكتاب، مثل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَلِكْتَابٌ لَّا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:2]، ومنها ما ورد بلفظ الصحف، كقوله تعالى: ﴿فَمَسَّ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ في صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ ﴿[عبس:12-13]، وذلك على أن المراد بها صحف الكتبة من الصحابة.¹

وكذا قوله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ [البينة:2-3]، وقد ورد لفظ الصحف من إطلاقات هذا الاسم عن الكتب السابقة، دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِعَايَةٍ مِّن رَّبِّهِءَ أَوْلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ [طه:133]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ ﴿وَأِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم:36-37]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُمُ الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى:18-19].

يتبين مما سبق أن القرآن كلام الله عز وجل، والمصحف هو الصحف التي كتب فيها كلامه سبحانه وتعالى، لذا يوجد بينهما تداخل في لفظيهما، فقد يطلق اللفظ على أحدهما ويراد به الآخر، فقد روى الإمام أحمد بمسنده عن ابن عمر رضي الله عنه قال: "سمعت رسول الله ﷺ ينهى أن يسافر بالمصحف

¹ ينظر: المحرر في علوم القرآن، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي - جدة ط2_ 1429هـ_ 2008م، ص 219

إلى أرض العدو"، وقد جاءت أحاديث كثيرة في هذا الباب ذكرت فيها لفظة المصحف¹.

وقد ذاعت بل وانتشرت بين الصحابة كما يستشف من الآثار الواردة عنهم منها:
1- روى الإمام مالك عن نافع: "أن عبد الرحمن بن أبي هريرة سأل عبد الله بن عمر عن لفظ البحر، فنهاه عن أكله.

قال نافع: ثم انقلب عبد الله، فدعا بالمصحف، فقرأ: ﴿اجِلٌ لَكُمْ صَيْدُ
الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ﴾ [المائدة:96].

قال نافع فأرسلني عبد الله بن عمر إلى عبد الرحمن بن أبي هريرة: "إنه لا
باس بأكله".

ثم يضيف ناصر الطيار قائلاً: "ولو استقصيت في الآثار التي وردت فيها
التسمية لربت على الخمسين أثراً..."²
ولم يستوقفه أمر التسمية عند الصحابة، بل اعتبر ما ذهب إليه من قال إنهم
اختلفوا في تسميته بالمصحف أمراً لا يقدم ولا يؤخر، مادام قد ذكر كلمة
"صُحُفٍ".

2- رسم المصحف ونقطه :

لرسم المصحف علاقة وطيدة بالقراءات، حيث إن المرسوم في أصله
دلالة على المسموع، لذا جاء رسم حروف المصحف ليبدل على المقروء، كما
هو مستفاد من الرسم عموماً.

¹ ينظر: المحرر في علوم القرآن، ص 220.

² المصدر نفسه، ص 220-221.

لاشك أن مسألة رسم المصحف تستوقف الناظر بعامة والباحث بخاصة ليخرج بعد التأمل بنقاط يمكن إيجازها في الآتي:

1- لم يخترع الصحابة رسماً معيناً بدا لهم أنه الأصلح في كتابتهم القرآن بل كتبوه بحسب ما أخذوه عن معلمهم ﷺ، لذا انقسم العلماء - كما عرفنا - إلى قائل بالتوقيف، وإلى ذاهب إلى الاصطلاح ولكل ما يدعم رأيه.

" ومن هنا تعلم أن محاكمة خط الصحابة وهجائهم إلى ما وقع بعد ذلك من تطور للرسم، واختلاف في الإملاء غير سديد، بل الصواب أن يعلم أن هذا اصطلاحهم، كما أن اصطلاح من بعدهم قد تغير عن اصطلاحهم، وكذا فإن اصطلاح من نقدهم قد تغير الاصطلاح بعده، فما كان في عصره هو الرسم المتعارف عليه المقبول بين الكاتبين، صار عند من بعدهم غير مقبول وهكذا دواليك."¹

يبدو أن صاحب هذا النص يميل إلى أنه يجب أن يتماشى الرسم بعامة ومصالح الناس، غير أن الحقيقة الثابتة هي أن الرسم المصحفي يعدُّ المرجع الأساس لكل راغب في تعلم الكتابة، ولم يخالف الرسم القياسي إلا في كلمات ضبطها أهل الاختصاص حصراً، وأقروا بذكاء الكتابة قديماً ولا يعوض هذا الرسم رسم آخر.

بل وولفي المؤلف خلع ثوب طلب علة الرسم أي - في نظره - لا يمكن أن يوجد لهذا الرسم من إشارات ودلالات، لكن الأمر قطع فيه كثير من ذوي الخبرة والمعرفة.

¹ المصدر نفسه، ص 223.

2- جاء الرسم الذي كتب به الصحابة المصحف أو المصاحف مجرداً من أية علامة، فهي غير موجودة أصلاً، فلم يكن في عصرهم نقط ولا شكل، ولا أي علامة من علامات الضبط الذي اصطلحوا عليه لاحقاً.

ورب سائل يسأل: لم كُتبت المصاحف في عهد عثمان وكان رسمها مجرداً عن الشكل الذي يوضح إعرابه، ومجرداً من النقط الذي يميز المعجمة عن المهملة التي اصطلح عليها فيما بعد؟

يرجع هذا إلى أن المسلمين في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين ظلوا " يهتدون إلى النطق السليم بالقرآن في ذلك الوقت بوسيلتين:

الأولى: سليقة اللسان العربي الأصيل الذي كانوا يتمتعون به، فلم يكن اللحن ليعرف سبيلاً إلى لسانهم، كما لم يكن المعنى ليستعجم على أذهانهم.

الثانية: التلقي والمشافهة، وقد علمنا أن المسلمين كانوا يعتمدون في أخذ القرآن وحفظه على الكتابة والتلقي مشافهة من أفواه الرجال، وكانوا لا يكتفون بأحد الطريقتين عن الآخر، فكان التلقي والمشافهة وسيلة لوضوح الكتابة، وعاصماً من اللبس في الكلمات التي تحتمل برسمها عدداً من وجوه القراءة والأداء".¹

بات المسلمون بسبب وجود هاتين الوسيلتين بمنأى عن تحريف القرآن في قراءته، وفي استغناء عن شكل وضبط حروفه ونقطها، ولقد فهموا مضمونه وأدركوا معناه.

3- كان الاعتماد في تلقي القرآن على المسموع المحفوظ في الصدور لا على المرسوم، لذا يعدُّ الرسم تبعاً لما سُمع، ومما تعارف الناس عليه وهو من

¹ الواضح في علوم القرآن، تأليف مصطفى ديب البغا ومحي الدين ديب مستو، دار العلوم الإنسانية ودار الكلم الطيب، الطبعة الثانية، 1418-1998، ص 98.

المعلوم بالضرورة أنه لا يمكن التطابق التام بين نطق كثير من الكلمات وبين ما يمثله رسمها في جميع لغات العالم، وهو أمر يشترك فيه علم الإملاء بما يدخل فيه من زيادة ونقص، بل وتبديل، كنطق النون الساكنة ميماً إذا وليها حرف الباء، مثل، "ينبت" و"رحيمٌ بكم"، لذا رسموا في المصاحف ميماً صغيرة على النون الساكنة أو فوق الحرف المنون، واصطلحوا عليه بمسمى الإقلاب.

ونتيجة لما سبق جاءت المصاحف - مصاحف الصحابة - خالية من النقط والشكل، وما زاده اللاحقون من تكميلات وتحسينات.

وينقل لنا ما جاء في مصاحفهم صاحب "لطائف الإشارات لفنون القراءات" إذ يقول: "وجردوا كتابتها من النقط والشكل، ليحتمل ما صح نقله، وثبتت تلاوته عن النبي ﷺ؛ إذ كان الاعتماد على الحفظ، لا على مجرد الخط، فقرأ أهل كل مصر بما في مصحفهم، وأخذوا ما فيه عن الصحابة، الذين أخذوه عن رسول الله ﷺ".¹

أما إذا انتقلنا إلى نقط المصاحف، ولا يعنى بالنقط هنا نقط الإعجام، بل يراد به في المصطلح الحديث "نقط الشكل" لأن حروف المصحف كما عرفنا جاءت خالية من الشكل والنقط، أو بالمسمى القديم من نقط الإعراب ونقط الإعجام على ترتيب النقط والشكل حديثاً، إذا ما جئنا إلى هذا المبحث المهم وجدنا أن من كان السبّاق لهذه الفكرة أبو الأسود الدؤلي وهو من التابعين.

وقد عقد الداني (ت444هـ) باباً في كتابه النقط سماه: "باب ذكر من نقط

المصاحف أولاً من التابعين، ومن كره ذلك ومن ترخّص فيه من العلماء"

¹ لطائف الإشارات لفنون القراءات للإمام شهاب الدين القسطلاني، تحقيق وتعليق الشيخ عامر السيد عثمان وعبد الصبور شاهين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة: 1392هـ-1972م، ج1/64.

قال الداني: "اختلفت الرواية لدينا في من ابتداءً بنقط المصحف من التابعين: فروينا: أن المبتدئ بذلك كان أبو الأسود الدؤلي، وذلك أنه أراد أن يعمل كتاباً في العربية يقوم الناس به ما فسد من كلامهم؛ إذ كان قد نشأ في خواص الناس وعوامهم، فقال: أرى أن أبتدئ بإعراب القرآن أولاً؛ فأحضر من يمسك المصحف، وأحضر صبغاً يخالف لون المداد، وقال للذي يمسك المصحف عليه: إذا فتحت فاي؛ فاجعل نقطة فوق الحرف، وإذا كسرت فاجعل نقطة تحته، وإذا ضممت فاي؛ فاجعل نقطة أمام الحرف، فإن أتبعته شيئاً من هذه الحركات غُتَّةً - يعني: تنويناً -؛ فاجعل نقطتين، ففعل ذلك حتى أتى آخر المصحف.

ثم يذكر الرواية الثانية التي ذهب أصحابها إلى أن نصر بن عاصم الليثي كان المبتدئ بذلك فقال: وروينا: أن المبتدئ بذلك كان نصر بن عاصم الليثي، وأنه الذي خمّسها وعشرها.

وروينا: أن ابن سيرين كان عنده مصحفه نقطه يحيى بن يعمر، وأن يحيى أول من نقطها، وهؤلاء من جلة تابعي البصريين.

ثم يذكر بعد ذلك ما رآه عامة العلماء وأقروه حين قال: وأكثر العلماء على أن المبتدئ بذلك: أبو الأسود الدؤلي؛ جعل الحركات والتنوين لا غير، وأن الخليل بن أحمد هو الذي جعل "الهمزة" و"التشديد" و"الروم" والإشمام".
وقد وردت الكراهة بنقط المصحف:

عن عبد الله بن عمر وقال بذلك جماعة من التابعين، وروينا الرخصة في ذلك من غير واحد منهم.

قال عبد الله بن وهب، عن نافع بن أبي نعيم قال: سألت ربيعة بن أبي عبد الرحمن: عن شكل القرآن في المصحف؟ فقال: لا بأس.

قال ابن وهب: وحدثني الليثي قال: لا أرى بأساً بنقط المصحف بالعربية. قال ابن وهب: وسمعت مالكا يقول: أما هذه الصغار التي يتعلم فيها الصبيان؛ فلا بأس بذلك فيها، وأما الأمهات؛ فلا أرى ذلك فيها.

قال أبو عمرو: والناس في جميع أمصار المسلمين من لدن التابعين إلى وقتنا هذا على الترخيص في ذلك في الأمهات وغيرها، ولا يرون بأساً برسم فواتح السور، وعدد آياتها، ورسم الخموس والعشور في مواضعها، والخطأ مرتفع عن إجماعهم.

قال أبو عمرو: ولا أستجيز النقط بالسواد؛ لما فيه من التغيير لصورة الرسم، وقد وردت الكراهة بذلك عن عبد الله بن مسعود وعن غيره من علماء الأمة.

وكذلك لا أستجيز جمع قراءات شتى بألوان مختلفة في مصحف واحد على ما أشار إليه بعض أهل عصرنا، ومن جهل ما في ذلك من الكراهة ممن تقدم؛ لأن ذلك من أعظم التخليط والتغيير لمرسومه. وأرى أن يستعمل للنقط لونان: الحمرة والصفرة؛ فتكون الحمرة للحركات والتنوين والتشديد والتخفيف والسكون والوصل والمد، وتكون الصفرة للهمزات خاصة، وعلى ذلك مصاحف أهل المدينة فيما حدثنا به أحمد بن عمر بن محفوظ، عن محمد بن أحمد الإمام، عن عبد الله بن عيسى، عن قالون، عن مصاحف أهل المدينة قال: ما كان من الحروف التي بالصفرة؛ فمهموزة، وعلى هذا عامة أهل بلدنا،

وإن استعملت الخضرة للابتداء بألفات الوصل على ما أحدثه أهل بلدنا قديماً؛
فلا أرى بذلك بأساً.¹

يؤخذ من هذا النص - وإن بدا طويلاً - مسائل عدة توجز في النقاط
التالية:

- 1- لم يقع الإجماع على نقط المصاحف أي إعجامها شكلاً لأمن اللبس بوضع
الحركات في شكل نقط، لأن العلماء رأوا في ذلك ما يغير المرسوم المصحفي.
- 2- حين دعت الضرورة ترخصوا، لكن لم يكن ترخيصهم مطلقاً بل قيده
بعضهم كالإمام مالك بالاختصار على المصاحف التي يتعلم فيها الصغار.
- 3- وقد وقع التشديد في ضبط آلية النقط بترك الأصل على لونه الأسود، ورسم
النقط بلون مخالف، كالأحمر للحركات والأصفر للهمزات، ويعدّ أمرهم غاية
في الدقة وإمعاناً في صون كلمات المصحف من التغيير.
- 4- ومما يشفع لهم بطول النظر وعمق التركيز أن منعوا إدخال ألوان مختلفة
بحجة جمع أكثر من قراءة في مصحف واحد، وذهب بهم الأمر إلى أن اعتبروا
ذلك نوعاً من التخليط والتغيير لمرسوم المصحف.
- 5- وتبدو الدقة أكثر في شرطهم استعمال اللون الأخضر لألفات الوصل ليُفرّق
بينها وبين الهمزات المرسومة على الألف مثلاً.

تجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن النقط الذي وضعه أبو الأسود الدؤلي
ويُقصد به شكل حروف الكلمة، جاء مقتصرًا على الحرف الأخير من الكلمة،
وهو أمر لم يحقق مقصود الشكل، لذا استمر الخطأ في القراءة إلى زمن خلافة
عبد الملك بن مروان (65-86هـ)، وقد أوكل مهمة إكمال الشكل إلى الحجاج

¹ المقنع، ص 137-138.

بن يوسف الثقفي، فعالج الأمر باختياره نصر بن عاصم الليثي (90هـ)، فعمّ شكل أبي الأسود الدؤلي على جميع حروف الكلمة وذلك في حدود سنة 80هـ. ومما هو معروف أن أبا الأسود جاء نقطه - الإعجامي - للمصحف تبعاً لقراءته، لكنه بانتشار هذا المذهب وعمومه راح كل أهل إقليم ينقطنون مصاحفهم بما يوافق قراءتهم¹.

وقد تطور الشكل على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ) تطوراً كان له صده، إذ ما يزال العمل به قائماً في ضبط المصاحف إلى يومنا هذا، وكان أن استنبط الشكل من الحروف حين تشبع مداً؛ فكل إشباع يتولد عنه رسم موافق لحركته، إذ إشباع الفتحة ألف والضمّ واو والكسر ياء، فكانت الألف أصلاً للفتحة، والياء أصلاً للكسرة والواو أصلاً للضمّة.

ومن إضافاته أنه جعل للسكون الخفيف رأس خاء من غير نقط على هذه الشاكلة (ح) وهي واضحة في مرسوم مصاحفنا اليوم. وهو يريد بذلك أول كلمة (خفيف).

أما إذا كان السكون شديداً أي ساكن مدغم في محرك فإنه وضع له رأس (شين) بما يمثله هذا الرسم () من غير نقط ويرمز له بالشدة مأخوذاً من أول أحرف كلمة شديد.

ولمّا لم يوجد للهمزة صورة معينة وهي لا تستقر في رسمها على وضع معين وبعد أن كانت المصاحف القديمة ترسم بنقطة صفراء، فقد أوجد لها الخليل رسماً خاصاً بها، جاء على شكل رأس (عين) هكذا (ء) وذلك لقرب الهمزة في المخرج من العين.

¹ ينظر: رسم المصحف إحصاء ودراسة، لصالح محمد عطية، الناشر: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا، الطبعة الأولى، 1426هـ، ص229.

واصطلح لضبط ألف الوصل رأس حرص (صاد) هكذا (ص) توضع فوق ألف الوصل دائماً مهما كانت حركة ما قبلها كما أشار صالح عطية¹.

وتوضع للمد الواجب ميماً صغيرة، مضافاً إليها جزء من حرف (الذال) هكذا (ذ)، وقد تطور رسم هذا المصطلح وهو ما يعمل به في المصاحف المطبوعة في عصرنا حيث أصبح على هذه الشاكلة (ذ)، ولا يكون ذلك إلا إذا ولي الحرف الممدود حرف الهمزة أو حرف مشدد نحو: (جاء)، (دابة).

"غير أن هذا الشكل الذي وضعه الخليل بن أحمد لم يستعمل في المصاحف إلا في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع وذلك في العراق. أما بلاد المغرب والأندلس، فقد ظلت على الشكل الذي وضعه أبو الأسود متمسكة به، لأنها تعتبره مما سنّه الصحابة والتابعون.

ووضع الشكل على الحروف، سواء الشكل الذي وضعه أبو الأسود الدؤلي أو الشكل الذي وضعه الخليل، كان هدفه وغايته بلا شك أن يقرأ المسلم من المصحف قراءة صحيحة، - ولا يعتمد على طبعه وسليقته في الكلام، خاصة بعد أن فسدت الألسن."²

3 - ضبط المصحف :

عقد الداني في كتابه "المحكم في نقط المصاحف" باباً جاء عنوانه طويلاً لكنه يجمع أحكام مسألة الضبط تحت عنوان: "باب جامع القول في النقط وعلى ما بيني من الوصل والوقف، وما يستعمل له من الألوان وما يكره من جمع قراءات شتى وروايات مختلفة في مصحف واحد وما يتصل بذلك من المعاني اللطيفة والنكت الخفية".

¹ - ينظر: رسم المصحف إحصاء ودراسة، ص 230.

² - المصدر نفسه، ص 230_231.

يذكر الداني في شرحه لهذا الباب الذي ضمّ أكثر من مبحث، الداعي الذي دعا السلف إلى نقط المصاحف - وهو الشكل المعروف عندنا -، إذ شوهده ولوحظ فساد الألسنة، ودخول اللحن على كثير من خواص الناس وعامتهم بل وخُشي عليها من تطاول الأزمان من تزايد ذلك وتضاعفه فيمن يعقب من جيل، ولا يتحقق الخلاص من ذلك إلا بإعراب الكلم، إذ به كما قال تدرك كيفية الألفاظ¹.

أشار الداني حين تحدث عن مضامين الباب السابق إلى أمور تُوجَز في النقاط التالية:

1- يستعمل نقاط أهل المدينة - قديماً - من الألوان حين نقطوا مصاحفهم الحمرة والصفرة لا غير؛ فكانت الحمرة للحركات، والصفرة للهمزات، وقد نهى الداني عن نقط المصاحف باللون الذي كُتبت به وهو السواد قال: "فأما نقط المصاحف بالسواد من الحبر وغيره فلا أستجيزه، بل أنهى عنه، وأنكره اقتداءً بمن ابتدأ النقط من السلف، واتباعاً له في استعماله لذلك صبغاً يخالف لون المداد، إذ كان لا يحدث في المرسوم تغييراً ولا تخليطاً، والسواد يُحدث ذلك فيه، ألا ترى أنه ربما زيد في النقطة فتوهمت لأجل السواد الذي به ترسم الحروف، أنها حرف من الكلمة، فزيد في تلاوتها لذلك، ولأجل هذا وردت الكراهة عمّن تقدّم من الصحابة وغيرهم في نقط المصاحف"².

¹ - ينظر: المحكم في نقط المصاحف لأبي عمرو الداني، تح: عزة حسن ط2/ ودار الفكر، دمشق، 1997، ص18 وما بعدها.

² - المصدر نفسه، ص19.

غير أنه مع كراهة استعمال اللون الأسود حين تُضبط المصاحف قد انتفت بما وضعه الخليل من علامات صارت تُميّز بالصورة لا بلون المداد كما أشار غانم قدوري¹.

2 - ويستعمل نقاط أهل العراق للحركات وغيرها والهمزات الحمرة، وبذلك عُرفت مصاحفهم وتميّزت عن غيرها.

3 - وقد أدخل بعض من أهل الكوفة والبصرة الحروف الشواذ في مصاحفهم ونقّطوها بالخضرة، وربما اختاروا الخضرة للقراءة المشهورة الصحيحة، وجعلوا للقراءة الشاذة المتروكة الحمرة، وفي هذا تخليط وتغيير كما أشار.

4 - ويُعدُّ جمعهم في مصحف واحد لقراءات شتى، وتخصيصهم لكل قراءة لوناً مخالفاً للسواد أي الذي به المصحف كالحمرة والخضرة والصفرة واللازورد يعد ذلك من أعظم التخليط وأشد التغيير للمرسوم وهو أكره وأقبح من سابقه.

5- "ومن الدلالة على كراهة ذلك والمنع منه، ما حدثناه خلف بن إبراهيم عن محمد... عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه قرأ ﴿عَبْدُ الرَّحْمَنِ﴾ [الزخرف: 19] قال سعيد: فقلت لابن عباس: إن في مصحفني "عند الرحمان" فقال: امحها واكتبها "عباد الرحمان". ألا ترى ابن عباس، رحمه الله قد أمر سعيد بن جبير بمحو إحدى القراءتين، وإثبات الثانية، مع علمه بصحة القراءتين في ذلك"²

¹ - ينظر: رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، ص 531.

² المحكم في نقط المصحف، ص 21

ونجد في مصاحفنا الحديثة برواية ورش ﴿عِنْدَ الرَّحْمَنِ﴾ وبرواية حفص ﴿عِبْدُ الرَّحْمَنِ﴾، ولم يكن الرسم مانعا لإحدى القراءتين مادام لم يصطلح على ضبط معين ونقط أيضاً فكلمة "عند" صالحة لـ "عند" و"عبد"

وقد علل الداني عدم جواز الوجوه واللغات في مصحف واحد وهو يتعرض لهذه الكلمة "عباد" فقال: "فلو كان جمع القراءات، وإثبات الروايات والوجوه واللغات في مصحف واحد جائزاً، لأمر ابن عباس سعيداً بإثباتهما معاً في مصحفه بنقطة يجعلها فوق الحرف الذي بعد العين، وضمة أمام الدال، دون ألف مرسومة بينهما، إذ قد تسقط من الرسم في نحو ذلك كثيراً لخفتها وتترك النقطة التي فوق ذلك الحرف والفتحة التي على الدال، فتجتمع بذلك القراءتان في الكلمة المتقدمة، ولم يأمره بتغيير إحداهما ومحوها، وإثبات الثانية خاصة"¹.

6-ومما جاء في الباب السابق ذكره أن الضبط أو الشكل جاء واستحدث لما أُشكل، "وليس على كل حرف يقع الشكل إنما يقع على ما إذا لم يشكل التبس. ولو شكل الحرف من أوله إلى آخره، أعني الكلمة، لأظلم، ولم تكن فائدة، إذ كان بعضه يؤدي عن بعض"².

غير أن هذه القاعدة قد لا تصدق على قراء عصرنا، فقد سمعنا من يقرأ قوله تعالى: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَفِيبًا﴾ [المائدة:12] فقرأها "اثنا" وهي مرسومة في المصاحف بالياء المقصورة لكن من غير نقط، وقد جاءت مضبوطة مشكولة

¹ المصدر نفسه، ص21.

² المحكم في نقط المصاحف ص23

بالسكون، إذ الأمر لا يعدو أن يكون محصلة تكرار ومداومة على القراءة في المصحف وجلوس إلى شيخ ماهرٍ بالقراءة، بل ويعرف من القراءات.

7- ثم يذكر الداني أصولاً من النقط، "ففي نقط المصاحف المدورِ الرفع والنصبُ والخفضُ، والتشديد، والتنوين والمد والقصر... قال: وقد كان بعض من يُحب أن يزيد في بيان النقط، ممن يستعمل المصحف لنفسه، ينقط الرفع والخفض والنصب بالحمرة، وينقط الهمزة مجرداً بالخضرة، وينقط المشدد بالصفرة، كل ذلك بقلم مدور وهذا أسرع إلى فهم القارئ من النقط بلون واحد بقلم مدور"¹

وختم الباب بفائدة هامة وقاعدة أساسية، فقال: "وفي النقط علم كبير، واختلاف بين أهله. ولا يقدر أحدٌ على القراءة في مصحف منقوط، إذ لم يكن عنده علم بالنقط. بل لا ينتفع به إن لم يعلمه"²

وإذا ما نظرنا إلى عمل المتقدمين حين ضبطوا المصحف وكانوا يتفقون على مصطلح النقط الذي اخترعه أبو الأسود الدؤلي، ليميز بها نطق حروف الكلمة لإزالة عجمتها، فإننا نراهم يدققون في وضع نقط الإعجام أي الضبط، فقد جاء في باب (كيف تنقط المصاحف) للسجستاني قوله: "وإنما النقط على الإيجاز لأنهم لو تبعوا كما ينبغي أن ينقط عليه فنقطوه لفسد المصحف، لو نقطوا قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 264] فمثله، "فَمَثَلُهُ" على الفاء والميم والثاء واللام والهاء ونحو ذلك فسد؛ ولكنهم ينقطون على الميم واحدة فوقها وواحدة بين يدي الميم، لأن اللام حرف الإعراب، وقد

¹ المصدر نفسه، ص 23-24.

² المصدر نفسه، ص 24.

تنصب اللام وترفع وتجر، وفتحوا الميم لثلا يظن القارئ أنها " فَمِثْلٌ"، وإذا جاء شيء يستدل بغيره عليه ترك مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:169]، ﴿فَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ينقط بين يدي القاف واحدة، ولا ينقط على التاء شيء لأن ضممتها تدل على أنهم فعلوا، وأما قوله: ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَفْتِيلًا﴾ [الأحزاب:61] "قتلوا تفتيلاً" فإنك تنقط تحت التاء واحدة، لأن هذه مشددة، فتفرق بين المخفف والمشدد، فقس كل شيء بهذا إن شاء الله¹.

وقد دل عملهم هذا على إحكام صنعهم ونباهة عقولهم، ولم يريدوا أن يثقلوا كلمات المصحف بزيادة ضبط وهي على شاكلة نقط، قد تغير المرسوم وتخرجه من إطاره السني الذي ترخص فيه العلماء بعد طول نظر، وليس بالضرورة أن يحتكم إلى اجتهادهم هذا، فقد أوتوا القدرة على التمييز، ولو ضبطت مصاحفنا اليوم بمصطلح الضبط الحديث المتعارف عليه وبطريقتهم الإيجازية اكتفاء بضبط الحرف المختلف في قراءته أو المحتمل لأكثر من قراءة لما تأتي لقارئ هذا العصر أن يسلموا من اللحن.

ومما يجب أن يُعلم أن نقط - ضبط - أبي الأسود الدؤلي ظل قائماً حتى جاء الخليل بن أحمد فحاول حل الإشكال القائم في النقط الذي يعتمد الدائرة واللون الأحمر أي النقط المدور متخذاً شكلاً واحداً لا يتمايز إلا باختلاف مكانه.

¹ كتاب المصاحف تصنيف أبي بكر بن أبي داود السجستاني، تح: محمد بن عبده، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 1424هـ 2003م، ص333.

واستنبط الخليل بن أحمد شكل الحركات من صور الحروف، قال المبرد (ت285هـ) الشكل الذي في الكتب من عمل الخليل وهو مأخوذ من صور الحروف فالضمة واو صغيرة الصورة في أعلى الحرف، لثلا يلتبس بالواو المكتوبة، والكسرة ياء تحت الحرف، والفتحة ألف مبطوحة فوق الحرف¹.

ولما كانت الألف تناسبها الفتحة، فقد نابت هذه الألف عن حركة الفتح لكن لم ترسم على شاكلتها قائمة بل بطحها الخليل، وكذا الواو التي هي من الضمة فجعلت فوق الحرف، وأتت الكسرة معقوفة إلى خلف هكذا (،)، ولعلها تطورت فصارت إلى خط كالفتحة تحت الحرف، وأخذ رمز الشدة من أول كلمة شديد هكذا (،)، وجعلت علامة السكون رأس خاء من كلمة خفيف غير أنه يخلط في التفريق بين علامة السكون والدارة التي توضع على الحرف الزائد رسماً الناقص المعدوم لفظاً نحو "أولئك" فقد يسمع من كثير من القارئ في المصحف نطق واو ساكنة وهي ليست كذلك، بل كان يجب على كل تال للقرآن أن ينتقل من ضمة الهمزة إلى فتحة اللام؛ إذ من القواعد المعلومة للغة العربية أنه لا يتأتى نطق واو ساكنة وقبلها حرف مضموم، لذا لم يكن الوقف على الواو المفتوحة المسبوقة بضم بتسكينها بل يجب أن تُصير حرفاً ممدوداً من جنس حركة ما قبلها؟ فيوقف على لفظة "هو" بما مؤداه رسماً "هُو" وليس "هُو".

وصار عمل الخليل في الضبط يسمّى (نقط الخليل) أو (الشكل) أو (شكل الشعر) أو (الشكل المستطيل)، وقد مال الناس في زمانه إلى هذا الضبط المخترع الجديد وانتشر بينهم، واستعملوه لأنه أيسر للقارئ في الإدراك من نقط أبي الأسود الدؤلي المدور.

¹ المحرر في علوم القرآن، ص 224.

ويلخص غانم قدوري المراحل التي مرت بها الحركات رسماً فيقول: "و كانت علامات الحركات القصيرة الثلاث قد مرت بمراحل من التطور حتى استقرت على النحو الذي نراه اليوم في المصحف، وما يستعمله الناس في كتابتهم، فكانت تمثل في أول الأمر بواسطة نقط مدورة بلون يخالف لون المداد ثم أبدلت بمرور الأيام بعلامات أو حروف صغيرة توضع فوق الحرف أو تحته، وقد كان الانتقال من مرحلة النقط المدور لتمثيل الحركات إلى مرحلة الشكل المستطيل قد استغرق قرناً وتباين سرعة وبطناً تبعاً لاختلاف الأمصار الإسلامية شرقاً وغرباً"¹

تردد مصطلحات عدة في مجال تكميل الرسم العثماني والكتابة العربية وهي النقط والشكل والإعجام ثم الضبط أخيراً، وبالعودة إلى المعاجم يُستجلى الأمر من خلال تتبع موادها.

ويدرج موضوع (الضبط) غالباً في آخر أبواب الكتب التي تتناول علم مرسوم المصحف؛ فقد ختم به مؤلفه صالح عطية في الفصل الأخير وجعله تحت عنوان (تحسين الرسم العثماني) تناوله في أربعة مباحث مرتبة وفق التالي:

1- الشكل.

2- نقط الإعجام.

3- تطور الخط.

4- الرسم الإملائي.

¹ رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، ص 488-489.

وقد ذكر فائدة الضبط وهي كما قال: "إزالة اللبس عن الحرف، فلا يلتبس
مشدّدٌ بمخفّفٍ، ولا ساكنٌ بمتحركٍ، ولا مفتوحٌ بمضمومٍ ولا مكسورٍ"¹.

وتدخل هذه المباحث تحت باب ما ألحق بالرسم المصحفي من تحسينات
تدرج فيها الرسم تبعاً لظروف القارئ؛ فقد اقتضت ظروف وملايسات عاشها
المسلمون أن يحدثوا تلك التحسينات وهي تقطع مراحل تدريجية.

فبعد أن كان الرسم المصحفي خالياً من الشكل والنقط، وتماشى معه العربي
بفطرته السليمة وسليقته، صار مأل الناس وبعد اتساع رقعة الإسلام وإقبال
المسلمين من غير العرب على تعلم القرآن قراءةً وحفظاً، واختلاط العرب
بغيرهم، حتى كاد لسانهم يستعجم، وفشا اللحن في لغتهم، وكاد يصل إلى القرآن
الكريم، حينها شمر العلماء على سواعدهم وأسرعوا إلى تدارك الأمر فوضعوا
علامات - كما عرفنا - يعرف بها إعراب كلمات القرآن نقطاً وضبطاً.

كان الغرض من هذه التحسينات وإدخالها على الرسم العثماني "تيسير قراءة
القرآن من المصحف، من دون تحريف ولحن، اللذين يوقعان في الخطأ أثناء
القراءة، وقد حدث ذلك فعلاً للراوية المشهور حمّاد (ت156هـ) الذي يروي جل
أشعار العرب، حين طلب منه أن يقرأ القرآن من المصحف، فوقع حمّاد في أكثر
من ثلاثين خطأ في القراءة، كلها بسبب عدم وجود نقط الإعجام في المصحف.
ومن هذه الأخطاء التي وقع فيها حمّاد ما يلي:

1- في الآية 114 من سورة التوبة: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن
مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِثْمًا﴾، أخطأ حمّاد فقرأها: "أباه" بالباء بدلاً من الياء.

¹ رسم المصحف إحصاء ودراسة، ص227.

2- في الآية 68 من سورة النحل: ﴿وَأَوْجِي رُبُّكَ إِلَى السَّحْلِ أَنْ إِتَّخِذِي مِنْ
الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنْ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾، أخطأ حماد فقرأها، "النخل" بالخاء
بدل الحاء.

3- في الآية 08 من سورة القصص: ﴿بِأَلْتَفَطُهُ؛ أَلِ بِرُعُوقٍ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا
وَحَزَنًا إِنَّ بِرُعُوقٍ وَهَامِسٍ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَطِيبِينَ﴾، أخطأ حماد فقرأها:
"حرباً" بإبدال الزاي راءً وإبدال النون باءً.

4- وفي الآية 15 من سورة القصص: ﴿بِاسْتَعْنَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ
عَدُوِّهِ﴾. أخطأ حماد فقرأها: "فاستعانه" بالعين والنون بدلاً من الغين والشاء.

5- في الآية 74 من سورة مريم: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِمَّنْ قَرَّبُوا هُمْ؛ أَحْسَنُ أَتَشَاءُ
وَرِيًّا﴾، أخطأ حماد فقرأها: "و زياً" بالزاي بدلاً من الراء¹.

ولم تتوقف التحسينات التي واكبت الرسم المصحفي عبر العصور وإلى يومنا
هذا، ابتداءً من الخليل بن أحمد بما أحدثه في الخط كما سبقت الإشارة إلى
ذلك، "و زالت الخطوات التحسينية مطردة على مر الأزمان إلى يومنا هذا ابتغاء
تحقيق المزيد من ضبط رسم القرآن وتسهيل قراءته، فوضعت أسماء السور،
وعدد الآيات، والرموز التي تشير إلى رؤوس الآية وعلامات الوقف وغير ذلك"².

¹ رسم المصحف إحصاء ودراسة، ص235.

² الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محي الدين مستو، دار الكلم الطيب، ط: 1418/2 هـ
1998م، ص101، وينظر: مناهل العرفان للزرقاني، ج/406-409.

مما لا شك فيه أن المصاحف ظلّت تُكتب على الرسم الذي كتب به المصحف
العثماني، وصار الذي يُتبع في طباعة المصاحف "بدءاً بالطبعة الأولى في البندقية
سنة 1530م ثم طبعة بترسبورغ بروسيا 1787م ثم طبعة الأستانة 1877م وما تابع
ذلك من آلاف الطبعات والأحجام"¹

و قد عقد غانم قدوري مبحثاً خاصاً جعله تحت عنوان:

¹ الواضح في علوم القرآن، ص 101-102.

ثانيا : الرسم المصحفي في عصر الطباعة

ولما كان لهذا المبحث من فائدة تكمل المباحث السابقة ذات الصلة برسم المصحف وهو يتدرج عبر مراحل التحسينية التكميلية الرامية إلى رفع اللبس وتحاشي الوقوع في اللحن حين القراءة في المصحف ظهر بالضرورة تقصّي ما جاء في هذا الباب ليلخص مضمونه على الشكل المقترح.

لقد أسهمت الطباعة الحديثة في نشر عدد كبير من نسخ القرآن الموحدة الشكل، وبالرغم من هذا الأثر - كما يذهب غانم قدوري - غير المحدود لتسهيل نشر المصاحف وطبعها بعمل الطباعة، فإنها لم تكن مؤثرة في شكلها العام وطريقة كتابتها، لأن رسم المصحف كان قد بلغ غايته في وقت متقدم بعد أن اخترع الخليل بن أحمد الفراهيدي علامات الضبط، وبعد أن تابعه في ذلك نساخ المصاحف لمدة ليست بالطويلة على اختلاف بين المشاركة والمغاربة.

وقد تبلورت اتجاهات نوع الخط المختلفة، ومنهج الضبط في المصاحف عبر مذهبين:

أولهما: ساد في المشرق ممثلاً في رسم ابن البواب مصحفه، وكان كتبه في حدود سنة (391هـ)، وقد بدت واضحة في الاستعمال علامات الخليل، كما استعملها الكتاب وأهل اللغة¹.

ثانيهما: الاتجاه الذي امتاز باستعمال الخط العربي، وكان أكثر ميلاً وإبقاءً على علامات القدامى أي بضبط النقط، وكان سائداً هذا الاتجاه في بلاد المغرب الإسلامي، ولا تزال المصاحف الحديثة محافظة على آثار هذين الاتجاهين.

¹ ينظر: رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية، ص 601.

ولما كانت البلاد الأوروبية سباقةً إلى اختراع آلات الطباعة واستعمالها (1431م) مع مطلع القرن الخامس عشر الميلادي، فقد دفع هذا إلى ظهور المصحف المطبوع في تلك الديار قبل غيرها على أيدي المستشرقين ويكاد يتفوق بالإجماع على أول مصحف طُبع كان سنة (1694م-1106هـ) ووقف على طبعه هنكلمان في مدينة هامبورغ بألمانيا.

ولم تكن طباعة هذا المصحف أو إخراجها على ما تتطلب كتابة المصحف الذي يجب فيه المبالغة في الإتقان والحذر من الخطأ في رسم الحروف، ولعلّ التجربة الأولى لأي عمل لا تكون محققة النجاح المطلوب، ولذا وقعت فيه أخطاء فاحشة ربما ما خلت منها صفحة من صفحاته، إذ لم يكن تصويراً لمصحف مخطوط، بل جاء بطريقة تنفيذ الحروف.

فمن أخطائه¹ - كما يشير صبحي الصالح - وضع كلمة مكان كلمة أخرى، ككتابة الذي مكان التي من قوله تعالى: ﴿بَاتَّفُوا النَّارَ الَّتِي وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ الَّتِي يَلْعَبُونَ﴾ [البقرة: 24].

ومن أخطاء هذا المصحف المطبوع وصل ما لا ينبغي وصله من الكلمات، مثل: وصل (يوم هم) في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: 13]، وغير هذا كثير مما يدل على المعرفة السقيمة باللغة العربية وقواعدها².

¹ ينظر: صبحي الصالح، ص 99.

² معظم ما ورد في هذا المبحث مستخلص من كتاب: رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، ص 601-609، فليُنظر: هناك.

ومما يلاحظ في رسم أحرف هذا المصحف أن طابعه لم يلتزم الرسم العثماني بل اختار له الرسم الاصطلاحي، لذا جاءت ألفاته المحذوفة مثبتة في الغالب على ما يجري اللفظ، وكان ضبطه موافقاً لطريقة الخليل وأهل المشرق.

أما في سنة 1877م فظهرت المصاحف المطبوعة في دار الخلافة العثمانية ومصر والهند وغيرها من دول العالم الإسلامي، وقد طُبع مصحف في قزان في عام 1877م بحروف المصحف المطبوع في هامبورغ، ومما يُلاحظ على هذه الطبعة أن الأخطاء كانت قليلة بالنظر إلى الطبعة السابقة، غير أن القائمين على طبع هذا المصحف حرصوا على الإشارة إلى مواطن الخطأ وأشاروا إليها في الخاتمة بكتابة الصواب.

وجاء ضبط هذا المصحف على طريقة أهل المشرق في معظم علاماته الضبطية، ولم توضع في هذا المصحف أرقام للآيات، وجاءت علامات الوقف مثبتة فوق السطر.

ويقع هذا المصحف في 534 صفحة و09 صفحات فهرس في آخره، ولم يُخالف هذا المصحف غيره من المصاحف القديمة، فقد التزم فيه طابعه الرسم العثماني، إذ جاء رسم الألف كما يطلبه الرسم المصحفي إثباتاً وحذفاً وزيادة ونقصاناً في واوه ويائه، كزيادة الياء التي نراها في مصاحفنا الحالية في كلمة (بأيدي)، وحذف الألف التي بعد واو الجمع من الفعل (جاءو).

ولم تكن جميع المصاحف المطبوعة جارية على طريقة تنفيذ الحروف بل كان أغلبها على تصوير مصحف مخطوط بطريقة ما، كما هو حال المصحف الذي طبع في ليبسك على أصل مصحف مخطوط، على يد الخطاط التركي المشهور بحافظ عثمان (1110هـ)، كتبه في سنة (1094هـ).

وقد اشتهر بمصر في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي مصحف خطّ حروفه رضوان بن محمد الشهير بالمخللاتي صاحب مؤلف (إرشاد القراء والكتّابين إلى معرفة رسم الكتاب المبين)، وطُبع هذا المصحف (1308هـ/1890م)، وقد حرص في طبعة هذا المصحف بالالتزام بالرسم العثماني.

غير أن المصحف الذي نال الشهرة وفاق كافة المصاحف المطبوعة هو ذلك المصحف الذي تولت الإشراف على طبعه لجنة علماء الأزهر في مصر، وقد كتبه بخطه الشيخ محمد علي خلف الحسيني سنة (1377هـ) وظهرت أول طبعة له سنة (1342هـ-1923م). وقد ضُبط هذا المصحف على ما وافق رواية حفص عن عاصم، مستعملاً علامات الخليل بن أحمد وأتباعه من المشاركة، وكان رسم علامة السكون في هذا المصحف كالتالي في المصاحف الحالية برواية حفص عن عاصم؛ رأس خاء غير معجمة، مأخوذة من أول كلمة (خفيف)، وهو مذهب الخليل وسيبويه، وعليه أيضاً كان عمل ابن البواب في المصحف الذي كتبه في أواخر القرن الرابع الهجري (391هـ).

ولم يتبين أمر طباعة المصاحف - عند غانم قدوري - لدى أهل المغرب من حيث تاريخ بدايتها، ورأى أنه ربما لم تتأخر كثيراً عن بداية طبع مصاحف أهل المشرق، ولم يتغير شكل طباعة المصاحف بالخط المغربي في كثير من طريقة رسم الكلمات أو ضبطها، إلا ما قد تُحتمه ضرورة الاكتفاء بلون واحد أثناء الضبط لعدم تيسر إظهار ألوان الضبط المختلفة من حمرة أو صفرة¹.

ويجري ضبط المصاحف على طريقة أهل المغرب والأندلس كما بينها الخراز في نظمه الذي ذيل به (مورد الظمان) في الحركات الثلاث وفقاً لعلامات الخليل، أما

¹ ينظر: رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، ص 605.

الفتحة الممالة فيُشار إليها بنقطة تحت الحرف، والسكون دائرة، والتشديد رأس شين، وعلامة المدّ مطّة أخذت من كلمة (مد) وبعد التعديل فيها صارت على هذا الشكل (٢) ¹.

وإذا تأملنا في المصاحف المطبوعة بالخط المغربي، فلن نلاحظ اختلافاً كبيراً لعلامات الضبط التي ذكرها الخراز، ويبدو أنه في مصحف طبع في مصر تابعته لجنة تصحيح المصاحف إشرافاً ومراجعةً وكان برواية ورش عن نافع، نجد الحركات الثلاث هي تلك العلامات التي وضعها الخليل، غير أن الضمة صارت تشبه قوساً أو هلالاً صغيراً، وبدت علامة السكون دائرة مفرغة الوسط على خلاف ضبطها برواية حفص عن عاصم التي كانت على شكل حرف الخاء؛ وهو ما أدّى إلى الخلط في قراءة كل ما رُسم فوقه سكون بأنه يُلفظ كالدارة التي توضع على واو "أولئك" وهي ليست على شيء من علامة السكون لأنها دارة ترسم دلالة على زيادة الحرف من غير أن يلفظ به حالها كحال ما وُضع فوق ألف (أنا)، لكنه بالرغم من هذا لم يمدّها من يقرأ في المصحف وإن برواية ورش ما دام لم يعقبها همز مثل: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ﴾ [النمل: 39].

"أما علامة الهمزة - كتابةً ورسمًا - فقد جعلت رأس عين مثل ما هي عليه عند أهل المشرق، ويبدو أن عدم إمكان تحقيق نقطها بالصفرة في الطبع هو الذي دفع إلى العدول عن النقطة الصفراء إلى رأس العين، أما همزة الوصل فهي كما وصف الخراز، إلا أن الجرة الحمراء والنقطة الخضراء جعلتا بنفس لون الكتابة، وهو السواد، لأنها لا تلتبس بغيرها، بعد أن جعلت الهمزة المحقّقة رأس عين،

¹ ينظر: دليل الحيران على مورد الظمان في فني الرسم والضبط، منظومة شيخ القراء محمد بن محمد بن إبراهيم الشهير بالخراز، شرح إبراهيم المارغني التونسي، دراسة وتحقيق عبد السلام محمد البكاري، دار الحديث، القاهرة، سنة الطبع: 1426هـ/2005م، ص 362-372.

وعلامة إمالة الفتحة قصيرة أم طويلة هي نقطة بالسواد تحت الحرف الذي تليه الفتحة، أما الحرف الزائد فعليه دائرة بالسواد تُشبه دائرة السكون¹.

أما نقط الفاء والقاف فبخلاف ما جرى عليه عمل المشاركة؛ إذ نقط الفاء بواحدة من أسفل ونقط القاف بواحدة من أعلى.

على أن بعضاً من الخطّاطين ونسّاخ المصاحف لم يكونوا على دراية كافية بصور هجاء الكلمات كما جاءت في المصاحف العثمانية، لذلك نجدهم يستعملون ما تعارف عليه الناس من الهجاء في زمانهم خاصة في ما يتعلق بإثبات الألف في الكلمات التي حُذفت منها، ونجد هذه الظاهرة جلية في المصحف الذي كتبه ابن البواب (ت413هـ) في سنة (391هـ).

ويذكر غانم قدوري بعض الاستشهادات من خلال قراءته في الصفحات التي اطلع عليها قال: "فأكثر الكلمات التي جاءت محذوفة الألف أثبتت فيها سواء كانت جمعاً سالماً أم ألف ياء النداء أم غير ذلك، ونجد بعض الفتحات الطويلة الموسومة ياء قد رُسمت بالألف، خاصة المتوسطة مثل: كلمة (مأواهم)، كذلك نجد (الصلوة) مكتوبة بالألف.

ونلاحظ مثل هذه الظاهرة في عامة المصاحف التي ترجع إلى فترة لاحقة لعصر ابن البواب، من ذلك - مثلاً - ما نجده في مصحف كتبه في سنة (690هـ) الخطّاط البغدادي المشهور ياقوت المستعصمي (ت698هـ)، حيث تظهر كافة الألفات المحذوفة ثابتة، كذلك نجد كلمة الليل - مثلاً - قد كُتبت بلامين²، فهل

¹ رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، ص 607.

² المصدر السابق، ص 607-608.

كان هذا مسaire لعصرهم أم أرادوا بذلك وجهاً آخر من غير أن يولوا أهمية لمرسوم المصاحف الذي هو سنة يجب أن تُتبع.

وحتى لا ينفلت الأمر من يد أهله، وربما تولاه من لا يقدرُ العواقب وهو لا يدري أنه بتساهله وتسامحه مع الرسم المصحفي واستبداله وإن في جزئيات بسيطة بالرسم القياسي بحجج واهية أو مدعمة من الواقع - على ما بدا له في خضم هذا وذلك - وأعداء الإسلام يتربصون بهذا الدين وبالقرآن خاصة؛ فقد أصدرت " لجنة الفتوى في الأزهر سنة (1355هـ) فتوى بعدم جواز طبع المصحف الكريم بقواعد الإملاء الاصطلاحي الذي يستعمله الناس اليوم ورأت لزوم الوقوف عند المأثور من كتابة المصحف وهجائه.

لكنها ترى أيضاً جواز التنبيه في ذيل كل صفحة على ما يكون فيها من الكلمات المخالفة للرسم المعروف.

وقد جرى على هذه الطريقة الشيخ عبد الجليل عيسى في التفسير الذي جعله على هامش المصحف الذي أشرفت على كتابته وضبطه وطبعه لجنة من علماء الأزهر فقد أعطى لكل كلمة في نص المصحف جاءت على غير المشهور من قواعد الهجاء المعروفة اليوم رقماً متسلسلاً في كل صفحة، وبين رسمها المعروف بين الناس في أسفل الصفحة، وتحققت بذلك المحافظة على الرسم العثماني والتيسير في القراءة في المصحف المكتوب بالرسم العثماني المضبوط التي بينت في المباحث السابقة¹.

وقد سار على النهج نفسه طابع مصحف الشروق المفسر الميسر - وجاء بالقراءتين؛ رواية حفص عن عاصم ورواية ورش عن نافع - الذي قام بمراجعته

¹ رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، ص 609.

على قواعد الرسم العثماني لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر المكونة من الأساتذة:
الشيخ أحمد علي مرعي. الشيخ رزق خليل حبة. الشيخ محمد الصادق قمحاوي.
وآخرون¹.

جاء رسم كلمات القرآن في هذا المصحف على غرار ما ترسم به بقية
المصاحف؛ فقد رُوِيَ في صفحاته ما رُوِيَ في غيره من المصاحف الأخرى،
إثباتاً وحذفاً، وكتبت آيات القرآن في إطارها من الصفحة في مستطيل مزوق،
وضعت علامة الأرباع والأنصاف خارج المستطيل، وخصص هامش الصفحة
الذي على اليمين لشرح الكلمات شرحاً موجزاً بذكر رقم الآية حتى تسهل العودة
إلى الكلمة، ثم رسم مستطيل في أسفل الصفحة ضُمن الكلمات التي خالف
رسمها الرسم القياسي بكتابتها كتابة إملائية مرقمة ترقيماً هامشياً، بحيث توضع
الأرقام متسلسلة فوق الكلمات المراد رسمها رسماً إملائياً.

ومن الأمثلة على ذلك في الصفحة الثالثة من هذا المصحف التي ابتدأت آياته ب
(ألم... إلى الآية الرابعة: هم يوقنون) فوضعت أربعة أرقام بغية رسم كلماتها بالرسم
العادي وهي: 1- ألف لام ميم 2- الكتاب 3- الصلاة 4- رزقناهم.

وقد يصل التهميش إلى أكثر من أحد عشر رقماً توضع بحسب ورودها في
كلمات الصفحة، بل بلغت أرقام كلمات صفحة 183 وهي من سورة الأعراف من
قوله تعالى: ﴿قَلَمًا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا
مُوسَى﴾، أي (من الآية 135 إلى الآية 142)، وصل الترقيم إلى الخمسة عشر
إشارة وهي على التوالي: بالغوه، فأغريناهم، بآياتنا، غافلين، مشارق، مغاربها،

¹ يُنظر: مصحف الشروق المفسر الميسر مختصر تفسير الإمام الطبري، دار الشروق، صل.

باركنا، كلمة، إسرائيل، وجاوزنا، يا موسى، باطل، العالمين، أنجيناكم، وواعدنا.

وما يلاحظ هنا من إثبات هذه الكلمات - وهي من صفحة واحدة-، قد جمعت بعض قواعد الرسم، الذي من جملته: الثابت والمحذوف، كحذف ألف المد التي تلي حرف النداء وهي ظاهرة في الكتابة المصحفية، وحذف ألف المد الذي في الضمير (نا) المتصل بالأفعال الذي يعقبه ضمير نصب "كأنجيناكم" يُضاف إلى هذا رسم التاء المربوطة تاء مفتوحة مثل التي في عبارة (كلمة) من قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف:137]

ووضعت أيضاً علامات الوقف كما هو معمول به في باقي المصاحف المطبوعة على رواية حفص.

ثم ختم المصحف بقسم خُصَّص للتعريف بهذا المصحف بذكر نوع الكتابة التي كتب بها والضبط الذي وافق رواية حفص عن عاصم، وأشار أيضاً إلى أنه أخذ هجاؤه مما رواه علماء الرسم عن المصاحف التي بعث بها عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى البصرة والكوفة والشام ومكة، والمصحف الذي جعله لأهل المدينة، والمصحف الذي اختص به نفسه، وعن المصاحف المنتسخة منها¹.

وذكر في هذا التعريف طريقة الضبط التي قررها علماء الضبط على حسب ما ورد في كتاب "الطراز على ضبط الخراز"، وبالجملة فقد جاءت إشارات في الختام إلى اتباع عدد الآيات، وبيان أوائل أجزاءه الثلاثين وأحزابه الستين، وبيان مكّيه ومدنيّه وبيان وقوفه وعلاماتها، والسجدات ومواضعها، والسكتات الواجبة عند حفص

¹ مصحف الشروق، صاً من أواخر صفحات هذا المصحف، ومعظم ما لخص يقع في هذه الصفحات المرقمة ب (أ إلى ل).

من " الشاطبية وشراحها" والتلقي من أفواه المشايخ، وكان لهذه التخريجات تعويل على ذوي الاختصاص من القدامى خاصة وبعض المحدثين عامة.

أما اصطلاحات الضبط فجاءت موضحة لما وُضع فوق الحروف من أشكال تؤدي غرض التلاوة وتيسر المبهم من المرسوم العثماني، وهي زيادات ذات معنى قد لا يدرك كنهها إلا بعد اطلاع أو أخذ عن شيخ مشافهة ومنها: وضع الصفر المستدير، والصفر المستطيل القائم فوق ألف بعدها متحرك ووضع رأس خاء صغيرة، وتعرية الحرف من علامة السكون على اختلاف في أداء الذي بعده إن إدغاماً وإن إخفاءً، ورسم التنوين بطرقه وحركاته، والحروف الصغيرة الدالة على أعيان الحروف المتروكة في المصاحف مع وجوب النطق بها نحو: ذلك، داورد، يلوون، إن ربه، كان بهي بصيراً، ومسائل أخرى ضبطية قد لا تظهر إلا بالقراءة في المصحف، والاستفسار عنها أمر في غاية الأهمية.

وأرى أنه من الواجب ذكره إضافة إلى ما جاءت به مطابع طبع المصاحف وبعد عرض نموذج "مصحف الشروق" الذي كان على رواية حفص، فقد دعت الحاجة إلى التماس ما يرفع الغبن عن القارئ في الديار المغربية برواية ورش عن نافع، فعثر - بحمد الله - على "مصحف التجويد" وهو يضم الجزء الأخير من القرآن " جزء عم".

في هذا الجزء من المصحف الذي أراد طابعه ومخرجه بعد الترخيص له بالطبع والنشر نراه قد جعل على هامش صفحاته كلمات القرآن تفسير وبيان.

لا شك أن القارئ فيه ومن أراد أن يحفظ سورَه سيجد ضالته إن من حيث القراءة السليمة، وإن من حيث ترتيل حروفه لما دُوِّنَ فيه من كتابة وترميز واستعمال ألوان يوضحها شرح لمدلولها، كل لون له ميزة خاصة جاءت في شكل

أحكام من (النقل، التسهيل، والإبدال، والتقليل، والإمالة، والمدود، والإدغام، والإخفاء، والإظهار، والإقلاب، والتفخيم، والترقيق، والقلقلة...) وشرحها - كما أشار - في آخر المصحف الشريف إلى التعريف بهذا المصحف.

ولما كان هذا المصحف يضم - في صفحاته - الجزء الثلاثين، فإن طباعته جاءت مرقمة بالتسلسل حتى صفحات التعريف ذات الصبغة التوضيحية بما حوت من عناوين ترصد في التالي:

- تعريف بهذا المصحف.
- الوقف ومصطلحات الضبط لرواية ورش.
- أمثلة على الأحكام المطبقة في هذا المصحف الشريف.

ثم ختم المصحف بملاحظة، هذا نصها:

" عند توقف القارئ عند أي من إشارات الوقف، يتعطل أداء الحكم الأصلي الملون، ويتم التعامل مع الحرف وكأنه أسود عادي.

كما أنه عند الوقف: يجب أن يعامل حرف المد (الموجود قبل الحرف الأخير من الكلمة) معاملة المد الجائز العارض لسكون، ويتم كذلك قلقلة حروف (ق، ط، ب، ج، د) وإلغاء حركاتها من آخر الكلمة.

علماً أن صفات الحروف ومخارجها، لا بد من سماعها لتأديتها بشكل صحيح من خلال التلقي... لأن هذا المصحف الشريف لا يغني عن التلقي"¹.

ويجب أن يُشار هنا إلى أن المصحف الذي جاء برواية حفص أي (مصحف التجويد) لم يكتف طابعه بتلك التوضيحات التي جاءت مشتركة بين المصحفين،

¹ مصحف التجويد، جزء عم، برواية ورش عن نافع، دار المعرفة، ط 1429/9هـ، ص 32.

بل سجل في صفحاته الثلاث والستين مواضيع تناولها القرآن الكريم، وجاءت مبنية ضمها فهرس مواضيع القرآن الكريم بعناوين متقنة؛ دلّ فيها الرسم باللون الأحمر على رقم السورة، والرسم باللون الأسود على رقم الآية¹.

ثم يُختتم هذا المصحف، ومصحف التجويد " جزء عمّ " بما سبقت الإشارة إليه من تعريف بهذا المصحف وما تلاه² من محاور.

¹ ينظر: مصحف التجويد، ط4/1420هـ، ص1.48.

² ينظر: المصحف نفسه، ص49-63.

ثالثاً : تعريف بالمصحف الشريف برواية ورش عن نافع

لما شاعت رواية ورش في المغرب الإسلامي وطُبع المصحف بما يوافق هذه الرواية كان إلزاماً على البحث أن يستقرئ المصحف الشريف المكتوب بهذه الرواية، التي جاءت بعض حروفه وكلماته مخالفة لرواية غيره مما أثبتته خط المصحف في رواية حفص مثلاً.

وقد توافر لدي مصحف برواية ورش أشرفت على طبعه دار ابن كثير الشامية وبخاصة في طبعتها الخامس عشرة، وقد كتب بالرسم العثماني بخط الخطاط عثمان طه، وخُتم بعد آخر سورة، وبعد فهارس السور بتعريف بهذا المصحف، جاءت مباحثه في غاية الإيجاز موفية بما يرغب فيه القارئ المبتدئ والضليع فسطر عناوين بحثت في القراءة التي ضبط وفقها هذا المصحف، والهجاء الذي اعتمد فيه، وطريقة الضبط، ومصادر فرز المكي من المدني، ومواضع السجودات.

ثم تلا ذلك تعريف باصطلاحات الضبط المشكلة أحياناً من جرات وأحياناً من نقط وأخرى من حروف وهي علامات الحروف المحذوفة المدية في الرسم، ألحقت بمرسوم المصحف بعد أن كانت متروكة لكن مع وجوب النطق بها وأخيراً من ذكر علامة الأوقاف الهبطية وهي المشار إليها برمز (ص) وهي أول كلمة (صه).

وقد ارتأيت أن أتبعها مصطلحاً مصطلحاً نظراً لأهميتها وتماشياً مع ما رتبها القائمون على طبع المصاحف، وهي في معظمها ملخصه من تلخيصهم لها:

1- القراءة التي ضُبط وفقها هذا المصحف

جاء ضبط هذا المصحف على ما يُوافق رواية أبي سعيد عثمان بن سعيد المصري الملقب بورش (ت 197هـ) عن نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني

(ت169هـ) عن أبي جعفر يزيد بن القعقاع القارئ، وأبي داود عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وشيبة بن نصاح القاضي، وأبي عبد الله مسلم بن جندب الهذلي مولاهم وأبي روح يزيد بن رومان، عن أبي هريرة وابن عباس وعبد الله بن عياش ابن أبي ربيعة، عن أبي بن كعب، عن النبي صلى الله عليه وسلم¹.

وضبط هذا المصحف بما يوافق طريق أبي يعقوب الملقب بالأزرق كما رواها أبو عمرو الداني، عن أبي القاسم خلف بن إبراهيم بن محمد بن خاقان، عن أبي جعفر أحمد بن أسامة التجيبي، عن إسماعيل بن عبد الله النحاس عن الأزرق المذكور. وقد شاع هذا الطريق بالمغرب الإسلامي خاصة.

ولم يورد ابن النديم ذكر اسم ورش في تسميته من روى عن نافع² مع أنه من أهم رواته.

وجاء لقب أبي سعيد بورش لشدة بياضه، إذ الورش يُطلق في أصل اللغة على شيء يصنع من اللبن، فيصح أن يُضرب به المثل في البياض³.

رحل ورش إلى المدينة كما يذكر الزرقاني فقرأ على نافع ختمات سنة (155هـ) -، ثم رجع إلى مصر فانتهدت إليه رياسة الإقراء بها، وكان حسن الصوت جيد القراءة⁴.

2- الهجاء المعتمد في هذا المصحف :

لم يخرج هجاؤه ورسم حروفه عما رواه علماء الرسم عن المصاحف العثمانية وعن المستنسخة منها، وروعت قراءة نافع برواية ورش فطُبع المصحف على

¹ ينظر: مصحف: القرآن الكريم بالرسم العثماني برواية ورش لقراءات الإمام نافع من طريق أبي يعقوب الأزرق، دار ابن كثير، ط11/1424هـ-2003م، صز (G)

² ينظر: الفهرست، ص142.

³ ينظر: القاموس المحيط، مادة ورش.

⁴ يُنظر: مناهل العرفان-ج1/461.

وفقها، كما روعيت القواعد المستنبطة لعلماء الرسم من الأهجية المختلفة بحسب ما رواه الداني وأبو سليمان بن نجاح مع ترجيح الأخير حين الاختلاف.

لكن وافقت في عمومها حروف هذا المصحف نظير ما خط في المصحف الإمام المكتوب في زمن عثمان رضي الله عنه بإجماع الصحابة.

والعمدة في بيان كل ذلك ما حققه الخراز في منظومته "مورد الظمان"، وما قرره شارحها المحقق عبد الواحد بن عاشر الأندلسي¹.

3- طريقة ضبط هذا المصحف :

سارت طريقة ضبط المصحف على نهج ما قرره علماء الضبط حسب ما أقره إبراهيم المارغني التونسي في كتابه "دليل الحيران على مورد الظمان في فني الرسم والضبط"، مع إبدال علامات ضبط الأندلسيين والمغاربة بعلامات الخليل بن أحمد وأتباعه من المشاركة؛ لشهرتها وسهولتها وكثرة انتشارها ببلاد المغرب فضلاً عن غيرهم ولعلم الخاص والعام بها بخلاف علامات المغاربة التي تلقاها الخاصة منهم ومن تلقاها عنهم.

ومن الأمثلة على ذلك - كما هو مشهور في كثير من مصاحفنا ببلاد المغرب الإسلامي - نقط القاف بواحدة من فوقها والفاء بواحدة من تحتها، وإخلاء النون والفاء والقاف من النقط حال تطرفها، أمّا الياء فاتفق المشاركة والمغاربة في ترك نقطها عند التطرف، وتُعرف بضبطها كلفظة (ائني) في قوله تعالى: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَفِيبًا﴾ [المائدة:12] وإن كانت تُكتب في مصاحفنا - ببلاد المغرب

¹ هذا المحور وما يليه من محاور يعد تلخيصاً من تعريفات المصحف الشريف وضبطه، لذا يُحبد أن يُرى المصحف في خاتمته.

الإسلامي - معقوفة إلى الراء (اثنى)، وكذا باقي الياءات في آخر الكلمة إن مع الاسم أو الفعل، بخلاف الألف المقصورة في الفعل والاسم، فإنها لا تردّ إلى الخلف، وهي تابعة إلى قاعدة العقص والوقص مثل لفظة: إلى وعلى ومتى وموسى ويحيى، وقد تأتي مخالفة لأصلها فترسم ألفاً - وأصلها الياء - كالتي في الفعل طغى، رُسِمَت (طَغَا)¹.

4- طريقة عدّ آيات هذا المصحف، وبيان أجزائه وأحزابه ومواضع السجّدات :

أتبع في عدّ آياته طريقة الكوفيين التي جاءت مروية عن أبي عبد الرحمن بن حبيب السلمي عن علي بن أبي طالب، بحسب ما ورد في كتاب "ناظمة الزهر" للشاطبي وشرح أبي عيد رضوان المخللاتي عليه ومن كتاب عمر بن محمد بن عبد الكافي، وكتاب "تحقيق البيان" للشيخ محمد المتولي.

وعليه فقد بلغت أي الذكر الحكيم في عدّهم ستة آلاف ومائتين وستاً وثلاثين آية (6236)؛ بينما بلغت في العد المدني الأخير (6214) آية.

أمّا تحديد أجزائه - الثلاثين - وأحزابه - الستين - وأنصافه وأرباعه وأثمانه فقد أخذت من "غيث النفع" للسفاقي، و"ناظمة الزهر" للشاطبي وشرحها، و"إرشاد القارئ والكاتبين" للمخللاتي، ومن المصاحف المغربية.

وقد نجد اختلافاً طفيفاً بين تجزئة مصاحفنا برواية ورش عن مصاحف المشاركة الحالية برواية حفص عن عاصم، ومن ذلك مثلاً بداية الحزب العاشر؛ ففي مصاحفنا برواية ورش بدايته الآية 87 قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ؛

إِلَى يَوْمٍ لِّلْفَيْلَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: 87]، لكن في

¹ مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: 11].

مصاحف المشاركة برواية حفص فتكون بدايته الآية 88 أي قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ [النساء: 88].

أما مواضع السجادات - سجادات التلاوة - وقد وُضعت هذه العلامة لتمييزها (***) وكانت صورة المحراب أو صومعته في السطر، وهي دائماً بعد تمام الآية، وتأتي كلمة تدل على موضع السجدة ويوضع خط فوق كلمة يُذكر فيها لفظ سجد أو يسجد كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٥٠﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: 49-50].

رابعاً : مصادر تحديد مواضع الوقف ، وعلامات الوقف الهبطية (ص)

جاء بيان وقوف هذا المصحف وعلامته مما اختاره الشيخ محمد بن أبي جمعة الهبطي الصماتي المتوفى بفاس (ت930هـ) لاعتياد أهل المغرب ونشأتهم عليها والتزامهم بها، إذ لا يفوت الحافظ في المساجد أو الكتاتيب وأماكن الحفظ أن يعيها بدقة بل ويحفظها وقفاً وقفاً.

لكن هذه الوقوف لا تُعدّ ملزمة، وإنما هي اجتهاد تُلقَى بالقبول وسار العمل بها عند المغاربة رغم مخالفة بعض أهل العلم في ذلك وإعلانهم النكير في بعض اجتهاداته كما وضّح كاتب هذه الاصطلاحات والتعريفات.

ولم يقع إجماع العلماء على نكيرها، بل قرروا أن جلّ هذه الأوقاف الهبطية حسنة تامة وكافية، وليس بينها وقف قبيح، ومما سطرته ونهت إليه تعريفات هذا المصحف أن بعض لجان تدقيق المصاحف المطبوعة برواية ورش في الأزهر والسعودية خالفت بعض وقوف هذا المصحف لمصلحة رأتها في ذلك، ولوجوه واعتبارات حملتها على ذلك، لأن الوقف جاء ليخدم المعنى وليساعد على التدبر. إلا أن ما أثبت في هذا المصحف كما رضيت به اللجنة حافظ على الأوقاف الهبطية كاملة، دون تصرف.

واقترنت علامة الأوقاف الهبطية على رسم حرف (ص) فوق الكلمة المراد الوقوف عليها، وهي المتبعة عند المغاربة، مأخوذة من أول كلمة (صه) وهو الرمز الوحيد المستعمل لهذا الغرض، على خلاف ما أثبت من رموز وقف في المصاحف المطبوعة على ما يوافق رواية حفص، نحو: (ج، لا، م، صلي، قلي، وغيرها).

وجاء وضع علامة الوقف (ص) على الكلمة سواءً كانت في وسط الآية أو كانت آخر كلمة من الآية.

وقد دافع أصحاب كتاب "الدليل الأوفق إلى رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق" في آخر محاور الكتاب في عنوان "الملحق الثالث في الوقف والابتداء"، وبعد أن ذكروا أحكام الوقف والابتداء ممهدين لها بالتعريف مبرزين أهمية معرفتها، ومراتب الوقف، ثم جاؤوا إلى المحور الأهم وهو: أوقاف الهبطي، فتناولوا العالم بتعريف موجز اتبعوه بمبحث "صحة أوقاف الهبطي" ليذكروا قبل الختام "أمثلة لما انتقد من أوقاف الهبطي"، ثم يختمون وقفتهم بمحور "مناقشة بعض هذه الانتقادات".

ولما كانت مصاحفنا في دول المغرب عموماً مصطلحة في وقفها على ما أقره - باجتهاده - الهبطي، والتماساً للتوضيح أرى أنه يجب على البحث تلخيص مضمون ما توصل إليه هؤلاء العلماء في كتابهم القيم: "الدليل الأوفق إلى رواية ورش عن نافع عن طريق الأزرق"¹.

فعن الوقف من حيث معناه في اللغة، الكف عن الفعل والقول ويُراد به القطع والحبس، ومن حيث الاصطلاح: قطع الصوت آخر الكلمة زمناً ما بنية استئناف القراءة، وأن تكون مدة قطع الصوت بمقدار ما يتنفس فيه القارئ عادة، وأقل منه السكت الذي هو من غير تنفس، قال محمد مكي نصر: "قال الهذلي في كامله: الوقف حلية التلاوة وزينة القارئ وبلاغ التالي وفهم المستمع وفخر العالم، وبه

¹ ينظر: كتاب: الدليل الأوفق إلى رواية ورش عن نافع عن طريق الأزرق، تأليف الأستاذ: مصطفى الجحاوي وعبد الهادي حميتو وعبد العزيز العمراوي، نشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الطبعة الأولى، 1430هـ-2009م، ص 455-468.

يُعرف الفرق بين المعنيين المختلفين والحكمين المتقاربين، وقال أبو حاتم: من لم يعرف الوقف لم يعرف القرآن.

وقال ابن الأنباري: "من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء، إذ لا يتأتى لأحد معرفة معاني القرآن إلا بمعرفة الفواصل"¹

وقال أبو جعفر النحاس، يذكر أهمية الوقف والابتداء لما لهما من منزلة عظيمة، حتى غدت معرفتهما متأكدة في حق من يتلو كتاب الله عز وجل، قال: "وهو علم يحتاج إليه جميع المسلمين، لأنهم لابد لهم من قراءة القرآن ليقرؤوه على اللغة التي أنزله الله بها، وهو فضلها ومدحها، فقال جل ثناؤه: ﴿بَلِّسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء:195] وقال عز وجل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ وَإِن كُن لَّآلِئِن سَنَّ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن:1-2]، فمن البيان تفصيل الحروف والوقف على ما قد تم، والابتداء بما يحسن الابتداء به، وتبيين ما يجب أن يُجتنب من ذلك"².

وللوقف مراتب، قسّمها الأئمة إلى تقسيمات، أشهرها أربعة: ثلاثة جائزة وهي الحسن والتام والكافي، والرابع ممنوع وهو القبيح³.

قال الشيخ محمد بن الطيب الفيلاي جامعاً الأنواع المتقدمة في الوقف:

"و من تمام الحذق والإتقان أن تعرف الوقف في القرآن

¹ كتاب المحجة في تجويد القرآن - مقرأ نافع، رواية ورش، مذهب الداني، تأليف محمد الإبراهيمي، مكتبة السلفية، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1410هـ-1990م، ص264-265.

² الدليل الأوفى إلى رواية ورش عن نافع عن طريق الأزرق، ص455 نقلاً عن كتاب القطع والاتلاف، ص19-20.

³ ينظر: المصدر نفسه، ص456-459، وجميع مصادر علوم القرآن والكتب التي اختصت بعلم الوقف والابتداء، مثل: المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء لأبي يحيى زكريا الأنصاري (ت926هـ)، تحقيق: جمال الدين رفاعي.

ولا تقف إلا على التمام أو حسن كاف من الكلام

ولا تقف قبل محل الوقف فذلك لحن عند أهل العرف"¹

فعدّ من اللحن الوقف على ما لا يجب الوقف عليه أو قبل محل جواز الوقف.

1- أوقاف الهبطي ومدى صحتها :

وقبل التعرض إلى ما عمله في فن الوقف من وقوف، يجدر بنا أن نترجم له ولو في عجالة، فقد عرفه أساتذة مؤلف "الدليل الأوفق": هو أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة الهبطي الصماتي، قال الشيخ محمد بن جعفر الكتاني في سلوة الأنفاس: ومنهم الشيخ الإمام العالم العلامة الهمام الفقيه الأستاذ المقرئ الكبير النحوي الفرضي الشهير الولي الصالح والعالم الواضح أبو عبد الله سيدي محمد بن أبي جمعة الهبطي... وقد كان رضي الله عنه عالم فاس في وقته، عارفاً بالقراءات مرجوعاً إليه فيها...

وقد اختلف في تاريخ وفاته ومكان دفنه، والذي ذكره صاحب سلوة الأنفاس أن وفاته كانت عام ثلاثين وتسعمائة (930هـ) ودُفن بمدينة فاس.

أما مؤلفات الشيخ الهبطي فلم تذكر له المصادر التاريخية منها إلا هذا الوقف الذي بين أيدينا، بل إن بعضها ينسب هذا الوقف لغير الهبطي"².

لم يحظ الهبطي بما حظي به غيره من العلماء من حيث التعريف به بل بخسته المصادر حقه في ذلك، بالرغم من جمع خصال العلماء في التحصيل والمعرفة في شتى أنواع العلوم دينية كالقراءات وعلم الفرائض والفقه، ولغوية كالنحو، لذا

¹ الدليل الأوفق إلى رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، ص 458.

² الدليل الأوفق إلى رواية ورش عن نافع عن طريق الأزرق، ص 459-460.

صار يُرجع إليه للاستفادة، أفلا يكون جديراً بأن يجتهد في وقوف المصحف ويتبعه في ذلك من يتبعه.

ما مدى صحة أوقاف الهبطي؟

ويعنى بالصحة هنا موافقة وقوف الهبطي وما ارتضاه علماء القراءات وسطوره في وقوفهم.

وقد أقر العلماء أنه ليس في القرآن مكان يجب فيه الوقف أو يحرم، وإنما الوقف على سبيل الجواز، إذ لو افترضنا أن قارئاً لا يستطيع أن يقرأ القرآن كله في نفس واحد من غير توقفٍ لما عيب عليه ذلك.

ينقل أصحاب الدليل الأوفق قول الشيخ زكريا الأنصاري عن كتاب "المقصد لتلخيص ما في المرشد" أنه قال: "و لو كان في وسع أحدنا أن يقرأ القرآن كله في نفس

واحدٍ ساغ ذلك"¹.

وأورد قول قبل: "سمعت أحمد بن محمد القواس يقول: "نحن نقف حيث انقطع النفس"².

يشمن هذا المعنى قول ابن الجزري رحمه الله تعالى:

وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ وَقْفٍ وَجِبٌ وَلَا حَرَامٍ سِوَى مَا لَهُ سَبَبٌ

¹ و² الدليل الأوفق، ص 460.

وينبني على قاعدة الجواز هذه - في الوقف - وفيها قد يستوي الطرفان وربما يترجح أحدهما، وضع الإمام الهبطي رحمه الله تعالى أوقافه ليخدم القرآن الكريم ويسر على الحفاظ المبتدئين ويقيهم عواقب الخطأ في الوقف والابتداء.

ولما كانت علوم اللغة وعلوم الشرع من تفسير وفقه وقراءة متداخلة؛ يحتاج إلى التزوّد فيها كل راغب في معرفة أسرار القرآن واستنباط أحكامه وفهمه وتدبره، جاء الهبطي بهذه الوقوف لیسعف بها من لم يتصلع من هذه العلوم، فيقف على ما رسمه له من وقف في المصحف، وقد دلّت إشارة الوقف في المصاحف المطبوعة برواية ورش عن نافع على ذلك بإشارة رمز (ص) فوق الكلمة المراد الوقف عليها. غير أن الناس اختلفوا في وقوف الهبطي بين مؤيد له مدافع عنه بما أوتي من دليل ومعارض له منكر¹.

وإذا ما عوینت أوقاف الهبطي بعین العدل والتمحيص فإنها تُحشر في دائرة تحيط بها أنواع الوقوف من تام وحسن وكاف، ولا تخرج بذلك عن التقسيم الذي وضعه أئمة هذا الفن. وقد ارتضاه الشيخ عبد الواحد المارغني في قوله: "واعلم أن أوقاف الشيخ الهبطي رضي الله عنه كلها مرضية موافقة جارية على قواعد فن القراءات ووقفه، وما تقتضيه العربية وأصولها"².

وأشار الحسن وجاج إلى أن غالب الأماكن التي قيدها الشيخ الهبطي صادفت محل التمام أو محل الكفاية.

ومما يقوي سلامة هذه الأوقاف وسدادها تلقي الناس لها بالقبول الحسن، وبقائهم على العمل بها منذ وضعها إلى يومنا هذا.

¹ ينظر: المصدر نفسه، ص 461.

² الدليل الأوفق، ص 461، نقلاً عن النجوم الطوالع، ص 253.

ولم يكن الهبطي في وقوفه سالكاً مسلكاً لا يُقرّ به من علماء القراءات بل جاءت وقوفه على مذهب الإمام نافع رحمه الله تعالى، وهو مذهب يراعي المعنى والإعراب وقفاً وابتداءً، قال الشيخ أبو زيد المنجرة: "لما كان صنع الهبطي فعل أئمة الاجتهاد مبنياً على مراعاة علم المعاني والبيان وبيان كمال كلام واستئناف آخر ودفعهم إيهام غلط في الفهم تبعه الناس"¹.

2- أمثلة لما انتقد من وقوف الهبطي ومناقشة بعضها :

مما سبق تبين أن بعض العلماء عارض بعض وقوف الهبطي وبعضهم ارتضاها، ويهمننا في هذا المبحث أن يتعرف على من انتقد هذه الوقوف ورأى أن الهبطي لم يُوفق فيها للصواب، غير أنه - كما جاء في كتاب الدليل الأوفق - يلاحظ على هذا الانتقاد أمران أساسيان:

أولهما: قلة هذه المواضع التي ذكرها المنتقدون.

ثانيهما: عدم الدقة العلمية فيما ذهبوا إليه من انتقادات إذ ذكروا تلك المواضع التي بدا لهم فيها خطأ الهبطي، من غير بيان لوجه الخطأ².

ومن أمثلة ما انتقد فيه الهبطي من وقف ما ذكره الشيخ عبد الواحد المارغيني حين قال: "نعم هناك وقوف تُعدّ بالأصابع استشكل وقفه عليها لعدم موافقتها بحسب الظاهر لوقوف علماء القراءة والعربية، منها: وقفه على ﴿حَوَّلَهُ﴾ من قوله عز وجل: ﴿قَلَمًا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ دَهَبًا اللَّهُ يَبُورِهِمْ﴾، وعلى ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾

¹ ينظر: المصدر نفسه، ص462.

² ما يُضرب من أمثلة وما يرد به على أولئك المنتقدين، هو ملخص صفحات: 262-268، من كتاب: الدليل الأوفق فليُنظر: هناك.

من قوله تعالى: ﴿مِنَ آجَلٍ ذَالِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، وعلى اسم الجلالة من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾. وذكر سعيد أعراب أن مما انتقد على الهبطي الوقف على ما يلي:

1- ﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾ من قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:22]. فقد وقف على السبب دون المسبب وهو فلا تجعلوا لله أنداداً.

2- ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ من قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:28]. فقد وقف على المعطوف عليه دون المعطوف.

3- ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ من قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:180]. فقد فصل في هذا الوقف بين الفعل ومرفوعه، أي بين الفعل ونائب فاعله (الوصية).

وعدّ الشيخ أبو شعيب الدكالي رحمه الله تعالى على الهبطي ثلاثة عشر موضعاً غلّطه فيها وأملاها على طلبته منها:

الوقف على ﴿لَا رَيْبَ﴾ من قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَلِكْتَبَ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 02].

ومنها الوقف على ﴿مِنَ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ من قوله تعالى: ﴿مِنَ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [المائدة: 32].

ومنها الوقف على ﴿سَبْعَةٌ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَاقِمْنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: 22].

ومنها الوقف على ﴿مَوْعِدُهُمْ﴾ من قوله تعالى: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَبِي وَأَمْرٌ﴾ [القمر: 46].

وقد نوقشت هذه الانتقادات التي خطأه فيها معارضوه في وقوفه بما ملخصه:

كأن الهبطي لا يبني وقفه على إهمال إعراب أو معنى بل راعى ذلك، لأنه كما سبقت الإشارة يتبع مذهب الإمام نافع رحمه الله تعالى، وهذه الأوقاف التي وُصمت بالضعف، لم تكن كذلك، إذ لكل منها وجه وتوجيه تُخرجه العربية وتقبله، أو دعمه أثرُ عمّن سلف، وتعتمد في الرواية عليه.

وقد ردّ على هذه الانتقادات بما يلي:

1- ففي الوقف على (لا ريب)، قال الداني في الوقف على (لا ريب) كافٍ، وقال نافع (لا ريب) تامٌّ.

وقال أبو زكريا الأنصاري: " (لا ريب) تامٌ، إن رفع "هدى" بـ(فيه) أو بالابتداء، و(فيه) خبره"¹، أي أنه يصح في العربية إعراب قوله تعالى (هدى) خبراً لمبتدأ محذوف تقديره هو يعود على الكتاب، كما يصح إعرابه مبتدأ مؤخرًا والخبر محذوف يتعلق به الجار والمجرور، وقُدِّم الخبر هنا على مبتدئه. وأما الوقف على (لا ريب فيه) فله توجيهه كذلك، ويُعدُّ الوقف هنا من وقوف المعانقة أو وقف التعانق، "وهو الذي يكون فيه وقفان متغايران في المعنى، بحيث إذا وقِف على الموضع الأول أعطى معنىً غير المعنى الذي يكون على الوقف في الموضع الثاني وعلامته (.:)"².

لذا رسموا هذا النوع من الوقف على الكلمتين، لكن أرادوا أن يكون الوقف على إحداهما، على الشاكلة التالية: ﴿ذَلِكَ أَلْكُتَبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة:2].

و تجدر الإشارة أن وقف الهبطي المثبت في مصاحفنا بالمغرب الإسلامي في مثل هذه الآية لا يتعدد مرموزها، بل جاء الوقف على كلمة " لا ريب ص" بل وخلا المصحف من أنواع الوقوف الأخرى أي من رموزها، فلا نجد رمز: ج للوقف الجائز، ولا رمز: لا للوقف الممنوع، ولا رمز: وقف التعانق (.:.:).

¹ المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء، تأليف أبي يحيى زكريا الأنصاري (ت926هـ)، تح: جمال بن السيد رفاعي، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، الطبعة الأولى، 2006م، ص30.

² المحرر في علوم القرآن إعداد د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، الناشر: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، جدة، الطبعة الثانية، 1429هـ-2008م، ص260 وينظر: ما بعدها.

وقد جاء في هامش كتاب "الدليل الأوفق" ما نبه إليه السّمين في الدرّ (على وجه تمام الوقف على " لا ريب" بأن بني تميم لا تكاد تذكر خبر "لا" التبرئة، وذكر في فتح القدير رواية عن نافع بالوقف المذكور...) ¹.

2- أما وقف الهبطي على (ما حوله) من قوله تعالى: "فلما أضاءت ما حوله" وقد اعترض عليه بحجة عدم حصول جواب "لما" فلم يصح الوقف على (ما حوله) بحسب اعتراض ما اعترض - فيُحتجُّ للهبطي هنا والله أعلم - لأن قوله تعالى: "ذهب الله بنورهم" يُعدُّ استئناف كلام جديد، وليس جواب "لما" الذي اعتبر محذوفاً، وهو أحد وجهين ذكرهما الزمخشري في رده على من لا يرى الوقف، قال: "فإن قلت أين جواب لَمَّا؟ قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن جوابه "ذهب الله بنورهم" والثاني أنه محذوف، كما حُذف في قوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ﴾ [يوسف:15]، وكان الحذف أولى من الإثبات لما فيه من الوجازة مع الإعراب عن الصفة التي تحصل عليها المستوقد بما هو أبلغ من اللفظ في أداء المعنى كأنه قيل: فلما أضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين متحسرين على فوات الضوء" ².

ويؤيد وقف الهبطي في هذه الآية على (ما حوله) ما لوحظ في الآية عند المحققين، من ذلك أن لفظة " بنورهم" جاءت بصيغة الجمع في ضميرها مع أن ما يرجع إليه كان مفرداً وهو (ما حوله)، ولعل مقتضى ظاهر الآية أن يُقال فيها: فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنوره - تأويلاً - ولكنه عدل عنه لسر عجيب، وهو أنه لما انطمست بصائرهم، فلم تنتفع بنور الإيمان روعيت الحالة المشبهة، وهي حالة

¹ الدليل الأوفق، ص 465، ينظر: تكملة كلامه في هامش هذه الصفحة.

² الدليل الأوفق، ص 466، عن الكشاف للزمخشري، ج 1/189-199.

عدم انتفاع المنافقين بالنور ولم ترع الحال المشبهة بها، وهي حالة المستوقد الواحد، ولذلك جاء بلفظ النور بدل لفظ النار المبتدأ به في التشبيه، فلما اختلفت الحالتان وقف الهبطي رحمه الله تعالى إشارة إلى أن الظلمات متمكنة من هؤلاء، فلم ينتفعوا بالنار الحسية فضلاً عن انتفاعهم بالنور الرباني على حد تخريج الطاهر ابن عاشور وتفسيره¹.

3- أما في اعتراضهم على الوقف في قوله تعالى: "إن ترك خيراً" بحجة أن هذا الوقف فيه فصل بين الفعل "كُتِبَ" المبني لما لم يسم فاعله ومرفوعه - نائب الفاعل - " الوصية"، فقد أجيب بأن قوله تعالى "الوصية" يعتبر استئنافاً، "و ليس لبيان الموصى به، ويؤيده أن الوصية كانت معروفة قبل الإسلام، والجديد فيها هو بيان لمن هي، وهو قوله تعالى: "للوالدين..." ونائب الفاعل هو الجار والمجرور عليكم، وهذا صحيح عربية، قال ابن عبد السلام: "و لعل هذا مطمح نظر الهبطي، وعليه فالوقف على "خيراً" تام أو كاف أو حسن... وذكر الداني عن نافع أنه وقف تام"².

وحسن الوقف على "خيراً" صاحب المقصد وعلل ذلك بأن " الوصية" رُفعت إما ب " كُتِبَ" أو باللام في " للوالدين"، باعتبار المعنى فيه إضمار أي فقيل لكم الوصية للوالدين، وربما لفظ "الوصية" بالابتداء أي الإيضاء كتب عليكم وعليه كان الوقف حسناً³.

¹ ينظر: التحرير والتنوير، ج1، ص308-309.....

² الدليل الأوفق، ص466-467.

³ ينظر: المقصد لتلخيص ما في المرشد، ص40.

وفيما سبق من أمثلة على وقوف الهبطي دليل على أنه راعى في وقوفه معاني ومقاصد قد يدركها غيره، وقد لا يدركها، وقد يتفق معه غيره فيها وقد يخالفه، ولكن ذلك - كما جاء في الدليل الأوفق - لا يلغي قيمتها واعتبارها¹.

وبعد هذه الإطالة على ما قد يراه بعض المعترضين على أوقاف الهبطي المرسومة في المصحف الذي يقرأ به، ويحفظ به أيضاً المتلقون عن شيوخهم في الكتابات وبخاصة في بلدنا الجزائر والمغرب المجاور، نعود إلى تعريفات المصحف الشريف لاكتمال ما تبقى من محاور، وسيكون المحور التالي جامعاً لما يُلاحظ في المصاحف من زيادات في معظمها توضيحية تفيد القارئ وتُعدّ ضرورية له، ولعل أخذها من شيوخ الإقراء أجدى وأنفع من تعلمها من المصحف، فما هي تلك الاصطلاحات الضبطية؟

¹ ينظر: الدليل الأوفق، ص 468.

خامسا : اصطلاحات الضبط

جاءت اصطلاحات الضبط التي ختمت المصحف بشكل جامع لكل ما حوته كلمات المصحف من علامات يتطلبها الأداء، إن في أول الكلمة وإن في وسطها أو في آخرها سواء جاءت في شكل حروف زيدت كحروف المد التي يطلق عليها اسم الحمرة أو الألف الصغيرة المسماة المحذوفة، أو كتابة النون التي لم يرسمها النُساخ في المصاحف العثمانية، وهذا توضيح لتلك الاصطلاحات.

1- همزة الوصل:

هي الألف التي تأتي في بداية الأسماء أو في فعل الأمر وهي لا تنطق إذا وُصلت بما قبلها، وتُلفظ إذ بُدئ بها غير أنها لا تعدّ همزة خالصة، وكأنها جزء من حركاتها.

وتؤدي الصلة تبعاً للحركة التي قبل ألف الوصل، سواء كانت تلك الحركة لازمة كحركة ألف لفظ الجلالة في قوله تعالى: ﴿فَدُ سَمِعَ اللهُ﴾ [المجادلة:1]، أو عارضة نحو: ﴿أَمِ إِرْتَابُوا﴾، وتراعى هنا الحركة المتقدمة من همزة الوصل وبحسبها تُضبط.

1- فإن كانت فتحة جعلت جرة الصلة فوق الألف، نحو: ﴿فَعَاتَيْنَا الَّذِينَ﴾ [الحديد:27].

2- وإن كانت كسرة جعلت تحتها، نحو: ﴿وَالْفُرَّةَ إِذَا الْحَكِيم﴾ [يس:2].

3- وإن كانت ضمة جعلت في وسطها نحو: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ﴾ [محمد:38].

يدل الضبط في الحالات الثلاث على مكان وضع الجرة التي تتبع الحرف المؤثر فيها وهو الأخير من الكلمة السابقة عليها، إن فتحاً ففوق وإن ضمّاً فوسطاً وإن كسراً فتحت الألف.

وقد اتفقت ألفات الشواهد السابقة في لفظها، فجاءت محرّكة بالفتح في ألفها، لذا كانت نقاطها المرسومة فوق، وهذا أمر يُجلبه المصطلح التالي.

2- النقطة المستديرة () :

تدل هذه النقطة على كيفية الابتداء بألف الوصل سواء في الأسماء أو الأفعال، وتُرسَم في أعلى الألف أو في وسطها أو في أسفلها وقد تتحد مع الجرة وقد تختلف.

1- فإن وُضعت فوق الألف ابتدئ بها مفتوحة نحو: ﴿تَتَفَوَّنَ ۝ أَلذِي﴾ [البقرة: 21-22].

2- وإن وُضعت تحت الألف ابتدئ بها مكسورة نحو: ﴿نَسْتَعِينُ ۝ إِهْدِنَا﴾ [الفاتحة: 5-6].

3- وإن وُضعت في وسط الألف ابتدئ بها مضمومة نحو: ﴿أَنْ ۝ شَكَرْ﴾ [لقمان: 14]. و﴿وَعُيُوبٍ ۝ دَخَلُوهَا﴾ [الحجر: 45-46].

ويجب أن يُشار هنا إلى أن ضبط همزة الوصل تعتريه الحالات الثلاث على خلاف ضبطها في المصحف الذي برواية حفص، فإنها تكتفي بوضع علامة الصلة من غير النظر إلى حركة ما قبلها وهي لا تؤثر في الساكن الذي قبلها بل تبقى على

قاعدة "إذا التقى ساكنان فاكسر ما سبق" نحو: ﴿فُلٌ دُعُوا اللَّهَ أَوْ دُعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [الإسراء:110].

يلاحظ ذلك من خلال ضبط الألف على رواية حفص في المضموم نطق نحو: "أن اشكر"، فهي تضبط على الشكل التالي (أن اشكر) ولا تسلب الألفات صلتها حين تسبق بحرف واحد لعدم الابتداء بها نحو: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [الرحمن:10].

غير أن هذه الألف يهمل ضبطها في المصحف الذي برواية ورش، إن سُبقت بحرف واحد لعدم الابتداء بها نحو: ﴿وَالشَّمْسُ﴾ و﴿بِالصَّبْرِ﴾ فلا توضع جرة ولا تُرسم نقطة.

3- الصفرة المستدير (°):

وهو النقطة المجوفة، يوضع فوق أحد أحرف العلة دالاً على زيادة ذلك الحرف فلا ينطق به في الوصل ولا في الوقف نحو: ﴿يَتَلَوُا صُحُفًا﴾ [البينة:2]، ﴿لَا أَذْبَحْنَهُ﴾ [النمل:21]، ﴿وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ [آل عمران:18]، ﴿مِيس نَبَائِي﴾ [المزسليين] [الأنعام:34]، ﴿بِأَيِّدٍ﴾ [الذاريات:47].

جاء في هامش الصفحة التعليق على ضبط كلمة ﴿بِأَيِّدٍ﴾، فهي تُضبط في بعض مصاحف المغاربة كهذا ﴿بِأَيِّدٍ﴾ بوضع جرة فوق الياء الأولى علامة على سكونها

على خلاف العادة، ويوضع سكون على الياء الثانية دلالة على زيادتها، وليست الجرة بحركة فليُعلم ذلك¹.

وقد رأيتها في المصحف المطبوع عندنا في الجزائر الذي طُبع " بالمطبعة الثعالبية بالجزائر لصاحبها ردوسي قدور بن مراد التركي، سنة: 1356هـ-1937م" بالضبط نفسه ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات:47]، "ص 609 من ترتيب المصحف"، ولعل هذا ما جعل بعض حفظة القرآن يحركون الياء الأولى من الكلمة ظانين أن أصلها الفتح فيقرأونها بحسب مرسوم الضبط وهو خطأ، والأداء خلاف ذلك "بأييد".

4- الصفر المستطيل⁽⁰⁾ :

يوضع هذا الرمز وهو عبارة عن دائرة تمثل في شكلها الصفر المستطيل القائم فوق ألف بعده متحرك إشارة إلى زيادتها وصلًا لا وقفًا نحو: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ [الأعراف:12]، ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ [الكهف:38]، وأهملت الألف التي بعده ساكن نحو: ﴿أَنَا النَّذِيرُ﴾ [الحجر:89]، غير أن ألف "أنا" لا تسقط وصلًا في كل الأحوال في رواية ورش فيثبت مدّها ويُرسم فوقها علامة المد (˘) إذا وليتها همزة مضمومة أو مفتوحة، بخلاف المكسورة فلا تمد بل هي تابعة للحالة السابقة ومن الأمثلة على ذلك:

1- في حالة ضم ما بعدها نحو: ﴿أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ، فَأَرْسِلُونِ﴾ [يوسف:45].

¹ ينظر: هامش صفحة (م)، (M)، من مصحف برواية ورش عن نافع.

2- في حالة تحرك ما بعدها بالفتح نحو: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ

بِهِ﴾ [النمل: 39]، وقد وردت الحالتين بكثرة في القرآن الكريم.

أما الحالة التي جاءت فيها ألف من غير أن تُمدَّ برغم من وجود حرف الهمزة بعدها، إلا أنها محرّكة بالكسر ولم ترد بكثرة فنحو قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: 09]، ولم ترد في القرآن بكثرة.

لكن في رواية حفص لا تُثبت مدات ألف أنا سواء أعقبته الهمزة أو غيرها من الحروف، بأي حركة كان الحرف الذي بعدها.

5- علامة السكون والمد وغيرهما :

أ- علامة السكون (◌ْ) :

ويُرمز له برأس حاء صغير بالنظر إلى شكله، لكنه في حقيقة أمره خاء جاءت من غير نقط لدلالاتها على خلو الحركة وكأنها أخذت من كلمة خفيف، ويوضع هذا الرمز أو العلامة فوق أي حرف ليدلّ على سكون ذلك الحرف، وعلى أنه مظهر لا يُدغم ولا يخفى ولا يُقلب نحو: "من خير"، "أوعظت"، "وخضتم"، "وإذ زاغت".

ويُستثنى من ذلك النون الساكنة إذا وليها واو أو ياء، فيوضع السكون فوقها ويُشدّد الحرف بعدها للدلالة على الإدغام الناقص، وسيفصل في هذا لاحقاً.

ب- علامة المدّ (◌̣) :

لما كان المد منقسماً إلى نوعين: مد أصلي طبيعي ومد زائد، فإن علماء الضبط جعلوا لغير الطبيعي الذي تمطل فيه حروف المد الثلاثة أكثر من حركتين علامة توضع فوق الحرف، وذلك في حالات خاصة كأن يلي الحرف الممدود حرف الهمز أو حرف مشدد أي السكون، وابتكر لهذا النوع من المد علامة () تجعل القارئ يزيد في مد الحرف الذي وضعت فوقه نحو: ﴿الْمِّ﴾، ﴿إِلطَّامَةٌ﴾، ﴿فُرُوءٍ﴾، ﴿سَنَعَاءَ بِهِمْ﴾، ﴿شَقَعَتُوا﴾، ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ؛ إِلَّا اللَّهُ﴾، ﴿لَا يَسْتَحْيِيءُ أَنْ يَضْرِبَ﴾، ﴿بِمَا أَنْزَلَ﴾.

ت- علامة الإمالة الصغرى (.) :

اصطُح على كتابتها في شكل نقطة مستديرة كبيرة مقفولة الوسط توضع تحت الحرف الممال، ويُعرَى الحرف من حركة الفتح، إذ يعني بالإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء من غير قلب خالص، وللإمالة أسماء منها: الإضجاع، والإبطاح، والكسر، ويقابل الإمالة الفتح، وقد يُطلق عليه التفخيم أو النصب.

ويقرأ الأزرق بالإمالة الصغرى إلا في حرف واحد كما سنبين في محور الإمالة الكبرى.

وتدعى الإمالة الصغرى هذه وبها يُقرأ للأزرق التلطيف أو التقليل أو بين بين أو بين اللفظين.

وقد أشار محمد الإبراهيمي إلى المواضع التي تجب فيها الإمالة على المشهور من طريق الأزرق عن ورش وذكر لها أمثلتها كما ذكر ما ظاهره الكلمات في احتمال

رسمه على الإمالة غير أنه لم يُمَلَّ كحروف الجر: "إلى، على، حتى، وكلمات أخرى".

غير أن طبيعة البحث لا تستدعي التطويل في الشرح والتفصيل، وغاية ما في الأمر: أن ما أثبتت فيه علامة الإمالة رسماً بوضع النقطة تحت الحرف الممال، يُمال، وما تُرك وإن رُسم بعد حرف المد ياءً فلا يُمال كفواصل آيات سورة الشمس، فقد كُتبت بياء فوقها أَلِف الحذف ولم تُمَلَّ فيها: ﴿وَضَحَيْهَا﴾، ﴿تَلِيهَا﴾، ﴿جَلِيهَا﴾... وباقي الفواصل.

وبدا جلياً وضع حركة الفتح على الحروف الممدودة، ولو عُدمت لأميلت بخلاف فواصل سورة (الليل) التي جاءت كلها مماله، فعُرِّيت حروفها من الفتح، ووُضِعَت نقطة الإمالة تحت الحرف الأخير من خواتيم الآيات، نحو: ﴿يَغْشَى﴾، ﴿تَجَلَّى﴾، ﴿وَالْأَنْبَى﴾، ﴿لَشَبَى﴾، ﴿مَنْ أَعْطَى وَآتَى﴾... إلا الفواصل التي جاء بعدها همزة الوصل؛ لأن الضبط يُراعَى فيه الوصل - القراءة مبنية على الوصل - نحو: ﴿إِلَّا الْأَشْفَى﴾ أَلِذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾.

ويجب التنبيه إلى مكان وضع نقطة الإمالة وإلى مقدار حجمها، أما مكانها فتوضع تحت الحرف المحرك بالفتح قبل الألف المماله هكذا: اجتباه. رأى. سعى. يراكم. ومن الخطأ وضعها تحت الألف المماله أو بينها وبين الحرف المحرك، على غرار: اجتباه. رأى. يراكم.

أما مقدارها، فتساوى مع مقدار حركة همزة الوصل، وهي تكبر نقطة الحرف العادي¹.

ومن الخطأ أن يكون حجمها بمقدار نقطة الإعجام أو نقطة الهمزة المسهلة.

ث- علامة الإمالة الكبرى (٠) :

توضع تحت الحرف الممال، وهي عبارة عن نقطة خالية الوسط تدل على إمالة الفتحة إلى الكسرة والألف إلى الياء إمالة كبرى، وليس للأزرق عن ورش غير موضع واحد وهو الهاء من: "طه".

ج- علامة الإشمام (٠) :

واصطلح على علامته بوضع نقطة خالية الوسط على شكل معين تكون بين النون الصغيرة والنون التالية من قوله تعالى: ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾.

وبهذا الرسم؛ نون على السطر بعدها نقطة فوق نقطة الإعجام، يدل على الإشمام وهو ضم الشفتين كمن يريد النطق بضممة، إشارة إلى أن الحركة المحذوفة ضمة من غير أن يظهر لذلك أثر في النطق، ويدرك الإشمام بالعين.

أما في ضبط ﴿سَنَحَىٰ بِهِمْ﴾ و﴿سَنِيَعَتْ وَجُودَ﴾، فوضع تلك النقطة أمام الحرف أي السين يدل على الإشمام فيهما، وهو النطق بحركتين: ضمة وكسرة، يقدم جزء الضم وهو الأول ويليه جزء الكسرة، وهو الأكثر².

ح- علامة التسهيل (٠) :

¹ ينظر: كتاب المحجة في تجويد القرآن، محمد الإبراهيمي، ص 102 و 180.

² ينظر: المصحف في اصطلاحات الضبط، صن، ((N).

جاء في (باب تسهيل الهمز): "التسهيل هو التلين، وهو لفظ يعم أنواع تغيير الهمز، فيقال: التسهيل بالنقل، والتسهيل بالحذف، والتسهيل بالإبدال والتسهيل بين بين، أي بين الهمزة وجنس حركتها"¹.

واصطلح لضبط الهمزة المسهلة وضع نقطة مستديرة كبيرة مقفولة الوسط عوض الهمزة من غير حركة تدلّ على تسهيل الهمزة أي أنها في هذه الحال غير محققة، وتأتي في نطقها بحسب حركتها؛ فهي بين الهمزة والياء إذا كانت محرّكة بالكسرة مسبوقه بهمزة مفتوحة أي أن الثانية المسهلة تكون في بداية الكلمة، والأولى تكون في آخر الكلمة، وقد تأتي الثانية بعد استفهام.

فمن أمثلة الهمزة المسهلة بين الهمزة والياء قوله تعالى: ﴿تَبِيحَۃً إِلَيَّ أَمْرٍ ۗ إِنَّهُ﴾ [الحجرات:9]، والتي بين الهمزة والواو وتكون مضمومة، والتي قبلها مفتوحة، نحو قوله تعالى: ﴿جَاءَ أُمَّةٌ﴾ [المؤمنون:44]، والتي بين الهمزة والألف نحو قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ﴾ [طه:71] و﴿ءَأَلِهْتَنَا﴾ [الزخرف:58].

ويلاحظ هنا أن الهمزة المسهلة التي عوضتها النقطة المستديرة لم يوضع عليها ضبط أي لم ترسم عليها حركة من فتح أو كسر أو ضم لأنها صارت جزءاً من حركتها من الألف أو الواو أو الياء.

أما الهمزة المبدلة فهي كالمسهلة في رسمها نقطة مستديرة كبيرة مقفولة الوسط مع حركتها موضع الهمزة يدل على إبدالها حرفاً محرّكاً؛ واوا نحو: ﴿مُؤَجَّلًا﴾ و﴿مُؤَدِّنٌ﴾ و﴿وَيَسْمَاءُ أَفْلِحِ﴾ [هود:44]، و﴿نَشَاءُ أَصْبَنَهُمْ﴾

¹ المحججة في تجويد القرآن، محمد الإبراهيمي، المكتبة السلفية، الدار البيضاء، ط 1 / 1410 هـ - 1990 م، ص 189.

﴿يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ، وقد أبدلت هنا واوًا لأن ما قبلها - أي الهمزة التي سبقتها - محرك بالضم.

لكن إذا سبقت بهمزة مكسورة أو بكسر أحياناً فإنها تؤدي ياءً، نحو: ﴿مِنَ السَّمَاءِ آيَةً﴾ [الشعراء:4] ، و﴿لَيْلًا﴾ ، و﴿لَأَهْبَ﴾ ، وهذه الأخيرة رسمت في المصحف برواية حفص على لام ألف همزة ﴿لَأَهْبَ﴾ ، وفي رواية ورش رسمت ياءً مردودة إلى وراء وتحتها نقطتان فتقرأ ليهب لكنها ترسم لام ألف لتحتل القراءتين؛ قراءة الهمز الخالص وقراءة الإبدال.

خ - علامة الابتداء بالهمزة المنقولة حركتها إلى الساكن قبلها (-) :

تشير الجرة التي عوضت الهمزة وقد نقلت حركتها إلى الساكن قبلها في المصحف المضبوط برواية ورش أو قراءة إبدال الهمزة، تشير تلك الجرة إلى أن الساكن قبلها قد حرك بحركتها، واكتفت الهمزة بجرة في مكان تحريكها، إن ضمًّا ففي وسط الألف، وإن فتحاً ففوقه وإن كسراً فتحت الألف توضحها الأمثلة القرآنية التالية: ﴿مَنْ أوتِيَ﴾ و﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ و﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ﴾ ، وكذا بالنسبة للهمزة المسبوقة بتنوين نحو: ﴿بَلَيْسَ عَلَيَّهِمْ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ [النور:60] و"كفؤا أحد" وكأننا لو رسمنا الكلمة الأخيرة بحسب نطقها لاخترلت وصارت: كفؤ نحد ويقاس عليها باقي نظيراتها.

ومما تبدل فيه الهمزة وتبقى حركتها على "ال" المعرفة ما جاءت وهي مسبوقة بساكن فتحرك اللام بحركتها وتمد، وقد وردت في القرآن الكريم في غير ما موضع

نحو: (الازفة)، (الآخرة)، (الإنسان)، (الأرض)، (الأنثى)، (الإيمان)،
(الإيمان)، (الآلهة)، (الأوثان).

وإذا كانت الهمزة لا صورة لها في الخط وضعت الجرة في السطر نحو:

﴿فَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ - اٰمَنَ الرَّسُوْلُ ﴿٢٨٥﴾ وَ﴿كُلُّ اٰمَنَ﴾ [البقرة: 284-285].

د- إبدال الهمزة حرف مد :

تبدل الهمزة الساكنة حرف مد من جنس حركة ما قبلها إذا كانت فاء للكلمة مفردة أو مزدوجة، وكذا إذا اتحدت حركة المزدوجتين فتحاً أو ضمّاً أو كسراً.

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

الأصل	ما يقرأ به وهو المرسوم في المصحف برواية ورش
يؤمنون	يومنون
يأبى	يابى
ءأمن	ءامن
أؤتي	أوتي
وأمر	وامر
أؤتمن	اوتمن
تأمنه	تامنه

واستثنت سبعة ألفاظ جاءت الهمزة منها محققة وهي: (المأوى، مأويهم، مأويه، مأويكم، فأووا، تؤويه، تؤوي).

ومما جاءت فيه حركة المزدوجتين مفتوحتين أو مكسورتين أو مضمومتين سواء كانت الأولى همزة استفهام، والثانية في بداية الاسم، أو الأولى أيضاً همزة استفهام والثانية همزة أصلية في الفعل، أو المتقدمة هي آخر حرف من الكلمة والثانية هي أول حرف من الكلمة، وترتيب أمثلتها على التالي أصلاً وكتابة وقراءة:

الأصل	كتابتها	قراءتها
قل ءالله...؟	قُلْ-الله	قلاالله
قل ءالذكرين ؟	قُلْ-الذِّكْرَيْنِ	قلاالذكرين
ءآلان	ءَأَنَّ	ءالان
ءأقررتم...؟	ءَأَفَرَرْتُمْ	ءأقررتم
جاء أحد	جَاءَ أَحَدٌ	جآء حدُّ
وجآء أهل	وَجَاءَ أَهْلٌ	وجآء اهل
ءألد	ءَأَلِدُ	ءالد
ءأمنت من	ءَأَمِنْتُ مِّنْ	ءأمنت من
من النساء إلا	مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا	من النساء يلا
في السماء إله	فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ	في السماء يلاه
أولياء أولائك	أَوْلِيَاءَ أَوْلِيَاكَ	أولياء ولآئك

يجدر القول هنا أن همزة الاستفهام لم تدخل على همزة "أل" إلا في هذه الألفاظ الثلاثة الواردة في ستة مواضع وهي:

﴿فَلْ-آلذَّكَرَيْنِ﴾ [الأنعام:143-144]، ذكرت مرتين، ﴿ءَالنَّ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِء
تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [يونس:51]. ﴿ءَالنَّ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ [يونس:91]، ﴿فُلْ-آللَّهُ أَذِنَ
لَكُمْ﴾ [يونس:59]، ﴿ءَاللَّهُ خَيْرُ﴾ [النمل:59].

وإذا وقع الوقف على الهمزة الأولى أي على الأخيرة التي سبقت الأولى فإنه
حال الاستئناف بالثانية يؤتى بها محققة، لأن علة الإبدال زالت وهي ازدواج
الهمزتين، لذا وجب تحقيق كل همزة يُبتدأ بها.

وإذا اختلفت حركتا الهمزتين، أبدلت الهمزة الثانية المفتوحة والمكسورة واوا
محركاً بعد المضمومة، عند من يبدل الهمزة بخلاف من يحققها، وأبدلت واواً
محركاً كذلك إذا كانت فاءً للكلمة مفردة مفتوحة بعد ضم.
وأمثلة الحالات هي بحسب أصلها وكتابتها وقراءتها ترتيباً.

الأصل	يكتب	يقراً
الملؤا أيكم	الملؤا ايكم	الملؤ ويكم
ولاياب الشهداء إذا	الشهداء اذا	الشهداء وذا
يؤيد	يويد	يويد
مؤذن	موذن	موذن

وتبدل الثانية المفتوحة ياء محركة بعد المكسورة، نحو: "في السماء أن" فتكتب:
في السماء ان.... وتقرأ: في السماء ين.

ذ - همزة بين بين :

تسهل الهمزة الثانية بين الهمزة وجنس حركتها فإذا كانت الأولى مفتوحة والثانية مضمومة تقرأ بين الهمزة والواو نحو: أءنزل... وتكتب: أنزل، وجاء أمة وتكتب: جاء أمة.

وإن كانت الثانية مكسورة تقرأ بين الهمزة والياء نحو: "أم كنتم شهداء إذ حضر" وتكتب: أم كنتم شهداء إذ حضر.

وأءله - أئن تكتب: أءله، أين.

أءنا - أئمة تكتب: أءنا، أئمة.

ويلاحظ هنا في سلب الحركة من همزة بين بين ويكتفي بعلامة التسهيل.

ر - اجتماع ثلاث همزات :

إذا اجتمعت ثلاث همزات حقت الأولى وسهلت الثانية بين بين إذا كانت الأولى مفتوحة وأبدلت الثالثة مداً، وقد جاءت هذه الحالة في قوله تعالى:

ءأمتم التي تكتب وتقرأ: ءأمتم

ءألهننا تكتب وتقرأ: ءألهننا

جاء ءال تكتب وتقرأ: جاء ءال

أما إذا كانت الأولى مكسورة من الثلاث همزات، فإن الثانية تبدل ياء محرقة، وتصير الثالثة حرف مد من جنس سابقتها المفتوحة، أما الأولى المكسورة فهي محققة.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً﴾ [الشعراء:4].

تكتب: من السماء.اية وتقرأ: من السماء ياية.

ز- متى تحذف الهمزة؟

تحذف همزة الوصل المسبوقة بهمزة الاستفهام رسماً ونطقاً في الأفعال،
وورد من هذا النوع سبعة أفعال من طريق الأزرق ومن وافقه¹ وهي:

الأصل	يكتب	يقراً
قل أتخذتم	قل اتخذتم [البقرة]	قلتخذتم
وولدا أطلع	وولدا اطلع [مريم]	وولد نطلع
حديد أفترى	حديد آفترى [سبأ]	حديد نفترى
أصطفى	أصطفى [الصفاء]	أصطفى
أتخذناهم	أتخذناهم [ص]	أتخذناهم
أاستكبرت	أستكبرت [ص]	أستكبرت
أستغفرت	أستغفرت [المنافقون]	أستغفرت

6- علامات الحروف المحذوفة في الرسم : (وى).

مما زيد على مرسوم المصاحف العثمانية هذه الحروف الثلاثة الصغيرة التي
تدل على أعيان الحروف المتروكة في المصاحف القديمة، ولم يغفلها النطق عند
القدامى والمحدثين، كزيادة الألفات المحذوفة في كلمات كثيرة منها "ذلك

2 ينظر: كتاب المحجة في تجويد القرآن. محمد الإبراهيمي. ص 197-198

الكِتَبَ" وزيادة الواو في عبارتي "يلون ألسنتهم" و"داورد" والياء التي ترد إلى خلف في مثل "إن ربه، كان به بصيرا".

وكان علماء الضبط يلحقون هذه الأحرف حمراء بقدر حروف الكتابة الأصلية، ولكنه تعسر ذلك في المطابع سابقا، فاهتدي إلى تصغير حجمها دلالة على المقصود ولا يزال الأمر على هذه الحالة بالرغم من مناداة بعضهم بإدخال الألوان في مثل هذا المقام لتمييز عند القارئ غير الماهر.

وتجدر الإشارة هنا إلى ما يبدو مخالفا لهذه القاعدة، إذ كان بعض الحروف المتروكة له بدل في الكتابة الأصلية، فيعول حينئذ في النطق على الحرف الملحق لا على البدل، ففي مثل الواو التي زيدت في كلمات: "الصلوة"، "مشكوة"، "الربو" والياء التي زيدت في مثل: "موليه" و"التورية" لا يعول على نطق الواو والياء، فلم يوضع على هذه الواو أو الياء ضبط بل عريتا من الحركة، وجعلت عليهما ألف صغيرة (ألف الحذف)، وكان الأصل الألف الصغيرة، والفرع - وقد جاء لغرض - هو الواو والياء.

وعليه لا يكون التلقي والحفظ من قراءة في المصحف من غير الأخذ عن شيوخ الإقراء والتحفيظ.

7- علامة الإدغام والإظهار والقلب والإخفاء: لا أود هنا أن أعرف بهذه المصطلحات، فقد تناولتها كتب القراءات والصرف من جانبيها اللغوي والاصطلاحي¹ وأفاضت القول فيها بما هو أهل للموضوع، ولكن الغاية تتبع ما استقر عليه علماء فن الضبط لقراءة هذه العلامة.

لمزيد من التوضيح ينظر: تعاريف هذه المصطلحات في: كتاب سيبويه وخصائص ابن جني والنشر، والإتقان، والإدغام عند سيبويه وابن جني ورسالة ماجستير نوقشت عام 2001 لمحمد مالك.

ولما كان الإدغام ملاحظاً على ما كثر بين الحروف، فإن حرف النون والتنوين كان لهما النصيب الأوفر باعتبار صوت النون أكثر الحروف تأثراً بغيره إما بفنائه في الذي يدغم فيه أو احتفاظه بغنته، أي حين يدغم إدغاما ناقصا، وبالجملة فإن النون الساكنة تدغم في حروف "يرملون" ونجد في المصحف كلمات جاءت النون فيها مسكنة، ثم جاء الحرف الذي يليها مشدداً وقع ذلك مع حرفي الواو والياء.

فكانت علامة إدغام النون في الياء والواو بوضع سكون فوق النون وهي في آخر الكلمة، وشدة فوق الواو والياء التي هما في أول الكلمة، وهو إشارة إلى نوع الإدغام الذي يكون بغنة، لذا يعد ناقصا لبقاء الغنة نحو "فمن يعمل" و"من ولي".

أما إذا تجاوزت النون الساكنة مع الواو أو الياء في كلمة واحدة فلا إدغام حينئذ، وعليه تعد النون مظهرة، وتصبح الواو والياء غير مؤثرتين وتصيران كأحرف الإظهار التي تظهر معها النون الساكنة وهي: الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء كيفما كان موقعها في كلمة واحدة أو بين كلمتين، نحو: "أنعمت" و"فانهار" و"فسينغضون"...

أما إذا ولي النون الساكنة أحد الأحرف الأربعة: النون أو الميم أو الراء أو اللام فإن النون الساكنة هذه تعرى من السكون ويشدد الحرف الذي يليها، ويكون إدغاما بغنة مع مثلتها النون والميم وبغير غنة مع الراء واللام بذهابهما بالجملة أي بفناء كامل نحو:

﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَّغٌ﴾ [الأحقاف: 35].

﴿إِذْ نَادَىٰ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: 44].

﴿سَلَّمَ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ﴾ [يس:58].

﴿أَيَحْسِبُ أَن لَّنْ يُفْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ [البلد:5].

"وذهب كثير من أهل الأداء إلى الإدغام فيها مع بقاء الغنة ورووها عن أكثر القراء، نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وعاصم وأبي جعفر ويعقوب وغيرهم"¹

يعني بالإدغام فيهما مع بقاء الغنة أي مع اللام والراء بالرغم من أن الضبط يشير صراحة في تعرية النون الساكنة من السكون بأن الإدغام يقع كاملاً من غير وجود غنة النون على خلاف الأربعة أحرف الباقية، النون والميم والواو والياء.

أما النون الساكنة إذا جاءت في كلمة واحدة مع الياء والواو ولم تدغم بل تظهر، ولذلك وضع السكون فوقها ولم يشدد حرف الياء أو الواو في مثل: "الدنيا" و"صنوان" و"قنوان".

أما التنوين فإنه يعامل في رسمه كما لو كان الحرف مخفياً غير أنه يشدد ما بعده من حروف الإدغام إذا كان لاماً أو راءً أو ميماً أو نوناً أما إن كان ياءً أو واوا فيعري من الشد لكنه ينطق مشدداً مدغماً فيه بغنة كما لو كان نوناً ساكنة.

ومن أمثلة ذلك - مع اللام - قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى

لِّلْكَافِرِينَ﴾ [العنكبوت:68]، ومع الواو في قوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ

¹-إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز الجامع للقراءات الأربعة عشر تأليف محمد بن أبي بكر شمس الدين بن عبد الله الشهير بالقببائي (777هـ - 849هـ)، دراسة وتحقيق فرحات عياش، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995م، ص 109.

عَنْهَا يَنْزِفُونَ ﴿ [الصفات:47]، ومع الياء في قوله تعالى: ﴿وَحُسْنَ مَنَابٍ ﴿ ﴿ يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ﴿ [ص:24-25]

وإذا كانت الطاء تؤثر في التاء بدرجة أعلى من تأثيرها بها فإن ضبطها وهي ساكنة إذا وليتها التاء، فإن السكون يوضع فوق الطاء ويظهر التشديد فوق التاء، وهو ما يدل على إدغام الطاء في التاء إدغاما ناقصا لبقاء صفة الإطباق فيها في نحو "أحطت" و"بسطت".

أما ضبط التاء إذا وليتها الطاء، فإنها تعري من السكون ويوضع التشديد على الطاء دليلا على الإدغام الكامل فيؤدى الحرفان حرفا واحدا مشددا يخرج في شكل طاء كاملة نحو: ﴿ وَقَالَتْ طَائِبَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴿ [آل عمران:72]

وخلاصة هذا المطلب أن الحرف إذا عري من علامة السكون وشدد الحرف التالي دل ذلك على إدغام الأول في الثاني إدغاما كاملا، نحو: "أجيبت دعوتكما" و"ومن يكرهن" و"ألم نخلقكم".

وإذا عري الحرف الساكن من السكون ولم يشدد التالي دل ذلك الضبط على إخفاء الأول عن الثاني، فلا هو مظهر حتى يقرعه اللسان ولا هو مدغم حتى يقلب من جنس ما يدغم فيه أي ما بعده، نحو: "من تحتها"، "من ثمرة"، "إن ربهم بهم". وعليه فإن الإخفاء لا يتحقق إلا لحرفين: النون الساكنة والميم الساكنة ولا تخفى النون الساكنة أو التنوين إلا مع حروف الإخفاء التي هي غير حروف الإظهار والإدغام والقلب أي ما عدا الحروف التالية (ء، هـ، ع، غ، ح، خ، ي، ر، م، ل، و، ن، ب).

وتخفى الميم الساكنة وإذا وليها الباء، فتعري من السكون، كالمثال السابق.
وإذا رسم - وهو مما يزداد في الضبط - ميم صغيرة فوق النون الساكنة أو بدل
الحركة الثانية من المنون، مع عدم تشديد الباء التالية، دل ذلك على قلب النون
الساكنة أو التنوين ميما، نحو "من بعد"، "منبثا"، "عليم بذات الصدور" "جزاء بما
كسبا"، "كرام بررة".

ويعرف إظهار التنوين بتركيب حركتيه: ضميتين أو فتحتين أو كسرتين.
هكذا: ' - ' - . نحو: "حريصٌ عليكم". "فوزاً عظيماً" "بعجلٍ حنيذٍ" ولا يكون ذلك
إلا مع حروف الحلق (حروف الإظهار).

أما تتابع الحركتين مع عدم التشديد فيه على الإخفاء، وإذا شدد التالي
للتنوين دل على الإدغام كما في النون واللام والراء ومن أمثلة إخفاء التنوين:
"شهابٌ ثاقبٌ" "سراعاً ذلك" "رسولٍ كريم".

ويعد تركيب الحركتين بمنزلة وضع السكون على الحرف، وتتابعهما بمنزلة
تعريته عنه.

8- علامة الأوقاف الهبطية (ص):

اصطلح لذلك حرف (ص) كعلامة وقف وهو المتبع عند المغاربة في
المصاحف المطبوعة برواية ورش عن نافع، وهو أول كلمة (صه).

وجاء في ختام ملخص هذه الاصطلاحات الضبطية أنه: "ينصح لمعرفة ما لم
يذكر في هذا الملخص من تفاصيل أبواب المد والفتح والإمالة والهمزات وغيرها،

بالرجوع إلى مراجع القراءات عامة ورواية ورش خاصة، وقبل ذلك وبعده بالتلقي على أهل العلم الذين تلقوا القراءة عن شيوخهم بالسند المتصل برسول الله ﷺ " ¹ .

وقد لا تدرك كثير من مسائل الأداء إذا عول القارئ على المصحف، فلم توضع علامة لحروف القلقلة، ولا لتفخيم الحروف التي يجب أن تفخم ولا للتي يجب أن ترقق، لذا كان التلقي عن شيوخ الإقراء أمراً لا مناص منه.

¹- القرآن الكريم بالرسم العثماني برواية ورش عن نافع، دار بن كثير سوريا، ط 1424/11 هـ 2003 م، صف (R) في اصطلاحات الضبط.

الفصل الخامس:

الدلالة في الرسم القرآني

الفصل الخامس : الدلالة في الرسم القرآني

لا يقف مصطلح "الدلالة" هنا عائقا لتحقيق مقصد الخطاب؛ إذ قد يُكتشف غيره من المصطلحات ما قد يتلاقى مع هذا كأن يُبحث في: مزايا الرسم العثماني، لتكون إحدى نقاطه: "ميزة المعاني المختلفة للرسم" ومنه أيضا "الحكمة من مرسوم المصحف"، وفي هذا السياق نقرأ في كتاب البرهان في علوم القرآن عنوانا يعالج هذا الاتجاه في مسمى: "اختلاف رسم الكلمات في المصحف والحكمة منه"¹.

ولا نكون قد بخسنا حق الموضوع في عنوانه إذا جارينا من درسه أو تعرض لجزئياته في باب: "تعليل رسم المصحف".

وبالرغم من هذا كله، فإن كتب القدامى في علوم القرآن عامة وفي مرسوم المصحف خاصة كانت أشارت بألفاظ صريحة إلى كلمة "دلالة" كما في تعليقات الداني حين يتعرض لما اتفقت أو اختلفت حوله مصاحف الأمصار في رسم كلمات المصحف، إذ تأتي بالحرف إشارات بينة في توظيفه كلمة "دلالة" على كذا².

من هنا كان لا بد أن يصير ويبقى رسم المصحف سنة تتبع ولا يجوز بأي حال من الأحوال أن يستعاض بالرسم القياسي.

وقد كان محقا من قال: "وللقرآن أسرار لا تستفاد إلا بهذا الرسم، فمن كتبه بالرسم التوقيفي فقد أداه بجميع أسراره، ومن كتبه بغير ذلك فقد أداه ناقصا، ويكون ما كتبه إنما هو من عند نفسه لا من عند الله"³.

وقد أوضح ابن البناء المراكشي (654-721هـ/1256-1336م) هدفه من تأليف مؤلفه: "عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل" في مقدمته بعد الحمدلة والصلاة والسلام على هادي الأمة محمد ﷺ معتبرا أن هذا الخط لا يتجاوز مرسومه.

¹ ينظر: البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل بيروت، 1408هـ/1988م، ج 1/380.

² ينظر: المقنع، ص 48 و 68 و 69 و 72 و 79.

³ البيان في مباحث علوم القرآن، تأليف عبد الوهاب غزلان، مطبعة دار التأليف، 1965م، ص 247.

قال ابن البناء: "وبعد فإنه لما كان خط المصحف الذي هو الإمام الذي يعتمده القارئ في الوقف والتمام، ولا يعدو رسومه، ولا يتجاوز مرسومه، قد خالف خط الأنام في كثير من الحروف والأعلام، ولم يكن ذلك منهم كيف اتفق بل على أمر عندهم قد تحقق، بحثت عن وجوه ذلك بمقتضى الميزان ووافي الرجحان ووقفت منه على عجائب، ورأيت منه غرائب جمعت منها في هذا الجزء ما تيسر عبرة لمن يتذكر"¹.

يعد ابن البناء سباقاً إلى هذا الفن إن جاز لنا تسميته بهذا المصطلح في رسالته: "عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل"، وبالنظر إلى زمانه الذي عاش في منتصف القرن السابع وأوائل القرن الثامن الهجري (654-721هـ) يعتبر رائد الدراسة، كيف لا وهو الذي عدَّ له من المؤلفات ما ربا عن "108" عنوان في شتى الفنون، لعل من أقربها إلى موضوعنا بل وإلى كتابه هذا رسائله المخطوطة في العلوم الشرعية ومعظمها لما ينشر، وقد ذكرت في المقدمة التي عرف بها محقق "عنوان الدليل..."²، فبلغت ست رسائل هي:²

- 1- تفسير الباء من بسم الله الرحمن الرحيم
- 2- تفسير الاسم من البسملة
- 3- رسالة في الرد على مسائل مختلفة فقهية ونجومية
- 4- رسالة في ذكر الجهات وبيان القبلة والنهي عن تغييرها
- 5- مراسم الطريقة في فهم الحقيقة من حال الخليفة
- 6- شرح مراسم الطريقة

يضاف إليها هذا الكتاب الذي حققته هند شلبي، وكان بحق من أهم ما اعتنى بمرسوم المصحف من حيث اختلاف حروفه في رسمها عن مألوف خطها في الرسم القياسي بالزيادة والحذف والفصل والوصل.

¹ عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، أبو العباس أحمد بن البناء المراكشي، تحقيق: هند شلبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1990، ص30.

² ينظر: عنوان الدليل من مرسوم التنزيل، ص9.

وقد أشارت إلى أن لهذه الرسالة أهمية بالغة إن من ناحية موضوعها، وإن من حيث اهتمام العلماء بها قراءة ونقلًا.

فمن الذين أخذوا معظم أبواب الرسالة "الإمام الزركشي"، بالرغم من أنه لا يفصل بين العالمين زمن طويل، فإذا كان الزركشي قد ولد في حدود سنة 745هـ وتوفي ابن البناء في سنة 721هـ، فإن الزمن يعد قصيرا بالنسبة للرسالة من حيث استنساخها ووصولها إلى بلاد المشرق الإسلامي قادمة من المغرب. وهو ما يقوي شهرتها وشهرة مؤلفها، ويزيد من اهتمام العلماء بكل جديد في التأليف الجاد الهادف.

من هنا بدت نقول الزركشي واضحة عن رسالة ابن البناء، غير أن هذه النقول لم تكن مكتملة، بل كانت في عدة جوانب ناقصة، وقد أثر ذلك سلبا في المعاني التي ضمنها الزركشي برهانه، حتى نعتت - كما أشارت هند شلبي - بغير الوضوح "وربما كانت خاطئة تماما، من ذلك:

- 1- أن الزركشي لم ينقل المقدمة الهامة التي وضعها ابن البناء بين يدي رسالته والتي قال فيها: "ولا بد من تقديم ما بد من تقديمه في البيان ليكمل بذلك فيه العرفان". ولا أعتقد أن من لم يقرأ ما جاء في تلك المقدمة يكون قادرا على فهم الرسالة.
- 2- لم يورد الزركشي كامل باب الهمزة، وهو باب ضخم في الرسالة.
- 3- لم يحترم الزركشي ترتيب المسائل كما جاءت عن المؤلف.
- 4- تم حذف كلام كثير رغم أهميته في شرح المسائل وبين المعاني...
- 5- مزج الزركشي بين كلامه وكلام ابن البناء فأصبح من العسير التمييز بينهما...
- 6- كثرة الأخطاء المطبعية المتمثلة في إبدال كلمة بأخرى أو حرف بآخر، فنتج عن ذلك غموض في المعنى قد يصل إلى التحريف".¹

¹ عنوان الدليل، ص 9-10.

وظلت رسالة ابن البناء مصدرا لا غنى عنه في الشرق والغرب قديما وحديثا، فكان أن نقل السيوطي منها في الإتقان حين تناول مرسوم خط التنزيل، وأجملت القول فيها هند شلبي فقالت عنها أنها "ليست نكرة وتعتبر عمدة في اختصاصها".¹ وقبل الولوج في مباحث هذا الفصل، تجدر الإشارة إلى أن المخالفات المرسومة في المصحف تباينت حولها آراء العلماء:

1- فمنهم من رأى أن الصحابة كتبوا ذلك وهم واعون له، قاصدون فوائده هادفون علله اللطيفة وحكمه البليغة، وهو الحق، كما أشار إلى هذه التعليلة الأولى وإلى ما يليها عبد الحي حسين الفرماوي.²

وقد غاب عنا بعض سبب هذه الفوائد وعللها، وقصر عنها رأينا، وهو ما يؤخذ من قول ابن الجزري حين أفاض القول في "باب الوقف على مرسوم الخط" وجعله قسمين: قياسي واصطلاحي: "فالقياسي ما طابق فيه الخط اللفظ، والاصطلاحي ما خالفه بزيادة أو حذف أو بدل أو وصل أو فصل. وله قوانين وأصول يحتاج إلى معرفتها، وبيان ذلك مستوفى في أبواب الهجاء من كتب العربية، وأكثر خط المصحف موافق لتلك القوانين، لكنه قد جاءت أشياء خارجة عن ذلك يلزم اتباعها ولا يتعدى إلى سواها؛ منها ما عرفنا سببه ومنها ما غاب عنا".³

2- ورأى بعض العلماء أن الصحابة رضي الله عنهم كان رسمهم لكلمات القرآن في مصاحفهم لحكمة لم نفهمها وإشارة لم ندركها وإن لم ينظروا إلى العلل النحوية والصرفية التي استنبطها من جاء بعدهم، وما تلك التعليلات إلا من قبيل الاستثناس والتلميح، لأنها وضعت بعد زمن الصحابة.

وقد أمعن النظر العلماء ودققوا ليقطفوا ثمار هذه المخالفات، وليصلوا إلى عللها وبذلك يحصل لهم المقصود من مزايا هذا الرسم العثماني.

¹ عنوان الدليل، ص 13.

² ينظر: رسم المصحف ونقطه، تأليف عبد الحي حسين الفرماوي، مؤسسة الريان، بيروت، دار نور المكتبات، السعودية، الطبعة الأولى: 1425هـ/2004م، ص 407 و408.

³ النشر، 1/128.

فكان ممن انبرى من العلماء لإجلاء هذه الغشاوة عن مرسوم كثير من كلمات المصحف قديما الإمام أبو العباس المراكشي في كتابه المذكور سابقا: "عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل".

ثم تلاه الزركشي، ففصل متأثرا بابن البناء في مؤلفه: "البرهان" وفي الحديث ذكر الشيخ محمد علي سلامة، وعدد فوائد لهذا الرسم في كتابه: "منهج الفرقان".

وقد وضحتها وأضاف إليها الشيخ الزرقاني في كتابه مناهل العرفان.¹

وممن تناول موضوع دلالة الرسم من المحدثين وألف في ذلك كتابا:

1- محمد شملول إذ جمع في مؤلفه المسمى: "إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة" بين الإعجازين في الرسم والتلاوة، وكان في غاية الدقة والترتيب كما يلاحظ في عنوان: إعجاز كتابة الكلمة القرآنية.

وهنا ذكر أمثلة على حذف الحروف ثم أعقبها بأمثلة على زيادة الحروف، ولم يغفل أمثلة قاعدة الهمز، وكذا باقي أمثلة قواعد الرسم العثماني.

وفي القسم الثاني الذي خصصه لإعجاز الترتيل القرآني ذكر أمثلة في بيان المعنى من خلال المدود، وأمثلة في بيان المعنى من خلال أحكام النون الساكنة والتنوين، وتعرض فيما تعرض في هذا القسم إلى بيان المعنى من خلال السكتات الخمس في التلاوة.

وأمثلة أخرى ترجأ إلى حين التناول.

2- محمد بن عبد الوهاب الذي خص مؤلفه لرواية ورش فكان العنوان: الرسم العثماني قواعده وبدائع الإعجاز فيه - رواية ورش -.

تناول في هذا الكتاب كما أجلاه عنوان الفصل الثاني: قواعد الرسم العثماني وبعض أسرارها ولطائفه.

¹ رسم المصحف ونقطه، ص 408.

قال عن مؤلفه في الخاتمة: "كما تناولت بعض الإشارات حول أسرار ولطائف هذا الرسم... من هنا يمكن اعتبار هذه الدراسة سباقه إلى جمع قواعد الرسم وأنصاه وأسرار إعجازه لم تجتمع في مؤلف من قبل..."¹

وحتى لا يبخس ابن البناء المراكشي حقه، ولما كان له فضل السبق في هذا الميدان ينبغي أن نقف وقفة ولو وجيزة على طريقته في تعليل رسم المصحف توضحها المباحث التالية:

• مذهب ابن البناء في تعليل خط المصحف :

لم تُعدُّ أن تكون التأليف التي سبقت ابن البناء في تناولها ظاهرة مرسوم المصحف وصفية استعراضية، وإن كانت أحيانا لا تخلو من تعليل.

أما رسالة ابن البناء فعنوانها أصدق تعبير على قراءة الرسم المصحفي من منظور دلالاته بل وجُعلت لذلك أساسا.

وقد خالف ابن البناء سابقيه، فإذا كانوا قد عللوا رسم المصحف تعليلا تقنيا لا يبرح طبيعة خط المصحف في عصر تدوينه مع أنه كان طرف آخر من علماء هذا الفن قد ارتقى بنظره الثاقب إلى هذا الرسم أبان عن عوامل متعددة كعامل القراءة وعامل الاختصار ومواءمة التفخيم ومراد الأصل، كما يبدو جليا من خلال بعض أبواب الداني في كتابه "المقنع".²

وإذا كان أولئك قد سلكوا تلك الطرق في تعليلاتهم مرسوم المصحف فإن ابن البناء بعد انتقاده لبعض طرائقهم نحا منحى مخالفا حين علل ذلك الرسم، كشف عنه قوله: "فإنه لما كان خط المصحف الذي هو الإمام الذي يعتمده القارئ في الوقف والتمام... قد خالف خط الأنام في كثير من الحروف، ولم يكن ذلك منهم كيف اتفق، بل على أمر عندهم قد تحقق، بحثت عن وجوه ذلك بمقتضى الميزان ووافي الرجحان، ووقفت منه على عجائب ورأيت منه غرائب جمعت منها

¹ الرسم العثماني قواعده وبدائع الإعجاز فيه - رواية ورش -، محمد بن عبد الوهاب، إفريقيا الشرق، المغرب، 2010م، ص 192.

² ينظر: المقنع، ص 30 و 59 و 72 و 79 و 91 و 101.

في هذا الجزء ما تيسر عبرة لمن يتذكر وسميته: "عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل" هو لأولي الأبواب مفتاح تدبر الكتاب بحول الله تعالى وقوته".¹

جاءت ألفاظ هذه المقدمة جامعة لما يقصد إيرادها في مؤلفه كي يزيح اللثام عن كون مرسوم الصحابة وخطهم المصحف وليد اتفاق أو مصادفة، بل كان نتيجة تحقق ودراية، فأسهم ذلك في سبر أغوار لم يكن ليخترقها غيره، فسعى بعد تدبر إلى كشف الستار عن علل وقضايا كامنة وراء ذلك الرسم.

مهّد لعمله قبل استعراض ما جاء من كلمات القرآن مخالفا في رسمه الرسم القياسي، بما تحتمله قواعد الرسم المصحفي من همز، وحذف أو نقص وزيادة، وبدل، ووصل أو فصل، فذكر مقدمة هامة خص بها العلاقة الموجودة بين اللفظ من جهة والخط والسمع من جهة ثانية، ثم بسط القول في أحرف المد باعتبارها خادمة لتصرفات معينة في الألفاظ.

وقد ربط ابن البناء بين تصاريف اللفظ والحروف وتصاريف المعاني مع الوجود والإدراك فتوصل إلى أنه:
"للمعاني اعتبارات:

1- اعتبار من باب الوجود بالفعل

2- اعتبار من باب الإدراك والعلم

وينقسم باب الوجود إلى قسمين: 1- ما يدرك، 2- وما لا يدرك.

وينقسم باب ما يدرك إلى قسمين: 1- الظاهر، ويسمى: الملك

2- الباطن، ويسمى: الملكوت

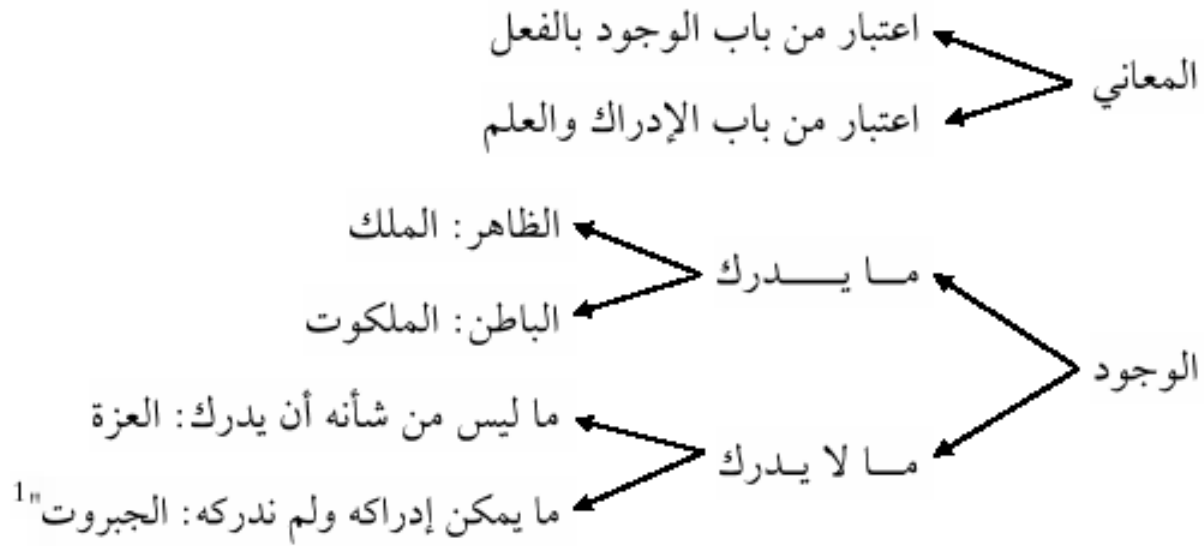
وينقسم ما لا يدرك إلى قسمين: 1- ما ليس من شأنه أن يدرك، ويسمى: العزة

2- ما يمكن إدراكه ولم ندركه، ويسمى: الجبروت

ثم إن هذه الأصناف منها ما يدرك بالضرورة وعن طريق الأخبار يعني الرواية، ومنها ما لا يوصل إليه إلا عن طريق الاعتبار.

¹ عنوان الدليل، ص 30.

ويمكن إجمال هذه الأقسام في الجدول التالي:



ربط ابن البناء بين تصاريف اللفظ وتصاريف المعاني مع الوجود والإدراك لذا جاء الرسم - حسب ما أفادته رسالة ابن البناء - مرآة وفيه لتصوير متكامل للمعاني القرآنية في ظهورها وبطونها وفي شدتها وخفتها وفي التصاقها بالأرض وارتقائها إلى السماء.

ولم يكن رسم الأولين للمصحف كيفما جاء بل كما يجب أن يكون حتى يقوى على حمل دلالات وإشارات لم يكن ليقوى عليها لو وصل ما يجب فصله أو فصل ما يلزم وصله أو حذف ما كان يجب أن يثبت، أو لم يبدل ما يطلب إبدالاً.

وقد بات من الضروريات ألا يقدر على فك رموز هذا الرسم إلا من امتلك مفاتيحه.

تُظهر رسالة ابن البناء أن صاحبها حاز أدوات التنقيب عن مكنون الرسم لأنه جمع علومًا شتى في القراءة والتفسير واللغة والتصوف والفلسفة وعلم الحساب، لذا كما قالت هند شلبي اعتبر في تحليله فريداً من نوعه. اختلف عن الداني في

¹ عنوان الدليل، ص 16.

مقنعه، وعن المهدي في هجائه، وعن الكرمانى في عجائبه وعن ابن خلدون في مقدمته.¹

ألمح ابن البناء إلى الطريقة المنتهجة في تناوله موضوع دلالة وأسرار الرسم بإطالة على أولية الحروف ترتيباً تصاعدياً، بحسب مخارجها، وقد جاء الخط بما يملك من صورته الحسية مدركاً بالأبصار، واللفظ مدركاً بالأذان لأنه مسموع، ومحل اللفظ الصوت من أول مخرج أي من لدن محل الهمزة إلى آخر صوت في الشفتين.

ثم ذكر الحركات الثلاث: الرفع والنصب والخفض، فمن حيث الخفة والثقل، يقدم فعل النصب لخفته ثم يليه الكسر، وأثقلها فعل الرفع ودونه فعل الخفض.

والفتحة كما قال ابن البناء "فعل بين الضمة والكسرة.

فإذا طولت الهمزة بمد الصوت حدثت حروف المد واللين الثلاثة تابعة للحركات الثلاث، وهي: الألف والواو والياء...

وإذا عضدت - يعني الهمزة - في موضع في الخط، فإنما تعضد بأحد هذه الحروف الثلاثة... ويبدل بعضها من بعض لمعنى يوجبها.

ولأحوال هذه الحروف مناسبة لأحوال الوجود".²

ثم يذكر ما تؤديه هذه الأحرف من وظائف ودلالات:

تدل "الهمزة" على الأصالة، وتدل الألف على الكون بالفعل كما في الوجود. واعتبرها المراكشي مفصلة، لأنها بحكم كونها أول الحروف في الفصل الذي بين ما يسمع وما لا يسمع متصلة بهمزة الابتداء، فاستحقت أن تكون علامة الاثنين.

¹ ينظر: عنوان الدليل، ص 17.

² عنوان الدليل، ص 31، 32.

أما الواو فتدل على الظهور والتصعد والارتقاء وتعد جامعة، أنبأت عن غلظ الصوت وارتفاعه بالشفة إلى أقصى رتبة في الظهور.

وتأتي الياء دالة على البطون، معبرة عن رقة الصوت وانخفاضه في باطن الفم. وقد استشهد ابن البناء على العلاقة بين المعاني من جهتي الوجود أو من باب الإدراك والعلم أي بالنظر إلى ذلك التقسيم الذي سبقت الإشارة إليه؛ المعاني والوجود بقسميه وتفريعاتهما، استشهد بتسبيح الملائكة عليهم السلام في قولهم: "سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان ذي العزة والجبروت"، فقد جاء ذلك مرتبا كما قال.¹

وقد نظر المراكشي إلى الألف على أنه "يدل على قسمي الوجود، والواو على قسم الملك منه لأنه أظهر للإدراك، والياء على قسم الملكوت منه لأنه أبطن في الإدراك. وإذا ظهرت فلمعنى ظاهر في الوجود إلى الإدراك كما إذا وصلت فلمعنى موصول، وإذا حجزت فلمعنى مفصول. وإذا تغيرت بضرب من التغير دلت على تغير في المعنى في الوجود يظهر في الإدراك بالتدبر".²

¹ ينظر: عنوان الدليل، ص 33.

² عنوان الدليل، ص 34.

أولا : الهمزة وأمثلتها ودلالات رسمها

لم يشرع ابن البناء في ما يحتمله رسم الهمزة في الكلمة وما يعطي من دلالات إلا بعد استئناس من مقدمة لها عن كيفية تصويرها في الخط في أي موقع استقرت أولا أو وسطا أو طرفا وبحسب حركتها وحركة ما قبلها.

وقد أعلن بأن الهمزة من جهة الابتداء هي من الألف، والألف يعد أول الحروف الثلاثة التي جاءت للمد واللين، وتتقوى وتعضد رسما في مواضع بواحد من هذه الحروف الثلاثة: الألف والواو والياء، فتثبت ولا تعوض غيرها.

ولا يتأتى سقوط الهمزة إذا كانت في أول الكلمة، لتحركها وليس قبلها غيرها، ولما كانت في أول الكلمة ظهرت ثابتة في كل أحوالها، وقد عضدت وصورت ألفا وهو أول الحروف، بأي حركة كانت.

ويصح نطق الهمزة في آخر الكلمة وهي ساكنة إما سكونا لسبب موجب لذلك كالجزم أو الوقف عليها مثل: ﴿إِنْ يَشَأْ﴾ و﴿وَيَهَيِّئْ﴾، لأن الكلمة تكتب على الوقف، لذلك صورت بحرف من جنس حركة ما قبلها، "ولولا حركة ما قبلها ما عضدت فلذلك وجب أن يدبرها حركة ما قبلها، إلا أن يقوى معناها في الكلمة بحيث تكون له مرتبة ظاهرة أصلية في الاعتبار فتعضد بحرف حركتها".¹ وقد خرجت عن قاعدتها وانصرفت إلى الاستغناء عن سابقها من ناحية الحركة، ومن هنا تكون بداية حديث ابن البناء عن حرف الهمزة من حيث رسمه الدال على معنى قد لا يدرك كنهه.

• ﴿أَلْمَلَأُوا﴾ في المؤمنون [24]، وفي النمل [29، 32، 38]: جاءت كلمة [الملاء] في الآيات الأربع مصورة على غير قياس، عضدت الهمزة بالواو كما قال ابن البناء تنبيها على أن معنى الكلمة ظاهر للفهم في قسم الملك من الوجود.² وإذا تدبرنا مواقع هذه الكلمات من آياتها وجدنا هؤلاء الملاء قد اشتركوا في أمر جامع بينهم، إذ عُدُّوا من أرفع الطبقات، وصاروا أصحاب الأمر يرجع إليهم

¹ عنوان الدليل، ص 36.

² ينظر: عنوان الدليل، ص 36، 37.

في التدبير فقوي معنى الهمزة كما قال ابن البناء، وزيدت الألف بعد الواو تنبيها على أنهم أحد قسمي الملاء. ويحكم الملاء دستور التابع والمتبوع وبوجود رسم مغاير للكلمة أصبحت دلالتها أقوى وإشارتها أعلى.

وردت كلمة ﴿أَمَلًا﴾ برسمها العادي في القرآن [18] مرة.

ووردت برسمها المخالف: ﴿أَمَلُوا﴾ أربع مرات، وتعني هذه الكلمة أشرف القوم ووجهاءهم وعيونهم، وكأنهم هم الذين يملؤون العين. ولنقف مع التي في سورة "المؤمنون" أولا ثم نأتي بالتي جاءت بعدها مراعين الترتيب المصحفي:

1. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِيهِ فَقَالَ يَنْقُومِ لِاعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّي غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٤﴾﴾ قَالَ أَمَلُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِيهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴿المؤمنون: 23، 24﴾.

لقد وصف "الملاء" هنا بالذين كفروا، ونسبوا إلى قوم نوح، وجاءت اللفظة بهذا الرسم: ﴿أَمَلُوا﴾ لتعبر عن أساطين الكفر، لا عن الملاء الكافرين غير المميزين، لأنهم قالوا لغيرهم في الآية: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَتَّقِضَلَ عَلَيْكُمْ﴾ [المؤمنون: 24]، وختمت الآية بقوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾.

ولم يرد على ألسنتهم "ما هذا إلا بشر مثلنا" بل عدوا أنفسهم أن لهم الأمر في قومهم، وليس فوقهم أحد من البشر، فهو لا يهتم الطبقة العليا كما قال ابن البناء.

أما كلمة "الملاء" التي في سورة هود [27] فإن أصحابها وصفوا بالذين كفروا بعدها وقد نسبوا إلى قوم نوح أيضا مثل أولئك، غير أنهم جوزوا أن يكون غيرهم من البشر أرفع منهم وأفضل لذا اعتبروا من حيث الطبقة دون أولئك، قال تعالى: ﴿قَالَ أَمَلًا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِيهِ مَا تَرِيكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا تَرِيكَ

إَتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ؛ أَرَادُوا بَدِيَّ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿[هود:27].

أما طبقة "الملا" الذين جاء ذكرهم في سورة الأعراف [60] في قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِي إِنَّكَ لَتَرِيكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، فلم يوصفوا ولم يفصل في ذكرهم، وإن كانوا بمعنى أشرف قوم نوح لكن من غير مزيد اعتبار، لذا اعتبروا أخفض الطبقات في نظر الملا، "أرفع طبقة وأظهرها في الوجود هم الذين عضدت همزتهم"¹ بحيث صورت ورسمت على الواو وزيدت بعدها ألف.

2. وفي قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْفِيَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ﴾ [النمل:29] على لسان ملكة سبأ، وجاء رسم كلمة ﴿الْمَلَأُ﴾ مخالفا الأصل القياسي ليدل على مكانة هذا الملا عند "بلقيس"، وقد قالت بعد ذلك: ﴿مَا كُنْتُ فَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ [النمل:32].

ولم يزد ابن البناء في تعليقه على دلالة رسم كلمة "الملا" بذلك الرسم على عبارة: "فظاهر بين أنهم أصل المشورة والفتوى لأنهم شووروا في أمر سليمان عليه السلام".²

كان لرسم "الملا" في قصة سبأ دلالة، لأنه "ملا" ذو قيمة وليس مجرد حاشية مثل ملا فرعون، حيث نلاحظ أن ملا فرعون لم يأت في القرآن الكريم بصورة ﴿الْمَلَأُ﴾، وهي الصورة التي تظهر مكانته وقيمه، لأنه كان مجرد بطانة حول فرعون الذي جعل نفسه إلها لهم: ﴿قَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات:24].

3. ثم تأتي كلمة "الملا" على لسان ملكة سبأ مرة أخرى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾ [النمل:32]، تتحدث الآية عن نفسها مشيدة بأهمية الملا

¹ عنوان الدليل، ص 38. وينظر: إعجاز القرآن وإعجاز التلاوة، تأليف محمد شملول، دار السلام، الطبعة الثالثة: 1431هـ/2010م، ص 155.

² ينظر: إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، ص 156، 157.

وقيمته، لأنه صار يفتي في الأمور العظيمة والخاصة بدولة سبأ على خلاف أمر فرعون.

4. وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل:38]. ذلك هو ملاء سليمان النبي، ملاء عظيم، يقوى عفريت من الجن على إحضار عرش بلقيس قبل أن يقوم سليمان عليه السلام من مقامه. وكان من ضمن الملاء من عنده علم من الكتاب أتى بالعرش قبل أن يرتد إليه طرفه، ولو لم يكن هذا شأن ملاء سليمان لما عُضِّدَت همزته بواو أي على رسم غير عادي.

• ﴿أَنْبَتُوا﴾ و﴿نَبَّأ﴾

وردت كلمة ﴿أَنْبَتُوا﴾ مرتين في القرآن الكريم بهذه الصورة المختلفة في رسم همزتها بدل رسمها في السطر، جاءت معضدة بالواو في الأنعام [5]، والشعراء [6]. قال تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ بَشَرٌ أَمْ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وقال عز وجل: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ بَشَرٌ أَمْ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾. أفاد هذا الرسم في الكلمتين من الآيتين بما يدل على عظم هذه الأنباء، فهي أبناء مصيرهم وآخرتهم وخلودهم في النار.¹

أما كلمة "نبأ" بالإفراد فقد وردت برسمها المغاير بواو معضدة للهمزة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِمَّن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [إبراهيم:9]، وقال سبحانه: ﴿وَهَلْ آتَيْكَ نَبَأُ الْخَصْمِ﴾ [ص:21]. وفيها أيضا قوله عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ [ص:67].

جاء رسم كلمة "نبأ" على خلاف القياس لما تحمله من دلالة أمر لافت للنظر، حيث رأى ابن البناء أن هذه الكلمات الثلاث "عُضِّدَتِ الهمزة لظهور تلك

¹ ينظر: إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، ص 156، 157.

الأنباء وعظمتها في الوجود، ولكن بالنسبة إلى ما قد وقع مفهوما من خبرها لذلك زیدت الألف".¹

• "علماء" و"جزاء"

إذا جاء قبل الهمزة ساكن وكان ألفا مثل: عناء ورجاء فإن الهمزة لا تحتاج إلى حرف يعضدها، إلا أن يكون - كما قال ابن البناء - في المعنى ما يقويها. وضرب أمثلة لهذا الباب من كلمتي "العلماء" و"جزاء" واستشهد لكليهما:

أما الأولى فقد وردت في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُوهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: 197] وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28].

جاء ذكر هذه الكلمة وبهذا الرسم المميز المعضد مرتين في القرآن الكريم لا غير، وقد دلت بهذه الهيئة المرسومة على المكانة العظيمة والمنزلة الكبيرة للعلماء، وأنهم ليسوا مثل باقي الناس، وقد جاءت الكلمتان بإعراب الرفع مما يؤكد دقة وعظمة القرآن وكأنه ردّ على من قال بنصب العلماء في ثانيتهما وجاءت الواو المعضدة للهمزة مؤكدة للرفع.²

وقد جاءت عبارة ابن البناء فيهما موفية لغرض دلالتهما، قال: "عضدت الهمزة تنبيها - يعني في كلمة علماء - على علو درجتهم في العلم وظهورهم في الوجود في أرفع طبقة المرجوع إليهم في جزئيات العلم ووكلياته ولذلك جعلهم الله آية".³

أما الثانية من الكلمتين وهي كلمة "جزاء"، فقد وردت في القرآن الكريم 28 مرة. جاء رسمها على ما خالف صورتها القياسية في الهمزة أربع مرات، واختلف في الخامسة بين رواية حفص وورش التي في الزمر [34]: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ

¹ عنوان الدليل، ص 38، 39.

² ينظر: إعجاز رسم القرآن، ص 157.

³ عنوان الدليل، ص 39.

الْمُحْسِنِينَ ﴿ ففي المصحف المطبوع برواية حفص لم تصور الهمزة من "جَزَاء" واوا، بخلاف المصحف المطبوع برواية ورش فقد كتبت الهمزة على الواو هكذا: "جَزَأُؤْ".

وترتب حسب ورودها في المصحف كما يلي:

في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَأُؤْ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [المائدة: 33]

وفي قوله تعالى: ﴿ وَذَلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّى ﴾ [طه: 76]

وفي قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ جَزَأُؤْ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الزمر: 34]

وفي قوله تعالى: ﴿ وَجَزَأُؤْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٍ مِثْلَهَا ﴾ [الشورى: 40]

وفي قوله تعالى: ﴿ وَذَلِكَ جَزَأُؤْ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: 29 والحشر: 17]

ذكر ابن البناء هذه الآيات الست ثم علل زيادة الواو والألف فيها قائلاً: "فهذه الحروف عضدت همزتها لظهورها وظهور مصالحتها في الوجود لكن بالنسبة إلى تلك الأعمال التي هي "جزاء" عليها وهي جوامع الأصناف مما يجازى في الدنيا والآخرة ولذلك زيدت الألف بعد الواو في آخر الكلمة".¹

واعتبر محمد شملول رسمها بهذا الشكل أمراً له دلالة غير عادية، إذ تدل على معنى كبير، فلا يكون جزاء من يحارب الله ورسوله ويفسد في الأرض كجزاء غيره، بل يعد جزاء غير عادي، يناسب مقام رؤوس الكفر وأعمدة الضلال.

وفي الآية التي يتبرأ فيها الشيطان من الإنسان بعد غوايته وإضلاله إياه كان المصير مشتركاً وحصل جزاء لكليهما باعتبارهما ظالمين، "إنه جزاء قمة الغواية وهو الشيطان وهو جزاء من يتبعه من الغاوين الظالمين".²

¹ عنوان الدليل، ص 40.

² إعجاز رسم القرآن، ص 164.

فيا له من رسم أبان عن دقة رائعة حين خالف الرسم القياسي كانت كامنة وراء هذه الزيادة والتعصيد، ليظهر جزاء أساطين الفساد والإفساد ولم يكن هذا الجزاء جزاء عاديا.

• "شركاء"

أم كلمة "شركاء" فقد وردت في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة من غير أن تخرج عن مألوف رسمها في همزتها، ووردت مخالفة للرسم القياسي مرتين، فعضدت الهمزة بالواو.

الأولى في قوله تعالى: ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُجْعَاءَ كُمْ الَّذِينَ رَعَمْتُمْ؛ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: 93]، والثانية في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: 21].

قال ابن البناء عن الحالة الأولى: "عضدت الهمزة لأنهم زعموا ذلك وأظهروه في الوجود وبالغوا في التشريك في الملك. وهذا خطاب في مواطن الآخرة يظهر للكافرين عيانا باطل ما هم عليه.

وعلل رسم الثانية بقوله: عضدت الهمزة بيانا أن ما أظهروه شركاء لله في الملك مفقود منهم صفة توجب لهم شيئا من ذلك. وهو خطاب في موطن الدنيا يظهر منه للمؤمنين باطل ما عليه الكافرون".¹

فقد أوحى كلمة ﴿شُرَكَاءُ﴾ بهذا التضخيم - كما أشار محمد شملول - وزيادة أحرف الكلمة، لأن الظالمين اتخذوا شركاءهم أولياء من دون الله، أصناما كانوا أو بشرا أو جنا، فعظموهم في الدنيا، ولم يكن لينفعهم ذلك التقرب والتودد إليهم في الآخرة، لقد تقطعت الروابط وتخلى عنهم شركاؤهم وذهب الزبد وظهر الحق الذي كانوا فيه يمترون.²

¹ عنون الدليل، ص 41.

² إعجاز رسم القرآن، ص 162.

ولم يغفل الداني الحرف الذي في سورة القلم: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ قَلِيًّا تَوْأَمُ بِشُرَكَائِهِمْ؛ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [القلم: 41]، وهو الحرف الذي فيه خلاف في رسم الهمزة معضدة بالواو وغير معضدة، مع أن الداني أثبت المرسوم فيها بالواو في الحرفين السابقين فقط، ولم يورد هذه الثلاثة المختلف فيها.¹

وعلى ابن البناء هذه الكلمة التي في سورة القلم، فرأى أن من عضد الهمزة أي ألحقها في رسمها بالسابقتين، فذلك للتنبيه على ظهور باطلهم في الدنيا في معرض الاحتجاج عليهم، ومن لم يعضد الهمزة فلأنهم لا يعقلون ولو كانوا يعقلون ما أشركوا.²

• ﴿الضُّعْبَاءُ﴾

وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم نكرة ومعرفة، وجاءت ﴿ضُّعْبَاءُ﴾ على صيغة التذكير مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُّعْبَاءُ﴾ [البقرة: 266]، وبصيغة المعرفة ثلاث مرات، إحداهن بالجر بالحرف "على" في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعْبَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضِيِّ﴾ [التوبة: 91].

ووردت مرتين في محل الرفع لكن بصورة غير عادية في رسم همزتها إذ حقها أن ترسم وهي مسبوقه بألف المد وفي آخر الكلمة على السطر، أي لا صورة لها غير أنها أدمجت في الكلمة والتصقت بها، وذلك في حرفين؛ في سورة إبراهيم: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعْبَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [إبراهيم: 21]، وفي سورة غافر: ﴿وَإِذْ يَتَحَاكَمُونَ فِي الْبَارِ فَيَقُولُ الضُّعْبَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ الْبَارِ﴾ [غافر: 47].

¹ ينظر: المقنع، ص 82.

² ينظر: عنوان الدليل، ص 41.

فهؤلاء الضعفاء "يتحاجون في موضع ظهور ضعفهم على تفاصيله فهم ضعفاء في القول في احتجاجاتهم في الدنيا والآخرة، ضعفاء القوة لا ناصر لهم ولا راحم، ضعفاء العمل إذ هم تبع لغيرهم قد بلغوا غاية الضعف في الوجود".¹

فلم يقدروا على إنقاذ أنفسهم ولا على الخلاص مما هم عليه، لذا جاء رسم ﴿الضَّعَبَتَوُا﴾ في هذين المقامين ليلفت نظر متدبر القرآن إلى موقفهم غير المرغوب فيه حين يطلبون النصر والحماية من الذين استكبروا وهيهات أن يُنَجَّوا، وكيف يُنَجِّي غيره من هو في حاجة إلى من ينجيه، بل وقد ردّ أولئك المستكبرون على الضعفاء بلسان الحال والمقام: ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ [غافر: 48].

وقد يكشف من رسم الكلمة بيان أهمية عدم الالتجاء إلى المستكبرين، سواء كان الإنسان قويا أو ضعيفا، وإنما يلجأ المؤمن إلى الله ويتبع المرسلين.²

وكذلك رسموا ﴿الْبَلَّوُا﴾ بهمزة معضدة لعظم البلاء في الوجود "وارتقائه إلى أعظم رتبة، إما في الشر بذبح الأنبياء وهم أقرب الأحباء، وإما في الخير بالنجاة منه وظهورا الآيات البينات".³

ذكر لفظ "البلاء" برسمه العادي مرتين في القرآن الكريم معرفا ومنكرا بالرفع في كليهما "وذلك لتبيين عظم البلاء ووضوحه وأنه "بَلَّوُا" مبين خاصة بالنسبة لسيدنا إبراهيم عليه السلام حينما اختبره الله بذبح ابنه إسماعيل".⁴

جاء ذكر "البلاء" و"بلاء" بزيادة الواو المعضدة للهمزة وبعدها ألف في قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَّوُا مُبِينٌ﴾ [الدخان: 33]، وفي قوله عز وجل: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَّوُا الْمُبِينُ﴾ [الصافات: 106].

¹ عنوان الدليل، ص 42.

² ينظر: إعجاز رسم القرآن، ص 160، 161.

³ عنوان الدليل، ص 42.

⁴ إعجاز رسم القرآن، ص 158.

• ﴿شُقَبَعَتُوا﴾ : وردت بهذا الرسم مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الروم:13]. "والشفعاء أعظم رتبة يوم القيامة حين تظهر الشفاعة بالفعل في الملك الأخروي وذلك مسلوب عن شركائهم".¹

يوحي رسم الكلمة بهذه الطريقة بهمزة معضدة بالواو أن هؤلاء الشركاء الذين اتخذوا من قبل الظالمين شفعاء لم يستطيعوا نصرهم ولم يقدرُوا على تقديم أدنى مساعدة لمن كانوا في الدنيا يعظموهم ويمجدونهم ويسبغون عليهم من الهالات ما لا يوصف، فأنى لهم مما كانوا يظنون.

• ﴿أُبْنَتُوا﴾ : جاءت بهذا الرسم مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوا اللَّهَ﴾ [المائدة:18].

لقد قالته اليهود والنصارى، وهم يدعون أنهم أرفع طبقة في الناس عند الله مكرمون غير مؤاخذين بذنوبهم، مميزون على باقي خلق الله حتى أن اليهود يدعون أنهم شعب الله المختار، غير أن الرد من قبل الله جاء سريعاً² بل في الآية نفسها: ﴿فَلْيَمِزْ يَعْذِبْكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾.

فإذا كان هذا الذي تقدم خص تعضيد الهزمة بالواو فهناك حالات أخرى عضدت فيها الهزمة بالياء.

قال ابن البناء: "وكذلك عضدت الهزمة بالياء في أربعة أحرف تنبئها على اختصاص معنى الكلمة بظهوره في المعنى الملكوتي"³، وذكر أمثلة هذه الأربعة أحرف مشيراً إلى تعليقات هذه الزيادة.

فمن ذلك التي في يونس [15]: ﴿مِن تَلْفَآءِ نَفْسِي﴾ فهو التلقاء الخاص الذي يظهر من قبل النفس ورأيها.

¹ عنوان الدليل، ص 42.

² ينظر: عنوان الدليل، ص 43، 44، وإعجاز رسم القرآن، ص 164.

³ عنوان الدليل، ص 44.

وفي النحل [90]: ﴿وَإِتَّاءُ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ هو الإيتاء الخاص الذي بينه.

وفي سورة طه [130]: ﴿وَمِنْ-انْآءِ لَيْلٍ فَسَيَّحُ﴾ إنها آناء خاصة ملكوتية لا تدرك بالحس.

وكذلك التي في سورة الشورى [51]: ﴿أَوْ مِنْ وَّرَآءِ حِجَابٍ﴾ وراء خاص بالملكوت الذي يظهر بالحجاب.

ولم يعتبر ابن البناء هذه الياءات زائدة كما ذهب إلى ذلك غيره بل ضعف هذا الرأي، وقوى جهة التعضيد بالياء، وذلك أولى برسم هذه الكلمات.¹

¹ ينظر: عنوان الدليل، ص 44.

ثانيا : الدلالة في قاعدة الحذف

سبقت الإشارة إلى أن قواعد الرسم العثماني انحصرت في ست قواعد جمعها الشيخ محمد العاقب في الأبيات الثلاثة التالية:

"الرسم في ست قواعد استقل حذف زيادة وهمز وبدل
وما أتى بالفصل أو بالوصل موافقا للفظ أو للأصل
وذو قراءتين مما قد شهر فيه على إحداهما قد اقتصر"¹

ليست قواعد الرسم الست هذه ثابتة لا تخرج عنها الكلمات القرآنية في رسمها، بل إن هناك استثناءات كثيرة، مما يدل على أن الأمر غير متعلق بالشكل أو الرسم وإنما يتعلق بالمعنى، لأن الأمر لو كان كذلك لوجب اتباع رسم واحد في الكلمة الواحدة، غير أن هذا لم يتحقق وإن باستثناء واحد.

فقد وردت كلمات قرآنية اتحدت قراءتها، لكن رسمها اختلف إن بحذف ألف أو بزيادتها ككلمة "يدعو" فقد رسمت من غير واو "يدع" ولا جازم قبلها، وهو ما يلفت النظر إلى تدبر المعنى الدقيق الذي جاءت به هذه الكلمات في رسمها بالرغم من تشابهها في القراءة.

نخلص من هذا أن اختلاف رسم الكلمة القرآنية عن باقي نظائرها أو اختلافها عن رسمها القياسي إن انفردت يعد دليلا واضحا وقويا على اختلاف المعنى المراد، وإلا ما كان من قيمة لذلك المرسوم المغاير.

وقد بدا لمحمد شملول "أن اختلاف الرسم لمعظم الكلمات القرآنية يوحي أيضا بأن معاني هذه الكلمات القرآنية هي معان متجددة تتفق مع معطيات كل عصر وما يفيض الله به على عباده في كل عصر من فهم لهذه الكلمات حسب معطيات العصر وعلومه".²

وكان مما دُلَّ به على أن أمر التدبر في غاية الأهمية أنه "حتى الآن لم يصل أحد إلى المعاني الخفية وراء الحروف المقطعة التي تأتي في أوائل بعض السور

¹ المتحف في رسم المصحف، ص 20.

² إعجاز رسم القرآن، ص 47، 48.

القرآنية... ولم اختلفت كتابتها عن قراءتها؟... ولماذا المدود في بعض هذه الحروف؟... إن أوانها لم يحن بعد... قال تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾... وحيث إننا لا نعلم هذا الحين، لذا فإنه يجب علينا أن نجتهد في التدبر وفي محاولة الفهم¹ ﴿بَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنَا بِالْقَبْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ﴾.

وقد ذكر محمد شملول مبادئ اقتضتها قضايا الدلالة، حين تصبح هذه الدلالة الصرفية قائمة على حسن الاختيار ودقته، متمثلة في مناسبة صفات الصوت للمعنى، وزمن الصوت لزمن الحدث، ومناسبة صيغة اللفظ للمعنى، ضيف إليها زيادة المبنى لزيادة المعنى أو نقصان المبنى لنقصان المعنى.

وقد اجتمعت هذه المسائل للكلمة القرآنية، وربما اجتمع لها ما لا ندركه، وقد أتت أصوات الحروف على حد سمت الأحداث مثل قوله تعالى: ﴿فَكَكَّبْتُ وَجُوهَهُمْ فِي الْبَارِ﴾ وقوله: ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ﴾.

ولما كانت الألفاظ أوعية للمباني فإنه كلما اتسع الوعاء كان ذلك دالا على زيادة المعنى، إذ المادة بحروفها الأصول بعددها المعين وبترتيبها الخاص تفيد معنى، فإن أضيف إلى هذه الأصول حروف أخرى أفادت معنى زائدا على المعنى السابق الذي كان في الأصول، وعلى خلافه نقص المبنى حين ينقص بعض حروف الكلمة من أصلها يكون ذلك دالا على نقص زمن الحدث وهو ما يؤثر في سرعته أو عجلته، كما يمكن أن يكون تعليلا لسرعته أو عجلته، وبالجملة فإن إعجاز الكلمة القرآنية يتمثل في كتابتها وتلاوتها وبيانها.

وذلك ما سيشرح فيه من خلال المباحث التالية:

(1) حذف الألف ودلالته :

يعني حذف الألف إسقاطها رسما في المصاحف العثمانية ويقابله "الثابت" أو "المحذوف والثابت"، والثابت هو ما يرسم سواء كان ذلك الحرف القابل للحذف ألفا أو واوا أو ياء؛ لأن كل محذوف من هذه الثلاثة إذا أراد علماء فن

¹ ينظر: إعجاز رسم القرآن، ص 59 و 61.

الضبط أن يضيفوه أضافوه سواء اختلفت القراءة فيه أو اتحدت، فمما اختلفت فيه القراءة وكتب برسم جامع لها لفظ ﴿مَلِكٍ﴾ في سورة الفاتحة، فمن كانت قراءته بحفص وجد في المصحف على ميم ﴿مَلِكٍ﴾ ألفا ليقراها "مَالِكٍ" ومن كانت قراءته من غير مد لم يرسم له بألف بين الميم واللام كما في رواية ورش: ﴿مَلِكٍ﴾ بخلاف لفظ "العالمين" فقد رسمت في المصحفين برواية ورش وحفص بألف صغيرة بين العين واللام ﴿أَعْلَمِينَ﴾.

لم يكن حذف الألف من وسط كثير من الكلمات خاليا من دلالة أو تعليل مراعاة للسياق:

وقد أُقِرَّتْ أشياء - بعد التدبر - بسبب هذا الحذف فكان ذلك إما¹: لوجود التصاق لصفة الكلمة لكونها وحدة واحدة، فالألف تمثل إذا رسمت نوعا من الفصل أو الانفصال، وإذا حذفت دلت وأوحت بالقرب والالتصاق نحو كلمة: ﴿صَحْبَةٍ﴾ التي بمعنى الزوجة، و﴿أَصْحَابٍ﴾ و﴿أَزْوَاجٍ﴾، وإما لوجود تمكين لدلالة الكلمة، مثل: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ و﴿مَكَّنَّهُمْ﴾، أو للتهوين من الشأن، مثل: ﴿كَيْدُ سَاحِرٍ﴾ و﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِرِيَّ﴾، وقد يوميء ذلك الحذف إلى صغر الشيء، مثل: ﴿عَلَّمَ﴾ و﴿كِدَابًا﴾ أو السرعة نحو ﴿الصَّعِقَةَ﴾ و﴿أَوْ إِطْعَامٍ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ أو: الانكماش أو التنكيس في الخلق مثل: ﴿وَالْفَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ و﴿الَّتِي تَمْبِي﴾، وجود صفات مشتركة تجمع بين الجموع مثل: ﴿الظَّالِمِينَ﴾ و﴿الْجَاهِلِينَ﴾، السكون والهدوء مثل: ﴿أَمْوَاتًا﴾، الإحكام وقطعية المعنى مثل: ﴿إِلَّا سَلَمٌ﴾ و﴿أَلَا يَمَسُّ﴾ و﴿مِثْلَ فِكْمٍ﴾، كون الشيء في أضيق الحدود مثل: ﴿الطَّلُقُ﴾.

¹ ينظر: إعجاز رسم القرآن، ص 62 و 65.

إذا كان الحذف يقلل من أحرف الكلمة ويختصر رسمها فإن ذلك يخرجها إلى صغر حجم لتدل بهذا الرسم المخالف على انكماشها وضغطها، ويكون حذف الألف من وسطها سببا يقلل به الزيادة من وقعها وسرعتها والتصاقها، وقد تستنبط دلالات أخرى تتمشى مع المعنى المراد يوضحها السياق.

يوحي حذف "ألف المد" في وسط بعض الكلمات القرآنية بمعان عميقة لا تتحقق في تلك التي جاءت على أصل الرسم، وهو ما يثبت أن اختلاف المرسوم في الكلمة الواحدة المتكررة في القرآن يؤدي إلى اختلاف في المعنى من مفرد إلى جمع:¹

1. في المفرد :

أ- تأتي "ألف المد" في الكلمة المفردة إما مكتوبة بشكل صريح "ثابتة" مرسومة؛ إذ يدل ذلك على أن هناك تأكيدا للذات التي تصفه الكلمة كما لو كان الشيء ممتدا، أو كان مفصلا، أو كان الشيء فاصلا، أو عميقا باطنا، أو كان هناك فاصل زمني أو مكاني أو نوعي.

ب- أما إذا أتت "ألف المد" محذوفة من الكلمة القرآنية غير مرسومة، فإن حالها يوحي بوحدة الشيء وقرب أجزائه، أو تأثره بشيء آخر، أو سرعته أو التصاقه، يضاف إلى ذلك أن "حذف الألف" يوحي بصفة التمكين وصفة الاستمرارية الزمانية والمكانية، وبقلة الشأن أحيانا، ويتحكم في هذا كله أولوية المعنى المراد طبقا للسياق والفهم والتدبر.

2. في الجمع :

جاءت أكثر الجموع محذوفة الألف من وسطها، إذ تذوب ذاتية الشيء في ذاتية الآخرين، فلم ترسم الألف صريحة في وسط الكلمة، وبذلك تدل على وحدتها وتماسكها، وهذا في أغلب الأحيان.

وقد تثبت هذه الألف فترسم ولا تحذف لتدل على أن هناك صفات أخرى فارقة لا تجتمع بين هذه الأشياء، وإن اجتمعت في صفة غالبية مشتركة، اختلفت درجتها نوعا وكمية في أفراد الجمع.

¹ ينظر: إعجاز رسم القرآن، ص 64، 65.

كما يوحي وجود الألف في وسط الكلمة بوجود انفصال زمني أو مكاني أو نوعي أو كمي أو غير ذلك بين الجمع، ولا يحدد ذلك إلا السياق. ولما كانت الألف تحذف من وسط الكلمة ولا ترسم وقد جعلها ابن البناء المراكشي تحت "فصل في الألف الناقص من الخط"، وهي التي - كما عبر عنها - "تكون في كلمة لمعنى له تفصيل في الوجود إذا اعتبر ذلك من جهة ملكوتية أو صفة حالية أو أمور علوية مما لا يدركه الحس، فإن الألف تحذف في الخط علامة لذلك. وإذا اعتبر ذلك من جهة ملكية أو صفة حقيقية في العلم وأمر سفلية ثبتت الألف".¹

وقد وردت أمثلة كثيرة في القرآن مدعمة دلالة حذف الألف:

• **لفظة ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾:**

وقد وردت كلمة ﴿بِسْمِ﴾ من غير رسم ألف الوصل ثلاث مرات في القرآن الكريم، إذا لم نعد فواتح السور التي جاءت البسمة فيها فارقة بين ختام السورة وبداية السورة التي بعدها.

جاءت لفظة (بسم) في فاتحة سورة الفاتحة [1]: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وفي سورة هود [41]: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مُجْرِبِهَا وَمُرْسِبِهَا﴾، وفي سورة النمل [30]: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

وفي هذه الثلاث آيات تليت باسم لفظ الجلالة (الله)، أما في غير ذلك حين يتلوها المضاف إليها لفظة (ربك) فقد كتبت على الأصل بألف الوصل وهذا في أربعة مواضع:

في قوله تعالى: ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ كلاهما في الواقعة [74 و96].

وفي قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ في الحاقة [52].

¹ عنوان الدليل، ص 65.

وفي قوله تعالى: ﴿إِفْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ في العلق [1].

وأود أن أقف وقفة مع لفظة (بسم) التي يعقبها لفظة الجلالة (الله) لما اشتملت عليه كتابتها بخلاف مرسومها الإملائي من ناحيتين: ناحية حذف همزة الوصل، وناحية تطويل سِنَّة الباء، وقد تناولت اللفظة جميع كتب التفسير موضحة كونها تعتبر آية من سورة الفاتحة أم لا تعتبر، غير أن جميع علماء الأمة سواء كانوا علماء تفسير أو فقه أو حديث أجمعوا على أنها جزء من آية في سورة النمل [30].

وممن أطالوا الشرح في هذه اللفظة الألوسي (ت1270هـ) في تفسيره "روح المعاني" اقتطف قليلا من كثير ما أورده في شأن البسملة:

فإذا كانت الاستعانة بالذات، فإن التبرك لا يكون إلا بها، فحين الشروع في أي عمل أو أمر ذي بال يقال "بسم الله" ولم يقل "بالله"، قال الألوسي: "ولم تكتب همزة الوصل، مع أن الأصل في كل كلمة أن ترسم باعتبار ما يتلفظ بها في الوقف والابتداء، بل حذفت تبعا لحذفها في التلفظ للكثرة، وقيل لأنها دخلت للابتداء بالسين الساكنة، فلما نابت الباء عنها سقطت في الخط بخلاف ﴿إِفْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق:1].

وعلل الخلاف أي وجوب رسمها هنا (باسم ربك) لعدم نيابة الباء منابها فقد يرد حذفها مع بقاء المعنى، فيقال: اقرأ اسم ربك، ثم أضاف: وعندي أن هذا رسم عثماني، وهو مما لا يكاد يعرف السر فيه أرباب الرسوم... وبذلك اعتذر البعض عن عدم حذف ألف الله مع كثرة استعماله... فالرأي إبداء سر ذوقي لذلك... والقريب من الفهم أن الهمزة إنما حذفت في الخط ليكون اتصال السين بالباء المشير إلى ما تقدم أتم وتلقى الفيض أقوى ﴿ومن يطع الرسول فقد أطاع الله﴾. ثم يواصل قوله عن أجزاء البسملة قائلا: وتناسبت أجزاء البسملة إشارة وعبرة، وإنما طولت الباء للإشارة إلى أن الظهور تام أو إلى أنها وإن انخفضت لكنها إذا اتصلت هذا الاتصال ارتفعت واستعلت، وفيه رمز إلى أن من تواضع لله رفعه الله... وقال الرسميون: طولت لتدل على الألف المحذوفة ولتكون عوضا عنها وليكون افتتاح كتاب الله تعالى بحرف مفخم.

وذكر الحديث الذي يوصي فيه رسول الله ﷺ معاوية بإلقاء الدواة وتحريف القلم ونصب الباء وتفريق السين وإجادة كتابة حرف الميم وتحسين كتابة لفظ الجلالة (الله)...

ثم ينتقل إلى أصل لفظ الجلالة (الله) فيقول:

و (الله) أصله الإعلالي إله كما في الصحاح أو الإله كما في الكشاف، فحذفت الهمزة اعتباراً على الأظهر، وعوض عنها الألف واللام، ولذلك قيل يا الله بالقطع في الأكثر". وقد أطال الحديث هنا بما لا يمكن خلاصته إلا بمطالعة ومراجعته إلى ختم بحثه في البسملة بقوله: "ولما افتتح سبحانه وتعالى كتابه بالبسملة، وهي نوع من الحمد ناسب أن يردفها بالحمد الكلي الجامع لجميع أفراده البالغ أقصى درجات الكمال، فقال جل شأنه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وهو أول الفاتحة وآخر الدعوات الخاتمة كما قال تعالى: ﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس:10]"¹.

وذكر محمد الصالح الصديق في تحليلاته اللفظية للبسملة ومجيء كلمة "اسم" بين الباء ولفظ الجلالة من غير أن يقال "بالله" "لأن المقصود أن يكون الفعل المشروع فيه شأناً من شؤون أهل التوحيد، فهو منسوب إلى الإله الذي لا شريك له طالبا من هذا الانتساب التعرض لإعانة الله على ذلك الشأن ونجاحه وقبوله عند الله.

فلما كان المقصود من هذا الانتساب، كان المناسب أن يكون الشروع في ذلك العمل متصلاً بدليل الذات لا بالذات نفسها، فلذلك يقحم لفظ اسم في كل ما فيه طلب إعانة..."²

¹ روح المعاني في تفسر القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، قرأه وصححه محمد حسين العرب، دار الفكر، 1417هـ/1997م، 93/12 و115 باختصار.

² ومضات من سورة الفاتحة، محمد الصالح الصديق، دار البعث، ط 1405هـ/1984م، ص 78.

• لفظه ﴿فُرءَان﴾

وردت لفظه "قرءان" بالنصب: ﴿فُرءَانَا﴾ بألف صريحة ثابتة رسماً بعد الهمزة ثمانى وستين (68) مرة فى القرآن الكرىم كله منها:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ فُرءَانَ سُرِرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ فى الرعد [31]

وقوله تعالى: ﴿فُرءَانَا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ فى الزمر [28]

وقوله تعالى: ﴿بِقَالِهِمْ إِنَّا سَمِعْنَا فُرءَانَ عَجَبًا﴾ فى الجن [1]

غير أن لفظه قرآن جاء مرتين فى القرآن الكرىم بألف محذوفة غير مرسومة، فى قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فُرءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْفَلُونَ﴾ فى يوسف [2]، وفى قوله عز وجل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ فُرءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْفَلُونَ﴾ فى الزخرف [3]. ولم تختلف الآيتان إلا فى لفظه ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ و﴿جَعَلْنَاهُ﴾، وقد اشتركتا فى موقع البداية ونوع السورة، إذ كلتا السورتين تبدأ بالحروف المقطعة فالأولى: ﴿أَلرَّ﴾ والثانية ﴿جَمَّ﴾، كما أن الآيتين جاءتا بعد ذكر ﴿وَالكِتَابِ الْمُبِينِ﴾.

ويوحى رسم الكلمتين من غير ألف ﴿فُرءَانَا﴾ بالحذف بأن الأمر يستدعى تدبر القرآن الكرىم بعقولنا باعتبار القرآن وحدة واحدة لا يفرق بين آياته، ولا تؤخذ آية على حدة، لذا تكررت ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْفَلُونَ﴾ حين خالف مرسومها خط غيرها فى باقى الثمانية والستين الأخرى.

ويكتشف من رسم لفظه "قرءان" الثابتة الألف فى غير هاتين بأن القرآن الكرىم فى نزوله لم ينزل جملة واحدة كما أراد الكفار: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْفُرءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان:32]، وبإمعان النظر فى رسم الكلمة بالثابت وتدبر هذه الآية والوقوف على بعض ألفاظها مثل: ﴿لَوْلَا﴾ و﴿نُزِّلَ﴾، و﴿جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ و﴿لِنُثَبِّتَ﴾

﴿فَوَآذَكَ﴾ ثم ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾، فكيفية القرآن من أهم شروط التدبر واستخراج المعنى، لذا جاءت اللفظة كاملة الأحرف رسماً: ﴿الْفُرْعَانُ﴾ ضف إليها أنها محركة بالرفع.

وعلى المراكشي حذف الألف بعامة قائلاً: "كل ألف تكون في كلمة لمعنى له تفصيل في الوجود، إذا اعتبر ذلك من جهة ملكوتية أو صفة حالية أو أمور علوية مما لا يدركه الحس، فإن الألف تحذف في الخط، علامة لذلك..."

وقد حذف ألف القرآن في حرفين؛ هو فيهما مرادف للكتاب في الاعتبار - وذكر موضعيهما -، ثم قال: وقال بعد ذلك في كل واحدة منهما: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْفَلُونَ﴾، فقريته هي من جهة المعقولية.¹

ولما كان في كثير من آيات القرآن مجيء لفظة "قرآن" مع لفظة "كتاب" كان من الأجدر أن تعقب هذه اللفظة ما سبق توضيحه لللفظة قرآن.

• كِتَاب

لم يرد في القرآن الكريم من لفظة ﴿كِتَابٌ﴾ المرسومة بألف صريحة ثابتة إلا أربع كلمات، ورسمت باقي ألفاظها البالغة إحدى وخمسين ومائتي (251) مرة بألف محذوفة.

ولمجيء هذه الأربع على قاعدتها القياسية بألف صريحة تعليه الخاص، لذا يختلف المعنى؛ ففي قوله تعالى: ﴿يَكُلُّ أَجَلٍ كِتَابٍ﴾ [الرعد: 38] يوحى رسم الألف بتعدد الآجال، وليس توقيتها واحداً، وإنما يكون حالها حسب قضاء الله وقدره.

وكذا التي في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الحجر: 4] أوحى أو دلت كتابة كلمة "كتاب" بشكلها التام الأحرف من غير نقص

¹ عنوان الدليل، ص 65، 66.

في ألفها على اتساع ومقدار معلوم لا تضيق فيه، فلكل قرية أجل مختلف عن غيرها.

أما الثالثة التي في قوله تعالى: ﴿وَآتُلْ مَا وَجَّيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكهف: 27]، فقد يستشف من رسم ﴿كِتَاب﴾ على الهيئة الكاملة من غير حذف في ألفها بأن القرآن وإن نزل منجما على مراحل وليس دفعة واحدة على رسول الله ﷺ لا يلحقه تغيير ولا يناله تعديل أو تحريف، كيف وقد جمع في الصدور قبل السطور، وجاء التأكيد على حفظه من قبل منزله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9].

وقد أشار إلى هذه المعاني السامية في الأربع كلمات للفظه "كتاب" ابن البناء بقوله: "وكذلك ثبت ألف الكتاب في أربعة أحرف هي مقيدة بأوصاف خصصته من الكتاب الكلي.

أحدها في الرعد: ﴿يَكُلُّ أَجَلٍ كِتَابٍ﴾ هذا الكتاب هو كتاب الآجال فهو أخص من الكتاب المطلق والمضاف إلى اسم الله. وفي الحجر: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ هذا الكتاب هو كتاب إهلاك القرى، وهو أخص من كتاب الآجال.

وفي الكهف: ﴿وَآتُلْ مَا وَجَّيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾ هذا الكتاب هو أخص من الكتاب الذي في قوله تعالى: ﴿آتُلْ مَا وَجَّيَ إِلَيْكَ مِنْ أَلْكِتَابِ﴾ [العنكبوت: 45] لأنه أطلق هذا وقيد ذلك بالإضافة إلى الاسم المضاف إلى معين في الوجود. والذي هو أخص وأظهر تنزيلا.

وفي النمل ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [النمل: 1] هذا الكتاب جاء تابعا للقرآن والقرآن جاء تابعا للكتاب...".¹

¹ عنوان الدليل، ص 66، 67.

فحين جاءت لفظة القرآن ثابتة الألف تبعتها لفظة كتاب في رسمها.

• ءَايَاتُنَا

جاءت كلمة (ءايات) وما ألحق بها على قاعدة جمع المؤنث السالم من حيث إسقاط ألفه التي قبل التاء تسعين مرة، غير أنها وردت مرتين بشكلها العادي الاصطلاحي ثابتة الألف، ففي سورة يونس [15] قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنِّي بِفُرْعَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾، وفي السورة نفسها [21]: ﴿وَإِذَا أَدْفَنَّا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُمْ؛ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ مِّنْ ءَايَاتِنَا فَلِ اللَّهِ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾.

يوحي مجيء كلمة: ﴿ءَايَاتُنَا﴾ في الآية الأولى مفصلة أن الله سبحانه يتكلم عن آيات القرآن الكريم التي نزلت مفصلة واضحة مبينة، لكن المعارضين طلبوا من الرسول ﷺ أن يكون لهم قرءان غير هذا، فرد عليهم الرسول ﷺ أنه لا تبديل فيه ولا تغيير، لأنه متبع لأوامر ربه مبلغ عنه¹: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتِهِ﴾ [المائدة: 67].

لفتت كتابة ﴿ءَايَاتُنَا﴾ على غير أصل القاعدة إلى قضية عظيمة وهي أن القرآن من عند الله لا دخل لأحد فيه، ولا يناله تبديل ولو في كلمة ولن يغير في حرف منه، وما بُدِّلَ بنسخ فهو لحكمة قال تعالى: ﴿مَا نُنسخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِئُهَا نَاتٍ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ [البقرة: 106].

أما الآية الثانية فإن لفظة ﴿ءَايَاتُنَا﴾ التي جاءت بهذا الرسم لفتت النظر إلى قضية مهمة وهي ألا ينسب الخير إلا لله، فلا واسطة ينسب لها الخير لذا جاء تفصيل الكلمة من غير ضغط أو انكماش لتعلن عن آيات الله المنتشرة والمفصلة في الكون، غير أن الناس عن آيات الله معرضون.

¹ ينظر: روح المعاني، للألوسي، ج 7/ 121، 122.

وحين تأتي كلمة ﴿ءَايَاتُ﴾ من غير ألف ثابتة في الخط تعني من ضمن ما تعنيه أنه يجب أخذ هذه الآيات وحدة واحدة غير مجزأة، يكون الإيمان بها لا ببعضها والكفر ببعض آخر.¹

• أَحْيَاءٌ - أَمْوَاتٌ

وردت كلمة "أَحْيَاءٌ" في القرآن خمس (5) مرات، وكلمة "أَمْوَاتٌ" ست (6) مرات، وقد ذكرت الكلمتان في الآية نفسها التي تذكر فيها إحداهما، جاء ذكر "أَمْوَاتٌ" قبل "أَحْيَاءٌ" في ثلاث منها، وقدمت كلمة "أَحْيَاءٌ" في اثنتين منها، وهذه آياتها مرتبة كما وردت في القرآن الكريم:

في البقرة [154] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾، وفي آل عمران [169] قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ﴾، وفي سورة النحل [21] قوله تعالى: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾، وفي فاطر [22] قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾، وفي المرسلات [22] قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كَقَاتًا ﴿٢٢﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾.

ولما كانت الحياة دليل حركة ونشاط وجد وعمل، والموت سكينه وخمودا وهدوء كان لرسم كل واحدة منهما بالإثبات في الحياة والحذف في الموت معنى ودلالة، لأن مجيء الشيء على تمامه إشارة إلى حيويته ونشاطه، وخلافه ما جاء ناقصا، إذ يوحي بالانكماش والتقلص والانقباض..

• تُرَابٌ - تُرَابًا

وردت كلمة "تراب" برسمها الإثباتي والحذفي في القرآن الكريم سبع عشرة (17) مرة، منها ثلاث (3) مرات بالحذف أي من غير رسم الألف الوسطية،

¹ ينظر: إعجاز رسم القرآن، ص 90، 91.

والباقي (14) بألف ثابتة، وما رسم منها كامل الحروف ﴿تُرَابٌ﴾ دل على أصل خلق الإنسان إذ كان من التراب نحو قوله تعالى: ﴿أَكْبَرْتَ بِالذِّمِّ خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾ [الكهف:37]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ [آل عمران:59]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ [النحل:59].

أما الثلاث التي جاءت على خلاف ذلك بألف محذوفة، فيوحي رسمها بالتحقير والتصغير والتهوين من شأن التراب، لأن الكلمة برسمها غير كاملة الحروف تعتبر منكمشة، وقد يفهم من الانكماش الانغلاق والانزواء والتحقير والتقليل من شأن المنكمش.

جاءت هذه اللفظة ﴿تُرَاباً﴾ في الآيات التالية:

في قوله تعالى: من سورة الرعد [5]: ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ؛ إِذَا كُنَّا تُرَاباً إنا لَمِمْ حَلِيٍّ جَدِيدٍ﴾.

وفي قوله تعالى من سورة النمل [67]: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَاباً وَءَابَاؤُنَا أَيُّنَا لَمُخْرَجُونَ﴾.

وفي قوله تعالى من سورة النبا [40]: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً﴾.

• جَنَّاتٍ - الْجَنَّاتِ

ما جاء من كلمة ﴿جَنَّاتٍ﴾ نكرة رسم من غير ألف ثابتة، وقد ذكرت في القرآن الكريم ثماني وستين (68) مرة، أما التي جاءت معرفة بالألف واللام فقد رسمت بألف صريحة ثابتة ولم ترد في القرآن إلا مرة واحدة سبقت بلفظة ﴿رَوْضَاتٍ﴾ التي أثبتت ألفها رسماً، فكانت برسمها على هذا الشكل موحية بسعة الجنات وروضاتها، ولتبين نماذج أخرى من الجنات، فهذه ﴿جَنَّةٌ﴾ عرضها

السموات والأرض فما بال الجنات: ﴿سَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ
عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:133]. قال تعالى:
﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتٍ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ
رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [الشورى:22].

• طَآيِفٌ

ذكرت هذه اللفظة مرتين في القرآن الكريم، إحداهما نسب ذكرها إلى الله في
قوله تعالى: ﴿بَطَافٌ عَلَيْهَا مِّن طَآيِفٍ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآيِمُونَ﴾ [القلم:19]، وفيها
رسمت بألف ثابتة، جاءت كاملة غير ناقصة، لذا كان الجزاء كاملا ولا يمكن رده
أو صده، لأنه لا غالب إلا الله، وقد جاء بعدها ما أنبأ عن العقوبة التي لحقت
بأصحاب البستان، قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ [القلم:20] من غير
انتظار أو تقديم اعتذار جزاء وفاقا.

أما ثانيتهما فقد نسبت إلى الشيطان ولم ترسم ألفها فجاءت بالحذف، قال
تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُم طَآيِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾
[الأعراف:201]، جاءت عقب قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ فهؤلاء قد يكيد
لهم الشيطان لكنهم قادرون على الخلاص منه بما أوتوا من ضمير وعقل يذكرهم
ويرشدهم.

لقد جاءت لفظه ﴿طَآيِفٌ﴾ هنا غير كاملة في أحرفها بالرغم من مجيء همزة
بعد ألف المد التي يجب مدا مدا مشبعا، فكان أن قلصت رسما فهي توحى
بالانكماش، وهي قصيرة على هيئة نزع من الشيطان: ﴿وَإِذَا يَنزَعَنَّكَ مِّنَ
الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [الأعراف:200].

يوحى رسمها بهذه الشاكلة ﴿طَيِّبٌ﴾ أن الشيطان ضعيف ومسه يمكن مقاومته بالاستعاذة وبذكر الله كما أخبرنا ربنا.¹

• شَاهِدٌ - شَهِيدٌ

جاءت كلمة شاهد بالألف مرسومة في وسط الكلمة أربع مرات من غير ورود كلمة رسول في السياق، وجاءت كلمة ﴿شَهِيداً﴾ بالحذف وبإعراب النصب مع ذكر كلمة رسول معها بعدها ثلاث مرات.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنْآ أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ [الأحزاب: 45].

وقال عز وجل: ﴿إِنآ أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ [الفتح: 8].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنآ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَهِيداً عَلَيْكُمْ﴾ [المزمل: 15].

وجاءت هذه الثلاث كلها خاصة بسيدنا محمد ﷺ.

يمكن أن نستشف من حذف الألف في لفظة ﴿شَهِيداً﴾ هنا بالتصاق الكلمة بنا، لأن رسول الله ﷺ ملتصق بنا، رسالته قريبة منا ودعوته وستته حاضرة وشفاعته واردة، وما فتى المسلم يذكره في صلواته وتشهداته ناهيك عن ذكره بالصلاة عليه والتسليم. وقد أمرنا ربنا بالصلاة عليه فبدأ بنفسه وثنى بملائكة قدسه، ثم أمر المؤمنين - ثالثاً - بالصلاة عليه فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلَّوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب: 56].

وقد زاد التنوين في ﴿شَهِيداً﴾ قوة دلالة فأشار إلى عظمة الرسول ﷺ وإلى رسالة الخاتمة الدائمة إلى يوم قيام الساعة.²

¹ ينظر: إعجاز رسم القرآن، ص 93.

² ينظر: إعجاز رسم القرآن، ص 94.

• الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمَ

ذكر لفظة ﴿صِرَاطٌ﴾ وملحقاتها في القرآن الكريم خمسا وأربعين (45) مرة غير ثابتة الألف، وأفادت معنى ﴿الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ذلك الطريق غير المعوج وهو الذي يوصل إلى رضوان الله بأقصر الطرق حين يسلم المرء وجهه لله تعالى.

أما لفظة ﴿الصِّرَاطُ﴾ المعرفة بالألف واللام فجاءت في رسمها المصحفي دون ألف وسطية لتوحي بوحدة الطريق غير المنفصل، الواضح المعالم الموحد الذي فيه الهدى والنجاة.¹

• سُبْحَانَ

لم ترسم ألف سُبْحَانَ في القرآن كله حيث وكيف جاءت، نحو قوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة:32]، وقوله عز وجل: ﴿سُبْحَانَكَ، وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الأنعام:100]، وقوله تعالى: ﴿بِسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم:27]، وقوله عز وجل: ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ [الإسراء:108].

واستثني موضع واحد، وهو موضع اختلاف كتاب المصاحف، فمنهم من جاء به على سنة أخواتها - بالحذف - ومنهم من أثبت ألفه، ذلك في قوله عز وجل: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء:93]. وبدا الاختلاف بين مصحفي قراءة عاصم وورش، فالمطبوع برواية ورش جاء فيه بالحذف، وخلافه المطبوع برواية حفص.

جاء في دليل الحيران ما يدعم ذلك في قول الناظم:

"ولفظ سبحان جميعا حذفاً لكن قل سبحان فيه اختلفا"²

¹ ينظر: إعجاز رسم القرآن، ص 107، 108.

² دليل الحيران إلى مورد الظمان، ص 135.

وقد عُلِّل إثبات الألف هنا في حرف الإسراء [93] لاعتباره تنزيها "من مقام الإسلام وحضرة الأجسام وصدر به مجاوبة للكفار في موطن الرد والإنكار".¹

كما عُلِّل حذفها لمن كتبوها على غرار البواقي - إسقاطا - فَلِعَلُّوْ قدر المصطفى ﷺ لا يشغله عن الحضور بقلبه في الملكوت الخطاب في الملك. واعتُبر هذا أولى الوجهين كما ذهب إليه ابن البناء.²

• يَتَأْتِيَةٌ

إذا رسمت هذه الكلمة على أصلها في رسمها القياسي وجب إثبات ألف المد في هائها ﴿يَتَأْتِيَهَا﴾ كما في معظم القرآن من لفظة: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ و﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ و﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ و﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ﴾. غير أنها سقطت هذه الألف التي هي للتنبيه في النداء، في ثلاثة أحرف سواء سبقت أم لم تسبق بحرف النداء (يا) أي في التي جاءت ﴿أَيُّة﴾ من قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّةَ الْمُؤْمِنِينَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:31]، وفي قوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا يَتَأْتِيَةُ السَّاجِرُ﴾ [الزخرف:49]، وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّةَ الثَّقَلَيْنِ﴾ [الرحمن:31]. أما غير هذه الثلاثة، فجاء على رسمه العادي بإثبات الألف، فما السر في التي جاءت ناقصة الألف؟

جاء في البرهان ما يعلل لهذا الرسم، قال الزركشي: "والسر في سقوطها في هذه الثلاثة الإشارة إلى معنى الانتهاء إلى غاية ليس وراءها في الفهم رتبة يمتد النداء إليها، وتنبيه على الاقتصار والاقتصاد من حالهم والرجوع إلى ما ينبغي".

ثم خص التي في سورة الرحمن بقوله: فإقامة الوصف مقام الموصوف يدل على عظم الصفة الملكية، فإنها تقتضي جميع الصفات الملكوتية والجبروتية،

¹ الرسم العثماني قواعده وبدائع الإعجاز فيه، ص 83.

² ينظر: عنوان الدليل، ص 73.

فليس بعدها رتبة أظهر في الفهم على ما ينبغي لهم من الرجوع إلى اعتبار آلاء الله في بيان النعم ليشكروا وبيان النقم ليحذروا".¹

لذلك جاءت سورة الرحمن مكررة فيها هذه الآية: ﴿قَبَائِلَ آءِ آلَاءِ رَبِّكَ مَا تُكَدِّبَانِ﴾ إحدى وثلاثين مرة.

وذكر محمد شملول بأن حذف الألف من حرف النداء "يا" وحرف التنبيه "ها" شملته كل المواضع التي ذكرا فيها من غير استثناء، وعلل هذا الحذف لكون النداء والتنبيه لا بد أن يكون من القرب ليكون تأثيره مؤكدا وأكثر وقعا وحتى لا تختلط الأمور،² ويمثل لهذا بالكلمات القرآنية التالية: (يَنبَرِّ - يَنْقُومَ - يَنْبَنِي - يَنْصَلِيحُ) و(هَآنَتُمْ - هَآؤُلَاءِ - هَذَا - هُنَهَا).

• عاليها

جاءت هذه اللفظة في موضعين ناقصة الألف بالحذف، في قوله تعالى: ﴿قَلَمًا جَاءَ أَمْرُنَا عَلَيَّهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّن سَجِيلٍ﴾ [هود: 82]، وفي قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيَّهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّن سَجِيلٍ﴾ [الحجر: 74].

استشهد محمد بن عبد الوهاب للكلمتين على ما رسمتا به من حذف بنص عامي مهذب قصير، ثم ذكر ما يوحى به رسمها بهذه الشاكلة الحذفية قال: "والنص التالي يؤطرها: "عاليها معلّي وسافلها مدلي" وعلّة حذف الألف من الأولى وثبته في الثانية دليل على حذف قرى لوط من على خريطة الأرض بحيث أصبح عاليها في الأسفل، وسافلها في الأعلى، لما جاء أمر الله تعالى فغطى هذه القرى بحجارة من سجيل... فحذف الألف في الكلمة دليل على حذف هذه القرى من على الأرض وفي ذلك قمة الإيجاز المعجز والله أعلم.

¹ البرهان في علوم القرآن، ج 1/ 196.

² ينظر: إعجاز رسم القرآن، ص 141.

ثم ذكر التي في قوله تعالى: ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ [الحاقة:22]، وقد جاءت بألف صريحة ثابتة لثبوت علو مكانتها عند الله، وكذلك التي في قوله تعالى: ﴿ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾ [الإنسان:21] رسمت بالحذف لأنها ملكوتية.¹

• سَمَوَات

ذكرت كلمة "سماوات" بالتعريف والتنكير تسعين ومائة (190) مرة، رسمت في تسع وثمانين ومائة مرة بحذف ألفي الميم والواو ﴿ سَمَوَات ﴾، وانفردت مرة واحدة بإثبات الألف التي بعد الواو وهي التي في فصلت [12] من قوله تعالى: ﴿ فَفَضَّيْهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾.

وقد لخص قاعدتها الخراز كما ورد في دليل الحيران في البيتين التاليين:

وَبَعْدَ وَاوٍ عَنْهُمَا قَدْ أُثْبِتَتْ لَدَى سَمَاوَاتٍ بِحَرْفٍ فَصَّلَتْ
وَحُذِفَتْ قَبْلُ بِلَا اضْطِرَابٍ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مِنَ الْكِتَابِ²

أشار إلى أن الشيخين أقرأ إثبات الألف الواقعة بعد واو سماوات في سورة "فصلت"، ولم يختلف في التي قبلها في الحذف من الميم في جميع المواضع التي جاء ذكرها في القرآن الكريم، نحو قوله تعالى: ﴿ فَسَوَّيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ [البقرة:29]، وفي قوله تعالى: ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [البقرة:33]، وفي قوله عز وجل: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ [الأنعام:1].

"وحين نتدبر هذه الآية: ﴿ فَفَضَّيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ وما قبلها من آيات نجد أن القرآن الكريم يتعرض لقضية كبرى هي قضية خلق السماوات والأرض؛

¹ ينظر: الرسم العثماني قواعده وبدائع الإعجاز فيه، ص 99، 100.

² دليل الحيران، ص 77.

وتفصيلاته وترتيب هذا الخلق ومدته وتقدير الأقوات في الأرض... وعليه فقد جاءت كلمة ﴿سَمَوَاتٍ﴾ بالرسم غير العادي هذه المرة بوجود ألف صريحة لتلفت النظر إلى تفصيلات خلق السماوات والأرض فجاءت الألف فاصلة للسماوات محددة، لأن لكل سماء أمرها الخاص بها... ومن العجيب أن يأتي تفصيل خلق السماوات والأرض في سورة فصلت¹.

ولا يدرك هذا العجب إلا بتدبر الآيات الأربع ابتداء من قوله تعالى: ﴿فَلْ أَيْنُكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالذِّمَّةِ خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ تَفْذِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: 9-12].

• أَصْحَبُ مُوسَى

جاءت لفظة ﴿أَصْحَبُ﴾ المضافة إلى النبي موسى عليه السلام مرة واحدة في القرآن الكريم على خلاف ذكر ﴿قوم﴾، فقد أضيفت إليه عليه السلام ثلاث مرات، في قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خَلِيلِهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ﴾ [الأعراف: 148ي]، وفي قوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: 159]، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ [القصص: 76].

أما كلمة ﴿أَصْحَبُ﴾ المضافة إلى موسى عليه السلام فقد وردت في قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَيْنِ قَالَ أَصْحَبُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ [الشعراء: 61]، وجاء رسم ﴿أَصْحَبُ﴾ هنا محذوفة الألف "لتبين مدى محاولة قوم موسى الالتصاق به في هذا الموقف العصيب، حيث إن البحر أمامهم والعدو

¹ ينظر: [عجاز رسم القرآن، ص 113، 114].

خلفهم يرونه رأي العين، وليس لهم من أمل في النجاة إلا التعلق بموسى عليه السلام والالتصاق به".¹

فكان التناسب بين رسم الكلمة وحال أصحابها الذين لا غنى عنهم في هذا الموقف إلا بالالتصاق بمنقذهم الوحيد سيدنا موسى عليه السلام.

• وَسَّئِلٍ - قَسَّئِلٍ

نقل غانم قدوري ما ذكره علماء الرسم في رسمهم همزة الوصل واعتبر أنه يمكن أن يصطلح عليها بألف الوصل، وفي مبحث سماه: "همزة الوصل في الرسم العثماني" تعرض إلى المواضع التي حذفت فيها همزة الوصل في القرآن الكريم ولم ترسم، وهي عند علماء الرسم كما أشار خمسة مواضع وتعد إحداها ما جاء الأمر فيه من مصدر السؤال قال: "حذفت كذلك بعد الفاء والواو من فعل الأمر من السؤال نحو: وَسَّئِلُوا - قَسَّئِلٍ...".

واعتبر حذف هذه الألف في المواضع الخمسة - وليس من الضروري ذكرها في هذا المقام باعتبار حال اللفظة المراد بحثها وهي الأمر من السؤال - "إنما هو استجابة للنطق على مراد الوصل، لكن الملاحظ في أمثلة الحالة الثالثة، وهي ما كان فعلا للأمر من السؤال، أن همزة الوصل ساقطة من الكلمة في الوصل والابتداء مع اقترانها بالواو والفاء أو بدونه، لأن أول فعل الأمر (سَل) ليس ساكناً... فهو يشبه الأمر من (أَمَرَ وَأَكَلَ) حيث يأتي بحذف الهمزة (مُرٌّ وَكُلٌّ). واستشهد بما رسم في المصحف من غير داع لهمزة الوصل كالذي في قوله تعالى: ﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ في البقرة [211]، وفي قوله عز وجل: ﴿سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ رَعِيمٌ﴾ في القلم [40]. ثم واصل قوله: فكان الأولى بناء على ذلك عدم ذكر هذه الأمثلة من بين ما حذف منه ألف الوصل".²

¹ رسم القرآن دراسة لغوية تاريخية، تأليف غانم قدوري الحمد، قامت بنشره اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن 15هـ، الطبعة الأولى: 1402هـ/1982م، ص 437-438.

² رسم القرآن دراسة لغوية تاريخية، تأليف غانم قدوري الحمد، قامت بنشره اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن 15هـ، الطبعة الأولى: 1402هـ/1982م، ص 437-438.

غير أن لفظه "مُر" من الفعل "أمر" جاءت بألف بعد الواو في قوله تعالى: ﴿يَبْنِي أَيْمِ الصَّلَاةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [لقمان:17] بإبدال الهمزة الساكنة حرف مد من جنس حركة ما قبلها فقرئت ﴿وَأَمْرٌ﴾ على خلاف رواية حفص بهمزة صريحة كما رسمت في المصحف ﴿وَأَمْرٌ﴾.

غير أنه بالعودة إلى وضع هذه الكلمة حين حذفت ألف الوصل منها سواء ما كان مبدوء بواو أو فاء نحو قوله تعالى: ﴿فَسْأَلِ الَّذِينَ يَفْرَهُونَ أَلْكَتَبِ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس:94]، وقوله تعالى: ﴿وَسْأَلِ الْقُرْيَةَ أَلْتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف:82]، وقوله تعالى: ﴿وَسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء:32]، وقوله تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:43]، "يدل حذف حرف (ا) من مبنى الكلمة الأصلية... على أن الكلمة القرآنية في رسمها تعبر عن المعنى أصدق تعبير؛ إذ إن السؤال دائما يأتي في عجلة وسرعة فقلما ينتظر الإنسان، فهو دائما يريد سرعة الإجابة..."¹

يظهر مما سبق أم مجيء كلمة ﴿فَسْأَلِ﴾ برسمها الذي أسقط الألف يوحى أو يشير إلى سرعة السؤال انتظارا لسرعة الإجابة، فكان من دلائل نقص الكلمة العجلة والسرعة وعدم الصبر.

(2) حذف الواو ودلالته :

يجيء حذف الكلمة من جانبيها الإفرادي والازدواجي، ويقصد بإفراديتها مجيئها مفردة غير مكررة أي ليست واحدة واو أصل وثانية واو مد، وهو حال الثانية التي تكون مسبوقه بواو مضمومة أي لام الكلمة ككلمة ﴿يَسْتَوُونَ﴾ من الفعل، ومن الاسم في لفظه ﴿أَلْمَوْءِدَةَ﴾.

وعليه يكون حذفها وسطا أو طرفا، ويفهم من حذفها معنيان:

¹ إعجاز رسم القرآن، ص 76.

أحدهما: كانت في المصاحف العثمانية غير موجودة ثم كتبت بخط رقيق لتمييز عن الواو الثابتة أصلاً.

وثانيهما: بقيت على ذلك الحذف ولم تُزد كما زيدت أمور تحسينية وتكميلية للرسم العثماني وذلك في فن الضبط، فكان حذفها حذف إسقاط.

وقد أطر لحذف الواو من وسط الكلمة هذان البيتان:

"لَتَسْتَوُوا يَسْتَوُونَ دَاوُودُ وَالغَاوُونَ

مَعَ وُورِي يَلُوءُونَ لِيَسُوءُوا فَضْلاً

بَقِي فَأُوُوا فِي الكَهْفِ المَوْءُودَةُ كُورَتْ

تَسْعَةٌ بِحَذْفِ الوَاوِ أَيَا طَالِبَ العُلَا"¹

أما كلمة ﴿لَتَسْتَوُوا﴾ فقد وردت في موضع واحد، في قوله تعالى: ﴿لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ [الزخرف:13]، ولفظة ﴿يَسْتَوُونَ﴾ جاء ذكرها في القرآن الكريم ثلاث مرات في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [التوبة:19]، وفي قوله عز وجل: ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ [النحل:75]، والأخيرة في قوله تعالى: ﴿أَقِمَّسَ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَّسَ كَانَ قَاسِفًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة:18].

ولو وقفنا مع هذه الأخيرة وقفة تأمل لوصلنا إلى حقيقة واضحة من خلال حذف واو ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ إذ تحمل الدليل على عدم المساواة بين الأطراف، وهل يُسَوَّى بين مؤمن وكافر وبين عالم وجاهل، ولم تحذف ألف فاسق بل رسمت موصولة إلى السطر ثابتة لثبوت فسق صاحبها.

ويقاس عليها باقي أفراد الكلم يعني هذه التسع، فالغاوون وردت في موضعين في سورة الشعراء [94، 224] من قوله تعالى: ﴿بَكَّكِبُوا فِيهَا هُمْ

¹ الرسم العثماني قواعده وبدائع الإعجاز فيه، ص 113.

وَالْعَاوِرْنَ ﴿ وَقوله عز وجل: ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوِرُونَ ﴾. وقد جمعت اللفظة بين حذف الواو واشتمالها على حرف الغين الذي إن وجد في الكلمة دلت على الخفاء والغور وعدم الوضوح.¹

أما الواو التي سقطت من آخر الفعل المضارع ولم ترسم بالرغم من أن الفعل غير مجزوم ولا معطوف على مجزوم في جميعها، فقليل فيها: "والسر في حذفها من هذه الأفعال الأربعة: التنبيه على سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل وشدة قبول المتأثر به في الوجود".²

ولم يخرج هذا التعليل عن تعليل المراكشي إلا بتبديل عبارة (وسهولته) إذ عبارة المراكشي (ويسارته)، ثم بتوضيح كل مثال بما يناسبه.

جاء في عنوان الدليل: "وكذلك سقطت من أربعة أفعال... مثل: ﴿ سَنَدَعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾ [العلق:18]، فيه سرعة الفعل وسرعة إجابة الزبانية وقوة البطش. وهو وعيد عظيم ذكر مبدؤه وحذف آخره. ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمَحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ [القمر:50].

وكذلك: ﴿ وَيَمْحُ اللَّهُ الْأَبْطُلَ ﴾ [الشورى:24] علامة على سرعة المحو وقبول الباطل له بسرعة... وليس ﴿ يَمْحُ ﴾ معطوفا على ﴿ يَحْتِمُ ﴾...

وكذلك: ﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ [الإسراء:11] حذف الواو يدل على أنه سهل عليه ويسارع فيه كما يعمل في الخير. وإتيان الشر إليه من جهة ذاته أقرب إليه من الخير.

وكذلك: ﴿ يَوْمَ يَدْعُ ﴾ [القمر:6] حذف الواو لسرعة الدعاء وسرعة الإجابة.³

¹ ينظر: الرسم العثماني قواعده، ص113.

² رسم المصحف ونقطه، ص184.

³ عنوان الدليل، ص88، 89.

وحذفت في هذه الأخيرة الياء من كلمة ﴿الدَّاعِ﴾، إذ التكملة: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ﴾، فكيف لا يكون امثال لأمر الداعي حين يدعو الناس بأمر من ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾.

ونقل السيوطي في الإتيان عبارة المراكشي بزيادة توضيح كقوله: "فللاشارة إلى سرعة ذهابه واضمحلاله"¹ حين أشار إلى التي في قوله تعالى: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾.

(3) حذف الياء ودلالته :

قال محمد الضباع عن عدد الياءات المحذوفة: "حذفت الياء الأصلية من 21 كلمة في ثلاثين (30) موضعا"، وذكرها جميعها، ثم قال: "وحذفت الياء الزائدة من تسع وستين كلمة في مائتين وأربعة وعشرين موضعا".² ثم أتى على أمثلتها كاملة مشيرا إلى السور التي ذكرت فيها.

وقد أجاد في تفصيلها شرحا الفرماوي حين قال: "والياء إما حرف أصلي من بنية الكلمة، أي تقع في مقابلة اللام التي هي ثالثة أصول الكلمة في الميزان الصرفي. وهذه حذفت من إحدى وعشرين كلمة.

وإما أن تكون زائدة عن بنية الكلمة التي اتصلت بها. وهذه حذفت من تسع وستين كلمة.

ثم يذكر أحوال الياء التي جاءت في الخط محذوفة أو ناقصة على حد تعبير المراكشي وهي ضربان: ضرب حذفت خطأ وأثبتت لفظا. وهذا الضرب هو باعتبار ملكوتي باطن غيبي، وهو قسمان: قسم ما هو ضمير المتكلم، والثاني ما هو لام الكلمة، ويشترك في هذا القسم الاسم والفعل.

¹ الإتيان في علوم القرآن، للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق عصام فارس الحرستاني، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ/1998م، ج 494/2. وينظر: ما قبلها.

² سمير الطالبين، ص 48، 49.

ويمثل للقسم الأول - باعتبار الياء ضمير المتكلم - بقوله تعالى: ﴿قَلَّا تَسْأَلُنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [هود:46]، "وعلة حذفها - كما يقولون - هنا: الإشارة إلى أن علم هذا المسؤول غيب ملكوتي".¹

ومنه قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ لم تحذف في الأولى ﴿عَذَابِي﴾ لأنه فعل ملكي، وحذفت من الثانية، لأنه فعل ملكوتي ﴿نُذْرِي﴾.

كما يمثل لها أي للياء المحذوفة الواقعة في الاسم بكلمة (الجواب) من قوله تعالى في سورة سبأ [13]: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِبَابٍ كَالْجَوَابِ وَفُذُورٍ رَاسِيَتٍ﴾، وقد عُلِّلَ حذفها لكون هذه الكلمة صفة تشبيه لا ظهور لها في الإدراك الملكي.

ويسمى هذا النوع من الياءات بياءات الزوائد، لأنها ياء متطرفة زائدة في التلاوة على رسم المصحف... وكل منهما فاصلة، وغير فاصلة".²

يعنى بالفاصلة ما كانت آخر كلمة من الآية، وغير الفاصلة ما لم تكن كذلك بل جاءت حشوا: فمثال الأولى قوله تعالى: ﴿الْمُتَعَالَى﴾ [الرعد:9] و﴿الْتَّنَادِ﴾ [غافر:32]، ومن أمثلة الثانية قوله تعالى: ﴿الْدَّاعِز﴾ [البقرة:186] و﴿يَاتِ﴾ [هود:105].

ولما-3 كانت كلمات الحذف هنا كثيرة وإيرادها مفصلة قد لا يسمح به مقام البحث هنا ارتأيت أن أجمع ما قد يغني بعضه عن بعض وأبدأ بالحذف الذي كان لاسم من أسماء الأنبياء.

¹ رسم المصحف ونقطه، ص 182.

² إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، للشيخ أحمد بن محمد البنا، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت، ط 1 1407هـ/1987م، ص 345.

• إِبْرَاهِيمَ - إِبْرَاهِيمَ

ذكر اسم سيدنا "إِبْرَاهِيمَ" في سورة البقرة وحدها خمس عشرة (15) مرة جاءت كلها ناقصة الياء التي بين الهاء والميم، في المصاحف التي طبعت بما يوافق رواية حفص، على خلاف المطبوع منها برواية ورش، فقد أثبتت ياءاتها حيثما ذكر النبي إبراهيم عليه السلام. ووردت التسمية في باقي سور القرآن برسم الياء من غير نقص إلا في ألفها فقد حذفت في القرآن كله أي ألف المد التي بين الراء والهاء، وهذا الحذف يتبع قاعدة حذف الألف في الأسماء الأعجمية.

وصل عدد ذكر سيدنا "إِبْرَاهِيمَ" من غير حذف يائه إلى أربع وخمسين (54) مرة وزعت في سور القرآن إلا البقرة.

"وتذكر التوراة في الإصحاح السابع عشر من سفر التكوين أن سيدنا إبراهيم عليه السلام كان اسمه "إبرام"، وكان عمره 86 سنة لما ولدت هاجر ابنة إسماعيل عليه السلام. ولما بلغ إبراهيم عليه السلام 99 سنة تكلم الله معه وقال له: إنه سيكون أبا لجمهور من الأمم فلا يدعى اسمه بعد "إبرام" بل يكون اسمه "إبراهيم" لأنه سيكثر نسله ويجعله أمما، وبشره بإسحاق عليه السلام وبارك له في إسماعيل وإسحاق عليهما السلام وبأنه سيكثر نسلهما.

ونخلص من ذلك أن سيدنا إبراهيم عليه السلام كان له اسمان هما "إبراهم" بدون ياء وسطية، وذلك قبل أن يرزقه الله بالولد، وعندما رزقه الله بالولد إسماعيل وإسحاق جعل الله اسمه "إبراهيم" بزيادة الياء، لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى... وهناك لفظة لطيفة إن اسم ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ بدون ياء ورد فقط في سورة البقرة أي في بداية القرآن الكريم [في ترتيب المصحف] وهو ما يتمشى مع بداية عمر سيدنا إبراهيم".¹

¹ إعجاز رسم القرآن، ص 122.

• النَّبِيِّعْنَ - الْأُمِّيَّعْنَ - رَبَّنِيِّعْنَ - الْحَوَارِيِّعْنَ

جاءت هذه الأربعة كلمات ناقصة الياء - ياء المد - وتقرأ الأولى عند ورش بالهمز ﴿النَّبِيِّعْنَ﴾ مع إثبات الياء الثانية، وزيدت في رواية حفص ياءها بالحمزة برسم مخالف لرسم المصحف ياء مردودة إلى خلف صغيرة الحجم. وقد جمعت هذه الكلمات في النص التالي:

النَّبِيِّعْنَ الْأُمِّيَّعْنَ الْحَوَارِيِّعْنَ كَذَا رَبَّنِيِّعْنَ بِالْحَذْفِ وَلَا تَكُنْ غَافِلًا

ونحت للطلبة الحفظة في الكتابيب نص قصير سهل الحفظ يؤطر كلمات هذا النوع من الحذف جاء في كلمتين يشير كل حرف منها إلى بداية اسم الكلمة المقصودة من الحذف، يضاف إليها ما أعطته حروف الكلمة الثانية لمسميات أخرى أفعالاً كانت أو أسماء، والكلمتان هما ((حرماً حولي)) الحاء للحواريين، والراء للربانيين، والميم للأميين، والنون للنبيين، والحاء الأخرى للفظه حَيَّيْ، وقد رسمت بياء واحدة في المصحف مؤدية قراءتين: قراءة بالتضعيف ﴿حَيَّيْ﴾ وهي رواية حفص، وثانية وهي رواية ورش بتحريك الياء الثانية من غير شد وكسر عين الكلمة من الفعل [فَعِلَ] فجاءت مرسومة بزيادة ياء بالحمزة، بخط رقيق: ﴿حَيَّيْ﴾ [الأنفال:42]، والواو تشير إلى لفظه (وَلِيِّيْ)، واللام إلى (لُنْحِييْ).

وقد رسمت الأخيرتان في المصحف كما يلي: ﴿وَلِيِّيْ﴾ ﴿لُنْحِييْ﴾ من غير نقط في الياء الأخيرة لكليهما لأن الأمر واضح إذ لا يعقل أن تقرأ إحداهما ألفاً مقصورة وقد ضبط ما قبلها بالكسر وحركت هي بالفتح.

جاء رسم الكلمات الأربعة الأولى: (النبيين...) كلها بحذف إحدى الياءين إذا جاءت في صيغة الجمع، وقد علل حذفها بقوة الاتصال والارتباط إذ النيون رسالتهم واحدة وهم وحدة واحدة، دينهم الإسلام: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّيَكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج:78]، ويتجلى أيضاً الارتباط بين الربانيين والحواريين وبين الأميين.

بينما خالفت لفظة ﴿عَلِيَّيْنَ﴾ وإن كانت في النسق الخطي كأخواتها الأربع، فلم تحذف منها الياء، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَهِيَ عَلِيَّيْنَ﴾ [المطففين:18]، فجاءت على رسمها العادي من غير نقص في أحرفها بياءين لتدل على علو المرتبة لأن زيادة المبنى هنا يدل على زيادة المعنى.¹

وعلّلوا حذف الياء من لفظة (وليي) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيَّيَ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۗ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف:196]، وفي قوله تعالى: ﴿أَنْتَ وَلِيٌّ لِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [يوسف:101]، كان الحذف هنا ليعطي معنى القرب الشديد من الله سبحانه وتعالى، وقد جاءت الآية الأولى على لسان سيدنا محمد ﷺ، والثانية على لسان يوسف عليه السلام.

• حذف الياء التي هي لضمير المتكلم

لم يقع حذفها في نوع واحد من الاسم والفعل بل شملهما، وقد حذفت هذه الياء التي تعني ضمير المتكلم في كثير من الكلمات القرآنية: اسمية وفعلية، منها: ﴿بَاتِفُونَ﴾، ﴿فَارْهَبُونَ﴾، ﴿وَلَا تَكْفُرُونَ﴾، ﴿إِذَا دَعَاكَ﴾، ﴿وَمَسِ﴾، ﴿تَتَّبَعُونَ﴾، ﴿وَأَطِيعُونَ﴾، ﴿ثُمَّ كِيدُونَ فَلَا تُنظِرُونَ﴾، ﴿وَحَافٍ وَعِيدٍ﴾، ﴿فَلَا تَبْضَحُونَ﴾، ﴿وَلَا تُخْزُونَ﴾، ﴿إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُون﴾، ﴿أَتُمِدُّونَ﴾، ﴿بِمَالٍ﴾، ﴿إِنْ يُرِدِ الرَّحْمَنُ﴾، ﴿فَاسْمَعُونَ﴾، ﴿سَيَهْدِين﴾، ﴿فَكِيدُونَ﴾، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾، ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾، ﴿وَلِيَّي دِينٍ﴾، وغيرها من الكلمات.

جاء في البرهان توجيه الحذف من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْأَلِيَّ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [هود:46] "وعلم هذا المسؤول غيب ملكوتي، بدليل قوله: ﴿مَا لَيْسَ لَكَ

¹ ينظر: إعجاز رسم القرآن، ص 123. والرسم العثماني قواعده وبدائع الإعجاز فيه، ص 117.

بِهِ عِلْمٌ، فهو بخلاف قوله: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف:70]، لأن هذا سؤال عن حوادث الملك في مقام الشاهد كخرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار".¹

وقد وقعت هذه الأربعة أحداث، ذكرها كلها ربنا في سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَخْرَفْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ [الكهف:72]، ﴿أَفْتَلَتْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الكهف:74]، ﴿فَبَوَّجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ بِأَقَامَتِهِ، قَالَ لَوْ شِئْتُمْ لَنَحَدَّثَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف:77].

ومما يوحى به حذف ياء الضمير من آخر الكلمة في الكلمات الواردة سابقا أو في غيرها من المصحف الشريف، أنه يدل على السرعة المطلوبة أو العجلة في الأمر، وأحيانا وهذا بحسب السياق بتهوين الأمر، ومن الأمثلة على ذلك:

رسم كلمة ﴿تَرَى﴾ من غير ياء وأصلها (ترني) بالياء من قوله تعالى: ﴿إِن تَرَىٰ أَنَا أَقْلَ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُوتِيَـنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلْفًا﴾ [الكهف:39، 40].

تدل لفظه ﴿إِن تَرَى﴾ برسمها الناقص بحذف ياء المتكلم على مقام مالك الجنتين الذي اغتر بغناه، فرأى صاحبه دونه في المنزلة، لأنه فقير قليل الشأن قليل المال قليل الولد، فكان لقلة المبنى أثر في المعنى، يفهم ذلك من السياق.²

ويقابل هذا المنظر منظر صاحب مالك الجنتين الذي جاء على لسانه: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُوتِيَـنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلْفًا﴾، فبترت الكلمة أيضا من يائها (يوتين)، ودل حذفها هنا على طلب السرعة في الأمر، كي ينال ذلك الناصر جزاءه، لأنه كفر بالله وكفر بالساعة: ﴿وَمَا

¹ البرهان في علوم القرآن، ج 1/399.

² ينظر: إعجاز رسم القرآن، ص 124، 125.

أَطْرُ السَّاعَةَ فَأَيْمَةً﴿﴾، وقد ذكره صاحبه بنعم الله ابتداء من الخلق إلى أن صار رجلاً، ﴿أَكْفَرْتَ بِالذِّمِّ خَلْفَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْقَةٍ ثُمَّ سَوَّيَكَ رَجُلًا﴾، بل وعلمه كيف يتأدب مع خالقه وكيف يؤدي شكر النعمة، لا أن يعتقد أنه هو الذي أوجدها أو دبر أمرها، ألم يكن حرياً به أن يقول حين يدخل جنته: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾. فكان أن خسر دنياه وأخراه: ﴿وَاحِيطَ بِشْمِرِهِ فَأَصْبَحَ يُفَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْبَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ بَيْعَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾.

يستخلص من حذف الياءين هنا في لفظتي: ﴿تَرَى﴾ و﴿يُوتِيَسِي﴾ أن العجلة والسرعة في فعل الخير مطلوبة، لكن في فعل الشر وإن قل فلن تعود بالضرر إلا على صاحبها.

أما حذف الياء من كلمة ﴿الدَّاعِ﴾ في قوله تعالى: ﴿اجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا﴾ [البقرة:186]. فقد علله ابن البناء المراكشي بتعليقه: "فحذف الضمير في الخط دلالة على الدعاء الذي من جهة الملكوت بإخلاص الباطن.

وكذلك: ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعِيَ﴾ [آل عمران:20]، هو الإلتباع العلمي في دين الله وطريق الآخرة. يدل على ذلك قوله: ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ فهو على غير حال: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران:31]، فإن هذا في الأعمال الظاهرة بالجوارح المقصود بها وجه الله وطاعته".¹

جاء قبل قوله تعالى: ﴿اجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ...﴾ قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة:186].

¹ عنوان الدليل، ص 94.

ويلاحظ الفرق بين كلمتي (يهديني) بإثبات الياء وبحذفها، فالتى رسمت بالحذف جاءت في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ عَبَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ [الكهف:24]. أما التى رسمت بأحرفها كاملة من غير نقص فى يائها فهى التى فى قوله تعالى: ﴿عَبَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص:22].

دلّ سياق الكلام فى الأولى ﴿يَهْدِيَنِي﴾ بالحذف على أمور محسوسة، والهداية فيه ملكوتية، على خلاف ما فى الثانية ﴿يَهْدِيَنِي﴾ عن حال موسى عليه السلام "فإنها هداية السبيل المحسوسة إلى مدين فى عالم الملك. يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْفَاءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص:22]."¹

ومن الأمثلة أيضا على حذف الياء من آخر الكلمة فى الفعل ﴿تُعَلِّمَنِي﴾ من قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ جاء حذف الياء فى هذه الكلمة موحيا "بأن موسى عليه السلام كان فى عجلة من أمره، فكان يريد أن يتعلم فى أقصر وقت وبسرعة... وقد أحسن العبد الصالح بالتعقيب على طلب موسى بقوله: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف:67] لأنه لاحظ من كلام موسى أنه متعجل بدليل قوله: ﴿تُعَلِّمَنِي﴾ بحذف الياء".²

• الواو

ذكرت لفظة "الواد" المعرفة بالألف واللام فى قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه:12]، وفى قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَيْه رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [النازعات:16]، وفى قوله تعالى: ﴿مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ [القصص:30].

¹ عنوان الدليل، ص 95.

² إعجاز رسم القرآن، ص 125، 126.

وعلّوا حذف الياء من لفظة ﴿الْوَادِ﴾ بما يشير الحال هنا إلى مبدأ التقديس واليمن الذي وصفا به، فقد اتصل التقديس واليمن منهما إلى الحال بهما ذاهبا إلى ما لا يحيط بعلمه إلا الله.

"وكذلك: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ﴾ [النمل:18] هو موضع لابتداء سماع الخطاب من أخفض الخلق وهو النملة إلى أعلاهم وهو الهدهد والطيور ومن ظاهر الإنس وباطن الجن إلى قول العفريت، إلى قول من عنده علم من الكتاب، إلى ما وراء ذلك من هداية الكتاب، إلى مقام الإسلام لرب العالمين".¹

ويقترّب تناول فاضل السامرائي لظاهرة الحذف من تناول علماء الرسم في كتابه التعبير القرآني؛ ففي موضوع له تحت باب: الذكر والحذف عرف بالباب قائلا: "يدخل في هذا الموضوع ما حذف وأصله أن يذكر كحذف حرف أو فعل أو اسم مما أصله أن يذكر.

كما يدخل فيه ما ذكر في موطن، ولم يذكر في موطن آخر يبدو شبيها به لأن الموطن اقتضاه".²

ثم نلّفه حين يبدأ في عرض الأمثلة مطنبا تاركا العنان لقلمه ليخط ما قد يغني عن العودة إلى كتب أخرى، فلم تكن وقفته بالقصيرة، وإنما كانت بالطويلة المحيطة بأطراف المسألة يتبع اللفظة في السياق ويقارنها بما خالفها في الحذف - مثلا - ويعتمد في ذلك على ما جاء قبلها إذا كان ذلك يزيدا وضوحا وبرهانا.

وسنقتطف من كلامه - وإن بدا طويلا - ما يدعم مذهبه في ذكره الحذف الذي اعتبر أن الحركة قد تجتزئ عن الحرف المحذوف، قال:

"ومن ذلك ذكر ياء المتكلم أو حذفها والاجتزاء بالكسرة، وإن لم تكن ياء المتكلم من الحروف، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ دَعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ

¹ الرسم العثماني قواعده، ص 119.

² التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، دار عمار، الطبعة الرابعة: 1427هـ/2006م، ص 75.

كَيْدُونَ فَلَا تُنظِرُونَ ﴿ [الأعراف:195]. وقوله: ﴿فَكَيْدُونَ جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ﴾ [هود:55].

فقد حذف الياء واجتزأ بالكسرة في الأعراف فقال: ﴿ثُمَّ كَيْدُونَ﴾ وذكرها في هود فقال: ﴿فَكَيْدُونَ﴾.

ويمكن هنا أن نذكر أصلاً عاماً في ذكر الياء وحذفها وهو:

أن الاجتزاء بالكسرة عن الياء يختلف عن ذكر الياء في كل ما ورد في القرآن الكريم عدا خواتم الآي والنداء، ولها في كل ذلك خط عام إضافة إلى السياق الخاص، ففي كل موطن ذكر الياء فيه يكون المقام مقام إطالة وتفصيل في الكلام، بخلاف الاجتزاء بالكسرة فإن فيه اجتزاء في الكلام...

ثم يقول بعد ذلك:

ونعود إلى الآيتين اللتين ذكرناهما، فإن المقام في هود مقام تحد كبير ومواجهة، فأظهر نفسه زيادة في التحدي، إذ المتحدي وطالب المواجهة لا بد أن يظهر نفسه وليس الأمر كذلك في الأعراف فإنه ليس فيها هذا التحدي، يدل على ذلك سياق كل من الآيتين فقد قال في الأعراف:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالِكُمْ قَادِعُوهُمْ فَلَيسَتَّجِيبُوا لَكُمْ؛ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ ءِاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فُلْ دَعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كَيْدُونَ فَلَا تُنظِرُونَ ﴿ [الأعراف:194-195].

وأما هود فالمقام فيها مختلف فقد دعاهم هود إلى عبادة الله وحده وترك ما عداه فقال لهم: ﴿قَالَ يَنْفُومِ لِغِبْدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ؛ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود:50] ونصح لهم بالتوبة والاستغفار ليرضى عنهم خالقهم ويزيدهم من فضله فرفضوا قوله وردوا عليه قائلين: ﴿يَلْهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ

بِتَارِكَةِ إِلَهَيْنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٤﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا إِبْغَاطًا بِكَ
بَعْضَ إِلَهَيْنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُونَ أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ
دُونِهِ، فَيَكِيدُونَ جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ﴿٥٣-٥٤﴾... ثم دعاهم جميعاً إلى
كيدهم له ثم لا يمهلونهم إن استطاعوا، فزاد كلمة: ﴿جَمِيعًا﴾ زيادة في التحدي ردا
على قولهم: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا إِبْغَاطًا بِكَ بَعْضَ إِلَهَيْنَا بِسُوءٍ﴾ [هود: 54].

إنهم قالوا له: إن أحد آلهتهم اعتراه بسوء، فتحدى الجميع ثم أظهر نفسه،
فذكر الياء زيادة في التحدي.

أي جاءت الياء نصاً في الكلمة ولم تحذف كما حذفت التي في الأعراف، ثم
واصل شرحه لهذا الحذف ذاكراً توجيه الحذف من الذكر قائلاً:

هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية إن التحدي والمواجهة في هود أطول وأكثر
مما في الأعراف (انظر الآيات: 50-58) فذكر الياء في هود لأن الياء أطول من
الكسرة. وحذف الضمير واجتزأ بالكسرة في الأعراف، فناسب بين طول الكلمة
والسياق، فجعل الكلمة الطويلة للسياق الطويل، والكلمة المجتزأة للسياق
المجتزأ.

ومن ناحية أخرى نرى أنه قد تردد ذكر ياء الضمير في هود في هذا الموطن
مرات عديدة، وليس الأمر كذلك في الأعراف، فقد قال: ﴿إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ﴾
﴿وَأَشْهَدُونَ أَنِّي بَرِيءٌ﴾ ﴿فَيَكِيدُونَ جَمِيعًا﴾ ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّيَ
وَرَبِّكُمْ﴾ ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿وَيَسْتَحْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ ﴿إِنَّ
رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَافِظٌ﴾.

وذكر أن الأمر مخالف في الأعراف، حيث ظهر السياق مرة واحدة في قوله
عز وجل: ﴿إِنَّ وَلِيِّ آلِ اللَّهِ﴾.

ولم يقف فاضل السامرائي عند هذا الحد من التخريج والتفصيل بل أضاف قائلاً: ثم انظر من ناحية أخرى كيف قال في آية الأعراف: ﴿ثُمَّ كِيدُوا فَلَآ تُنظِرُونَ﴾، فأدخل (ثم) على الكيد والفاء على الإنظار. وفي هود بالعكس أدخل الفاء على الكيد و(ثم) على الإنظار. والفاء تفيد التعقيب أما (ثم) فتفيد التراخي. فقد طلب منهم في الأعراف عدم المهلة في الإنظار. وعدم الإنظار هو المناسب لسياق الأعراف، فقد ذكر في هذه السورة تعجيل العقوبات لمستحقيها في الدنيا. بخلاف سورة هود فإن سياقها في الإمهال في إيقاع العقوبات.

وذكر السامرائي الآيات الأولى من كلتا السورتين؛ فمن الأعراف ذكر قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَبِجَاءِهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ فَاپْلُونَ﴾ [الأعراف:4] "فذكر حلول العقوبات وإهلاك الأمم، في حين قال في هود: ﴿وَإِنِ اسْتَغِيثُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُنْبَأُوا إِلَيْهِ يَمَتِّعْكُمْ مَّتَّعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ. وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود:3] فذكر التمتع والإمهال.

وقال في هود أيضاً: ﴿وَلَيْسَ آخِرُنَا عَنْهُمْ الْعَذَابُ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيْقُولُوا مَا يَحْبِسُهُ؛ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوبًا عَنْهُمْ﴾ [هود:8]، وقال في الأعراف: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الصَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأعراف:95] فقال: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ بعد قوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾، وهو نظير قوله: ﴿ثُمَّ كِيدُوا فَلَآ تُنظِرُونَ﴾. فالاستدراج المذكور في الآية وهو قوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ نظير الكيد في قوله: ﴿ثُمَّ كِيدُوا﴾ معنى واستعمالاً فكلاهما بضم وكلاهما إمهال.

وقوله: ﴿فَأَخَذْتَهُمْ بَغْتَةً﴾ نظير قوله: ﴿فَلَا تُنظِرُونَ﴾ فكلاهما بالفاء وكلاهما عدم إنظار...

ثم واصل الرحلة مستقرنا الآيات التي سبقت والتي تلت موطن الاستشهادين، ذكرا تعجيل العقوبة في الأعراف على خلاف ما في هود وختم حديثه قبل أن ينزل بمقام آخر من مقامات الحذف تكررت فيه العبارة من خلال سورتين أثبتت الياء في إحداهما وحذفت في أخراها.

جاءت عبارة الختام في ألفاظه: فما أجمل هذا التناسق وما أجل هذا الكلام.¹ ومن أنواع الحذف حذف الياء من الفعل لجازم أو لغير جازم، فالتى تحذف لدخول جازم عرف سببها إذ حذفها علامة جزم في فعلها، غير أن التي يطلبها البحث هي تلك الياء التي حذفت اجتزاء بكسرتها، وهي محصورة في الألفاظ التالية: "يات - يوت - نبغ - تغن - يسر".

أما لفظة ﴿يَاتِ﴾ فقد حذفت منها ياؤها من غير دخول جازم عليها في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَاتِءُ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [هود: 105]، ذكر علة حذفها محمد بن عبد الوهاب وقد نقل ذلك عن المراكشي، قال: "وهذا الإتيان - على حد تعبير ابن البناء - هو إتيان ملكوتي في الآخرة، آخره متصل بما وراءه من الغيب، عكس قوله تعالى: ﴿فَاعْبُوهَا وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ [البقرة: 109]."²

وأما الفعل "يُوتِ" من قوله تعالى: ﴿وَسَوْفَ يُوتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 146] فقد قال الفرماوي في تعليل هذا الحذف وسره: "والسر في حذفها: أن هذا الذي سوف يؤتيه الله للمؤمنين شيء غيبي لا يدرك إلا إيمانا وتسليما".³

¹ التعبير القرآني، ص 79-84.

² الرسم العثماني قواعده، ص 121، 122. وينظر: عنوان الدليل، ص 97.

³ رسم المصحف ونقطه، ص 183.

واليوم المقصود في الآية هو يوم القيامة، يوم تخشع كل الأصوات: ﴿وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه:108]. كما يشير حذف الياء هنا إلى الفورية والحسم.

وفي قوله تعالى: ﴿وَالَيْلِ إِذَا يَسِرُّ﴾ [الفجر:4]، جاءت لفظة ﴿يَسِرُّ﴾ ناقصة حرف الياء، ووردت في موضع واحد من القرآن الكريم لتدل على أنه السري الملكوتي الذي يستدل عليه بآخر من جهة الانقضاء وبمسير النجوم على حد عبارة محمد بن عبد الوهاب الذي نقلها كما جاءت عن ابن البناء.¹

أما كلمة "نبغ" التي وردت في القرآن الكريم مرتين، إحداهما في سورة يوسف [65] من قوله تعالى: ﴿فَالَوْ يَتَّبِعَانَا مَا نَبِّغَنَّ هَذِهِ، بِضَعْتَنَا زِدَّتْ إِلَيْنَا﴾ وقد جاء بألف وسطية أي ثابتة رسماً ونطقاً.

والأخرى وهي المقصودة، وجاءت في سورة الكهف [64] في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِّغُ﴾، واختلف رسمها كما اختلف نطقها وصلاً ووقفاً، فهي في المصحف المطبوع برواية ورش محذوفة وقفاً مثبتة وصلاً، لذلك زيدت بخط رقيق ﴿نَبِّغُ﴾ فكان الوقف بلا ياء والوصل بزيادة الياء مداً، لكنها في المصحف المطبوع برواية حفص لم تُزد في الرسم، لذلك حذفت وصلاً ووقفاً، وهذه الياء في غير الفاصلة أي لم تكن اللفظة فيها آخر كلمة في الآية.

جاء في إتحاف فضلاء البشر: "ونافع وأبو عمرو وكذا أبو جعفر بإثباتها وصلاً فقط... وخرج بتقييد ﴿نَبِّغُ﴾ بالكهف ﴿مَا نَبِّغُ﴾ بيوسف..."²

أما تعليل الحذف من هذه الكلمة ﴿نَبِّغُ﴾ فيؤخذ من رسم الكلمة التي سقط منها حرف الياء فصارت وكأنها منكمشة وهو ما يجعل الكلمة توحى بالعجلة التي كان عليها موسى عليه السلام من أمر الالتقاء بالعبد الصالح في أسرع وقت، ويزيد

¹ ينظر: عنوان الدليل، ص 98. والرسم العثماني قواعده، ص 122.

² إتحاف فضلاء البشر، ج 1/347.

ذلك قوة هذا الاتجاه مجيء حرف الفاء الدال على السرعة في قوله تعالى:
﴿قَارِئُهَا عَلَىٰءِ اِبْرَاهِيمَا فَصَّصًا﴾¹.

وما دام الحذف لا يقتصر على حذف حروف المد فإن هذا الفصل سيتناول الحذف في حرف النون، وقد خص الفعل المضارع المسبوق بجازم، وكذا حذف اللام.

(4) أمثلة حذف النون ودلالته :

كان هذا المبحث آخر مبحث في فصل الحذف الذي تناوله بالشرح والتعليل ابن البناء المراكشي، قال عن حرف النون في حذفه ودلالته: "ويلتحق بهذا القسم من جهة المعنى حرف النون الذي هو لام فعل يكون فإنه يحذف في بعض الكلمة تنبيها على صغر مبدأ الشيء وحقارته، وأن منه ينشأ ويزيد إلى ما لا يحيط بعلمه إلا الله".²

ثم يشرع بعد ذلك في ذكر الأمثلة التي جاءت فيها نون "يكن" محذوفة فرسمت "يَكُ" ولم يقتصر الحذف على ما جاء بالياء بل شمل أيضا ما جاء بالتاء الدالة على الخطاب، بل وعم المتكلم: (ولم أك).

يمثل للذي جاء الفعل مسندا إلى المتكلم وحذفت نونه بقوله تعالى: ﴿آلَمْ يَكُ نُطْقَةً مِّن مِّنِّي تَمْنِي﴾ [القيامة: 37]، حذفت النون من لفظة (يكن) فصارت ﴿يَكُ﴾ "تنبيها على مبتدأ الإنسان وصغر قدره بحسب ما يدرك هو من نفسه ثم يترقى في أطوار التكوين: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: 77] فهو حين كان نطفة كان ناقص الكون".³

¹ ينظر: إعجاز رسم القرآن، ص 127.

² عنوان الدليل، ص 106.

³ التعبير القرآني، ص 79. وينظر: عنوان الدليل - للمقارنة -، ص 106.

ومن ذلك أيضا حذف نون ﴿تَكُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنَ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْبٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: 127]، وتقابلها اللفظة الكاملة الأحرف في سورة النمل [70] من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنَ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْبٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾. فقد جاءت الآيتان متشابهتين أحرفا وألفاظا، ولم تتباينا في شيء إلا في حذف نون ﴿تَكُ﴾ من التي في النحل، فلم ذلك؟

أجاب السامرائي بما يشفي غليل الباحث عن السر في الحذف والبقاء بعبارات تثبت ما أحاط بالآيتين وما أوحى به كل آية فقال معللا: "وذلك أن السياق مختلف في السورتين، فالآية الأولى نزلت حين مثل المشركون بالمسلمين يوم أحد... فوقف رسول الله ﷺ على حمزة وقد مثل به فرآه مبقور البطن فقال: ((أما والذي أحلف به لئن أظفرتني الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك)). فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ، وَلَيْسَ صَبْرُتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ ١٠١ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنَ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْبٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ١٠٢ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: 126-128] فكفر عن يمينه وكف عما أَرَادَهُ. فقد أوصاه ربنا بالصبر... فقال له: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْبٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾... فحذف النون من الفعل إشارة إلى ضرورة حذف الضيق من النفس أصلا.

وهذا تطيب مناسب لضخامة الأمر وبالغ الحزن، وتخفيف لأمر الحدث وتهوينه على المخاطب، فخفف الفعل بالحذف إشارة إلى تخفيف الأمر وتهوينه على النفس.

ثم ذكر الآية الثانية المقابلة للأولى، وتعد في سياق المحاجة في المعاد غير أن الحال هنا لا يحتاج إلى تصبير كالأول، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَيُّهَا لَمُخْرَجُونَ ١٠٣ لَقَدْ وَعَدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولَىٰ ١٠٤﴾ فَلَ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٧﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُفْ فِي ضَلَالٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٦٨﴾ [النمل: 67-70]. ثم ينقل ما قاله الكرمانلي: إنما خصت سورة النحل بحذف النون موافقة لما قبلها وهو قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: 120].

والثاني: "أن هذه الآية نزلت تسلياً للنبي ﷺ حين قتل عمه حمزة، فقال عليه الصلاة والسلام: ((أفعلن بهم ولأصنعن)). فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ صَبْرُكُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُفْ فِي ضَلَالٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٦٨﴾ ليكون ذلك مبالغة في التسلي، وجاء في النمل على القياس، لأن الحزن هناك دون الحزن هنا.

ثم يستشهد السامرائي بالتي في هود من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُفْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ [هود: 17] ويذكر التي جاءت من غير حذف وهي في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُفْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّفَآئِهِ﴾ [السجدة: 23]، ثم يتبعها بشرح مناسب قائم على الربط بين الآية والكلمة التي هي موطن الشاهد في كلتا الحالتين، إن في التي هي ﴿تَكُفْ﴾ أو في مقابلتها ﴿تَكُفْ﴾، ويعتبر الحكم السياق الذي جاء مختلفاً في كليهما، ثم يخلص في الأخير إلى نتيجة أفادتها عبارته: "فناسب الحذف في الآية الأولى دون الثانية تثبتاً للرسول ونهياً له عن الريبة فيه، وذلك أنه طلب منه أن لا يكون في شيء من المرية أصلاً. فلما كان الكلام في القرآن وفي قومه ناسب الحذف هنا دون الثانية".¹

أما حذف النون في لفظة تك من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [النساء: 40]، فعمل حذفها المراكشي "تنبيها على أنها وإن كانت صغيرة المقدار حقيرة في الاعتبار فإن الله يربها ويضاعفها إلى ما لا يعملها سواه". وكذلك التي في

¹ التعبير القرآن، فاضل صالح السامرائي، دار عمار، ط4: 1427هـ/2006م، ص77، 78.

سورة لقمان [16] في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ حَرْدَلٍ﴾ حذفت منها النون لاعتبار الميثقال أصغر مقدار وهو محقر في الاعتبار، حتى لا يكاد المرء يعيره أدنى اهتمام، وقد عدّ الرسول ﷺ إماطة الأذى من الطريق صدقة، وصدق الله إذ قال: ﴿بِمَنْ يَّعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿١٠٦﴾ وَمَنْ يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ﴿١٠٧﴾، فما ظنك بأكبر من ذلك.¹

(5) أمثلة حذف اللام ودلالته :

أَلَيْلٌ - وَالتَّهَارُ :

وردت كلمة "أليل" في القرآن الكريم من غير حرف اللام في أربعة وسبعين (74) موضعاً، بخلاف لفظة "النهار" التي جاءت مكتملة الأحرف فلم يحذف منها لامها، وقد ذكرت في القرآن كله أربعاً وخمسين (54) مرة.

"ويوحى حذف حرف (ل) من كلمة (الليل)... بسرعة مضي وقت الليل على الإنسان وقلة حركته فيه حيث خلقه الله سكناً ولباساً وسباتاً على عكس "النهار" الذي جعله الله معاشاً..."

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ أَلَيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ [الفرقان: 47].

﴿وَجَعَلْنَا أَلَيْلَ لِبَاسًا﴾ [النبا: 10].

كذلك فإنه يلاحظ أن كلمة ﴿أَلَيْلٌ﴾ بعدما حذفت منها اللام جاءت منكشمة محدودة... مما يدل على أن بناء الكلمة أصبح يدلّ على معناها بكل دقة".²

ويلاحظ أن المصاحف المطبوعة على ما يوافق رواية ورش قد أهملت ضبط لام ﴿أَلَيْلٌ﴾ فلم تشدد لامه، وقد يكون ذلك لاختلاف المحذوف من إحدى اللامين، أهي الأصلية أم الداخلة للتعريف.

¹ ينظر: عنوان الدليل، ص 106، 107.

² إعجاز رسم القرآن، ص 136، 137.

ولم تحذف اللام من كلمة "النهار" بل جاءت "كاملة مفتوحة منيرة، كما أن الألف بها جاءت ألفا عادية ولم تأت ألفا متروكة حتى يدل بناؤها على معناها بكل دقة أيضا".¹

ولا يعدم الوصف بالإبصار في حقيقة النهار المعزز في مبنى كلمته المتسعة الواضحة المشار إليها قول الباري في سورة غافر [61]: ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾. أما الليل فترى في حذف لامه انكماشاً يناسب السكينة والهدوء والستر كاللباس الذي يستر به الجسم: ﴿وَجَعَلْنَا أَيْلَ لِبَاسًا﴾.

وقد خرجت كلمات أخرى كتبت بلام واحدة بدل لامين على غير قياس جمعها النص التالي:

"باب وهاك ما بلام واحده والثاني ساقط ولا تجاحده في الليل والثي الذي والتي ألف والذي جميعا ياتي"²

وقد ذكر الداني هذا النوع من الحذف في: "باب ذكر ما حذف إحدى اللامين في الرسم لمعنى وما أثبتت فيه على الأصل".

وعلى الحذف في الكلمات المذكورة في البيتين السابقين بكثرة الاستعمال وكراهة اجتماع صورتين متفتحتين، ورجح أن تكون المحذوفة هي اللام الأصلية، وجوز أيضا أن تكون لام التعريف، غير أن الأول كما ذهب إليه لامتناعها من الانفصال من همزة الوصل.³

¹ إعجاز رسم القرآن، ص 137.

² الرسم العثماني قواعده، ص 126.

³ ينظر: المقنع للداني، ص 91.

ثالثا : الدلالة في قاعدة الزيادة

مما لا يختلف فيه اثنان أن الكتابة القياسية الإملائية لم تسلم من رسم حروف زائدة على أصول الكلمة، ففي بعض الكلمات اصطلح على زيادة حروف لا تنطق كالألفات التي بعد واو الجماعة نحو: (قالوا، قاموا، حافظوا، أولئك، أولو)، يضاف إليها رسم (ال) الشمسية في نصف عدد أحرف الهجاء بالرغم من أنها لا تلفظ بل يلفظ الحرف الذي بعدها مشددا نحو: (الشمس، النور، السماء، الصفاء، الثواب، الرخاء، التوبة...).

وليت الأمر كان مقتصرًا على لغة فحسب، بل أمر الزيادة ظاهرة شائعة أدلت بدلها فيه معظم لغات العالم، حتى صار لا يميّز بين الحروف التي لا بد أن تنطق في الكلمة الواحدة والحروف التي لا تلفظ.

يقول طالب عبد الرحمن في مقال بعنوان: "نحو تقويم جديد للكتابة العربية" نشر في مجلة كتاب الأمة (رقم 69، السنة 19، المحرم 1420هـ، ص 115) ما نصه: "ونجد في الإنجليزية والفرنسية تسيبًا في معرفة ما يقرأ وما لا يقرأ. فمن يواجه كلمة في تينك اللغتين لا يستطيع أن ينطقها نطقًا صحيحًا مستندًا إلى رسمها... ثم يضيف قائلا:

ولا يعتبر من يكتب بها وبهذه الكيفية جاهلًا بقواعد إملائها...

والكلمات في الجدول التالي توضح ذلك:

الحروف الزائدة	معناها بالعربية	نطقها	الكلمة الفرنسية
R	فولاذ	أسييه	Acier
D	ثعلب	رُنَّار	Renard

وتوصل صاحب المقال إلى أن الزيادة في اللغات غير العربية لا تقتصر على حرف أو حرفين فحسب، بل يمكن أن تشمل هذه الزيادة أغلبية حروفها، فترسم ولا تلفظ، على خلاف الزيادة التي لحقت كلمات المصحف في الرسم العثماني فلم تزد على الثلاثة أحرف وهي أحرف المد: الألف والواو والياء، وهي كما قال:

زيادة خالفت القاعدة الإملائية لحكمة ولطيفة ارتضاها الله سبحانه للمصحف الشريف".¹

يستخلص مما سبق أن الأحرف التي زيدت في رسم كثير من كلمات المصحف لم يكن رسمها عبثاً، وإنما جاءت عن معرفة لضوابط الكتابة، لا لجهل من الصحابة بأمر الخط كما يزعم المروجون لقلة حظ الصحابة من إجادة المخطوط المرسوم في المصاحف، ولم يكن ذلك منهم إن في الحذف أو الزيادة أو البديل أو غيره مما جاء مخالفاً لمرسوم الإملاء كيف اتفق، بل على أمر عندهم قد تحقق.

وسيعالج هذا المبحث على ما أمكنه ذلك من خلال المطالب الثلاثة التالية:

(1) الدلالة في زيادة الألف :

واكبت زيادة الألف مواقع الكلمة، فقد تزداد من أولها وقد تزداد من آخرها وقد تكون الزيادة من وسط الكلمة، ويطلق على زيادة الألف في الاصطلاح القرآني ب (الزائد)، وهذه أمثلة زيادتها في الثلاثة أضرب:

الضرب الأول الذي تزداد فيه في أول الكلمة، وهذا كما قال ابن البناء: "يكون باعتبار معنى زائد بالنسبة إلى ما قبله في الوجود".²

• ويمثل لهذا الضرب بألف ﴿لَا أَدْبَحْتَهُ﴾ من قوله تعالى: ﴿لَا عَذَابَ لَهُ، عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَا أَدْبَحْتَهُ﴾ أَوْ لَيَأْتِيَنَّ بِسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿[النمل: 21]. وعللوا زيادتها إلى التنبيه على أن المؤخر أشد وأثقل في الوجود مما تقدمه فلا شك أن عقوبة الذبح أشد من العذاب.

وكتبت الكلمة بألف زائدة في جميع المصاحف دلالة على التمهّل والتريث والاسترخاء قبل إصدار قرار ذبح الهدهد، يدعم ذلك ما جاء بعده: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنَّ

¹ الرسم العثماني قواعده، ص 131.

² ينظر: المقنع، ص 110. وعنوان الدليل، ص 56. والرسم العثماني قواعده، ص 132. وإعجاز رسم القرآن، ص 144.

بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾، فلن يقع الذبح إلا بعد تفكير وروية، وربما نجا إذا برر غيابه
بسُلْطَانٍ مُّبِينٍ قائم على الحجة، وقد حدث ذلك...

ويجب أن يعرف أن النبي سليمان عليه السلام نبي من أنبياء الله لا يختار
حكما إلا بعد روية وحكمة وعلم كيف لا وأن الله قد منحه العلم: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا
دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ [النمل: 15].

وفرق الداني بين زيادتها في ﴿لَا أَدْبَحْتَهُ﴾ وحذفها بمجيئها على الأصل في
التي قبلها: ﴿لَا عَدْبَتَهُ﴾¹.

أما لفظه ﴿وَلَا وُضِعُوا﴾ في قوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ
إِلَّا خَبَالًا وَلَا وُضِعُوا خِلْدَكُمْ﴾ [التوبة: 47] فهي موضع خلاف عند رسام
المصاحف فلم تزد في المصحفين الذين يوافقان روايتي ورش وحفص.
وعللت زيادتها في التي كتبت بالزيادة ﴿وَلَا أَوْضِعُوا﴾ بأن الإيضاع أشد فسادا
من زيادة الخبال.²

كما اختلفت المصاحف في حرفي ﴿لَا إِلَهَ﴾ من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ
مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ [الصفافات: 68] ومن قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَحْشَرُونَ﴾
[آل عمران: 158].

وقد وجه المراكشي هذا الاختلاف؛ فبدا له أن من أثبت الألف أي زادها
جعلها بهذه الهيئة ﴿لَا إِلَهَ﴾ اعتبر مرجعهم إلى الجحيم أشد من أكل الزقوم
وشرب الحميم، وكذا الثانية: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَحْشَرُونَ﴾ يكون محشرهم إلى ربهم
أشد عليهم من أن يموتوا أو يقتلوا في الدنيا ولا يكون ذلك إلا بزيادة الألف، لأن
كل زيادة في المبنى تنجر عنها زيادة في المعنى.

¹ عنوان الدليل، ص 56.

² ينظر: عنوان الدليل، ص 56 والرسم العثماني قواعده، ص 132.

ومن لم يرد إلا رسمها على أصلها ﴿لِأَلَى﴾ لأنه غيب عنا كما أشار فلم يستو القسمان في العلم بهما حذف الألف وذلك أولى عنده.¹

• لفظنا ﴿يَأْيَعْسُ﴾ و﴿تَأْيَعْسُوا﴾:

ولا يزداد فيهما الألف بعد الياء إلا إذا سبقتا بحرف ناف كلا ولم، وقد وردت في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْيَعْسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيَعْسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: 87]، وفي قوله تعالى: ﴿أَقْلَمَ يَأْيَعْسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: 31]. وعُلمت زيادة الألف في هذه الكلمات الثلاث وجاءت به مصاحفنا في روايتي ورش وحفص، عُلمت بأن "الصبر وانتظار الفرج أخف من الإياس. والإياس لا يكون في الوجود إلا بعد الصبر والانتظار".²

وتعد هاتان اللفظتان من القسم الثاني الذي يكون فيه الألف زائدة في وسط الكلمة، ولم تكن التي في قوله تعالى: ﴿قَلَمًا إِسْتَيْعَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ [يوسف: 80]، وكذا: ﴿حَتَّىٰ إِذَا إِسْتَيْعَسَ الرُّسُلُ﴾ [يوسف: 110] على نمط أخواتها، إذ لم يزد فيها الألف.

ومن الألفاظ التي زيدت الألف فيها ولكن في وسط الكلمة لفظة (مائة) حتى غدا بعضهم ينطقها بفتح الميم ومدها وهو جهل بقواعد النطق وضوابط الرسم.

وقد فصل فيها القول المراكشي ورد على من اعتبر أنه رسم يُفَرِّقُ به بين لفظة (فئة) قبل أن يستحدث النقط. قال ابن البناء: "وكذلك زيدت الألف في مائة لأنه في اسم اشتمل الوجود على كثرة مفصلة بمرتبين آحاد وعشرات. ثم أضاف:

وهو تضعيف العشرة عشرة أمثال الذي هو التضعيف الواحد عشرة أمثال إذا علم ذلك بالفعل في الوجود وكان حقا لا شك فيه. فالمائة أضعاف الأضعاف

¹ ينظر: عنوان الدليل، ص 56.

² عنوان الدليل، ص 57.

للوحد ففيها تفصيل الأضعاف مرتين لذلك زيدت الألف في مائتين أيضا تنبيها على المرتبتين في الأضعاف".

ثم ينفي أن تكون الزيادة في مائة للفرق بينه وبين (منه) كما رأى قوم، وعلل بأن الأمر لا ينعكس بالمائتين فلا يلتبس، ثم واصل رده قائلا: "وينتقض قولهم أيضا بفئة فإنها تلتبس بفيه، فقد وجدت علة الالتباس وتخلف حكم زيادة الألف للفرق.

ولا يصح أيضا قول من قال للفرق بينها وبين مئة لأن مية لم يأت في القرآن..."¹

ولم يستثن من عدد المرات التي ذكرت فيها كلمة "مائة" و"مائتين" في القرآن الكريم العشر (10) مرات أن نقصت الألف الزائدة. وكذلك لفظة "فئة" و"فئتين" و"الفئتان" في الإحدى عشرة (11) مرة الواردة في القرآن الكريم بهذا الرسم من غير زيادة الألف بعد الفاء. وقد ذكر محمد شملول ما جاء به المراكشي في تعليل الزيادة ثم ختم بقوله: "وفي رأينا أن زيادة الألف في (مائة) و(مائتين) توحى بزيادة المعنى... ويمكن أن يكون لهذه الزيادة معان أخرى قد تتكشف في حين قدره الله سبحانه: ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾..."²

• لفظة ﴿لِشَاءٍ﴾

وردت هذه اللفظة برسم زائد في ألفها بين الشين والياء مرة واحدة في القرآن الكريم، ووردت برسمها العادي إحدى ومائتي (201) مرة في القرآن كله.

فالتى خالفت بزيادة الألف في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ عَبْدًا إِلَّا أُنِ يَّشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: 23، 24] هي في آية خاصة بالرسول محمد ﷺ وبمن بعده من المسلمين، وقد عللوا هذا الرسم بأن الشيء هنا معدوم، لذا

¹ عنوان الدليل، ص 64.

² إعجاز رسم القرآن، ص 143.

زيدت الألف تنبيها على اعتبار المعدوم من ناحية تقدير الوجود، وجوده حقا في الأذهان وانعدامه حقا في الأعيان.

ولا يقاس عليه حرف النحل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل:40]، إذ الشيء هنا كما علله المراكشي من جهة قول الله له: ﴿كُنْ﴾ لا نعلم كيف ذلك فلا ينقسم، ونحن نعلم الأشياء بجوهرها لا بعلمنا لذا وجب أن نؤمن بالمعنى تسليما لله، لأنه عز وجل يعلم الأشياء بعلمه لا بها، وبذلك نصل إلى أن الزيادة في هذه الكلمة دون أخواتها ترشدنا إلى أمر عظيم هو أن مشيئة الله لا تبلغها أي مشيئة،¹ وقد قال سبحانه: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان:30].

• لفظة ﴿وَجَاءَ﴾

وردت هذه الكلمة مرتين في القرآن جاء رسمها بزيادة ألف بين الجيم والياء على ما يوافق رواية حفص: ﴿وَجَاءَ﴾ في الموضعين معا، ورسمت برسم عادي من غير ألف في المصاحف المطبوعة برواية ورش ﴿وَجِءَ﴾.

قال تعالى: ﴿وَجَاءَ بِالنَّبِيِّنَّ وَالشُّهَدَاءِ﴾ [الزمر:69].

وقال تعالى: ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ فَجَعَلَهُمْ﴾ [الفجر:23].

علل ذلك الرسم بزيادة الألف بين الجيم والياء ابن البناء المراكشي بقوله: "زيدت الألف دليلا على أن هذا المجيء هو بصفة من الظهور ينفصل بها عن معهود المجيء. وقد عبر عنه بالماضي، ولا يتصور إلا بعلامة من غيره ليس مثله، فيستوي في علمنا ملكها وملكوتها في ذلك المجيء. ويدل على ذلك قوله تعالى في غير هذا الموضع ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾ [النازعات:36] وقال: ﴿إِذَا

¹ ينظر: عنوان الدليل، ص 62، 63. وإعجاز رسم القرآن، ص 138.

رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ [الفرقان: 12] فهو على خلاف حال: ﴿وَجَاءَءَ بِالنَّبِيِّعْنَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ فإن هذا على معنى معروف المثل في الدنيا والآخرة.

ومن تأوله بمعنى البروز في " المحشر " لعظيم حساب الخلق " أثبت الألف فيه أيضا".¹

وقد نقل صاحب البرهان هذا النص من غير تحوير فيه إلا في ألفاظ معدودة.² وقد وقف محمد شملول مع هذه الزيادة في رسم الكلمتين معللا ذلك بقوله: "ويدل ورودها بالشكل غير العادي أن هذا الشيء الذي يؤتى به هو شيء عظيم... سواء عظيم في شأنه وقيمته وأخلاقه ورتبته عند الله سبحانه وتعالى... أو عظيم رهيب في الخوف منه واتقائه وتجنبه..."³

• لفظ ﴿مَلَأَيْه﴾

وردت هذه اللفظة بزيادة الألف بين اللام والهمزة في ستة مواضع جاءت مضافة إلى ضمير الغائب (هـ) وفي موضع واحد إلى ضمير جمع الغائبين (هم): ﴿إِلَىٰ مِرْعَوْنَ وَمَلَأَيْه﴾ [الأعراف: 103، هود: 97، يونس: 75، المؤمنون: 46، القصص: 32، الزخرف: 46]، وفي قوله تعالى: ﴿فَمَآءَآمِنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن مِرْعَوْنَ وَمَلَأَيْهَمُ؛ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ [يونس: 83].

وقد يستشف من رسم الهمزة تحت قرن لام ألف ووضع الدارة على الياء بعدها ﴿مَلَأَيْه﴾ أن الزائد هو الياء وليس الألف، لكن بالرسم الذي أثبتته صاحب عنوان الدليل يكون الزائد الألف، إذ جاء رسمها بهذه الطريقة: ﴿مَلَأَيْه﴾، ولعل

¹ عنوان الدليل، ص 62.

² ينظر: البرهان في علوم القرآن، ج 1/384.

³ إعجاز رسم القرآن، ص 140، 141.

هذا الرسم المختلف فيه أدى إلى جدال بين علماء فاس فاستفتوا غيرهم من العلماء ليصطلحوا على رسم معين في هذه الكلمة، "فجاءت الفتوى على شكل نص:

يَالْغَادِي لِلْمَغْرِبِ وَلِمَكْنَسِ بَلِغِ سَلَامِي لِأَهْلِ فَاسِ
وَقَلْ لَهُمْ مَلَأْتَهُ قَدْ حَوْلَتْ وَهَمْزَةٌ تَحْتَ الْيَاءِ أَدْخَلَتْ
وَدَارَةَ الْمَزِيدِ فَوْقَ الْأَلْفِ فَهَكَذَا يَضْبُطُ كُلُّ عَارِفٍ¹

غير أننا إذا عدنا إلى المصاحف التي طبعت على رواية ورش نرى رسم الكلمة على خلاف ما جاء في الفتوى، فالدارة ليست فوق الألف، وإنما هي على الياء ورسمت الهمزة تحت الألف من "لام الف": ﴿وَمَلَأَيْهِ﴾.

وعليه من حيث تعليل هذا الرسم نرى المراكشي قد أشار إلى أنه "زيدت الألف بين اللام والهمزة المعضودة بالياء تنبيها على تفصيل في هذا الملام ظاهر في الوجود".²

أما الضرب الثالث فهو الذي تزداد فيه الألف في آخر الكلمة:

وهكذا كما عبر عنه ابن البناء المراكشي "يكون باعتبار معنى خارج عن الكلمة فحصل في الوجود مثل زيادتها بعد الواو".³ وذكر لها أمثلتها.

وتكون زيادة الألف في آخر الكلمة أحيانا في الفعل وأحيانا في الاسم وأحيانا في الحرف.

فأما التي جاءت زائدة في آخر الفعل ماضيا كان أو مضارعا أو أمرا فيمثل لها بالأمثلة التالية:

يرجوا - يدعوا - أشكوا - أتلوا - يمحوا - ترجوا - أدعوا - تبلوا

¹ الأنصاف القرآنية، لعبد العزيز العروسي العيادي، مطبعة سبارتيل، طنجة، الطبعة الثانية، 1998م، ج 1/175.

² عنوان الدليل، ص 64.

³ عنوان الدليل، ص 57.

وكذلك في بعض الأفعال التي عضدت همزتها بالواو، مثل: يبدؤا - يعبؤا - تفتؤا - تظمؤا - يتفيؤا - ينبؤا - يدرؤا - ينشؤا - نشؤا
وقد جمع بعضها في البيتين التاليين¹:

لتتلىوا وتتلوا أو يعفوا أن ندعوا ويبلوا ونبلىوا
فثبت المزيد فيها أبدا وصل دائما على محمدا

ذكر المراكشي علة زيادتها بعد الواو في مثل الفعلين: (يرجوا) و(يدعوا) بقوله: "وذلك أن الفعل أثقل من الاسم، لأن الفعل يستلزم معناه فاعلا بالضرورة فهو جملة في الفهم منقسمة قسمين، والاسم مفرد لا يستلزم غيره. فالفعل أزيد من الاسم في الوجود، والواو أثقل حروف المد واللين، والضممة أثقل الحركات والمتحرك أثقل من الساكن".²

ومنهم من علل زيادة الألف بعد الواو في مثل: (أشكوا) بطول الشكوى، وفي (يرجوا) لعظم الرجاء، ولعظم الدعاء والتوجه إلى الله أو الاضطراب على الدعوة إلى الله في مثل لفظه (يدعوا)، ولعظم شأن الشيء المتلو وهو القرآن الكريم الدال عليه لفظ (يتلوا) بزيادة الألف بعد الواو.

ويندرج هذا النوع في قاعدة زيادة مبنى الكلمة الدال على زيادة المعنى.³

ويقاس عليها غيرها نحو ﴿يَعْفُونَ﴾ من قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا أَلَّذِي بِيَدِهِ عَفْدَةُ النَّكَّاحِ﴾ [البقرة: 237]، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [المائدة: 15، الشورى: 25، 30]. ألا يتبادر إلى الذهن أن عفو الله فوق ما نتصور، ولعل هذا ما ناسب بين الزيادة في رسم الكلمة ﴿يَعْفُونَ﴾ زائدة في السورتين وبين زيادة فضل الله من عفو وتجاوز بقدر لا يعلمه إلا هو سبحانه إنه هو العفو الغفور.

¹ الرسم العثماني قواعده، ص 138.

² عنوان الدليل، ص 57.

³ ينظر: إعجاز رسم القرآن، ص 142.

أما لفظة ﴿يَعْفُو﴾ من قوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا غَفُورًا﴾ [النساء: 99] فجاءت بدون زيادة الألف.

وقد ربط ابن البناء بين ما زيدت فيه الألف مع الواو في الأفعال التي كانت فيها الواو لام الكلمة، فليس من بأس تزداد مع الواو التي هي ضمير الفاعلين باعتبار الكلمة جملة وذلك أولى نحو: قالوا وعصوا إلا إذا جاء الفعل المضارع معربا بالنون - وهذا مع الضميرين: أنتم وهم - فتكون النون هنا محصنة للواو، وبذلك تصير اللفظة كلمة واحدة وسطها واو.

غير أنه قد تسقط هذه الألف الزائدة في رسم المصحف والمتفق على رسمها إملائيًا في حال إسناد الفعل الماضي إلى جماعة الغائبين (هم)، وذلك حين "لا يكون ذلك على الجهة المحسوسة من الفعل بل على أمر باطن في الإدراك مثل: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا بِحِبَابِنَا يُنَادُونَ بِأَحْسَنِ مِنَّا لَعَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ﴾ [سبأ: 5 فقط]. هذا سعي بالباطل ملكوتي لا يصح له ثبوت في الوجود من حيث هم معاجزون فسعيهم باطل في الوجود".¹

وجاءت كلمات كثيرة من هذا القبيل ذكر علة حذف الألف بعد واوها المراكشي في المبحث نفسه منها: (جَاءَ وَ - بَاءَ وَ - تَبَوَّأَ وَ - بَاءَ وَ - عَتَوُ). وقد علل للفظة ﴿بَاءَ وَ﴾ بأنه فيء بالقلب والاعتقاد.

أما في قوله تعالى: ﴿فَالْوَأْيُ يَنْشَعِبُ أَصْلًا وَأَنْتُمْ تَأْمُرُونَ أَنْ تَنْشُرُوا مَا يَعْْبُدُونَ﴾ [هود: 87]، فقد جاءت كلمة ﴿نَشَرُوا﴾ على رسم غير عادي بزيادة ألف وزيادة واو وجاءت لتعضد الهمزة، ويكون رسمها إملائيًا: "نشاء"، فما العلة في ذلك؟

قال الداني: "وليس في القرآن: ﴿نَشَرُوا﴾ بالواو والألف إلا الذي في هود".²

وذكر الآية السابقة، كذلك ذكرها ابن معاذ الجهني.¹

¹ عنوان الدليل، ص 58، 59.

² المقنع، ص 83.

ولم يذكر اعله هذا الرسم بالزياة في الواو والألف؁ ولم يوردها أيضا صاحب "عنوان الدليل".

غير أن محمد شملول التمس لهذا الرسم في هذه اللفظة بالزياة ﴿نَشَوُا﴾¹ علة وسببا؁ قال: "و حين نتدبر الآية الكريمة وهي الآية رقم (87) من سورة هود؁ والتي تذكر استنكار قوم شعيب لما يأمرهم به من عبادة الله وحده وترك ما كان يعبد آباؤهم... كما تذكر قضية أخرى من أخطر قضايا العصر؁ وهي هل الإنسان حر في أن يفعل بماله ما يشاء أو أن هذا المال كما يبين الله سبحانه وتعالى هو ملك لله وأن الإنسان مستخلف فيه..."

هذه هي القضية الكبرى والتي تسمى في عصرنا "باقتصاد السوق"؁ وتعني الحرية المطلقة في المال دون وازع من تقوى الله أو حياء من الضمير والأخلاق. يلفت الله سبحانه وتعالى نظرنا إلى هذه القضية بهذه الكلمة الموجبة والتي تأتي على غير الشكل المعتاد لنقف عندها ونتدبرها؁ فتاتي كلمة ﴿نَشَوُا﴾ بهذا الرسم لتكون لنا "وقفة" لنراجع فيها أنفسنا وننتبه إلى أن المال هو مال الله وليس مالنا نحن... وأنه يجب أن نفعل فيه ما يشاء الله وليس ما نشاء نحن".²

• دلالة الزياة في لفظة ﴿تَبَتُّوْا﴾: قال سبحانه على لسان إخوة يوسف لأبيهم يعقوب عليه السلام: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَبَتُّوْا تَذَكَّرُ يُوْسُفَ حَتَّى تَكُوْنَ حَرَضًا أَوْ تَكُوْنَ مِنَ الْهَالِكِيْنَ﴾ [يوسف:85]؁ وتعني هذه اللفظة في ما تعنيه الاستمرار وتكتب إملايا: تفتأ أو تفتؤ غير أنها خالفت ذلك؁ فقد اتسع مبنى الكلمة رسما ليدل على اتساعها معنى.

وحتى نتأمل جو الآية الكريمة وما ذكر قبلها وبعدها "نجد النبي يعقوب عليه السلام لم ينس ابنه يوسف أبدا بل كان يذكره دوما... ويعلم أن الله سوف يرده

¹ ينظر: البديع في الرسم العثماني في المصاحف الشريفة؁ ص 46.

² إعجاز رسم القرآن؁ ص 139؁ 140.

إليه... لذلك جاءت كلمة ﴿تَفْتَوُا﴾ بهذا الرسم لتوحي بطول المدة التي كان يذكر فيها يوسف وبأنه كان غير عابئ بما كان أبناؤه الآخرون يقولونه...¹

وكانه كان يترقب مجيئه وهو الذي كان، لذلك جاء بعدها قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:86]، وجاءت لفظة ﴿أَشْكُوا﴾ مزيدة الألف وقد سبقت الإشارة إليها.

• وزيدت الألف أيضا في لفظتي: ﴿تَبَوَّأَ﴾ و﴿لَتَنوَّأَ﴾ من قوله تعالى: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبوَّأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ [المائدة:29] وفي قوله تعالى: ﴿مَا إِنَّ مَقَاتِحَهُ، لَتَنوَّأَ﴾ [القصص:76]، إذ رسم هاتين الكلمتين فيما تعارف الناس عليه: تَبوَّأَ، لَتَنوَّأَ باعتبارهما مسبوقتين بساكن (حرف المد) وجاءتا في آخر الكلمة، غير أنهما عضدتا بألف، واعتبر ذلك الألف زائدا فيهما بعد الهمزة، غير أن الحقيقة حين نظر رسمها في المصحف خلاف ذلك فقد رسمت الهمزة فيها مع قرن الألف وليس في السطر - مثلا - وبعدها أَلَف.

ومهما يكن من أمر، فإن ابن البناء قد علل هذا الرسم بكونه: "تنبيها على تفصيل المعنى فإنه يبوء بإثمين من فعل واحد. وتنوء المفاتيح بالعصبة فهو نوان للمفاتيح، لأنها بثقلها أثقلتهم فمالت وأمالتهم. ثم زاد على هذا التعليل إيضاحا آخر فقال:

وفيه تذكير بالمناسبة يتوجه به من مفاتيح كنوز مال الدنيا المحسوس إلى مفاتيح كنوز العلم التي تنوء بالعصبة أولى القوة في بقيتهم إلى ما عند الله في الدار الآخرة من النعيم المقيم".²

أما زيادتها في الأسماء فقد وردت في كلمات كثيرة، فغيرت رسمها العادي بتلك الزيادة ومنها الألفاظ التالية: "الظُّنُونَا، السَّيِّلَا، الرُّسُولَا، اللُّوْلُوَا".

¹ إعجاز رسم القرآن، ص 141، 142.

² عنوان الدليل، ص 60.

إذا كانت الألف تزداد في الاسم المفتوح المنون معلنة أنه وسط بالنسبة إلى المرفوع والمخفوض، وأنه كامل التمكن بالنسبة إلى غيره، وأنه من جانب آخر إذا وَقَفَ عليه وَقَفَ عليه مفتوحاً ممدوداً، ولذلك كتبت نون التوكيد الخفيفة أيضاً في شكل ألف منون بالفتح، ولم تأت إلا مرتين في القرآن الكريم في يوسف والعلق من لفظتي: ﴿وَلْيَكُونَا﴾ [يوسف:32] و﴿لَنَسْقَعَا﴾ [العلق:15].

• ﴿الظُّنُونَا﴾، ﴿السَّيْلَا﴾، ﴿الرُّسُولَا﴾

وقد وردت هذه الثلاثة في الآيات التالية: قال تعالى: ﴿وَتَنْظُنُونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب:10]، وقال تعالى: ﴿بِأَضْلُونَا السَّيْلَا﴾ [الأحزاب:67]، وقال عز وجل: ﴿وَأَطَعْنَا الرُّسُولَا﴾ [الأحزاب:66].

وقد وردت جميعها في سورة الأحزاب، واعتبر ابن البناء أنه "زيدت الألف لبيان القسمين واستواء الظاهر والباطن بالنسبة إلى حالة أخرى غير تلك.

ولم تزد لتناسب رءوس الآي كما قال قوم، لأن في سورة الأحزاب ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب:4]، وفيها: ﴿بِأَضْلُونَا السَّيْلَا﴾، وكل واحد منهما رأس آية، وثبتت الألف في الثاني دون الأول. فلو كان لتناسب رءوس الآي لثبت في الجميع".¹

وذكر أبو جعفر النحاس (ت338هـ) أن الكوفيين يقرأونها بغير ألف واعتبر ذلك مخالفاً للمصحف وإن حسنته العربية، قال: "وأولى الأشياء في هذا أن يوقف عليه بالألف ولا يوصل لأنه إن وُصِلَ بالألف كان لاجناً، وإن وصل بغير ألف كان مخالفاً للمصحف، وإذا وقف بالألف كان متبعاً للسواد موافقاً للإعراب؛ لأن العرب تثبت هذه الألف في القوافي، وتثبتها في الفواصل ليتفق الكلام".²

¹ عنوان الدليل، ص 61، 62.

² إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، الطبعة الثانية: 1405هـ-1985م، الجزء الثالث، ص 305.

واعتبر فاضل السامرائي مد فتحة (السبيل) لتنسجم الفاصلة مع الفواصل المتقدمة والمتأخرة، لكن هذا قد ينقضه الفاصلة التي جاءت خلاف ذلك في السورة نفسها: ﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ وهي التي أشار إليها قبل المراكشي، غير أنه لا يطلق الكلام بحيث يخطأ السامرائي، إذ قصده أن فواصل الآي أحيانا تطلب ذلك، وقد جاء بهذا المثال ليدعم ما يقول.

وأرجع غيره زيادة الألف في هذه الكلمة ﴿إِلْظُنُونًا﴾ إلى جو الآية¹ إذ ابتلي المؤمنون ابتلاء شديدا وزلزلوا زلزالا عظيما، فلم تكن الظنون عندهم بالقليلة أو الصغيرة المحدودة، بل كانت كثيرة وكبيرة غير محدودة، اختلفت على قدر اختلاف إيمان كل واحد منهم فكانت ظنونا مختلفة عظيمة.

ولذلك خالفت شكلها العادي، وجاءت في رسم زيد فيه حرف الألف لتوحي لقارئ القرآن بزيادة معنى وتضعه في جو الآية التي تصف وطيس المعركة وشدة وطئها وحال المؤمنين.²

أما زيادة الألف في لفظتي: ﴿الرُّسُولَا﴾ و﴿السَّبِيلَا﴾ من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَقَلَّبَ وُجُوهُهُمْ فِي النَّبَارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾ وقالوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا، فقد دلت زيادة الألف فيهما على الذم الكبير لهؤلاء الكافرين لأنهم أطاعوا من يضرهم ولم يطيعوا من يهديهم وينجيهم، فلو سمعوا إلى ما جاء به الرسول ﷺ لسعدوا ولكنهم انقادوا لساداتهم وكبرائهم فأضلوهم عن سبيل الحق.

ويدل رسم لفظة ﴿الرُّسُولَا﴾ بهذه الزيادة على عظمة الرسول وعظمة سبيل الحق ﴿السَّبِيلَا﴾، ولكما كانت زيادة المبنى ظهرت زيادة المعنى.

¹ ينظر: التعبير القرآني، ص 217.

² ينظر: إعجاز رسم القرآن، ص 138، 139.

(2) الدلالة في زيادة الواو :

إذا كان نقصان الواو يدل على السرعة وامثال الأمور فإن زيادتها لا شك تدل على استمرار وخصوص معنى.

جمع صاحب البرهان الكلمات التي زيدت فيها الواو إن في الأفعال وإن في الأسماء، وبخاصة أسماء الإشارة المجموعة المبدوءة بهمزة مضمومة، وذكر علة زيادتها فقال: "زيدت للدلالة على ظهور معنى الكلمة في الوجود في أعظم رتبة في العيان، مثل: ﴿سَاءُ وُرَيْكُمُ دَارَ الْقَبْسِيفِينَ﴾ [الأعراف:145]، ﴿سَاءُ وُرَيْكُمُ؛ ءَايَتِي﴾ [الأنبياء:37].

ويدل ذلك على أن الآيتين جاءتا للتهديد والوعيد".¹

وعلى زيادتها بين الألف واللام في: ﴿أُولِي﴾ و﴿أُولُوا﴾ و﴿أُولْتِ﴾ لقوة المعنى على "أصحاب"، إذ لفظة ﴿أُولِي﴾ تعني الصحبة وزيادة التملك والولاية عليه.

وكذلك لفظتا: ﴿أُولِيكُمْ﴾ و﴿أُولِيكُمْ﴾ باعتبارهما جمعا مبهما يظهر فيه معنى الكثرة الحاضرة في الوجود، ونفى أن تكون الزيادة للتفريق بينه وبين "إليك" كما ذهب إليه قوم، وقد انتقض "بأولا".²

وخرج تعليل زيادة الواو في اللفظتين السابقتين: ﴿سَاءُ وُرَيْكُمُ﴾ وقارنها بالتي بغير الواو محمد شملول بمقارنتهما بغيرهما من التي جاءت بشكلها العادي من غير زيادة، قال: "ونلاحظ أن هذه الكلمة حينما جاءت منسوبة إلى الله سبحانه وتعالى فقد جاءت بشكل غير عادي بزيادة حرف الواو لتبين عظم قدر الله سبحانه وتعالى وعظم هذه الآيات التي سيربها لعباده... كما أن زيادة حرف الواو يوحي باستمرار آيات الله على المدى الطويل، خاصة أنها جاءت بلغة المستقبل..."³

¹ البرهان في علوم القرآن، ج 1/386.

² ينظر: البرهان في علوم القرآن، ج 1/386.

³ إعجاز رسم القرآن، ص 149.

أما لفظة ﴿رَيْكُمُ﴾ غير المسبوقة بالسین في قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا رَيْكُمُ إِلَّا مَا أَرَى﴾ [غافر:29] جاءت على لسان فرعون وقد حصرت الكلمة بين حرفي نفي وحرف حصر، فلم تحتج إلى زيادة، وماذا عسى فرعون سيربهم غير الذي يراه.

(3) الدلالة في زيادة الياء :

قبل الحديث عن دلالة زيادة الياء يجب أن نقف على مكان زيادتها من الكلمة، فقد تأتي زائدة في أول الكلمة أو في وسطها أو في آخرها.

1- فزيادة الياء في أول الكلمة جاءت في المختلف في قراءتها بين الهمزة والياء اللذين هما حرفا مضارعة للمتكلم والغائب، ووردت كلمة واحدة في هذا الباب، وهي كلمة (لَأَهَبَ/لَأَهَبَ) في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ [مريم:19].

وقد وصف كتابتها هذا النص:

"لأهب صفتها يا طالبا وياؤها فوق الألف راكبا ونقطه عن اليمين والشمال والفتحة فوقها بذا جرى العمل"¹

ويجب أن ترسم بلون مغاير للون خط المصحف مع تقييدها بنقطتين عن يمينها وعن شمالها مضبوطة بفتحة فوقها.

وقد جاءت في المصحف الذي يوافق روايتي قالون وحفص بالهمزة ﴿لَأَهَبَ﴾ وبالياء - كما جاء في النص السابق - بما يوافق رواية ورش: ﴿لَأَهَبَ﴾، والقراءتان متواترتان.

2- زيادة الياء في وسط الكلمة:

زيدت الياء في وسط الكلمة في أربع كلمات: أَقْبِيسُ، بِأَيْدٍ، بِأَيْمٍ،

بِأَيْمِكُمْ

¹ الرسم العثماني قواعده، ص 145.

ولا يقطع الخلاف في أيهما زائدة إلا بالعودة إلى المصحف وتبع ضبطها وبخاصة في الثلاث الأخيرة باعتبارها سبقت بياء أو احتوت على ياء.

- لفظة ﴿أَقْبَائِسُ﴾: زيدت الياء فيها في موضعين، في قوله تعالى: ﴿أَقْبَائِسَ مَاتَ أَوْ فُتِلَ بِإِنْفَلَبْتُمْ عَلَيَّ أَعْفَيْكُمْ﴾ [آل عمران: 144]، وفي قوله تعالى: ﴿أَقْبَائِسَ مَاتَ بِهِمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: 34].

علل ابن البناء زيادة الياء هنا "لأن موته مقطوع به، والشرط لا يكون في المقطوع به ولا ما رُتِبَ على الشرط هو جوابه، لأن موته لا يلزم منه خلود غيره ولا رجوعه عن الحق.

فتقديره: أهم الخالدون إن متّ.

فاللفظ للاستفهام والربط، والمعنى للإنكار والنفي. فزيدت الياء لخصوص هذا المعنى الظاهر للفهم الباطن في اللفظ".¹

غير أنه حين ذكرت لفظة ﴿قَبَائِسُ﴾ من غير أن تسبق بهمزة استفهام جاءت بشكلها العادي، وقد وردت مرات عديدة، مثل قوله تعالى: ﴿قَبَائِسَ قَبَاءَ وَ قَبَائِسَ اللَّهُ عَفْوَرٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: 226] وقوله تعالى: ﴿قَبَائِسَ جَاءَ وَكَ قَبَائِسَ بَيْنَهُمْ؛ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [المائدة: 42].

وقد توصل بعضهم إلى أن هذه الزيادة كان لها توجيهها دلاليا "وذلك ليلفت النظر إلى أن رسول الله ﷺ سيموت مثل جميع البشر... وعلى المسلمين ألا ينقلبوا على أعقابهم بعد موته... وألا يصيبهم ذلك الحدث بالذهول وعدم الاتزان... وقد كان موقف سيدنا أبي بكر الصديق عظيما حيث ذكر هذه الآية الكريمة التي أعادت للناس رشدهم والتي احتوت على كلمة ﴿أَقْبَائِسُ﴾ بشكلها غير العادي".²

وأفادت الآية الأخرى بمجيئها متحدثة عن موت رسول الله ﷺ.

¹ عنوان الدليل، ص 62.

² إعجاز رسم القرآن، ص 145.

• ﴿بِأَيْدٍ﴾: وقد ذكرت في سورة الذاريات [47] في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ ويطلعنا ضبطها المصحفي بما في مصحفنا برواية ورش أن الياء الزائدة هي الثانية وليست الأولى، وقد لا يميز بين رسم السكون والدارة الموضوع على الحرف الزائد من هذه الكلمة أو من غيرها، فسمعنا غير ما مرة من بعض حملة القرآن قراءة الياءين معا وكأنهم يحركون الأولى ويسكنون الثانية، وهذا لحن يجب أن ينبه عليه شيوخ الإقراء والتحفيظ.

وعلل المراكشي زيادة الياء هنا بقوله بعد أن وضع قاعدة عامة للياء الزائدة التي هي علامة اختصاص ملكوتي: "كتبت ياءين فرقا بين الأيد الذي هي القوة وبين أيدي جمع يد... [ثم أضاف] ولا شك أن القوة التي بنى الله بها السماء أحق بالثبوت في الوجود من الأيدي فزيدت الياء لاختصاص اللفظة بالمعنى الأظهر في الإدراك الملكوتي في الوجود".¹

تدل لفظة "الأيد" على معنى القوة، وقد اشتقت من الفعل "آد يثيد" إذا قوي، وليست جمعا لمفرد (يد)، "وقد زيدت الياء فيها للدلالة على أنها قوة لا تدانيها قوة، ومن ثم إلى التفريق بين (الأيد) المضافة إلى الله تعالى وبين (الأيد) المضافة إلى نبي الله داود في قوله: ﴿وَإِذْ كُرِّعْبَدْنَا دَاوُدَ دَا أَلَيْدٍ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: 17]، فالمراد من الكلمتين في الموضعين معا القوة، فقد كان نبي الله داود يلين الحديد بإذنه وقوته، ولما كانت قوة الله تعالى لا تدانيها قوة في الوجود زيدت الياء في كلمة (الأيد)".²

وقد أزال النص التالي الخلاف الذي حام حول أي الياءين زائدة:

"يا سائلا عن رسم بأييد ياءين قبل الدال ضع عن قصد
فالأول الأصل عليها جرة علامة السكون بالحمرة
ودارة يا أخي فوق الثاني علامة المزيد خذ بيان"³

¹ عنوان الدليل، ص 61، 62.

² الرسم العثماني قواعده، ص 146.

³ الرسم العثماني قواعده، ص 147.

• لفظنا ﴿بِأَيِّكُمْ﴾ و﴿بِأَيِّكُمْ﴾:

وردت لفظة (أيام) في ثلاثة وعشرين موضعاً، زيدت الياء في موضع واحد، في قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيِّكُمْ إِلَهًا﴾ [إبراهيم: 5].

وذكرت لفظة ﴿بِأَيِّكُمْ﴾ بياء زائدة في موضع واحد في قوله تعالى: ﴿بِأَيِّكُمْ أَلْمَفْتُونُ﴾ [القلم: 6]، ولم تزد الياء في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوكُمْ؛ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: 7، الملك: 2].

وقد علل ابن البناء الزيادة التي في سورة القلم بكونها: "كتبت بياءين تخصيصاً لهم بالصفة وحصول ذلك وتحققه في الوجود، فإنهم هم المفتونون دونه. فانفصل حرف أي بياءين لصحة هذا الفرق بينه وبينهم قطعاً لكنه باطن فهو ملكوتي.

وإنما جاء اللفظ بالإبهام على أسلوب المجاملة في الكلام والإمهال لهم ليقع التدبر والتذكار، كما جاء ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: 24]. ومعلوم أننا على هدى وهم في ضلال مبين".¹

وجاء الضبط على الياء الثانية في الكلمتين في المصاحف التي نقرأ بها على رواية ورش (بِأَيِّكُمْ، بِأَيِّكُمْ) على خلاف لفظ ﴿بِأَيِّدٍ﴾ التي اعتبرت الأولى منهما هي الأصل.

وقد جاء نص يؤطر هذه الزيادة أصلاً²:

بِأَيِّكُمْ بِأَيِّكُمْ تُرْسَمُ أَوْلَهَا زَائِدَةٌ وَتُدْغَمُ
وَشَدَدُ الثَّانِيَةِ الَّتِي بِأَيِّكُمْ كَذَا بِأَيِّمِ الَّتِي فِي ذِكْرِكُمْ

3- زيادة الياء في آخر الكلمة:

خصت هذه الزيادة بضع كلمات يحددها النص التالي:

"ياسائلا عن الياء الزائدة والسكون فوقها فخذها فائدة

¹ عنوان الدليل، ص 92، 93.

² الرسم العثماني قواعده، ص 148.

من نبأ في سورة الأنعام من تلقاء في يونس إمام
وإيتاء في حزب قال الله إيتاء في طه فلا تنساه
أو من وراء بعده حجاب نجنا يا رب من العذاب¹

يستخرج من هذا النص الكلمات الواردة في القرآن الكريم بزيادة الياء في آخر
الكلمة وهي: نَبَأٌ، تَلْفَاءٌ، إِيْتَاءٌ، إِنْأَاءٌ، وَرَأَاءٌ

• ﴿نَبَأٌ﴾: وردت في القرآن الكريم خمس عشرة مرة، زيدت فيها الياء مرة
واحدة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: 34] تنبيها
أنها أنباء باعتبار، وأخبار باعتبار آخر وهي - كما أشار ابن البناء - ملكوتية
ظاهرة.²

ورسمت باقي كلمات الباب "نبا" من غير زيادة ياء مثل قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ
نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ [الأنعام: 67].

• أما لفظه ﴿تَلْفَاءٌ﴾: فقد رسمت بياء زائدة في موضع واحد من مواضع
ثلاثة، في قوله تعالى: ﴿فَلْ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أَبَدِّلَهُ، مِنْ تَلْفَاءٍ نَفْسِي﴾
[يونس: 15].

على خلاف الموضعين الآخرين في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَرُهُمْ
تَلْفَاءً اصْحَابِ الْبَارِ﴾ [الأعراف: 47]، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْفَاءً
مَدْيَيْنَ﴾ [القصص: 22]، فلم تزد فيهما الياء، غير أنه يجب أن يؤخذ في الاعتبار
أن التي جاءت مزيدة الياء كانت همزتها مكسورة، أما هاتان فهمزتهما مفتوحة.

¹ الرسم العثماني قواعده، ص 148.

² ينظر: عنوان الدليل، ص 92.

ومهما يكن فقد عُلِّل لزيادة الياء أنه تلقاء خاص يظهر من قبل النفس ورأيها أو كما قيل.¹

• ﴿إِيْتَاءٌ﴾: جاء رسم هذه اللفظة فيما يوافق رواية حفص على هذا الخط: ﴿إِيْتَايَ﴾، وفيما يوافق رواية ورش في مصاحفنا المطبوعة في غرب إفريقيا: ﴿إِيْتَاءٌ﴾ برسم الهمزة في السطر وزيادة ياء بعدها، ويعد هذا الموضع الذي زيدت فيه الياء هو الموضع الوحيد على خلاف باقي المواضع، كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيْتَاءَ الزَّكَاةِ﴾ [الأنبياء: 73]، وقوله تعالى: ﴿وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيْتَاءَ الزَّكَاةِ﴾ [النور: 37] فلم تزد فيهما الياء.

أما عن علة زيادة الياء في الأولى فلاعتبار هذا الإيتاء إيتاء خاصا بينه سبحانه وتعالى، لذلك يجيء ذكر ذي القربى بعد ذكر الإحسان إلى الوالدين في غير ما آية.

• ﴿وَرَاءَهُ﴾: وردت هذه اللفظة بزيادة في موضع واحد من المواضع التي ذكرت فيها، وهي قوله تعالى: ﴿أَوْ مِنْ وَّرَاءِهِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: 51]، وعُلِّلت هذه الزيادة بأنه "هو الورااء الخاص بالملكوت الذي يظهر بالحجاب".²

أما غيرها من الكلمات وإن جاءت همزتها مكسورة فلم يرسموا بعدها ياء زائدة كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَّرَائِهِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: 53].

• ﴿-انَاءٌ﴾: زيدت الياء في موضع واحد ولم تزد في موضعين آخرين، فالتى زيدت فيه الياء هو قوله تعالى: ﴿وَمِنْ -انَاءٍ لَيْلٍ فَسَيِّحَ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ [طه: 130].

¹ ينظر: الرسم العثماني قواعده، ص 148.

² ينظر: الرسم العثماني قواعده، ص 148.

وذكروا علة زيادة الياء هنا، لأنها آناء خاصة ملكوتية غير معينة بالحس وهي خاصة بالرسول ﷺ.¹

ولم ير ابن البناء أن هذه الياء ما زيدت إلا لتعضد الهمزة بل اعتبرها تنبيها على اختصاص معنى الكلمة بما يوافق ظهوره في المعنى الملكوتي، قال: "وقد قال بعض المصنفين إن هذه الياءات زائدة بعد الهمزة وهو ضعيف، وجهة العضد أولى بها، والله أعلم".²

¹ ينظر: عنوان الدليل، ص 44. والرسم العثماني قواعده، ص 149. وإعجاز رسم القرآن، ص 147، 148.

² عنوان الدليل، ص 44.

رابعاً : الدلالة في قاعدة البدل

يقصد بقاعدة البدل رسم الألف واوا أو ياء ورسم تاء التأنيث - المربوطة - تاء مبسوطة ليخالف بذلك القاعدة الإملائية.

وقد ذكر الداني الكلمات التي حقها أن ترسم بالألف ثم خالفت ورسمت واوا في "باب ذكر ما رسمت الألف واوا على لفظ التفخيم ومراد الأصل"، قال: "ورسموا في كل المصاحف الألف واوا في أربعة أصول مطردة وأربعة أحرف متفرقة فالأربعة الأصول هي: ﴿الصَّلَاةُ﴾، و﴿الزَّكَاةُ﴾، و﴿الْحَيَاةُ﴾، و﴿الرِّبَاُ﴾ حيث وقعن، والأربعة الأحرف هي قوله في الأنعام والكهف ﴿بِالْعَدْوَةِ﴾، وفي النور ﴿كَمِشْكَاةٍ﴾، وفي المؤمن [يعني: غافراً] ﴿السَّجَاةُ﴾، وفي النجم ﴿وَمَنَّا﴾... وروى بشر بن عمر عن هارون عن عاصم الجحدري قال: في الإمام ﴿الصَّلَاةُ﴾ و﴿الزَّكَاةُ﴾ و﴿الْعَدْوَةُ﴾ و﴿الرِّبَاُ﴾ بالواو".¹

وقد أوردها ابن البناء المراكشي في "فصل في الألف المنقلبة عن الياء أو الواو".²

واشترط صاحب "إرشاد القراء والكتابين" التعريف بـ"ال" في الأربعة الأولى، لأن الأربعة الأخرى لم تذكر كل واحدة منها إلا مرة واحدة، فلم يقع فيها تفصيل، ثم تحدث عن الأربعة أصول إذا جاءت مضافة، قال: "وأما المضاف فرسم بالألف، وذلك نحو ﴿صَلَاتِهِمْ﴾ حيث وقع إلا أول سورة المؤمنين وهو ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [9]".³

¹ المقنع، ص 79، 80.

² ينظر: عنوان الدليل، ص 76.

³ إرشاد القراء والكتابين إلى معرفة رسم الكتاب المبين، للعلامة الشيخ رضوان بن محمد بن سليمان المخللاني، دراسة وتحقيق: أبي الخير عمر المرابطي، مكتبة الإمام البخاري، الطبعة الأولى: 1428هـ / 2007م.

ثم ذكر المضاف الذي رسمت فيه تابعة لقاعدة البدل، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ صَلَوَاتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: 103]، وقوله عز وجل: ﴿أَصَلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ [هود: 87]، غير أنها تحتمل القراءتين بالإفراد والجمع، لكن التي في قوله تعالى: ﴿وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾ [التوبة: 99]، وقوله عز وجل: ﴿وَأُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: 157]، فقد جاءت الثلاثة مرسومة بالواو على اللفظ فهي جمع. وقس عليها ما جاء مضافا للمتكلم أو الغائب أو المخاطب في لفظتي الصلاة والحياة، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ [الإسراء: 110]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَلَيِّتُنِي قَدْ مِثُّ لِحْيَاتِي﴾ [الفجر: 24].

وأما ما جاء منكرا غير مضاف فجاء رسمه بالواو من لفظتي: ﴿زَكَاةٌ﴾ و﴿حَيَاةٌ﴾ كالتي في الكهف: ﴿حَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةٌ﴾ [81] والتي في الفرقان: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [3].

علل ابن البناء رسوم هذه الألفات من الكلمات الثمانية واوا بما يناسب كل كلمة، لكنه ذكر التعليل الجامع قبل أن يبسط القول إفرادا قال: "وما كتب بالواو على الأصل في أي كلمة كان فإنه يدل على أن اعتبار المعنى من جهة قسم الملك من الوجه أظهر في الإدراك من استواء قسمي الوجود في ذلك المعنى".¹

• ﴿الصَّلَاةُ﴾: رسمت بواو بدل ألف مراعاة لأصلها "صَلَاةٌ" بوزن "فَعَلَةٌ"، وأخذت - كما جاء في إرشاد القراء والكتابين - من (الصَّلَوِينِ)، قيل عنهما عرقان في خاصرة الإنسان، ينحنيان بانحناء المصلي في ركوعه، ويتصببان إذا قام.²

وقد وردت بهذا الرسم لفظة ﴿الصَّلَاةُ﴾ سبعا وستين (67) مرة بإبدال الألف واوا لما لها من أهمية ولكونها عماد الدين، وهي الصلة بين العبد وخالقه، وهي

¹ عنوان الدليل، ص 76.

² إرشاد القراء والكتابين، 296/1.

طهارة البدن الباطن والظاهر، لما اشتملت عليه من أبواب الطهارات وأنواع النزاهات والتسييح، وهي مرتبطة بالموجودات وبالأحياء والأموات.

ولننظر حين نسبت الصلاة إلى الأنبياء وهم يجادلون أهل الباطل أو في دعائهم لأهل الإيمان، بقيت على رسمها المتباين كما في الآية السابقة: ﴿إِنَّ صَلَوَاتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة:103]، فكم لهذا الرسم من روعة وهو يحتمل القراءتين: (صَلَاتِكَ، وَصَلَوَاتِكَ) ثم يعقب بلفظ ﴿سَكَنٌ﴾.

وحين تأتي لفظة "صلاة" بشكل عام لا يحتاج الرسم إلى إبلاغها درجة التميز لأنها عادية، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال:35].¹

• ﴿الزَّكَاةُ﴾: جاءت بهذا الرسم المميز في كل عددها التي ذكرت به في القرآن الكريم في اثنتين وثلاثين (32) مرة، ولم ترد بصورتها المعتادة معرفة أو منكرة.

وتعني هذه اللفظة التي من (زكا) (يزكو) النماء والبركة الباطنة والظاهرة، والمزكي يظهر أمواله، وبذلك تنمو وتزيد أرباحه ويتحقق له النجاح، وتعد الزكاة - كما أوضح ابن البناء - أصلا في الأموال جامعا لوجوه المكاسب والاستفادات مما تخرجه الأرض وتعود به التجارة وغيرهما.²

ولعلوا شأنها في الإسلام حارب سيدنا أبو بكر مانعيها، ولعجيب أمرها تماشت في رسمها مع الصلاة لأنهما ركنان من الأركان الخمسة للإسلام.

• ﴿الرَّبَّوْا﴾: اشتقت اللفظة من: ربا يربو، بمعنى زاد ونما، فإذا كانت الصلاة والزكاة عماد الدين، فإن ترك الربا قاعدة الأمان ومفتاح التقوى، ولذلك قال عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِتَقْوَى اللَّهِ وَدَرَوْا مَا بَفَىٰ مِنَ الرَّبَّوْا﴾ [البقرة:278]،

¹ ينظر: عنوان الدليل، ص 77. وإرشاد القراء والكاتبين، ج 1/296. وإعجاز رسم القرآن، ص 165 ن 166.

² ينظر: عنوان الدليل، ص 77.

ويعتبر "الرَّبَوُا" نقيض الزكاة لاشتماله على أنواع الحرام والخبائث، لذا قوبل بينها وبين الصدقات في قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرَّبَوُا وَيَرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة:276]، ولا بد من اجتنابه في التصرفات المالية.

ولم ترسم لفظه (ربا) التي في الروم بزيادة واو، بل كتبت بالألف "لأنه ليس العام الكلي، لأن الكلي منفي في حكم الله عليه بالتحريم، وفي نفي الكلي نفي جميع جزئياته".¹

ويدخل في هذا الباب قسما الربا: ربا الفضل وربا النسيئة. علل ذلك بزيادة الألف بعد الواو كما قال ابن البناء.²

• ﴿الْحَيَوَةُ﴾: إذا جاءت معرفة رسمت بإبدال الألف واوا، وقد وردت بهذا الشكل في إحدى وسبعين (71) مرة في القرآن الكريم، وإذا جاءت مضافة فإنها ترسم على حالتها الأصلية العادية، وقد ذكرت خمس (5) مرات نسبت فيها إلى الكافرين، منها قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْرُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام:29]، وقوله عز وجل: ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر:24].

كما قال ابن البناء عن رسم لفظه ﴿الْحَيَوَةُ﴾: "وهي باطنة وظاهرة، وهي قاعدة النفوس ومفتاح البقاء والخلود، قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهِ الْفِصَاصِ حَيَوَةٌ يَتَذَكَّرُ لَهَا الْآلِبِينَ﴾ [البقرة:179].

فتشتمل على أبواب النكاح والولادة والرضاع والقصاص... والمواريث..."³

¹ البرهان في علوم القرآن، ج 1/409، 410.

² ينظر: عنوان الدليل، ص 78.

³ عنوان الدليل، ص 79.

• ﴿النَّجْوَةُ﴾: رسمت بالواو وزاد علماء الضبط ألفا صغيرة فوقها وجردوها من أي حركة، وجعلوا الفتحة على الجيم، وكذا باقي أخواتها. ويشق الفعل منها: نجوت والمضارع "أنجو".

قال عنها ابن البناء: "وهي باطنة وظاهرة، وهي قاعدة الطاعات ومفتاح السعادات. قال الله تعالى حكاية عن المؤمن: ﴿وَيَقُومُ مَالِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى الْبَارِ﴾ [غافر:41]، فهو أصل يشتمل على أبواب المنجيات وأنواع المهلكات في الحياة وبعد الممات وعلى أقسام البيئات والمواعظ والآيات".¹

• ﴿الْعَدْوَةُ﴾: ذكرت هذه اللفظة مرتين في القرآن الكريم لا ثالث لهما، قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الأنعام:52]، وقال سبحانه: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الكهف:28]. ولم تخل اللفظتان من معطوف بعدهما وهي كلمة العشي، لأن لفظه ﴿الْعَدْوَةُ﴾ تعني أول النهار أي الفجر لتشيد بعظم ومنزلة هذا الوقت، وعظم قدر الصلاة والدعاء فيه، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَفُرْءَانُ الْقَبْرِ إِنْ فُرْءَانَ الْقَبْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء:78].

وقد جاء رسم ﴿الْعَدْوَةُ﴾ بهذا الشكل تابعا للقراءة، إذ فيها لغتان: "غَدْوَةٌ" بفتحيتين، و"عُدْوَةٌ" بضم فسكون، وبها قرأ الشامي ابن عامر.²

واعتبرها ابن البناء باطنة وظاهرة وهي كما قال: "قاعدة الأزمان ومفتاح الحركات والأكوان ومبدأ تصرفات الإنسان يعلم ذلك بالعيان... وهي مشتقة من الغدو، فتشتمل على أبواب الأعمال للدنيا والآخرة... وجميع ما يتصرف فيه بالليل والنهار، فإن الناس إنما يبتدئون التصرف في ذلك كله من الغداة.

¹ عنوان الدليل، ص 79، 80. وينظر: إعجاز رسم القرآن، ص 168.

² ينظر: إرشاد القراء والكاتبين، ج 1/ 296.

ألا ترى كيف قال أصحاب الجنة: ﴿أَنْ غَدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ؛ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [القلم:22].¹

• المِشْكُوءَةُ: قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوءٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ [النور:35]. ورد ذكر ﴿مِشْكُوءَةٍ﴾ في القرآن الكريم مرة واحدة في هذه الآية فقط، وهي بهذا الرسم لا تخلو من أن تدفع القارئ إلى تدبرها ليتفكر في نور الله، لأن نوره فوق أي نور.

قيل أن أصل ألفها واو، وجاء اشتقاقها تبعاً لذلك من (شكوت)²، "وهي باطنة وظاهرة وهي قاعدة الهداية ومفتاح الولاية. قال الله تعالى في الآية: ﴿يَهْدِيهِ اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور:35]، فمثلها يشتمل على مدارك العقول وأحكام الوجود... وعلى ضروب الدلائل والبرهان".³

• ﴿مَنْوَةٌ﴾: وقد ذكرت في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْوَةٌ أَلْثَالِثَةُ الْأُخْرَى﴾ [النجم:20]، وأصل ألف ﴿مَنْوَةٌ﴾ واو، أي "منوة" قلبت ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها.

و﴿مَنْوَةٌ﴾ نقيض ﴿مِشْكُوءَةٍ﴾، لأنها قاعدة الضلال ومفتاح الشرك والإضلال، وصفت بوصفين: "أحدهما يدل على تكثيرهم الإله فمن "مُنَّ، ومن "مثلث وغير ذلك.

والثاني يدل على الاختلاف والتغاير: فمن مُعْطَلٌ ومن مُشَبَّهٌ ومن مُجَسَّمٌ ومن مُؤَلَّدٌ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

¹ عنوان الدليل، ص 80.

² ينظر: إرشاد القراء والكتابين، ج 1/ 197.

³ عنوان الدليل، ص 80.

ثم ختم ابن البناء هذا المبحث في الثمانية أحرف بعبارة جامعة تفيد الإنسان، قال: وقد جمعت هذه الأحرف التي تكتب بالواو فقلت: بهداية مثل المشكاة وإقام الصلاة بالعشي الغداة وإيتاء الزكاة واجتناب الربا ومناة تحصل للعبد النجاة وطيب الحياة".¹

لم يكن جمعه لهذه الكلمات جمعا إحصائيا، ولكنه صبغه بصبغة تعليلية دلالية لها؛ فالربا ومناة إذا اجتنبا تحقق للعبد النجاة وذاق طيب الحياة، ولن ينال الهدى بدون محافظة على الصلاة وإخراج الزكاة إذ هما مشكاة الفوز وبلوغ أعلى الدرجات.

دلالة إبدال التاء من الهاء :

وقد ذكرها ابن البناء في "باب مد التاءات وقبضها"، ويعنى بمدّها رسمها تاء مفتوحة مبسوطة، ويعبر عنها في المصطلح الكتابي: (التاء المطلوقة)، وأصلها أن تكتب تاء مقبوضة لأنها علامة تأنيث.

وقد بلغت الكلمات التي جاء رسمها مخالفا للقياس في تائها الأخيرة ثلاث عشرة (13) كلمة، وقد جاءت في الاسم المفرد المضاف الذي فيه علامة التأنيث. ونظر إليها ابن البناء على أنها أي هذه الأسماء "لما كانت يلازمها الفعل صارت تعتبر اعتبارين:

أحدهما من حيث هي أسماء وصفات، فهذا تقبض فيه التاء.

والثاني من حيث يكون مقتضاها فعلا وأثرا ظاهرا في الوجود، فهذا تُمدُّ فيه التاء كما تمد في: قالت، وحُقَّت. وجهة الفعل والأثر ملكية ظاهرة، وجهة الاسم والصفة ملكوتية باطنة".²

ومن هذه الكلمات الثلاث عشرة:

¹ عنوان الدليل، ص 81.

² عنوان الدليل، ص 109.

1- كلمة "رحمة": رسمت اتفاقا ببناء مفتوحة في سبعة مواضع منها قوله تعالى: ﴿وَلَيْكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ [البقرة:218]، وباقي الحالات الست في الآيات والسور التالية: [الأعراف:56]، [هود:73]، [الزخرف:32]، [مريم:2]، [الروم:50].

ويعلل رسمها هنا تاء مفتوحة، من حيث كون مقتضاها فعلا وأثرا ظاهرا في الوجود كما سبقت الإشارة، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:56]، فوضعها على التذكير، فهو الفعل¹.

2- النعمة: رسمت اتفاقا بالتاء المبسوطة في أحد عشر موضعا نحو قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم:34]. وقد جاءت في السور التالية: [البقرة:231]، آل عمران:103، المائدة:11، إبراهيم:28، فاطر:3، لقمان:31، النحل:72، 73، 114، الطور:29].

وقد ورد جميعها مضافا إلى لفظ الجلالة (الله) إلا التي في [الطور:29] من قوله تعالى: ﴿قَدْ كَرِهَ اللَّهُ لِيَأْتِيَ إِلَهُكُم بِالْإِنْسَانِ أَلْمُتَّعِينَ﴾ [الطور:29].

وهذه المرسومات بالتاء كلها كما قال ابن البناء: "بمعنى الحاصلة بالفعل في الوجود. يدل ذلك على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ﴾ [إبراهيم:34]، فهذه نعمة متصلة بالظلم الكفار في تنزيلها².

يدل رسمها ببناء مفتوحة على النعمة الخاصة التي خص الله بها عباده المؤمنين وهي نعم مفتوحة مبثوثة لا يمكن عدّها ولا إحصاؤها، وحينما تأتي بهذا الرسم تدعو إلى الالتفات والانتباه من تالي القرآن بغية تدبره واستخلاص الحكم والعبر.

أما مجيئها ببناء مربوطة وبعد تدبر الآيات التي ذكرت فيها نراها إما متحدثة عن نعم الله الظاهرة للعيان المستفيد منها كل البشر أو متحدثة عن أقل شيء، ومع ذلك يطلق عليه نعمة: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل:53] إذ يطلق على

¹ ينظر: البرهان في علوم القرآن، ج 1/411.

² عنوان الدليل، ص 110.

أي شيء نعمة، وهو من الله، وليس لأي مخلوق له فيه نصيب، لذلك جاءت تاؤها مربوطة، لأنها محدودة.

وقد خالفت لفظة أخرى أخواتها المبسوطات التاء مع أنها تساوت في الكلمات ونوع الإضافة وهي تلك التي في النحل [18]: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾، فقد علل ابن البناء سبب قبضها بقوله: "وهذه قبضت تاؤها لأنها بمعنى الاسم. يدل ذلك عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: 18]، فهذه نعمة وصلت من الرب الغفور فهي ملكوتية ختمها باسمه عز وجل، وختم الأولى باسم الإنسان".¹

3- الكلمة: قال الداني: "وكل ما في كتاب الله عز وجل من ذكر "الكلمة" على لفظ واحد فهو بالهاء إلا حرفاً واحداً في الأعراف: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةَ رَبِّكَ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: 137]؛ فإن مصاحف أهل العراق اتفقت على رسمه بالتاء، ورسمه الغازي بن قيس في كتابه بالهاء".²

وهذه مفردة وليست جمعا كباقي أخواتها من مثل قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: 115]، وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ حَفَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [يونس: 33].

أما التي أثبت رسمها بتاء مبسوطة من سورة الأعراف [137] وهي مفردة وليست جمعا، فقد جاءت في المصحف الموافق لروايتي ورش وقالون بتاء مربوطة بخلاف ما وافق رواية حفص فقد جاءت بتاء مفتوحة. وبناء عليه "فإنه حينما ترد ﴿كَلِمَتُ﴾ بالتاء المفتوحة، فإن ذلك يعني خصوصية هذه الكلمة وأهميتها ودلالاتها غير العادية، وذلك حين تدبر الآية الواردة بها وكذلك الآيات المحيطة بها".³

¹ عنوان الدليل، ص 110.

² المقنع، ص 102.

³ إعجاز رسم القرآن، ص 177، 178.

4- السُّنَّةُ: وردت لفظة ﴿سُنَّتٌ﴾ بالتاء المفتوحة خمس (5) مرات في القرآن الكريم مما حاصله ثلاث عشرة (13) مرة، ومن هذه الخمس مرات ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَّعُودُوا بَقَدِّمْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال:38].

ويُعَلَّلُ رَسْمَهَا بِنَاءِ مَفْتُوحَةٍ أَدَاؤُهَا مَعْنَى الْإِهْلَاكِ وَالْإِنْتِقَامِ الَّذِي فِي الْوُجُودِ.¹

وقد دل على أنها هنا للانتقام ما ذكر قبلها وما ذكر بعدها على الترتيب: ﴿إِنْ يَنْتَهُوا يُعْظِرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ﴾، و﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال:38، 39].

أما التي في فاطر: ﴿قَهْلَ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ قَلَّ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَا تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر:43-44]، يدل على أنها جميعها للانتقام ما ذكر قبلها: ﴿وَلَا يَحِيْقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر:43].

غير أن التي تكون بمعنى الشريعة والطريقة المتبعة فهي كما قال ابن البناء ملكوتية بمعنى الاسم لا تُفْتَحُ تَأْوِهَا بَلْ تَقْبُضُ كَالَّتِي فِي الْأَحْزَابِ [38]: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ﴾ فقد دلت على حكم الله وشرعه فيهم.

وكذلك التي في الإسراء [77]: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ فقد جاءت بمعنى الشريعة والطريقة هنا.²

5- ﴿بَفَيْتٌ﴾: ذكرت مرة واحدة في القرآن الكريم وجاءت تأؤها مبسوطة، وعلتها أنها بمعنى ما يبقى في أموالهم من الربح المحسوس، وكان الخطاب فيها من جهة الملك، قال تعالى: ﴿بَفَيْتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [هود:86].

6- ﴿بِطَّرَتْ﴾: من قوله تعالى: ﴿بِطَّرَتْ اللَّهُ إِلَيَّ بِطَّرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم:30]، وقد وردت في القرآن الكريم مرة واحدة "وصفها الله بأنها فطر الناس

¹ ينظر: عنوان الدليل، ص112. والبرهان في علوم القرآن، ج1/413.

² ينظر: عنوان الدليل، ص112.

عليها فهي فصل خطاب في الوجود، كما جاء: ((كل مولود يولد على الفطرة))
الحديث¹.

7- ﴿إِبْنَتْ﴾: في قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتْ عِمْرَانَ﴾ [التحریم:12]، وجاءت بهذا الرسم بقاء ممدودة تنبئها على معنى الولادة والحدوث من النطفة المهينة ﴿مِسْ مَاءٍ مَّهِيسٍ﴾.

8- ﴿امْرَأَتَ﴾: وقد رسمت بالتاء كل امرأة أضيفت إلى زوجها وذلك في سبعة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ [آل عمران:35]، وقوله عز وجل: ﴿امْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾ [يوسف:30 و51]، وقال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ يُزْعَوْنَ﴾ [القصص:9]، وقوله تعالى: ﴿امْرَأَتُ نُوحٍ وَ امْرَأَتُ لُوطٍ﴾ [التحریم:10]، وقوله عز وجل: ﴿امْرَأَتِ يُزْعَوْنَ﴾ [التحریم:11].

يستوقفنا تناول ابن البناء لهذه اللفظة وتقديمه للكلمة ثم تعليقه لرسمها المخالف في السبع مواضع، لذا بدا أن لا أترك ما قاله أو أحذف قليله على حساب كثيره، فارتأيت أن أخطه كاملا بغية الإفادة.

قال ابن البناء عن رسم لفظه ﴿امْرَأَتَ﴾ بالتاء المفتوحة: "هي في القرآن في سبعة مواضع وهن: خمس من النساء: ﴿امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ و﴿امْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾ و﴿امْرَأَتِ يُزْعَوْنَ﴾ و﴿امْرَأَتِ نُوحٍ﴾ و﴿امْرَأَتِ لُوطٍ﴾.

كلها ممدودة التاء حيث وقعت تنبئها على فعل التبعل والمحبة وشدة المواصلة والمخالطة والاتلاف في الوجود المحسوس.

وأربع منهن منفصلات في بواطن أمرهن عن بعولتهن بأعمالهن.

وواحدة خاصة هي التي واصلت بعلمها ظاهرا وباطنا وهي: امرأت عمران، فجعل الله لها بذلك ذرية طيبة وأكرمها بذلك وفضلها على نساء العالمين.

¹ البرهان في علوم القرآن، ج1/415.

وواحدة من الأربع انفصلت بباطنها عن بعلها طاعة لله وتوكلا عليه وخوفا منه فنجأها وأكرمها، وهي: امرأت فرعون.

واثنتان منهن انفصلتا بباطنهما عن أزواجهما كفرا بالله، فأهلكهما الله ودمرهما ولم ينتفعا بالوصلة الظاهرة مع أنها أقرب وصلة بأفضل أحباب الله. كما لم يضر امرأت فرعون وصلها الظاهر بأخبث عبيد الله.

وواحدة انفصلت عن بعلها بالباطن اتباعا للهوى وشهوة نفسها، فلم تبلغ من ذلك مرادها مع تمكنها من الدنيا واستيلائها عما مالت إليه بحدبها وهو في بيتها وقبضتها فلم يغن ذلك عنها شيئا.

وقوتها بها وعزتها إنما أتت لها من بعلها العزيز، ولم ينفعها ذلك في الوصول إلى إرادتها مع عظيم كيدها. كما لم يضر يوسف عليه السلام ما امتحن به منها ونجاه الله من السجن ومكن له في الأرض، وجعل من شأنه ما قص علينا، وذلك بطاعته لربه. فلا سعادة إلا بطاعة الله، ولا شقاوة إلا بمعصية الله واعتماد النفوس على الحيل جهالة والعمل بها بظالة.

فهذه كلها عبر واقعة بالفعل في الوجود من شأن كل امرأة منهن. فلذلك مدت تاءتهن، فافهم. والله أعلم.¹

قال الطبلاوي: "والحكمة في أن (امرأة) المذكورة معها زوجها ترسم بتاء مجرورة، الإشارة إلى عدم ربطها عن زوجها وطلب الانجرار إليه".²

9- ﴿فُرْتُ﴾: ذكرت في القرآن الكريم ثلاث مرات، منها واحدة بتاء مفتوحة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ إِمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ فُرْتُ عَيْسٍ لِي وَلَكَّ﴾ [القصص:9]، جاء تعليل فتح التاء في لفظة ﴿فُرْتُ﴾ بمعنى الفعل، إذ هو خبر عن النبي موسى عليه

¹ عنوان الدليل، ص 116-118.

² رسم المصحف ونقطه، ص 211.

السلام وهو موجود حاضر في الملك كما قال ابن البناء على غير حال: ﴿فَرَّةٌ
أَغْيِسُ﴾ [السجدة:17] فجاء بمعنى الاسم وهو ملكوتي إذ هو غير حاضر.¹
وتعطي هذه اللفظة المتسعة في رسمها معنى أكبر حجما وقدرًا من أختها التي
جاءت مربوطة التاء.

10- الجنة: جاءت بتاء مفتوحة وهي نكرة مضافة إلى كلمة في سورة الواقعة [89]
في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ﴿فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتٌ نَعِيمٌ﴾.
وقد وردت بهذا الرسم في هذا الموضع فقط على خلاف قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْنِي
مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ [الشعراء:85]، فالأولى المفتوحة التاء رسماً تشير إلى
معنى فعل التنعم سيما وقد اقترنت بالروح والريحان وأعقبتهما وهما من الجنة،
فهذه جنة خاصة بالمنعم بها.²

¹ ينظر: عنوان الدليل، ص112، 113.

² ينظر: عنوان الدليل، ص114.

خامسا : الدلالة في الفصل والوصل

سبقت الإشارة إلى قاعدة الفصل والوصل حين تحدثنا عن قواعد الرسم العثماني باعتبار هذه القاعدة إحدى القواعد الست للرسم المصحفي. ويجدر الحديث هنا أن نبحث - ما أمكن - عن دلالة الفصل والوصل فيما علل لسبب.

وقد سمي المراكشي هذه القاعدة بقاعدة: "باب الوصل والحجز"، ولا بأس من وقفة قصيرة إيضاحية حصرية لهذه القاعدة في تسجيل ما ورد من الكلمات موصولة، وما جاء منها مفصولا.

1) فالكلمات الموصولة كثيرة منها:

إِنَّمَا المكسورة الهمزة، وَأَنَّمَا المفتوحة الهمزة

إِمَّا وترسم حين الوصل "إِمَّا" بغير نون، ولم تفصل في القرآن كله إلا في موضع واحد في سورة الرعد [40]: ﴿وَإِنْ مَا تُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾.

أَنَّ لَفَتْحِ الهمزة رسمت موصولة في القرآن كله.

أَمَّن رسمت في المصحف الشريف موصولة إلا في أربعة مواضع، فقد جاءت مفصولة، منها قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقْبَلْتَهُمْ أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْفًا أَمْ مِّنْ خَلْفِنَا﴾ [الصافات:11].

عَمَّا وقد كتبت في القرآن الكريم كله موصولة إلا في موضع واحد فصلت فيه "عن" عن "ما"، في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأعراف:166].

عَمَّن فصلت في موضعين فقط، في قوله تعالى: ﴿وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ﴾ [النور:43] وفي النجم [29]: ﴿عَن مَّن تَوَلَّى﴾.

فيما رسمت في المصحف موصولة إلا في أحد عشر (11) موضعا، فقد فصلت "في" عن "ما"، منها قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ [المائدة:48]، وكذا التي في السور والآيات التالية: الأنعام: 145 و 165، الأنبياء: 102، النور: 14...

لكيلا وصلت في أربعة مواضع وقطعت في ثلاثة: فمما وصلت فيه قوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [الحج:5]، ومما فصلت فيه قوله تعالى: ﴿كَفَى لَآيِكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ [الحشر:7].
جاء في دليل الحيران قوله:

فَصَلُّ لِكَيْلَا جَاءَ مِنْ ذَا الْبَابِ فِي الْحَجِّ وَالْحَدِيدِ وَالْأَحْزَابِ

مِمَّا رسمت موصولة في القرآن الكريم كله، إلا في ثلاثة مواضع فقد فصلت "من" عن "ما"، منها قوله تعالى: ﴿وَأَنْهَضُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [المنافقون:10] وكذا التي في النساء [25] والتي في الروم [28].
ابن أم ورد في موضع موصولا وفي ثان مفصولا.

يؤطر هاذين الموضعين البيت التالي:¹

يَنْوُمُ بِالْيَاءِ صَلَّهُ مَطْلَقًا ابْنُ أُمِّ فَا فَصَلَّ وَكُنْ مُحَقَّقًا

(2) وأما الكلمات المفصولة فمنها: إن لم، أن لم، أين ما، أن لن، بش ما مَالِ التي هي عبارة عن "ما" الاستفهامية وحرف الجر اللام (لِ)، وكان يجب أن ترسم اللام الجارة موصولة بمجرورها، لكن الرسم المصحفي جاء مخالفا لذلك فقد رسمت اللام مفصولة عن الاسم المجرور بها.

وقد قيل في حقها بيت منظوم:²

¹ الرسم العثماني قواعده، ص 185.

² الرسم العثماني قواعده، ص 188.

فَصْلٌ: فَمَالِ هَؤُلَاءِ فَاقْطَعَا مَالِ الَّذِينَ مَالِ هَذَا الْأَرْبَعَا

وبعد هذا التجميع وحصر الموصول وذكر المقطوع نتبعه بذكر بعض العلل التي عللت مجيئه بهذا الشكل أو ذلك.

أشار ابن البناء إلى تعليل الموصول رسماً بقوله: "اعلم أن الموصول في الوجود توصل كلمته في الخط كما توصل حروف الكلمة الواحدة، والمفصول معنى في الوجود يفصل في الخط كما تفصل كلمة عن كلمة".¹

ثم يذكر بعد ذلك تعليل الكلمات التي جاءت في الرسم موصولة فرأى² أن "إنما" المكسورة الهمزة التي خالفت قاعدة الوصل ورسمت في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾ [الأنعام:134]، فقد فصل حرف التوكيد عن "ما"، لأن هذا الحرف يقع على مُفْصَلٍ، فلاهل الخير منه خير موعود، ولأهل الشر منه شر موعود، لذا كان معنى "ما" مفصولاً في الوجود والعلم.

أما أختها المفتوحة الهمزة "أنما" فما جاء مخالفاً للقاعدة العامة ورسم بالفصل في حرفين فحسب في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج:62]، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ [لقمان:30]. فقد وقع الفصل بين الحرفين لبطان دعوى غير الباطل إذ لا دعوى لها في الوجود إنما وصلها في العدم والنفي.

ويؤيد ذلك ويدلّ عليه ما جاء في سورة غافر [43]: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ مَا تَدْعُونَ نَحْنُ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾.

أما تعليل حرف (إن ما) التي جاءت غير موصولة في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ [الرعد:40]. فقد قال عنها الزركشي: " فردة

¹ عنوان الدليل، ص 119.

² عنوان الدليل، ص 119.

مفصولة ظهر فيها حرف الشرط في الخط لوجهين: أحدهما: أن الجواب المرتب عليه بالفاء ظاهر في موطن الدنيا، وهو "البلاغ" بخلاف قوله: ﴿قَائِمًا نُرِيَنَّكَ﴾ [غافر:77]، فإنه أخفى فيه حرف الشرط في الخط؛ لأن الجواب المرتب عليه بالفاء خفي عنا، وهو الرجوع إلى الله.

والثاني: أن القصة الأولى منفصلة من الشرط وجوابه، وانقسم الجواب إلى جزأين...

وهذا الانقسام صحيح في الوجود فقد انقسمت هذه الشرطية إلى شرطين، لانفصال جوابها إلى قسمين متغايرين، ففصل حرف الشرط علامة لذلك...¹ ويعد هذا التعليل هو ما قال به ابن البناء إن لم يكن نفسه حرفا بحرف وكلمة بكلمة إلا بحذف يسير.

ويشير بقوله: "وهو البلاغ" إلى قوله تعالى في الآية نفسها: ﴿قَائِمًا عَلَيْكَ الْبَلَّغُ﴾.

وقد عللوا أيضا الحرف (أن لا) إذ خالف قاعدة الوصل وكتب مفصولا، قال عنه ابن معاذ الجهني (ت407هـ أو 442هـ) بعد ذكره شواهد الفصل نحو قوله تعالى: ﴿أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾ [القلم:24]، قال: "فهذه العشرة بالنون لا غير.

والأصل في ذلك أن تكتب بالنون، ومن كتبها بغير نون فإنه يذهب إلى أنها مدغومة في اللام، وهي غير ظاهرة في اللفظ، ولمن لا يدغم أن يكتبها بالنون".² غير أن كتابتها بالنون غير موصولة لا يعني إظهارها، بل يجب أن تدغم في اللام لأنه أحد الأحرف الستة "يرملون"، ويكون إدغامها كاملا من غير غنة، ولعل ذلك ما جعلهم يسقطونها من الرسم على اتباع المكتوب للملفوظ.

¹ البرهان في علوم القرآن، ج1/425، 426. وينظر: عنوان الدليل، ص130، 131.

² البديع في الرسم العثماني، ص35.

وقد علل ابن البناء رسمها في العشرة مواضع مفصولة بغير تعليل صوتي إدغامي، فنظر إلى ما حملته من دلالة حين فصلت بعامة "وذلك حيث ظهر في الوجود صحة توكيد القضية ولزومها.

أولها في الأعراف: ﴿أَنْ لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [105] و﴿أَنْ لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [الأعراف: 169].

وآخرها في سورة القلم: ﴿أَنْ لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾ [24].

فتأمل كيف صح في الوجود هذا التوكيد الأخير، فلم يدخلها عليهم مسكين لكن على غير ما قصدوا وتخلوا معه.¹

وقد علل الزركشي وصل حرف (أَمَّن) من قوله تعالى: ﴿أَقْبَسَ يَمْشِي مُكَبِّئًا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: 22] لكونه من نوع واحد حيث يمشي على صراط مستقيم، وكذا التي في قوله تعالى: ﴿أَمْسَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [النمل: 61]، فلا تفاصيل تحتها في الوجود.

واعتبر التي جاءت مفصولة وهي أربعة أحرف، في النساء [109] قوله تعالى: ﴿أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾، وفي التوبة [109] وفي الصافات [3] وفي السجدة [فصلت: 40].

تعلل هذه الأربعة بمجيء الحرف "من" فيها تقسم في الوجود بأنواع مختلفة في الأحكام.²

وقد جاء تعليلهم للحرف (عَمَّن) الموصول جميعه في القرآن الكريم إلا في موضعين جاء قطع "عن" من كلمة "من" الموصولة، في قوله تعالى: ﴿عَنْ مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور: 43]، وفي قوله تعالى: ﴿عَنْ مَنْ تَوَلَّيْ﴾ [النجم: 29]. فحرف الجر

¹ عنوان الدليل، ص 135.

² ينظر: البرهان في علوم القرآن، ج 1/424.

هنا للمجاوزه، ولما كانت المجاوزة عن الكلبي هي مجاوزة لجميع جزئياته دون العكس، فلا وصلة بين الجزئين في الوجود فلا يوصلان في الخط، ومن فيهما كلّي.¹

ومما جاء موصولا الحرف (فيما)، وهو عبارة عن كلمتين: حرف الجر (في) والحرف (ما)، يوضحه النص التالي:²

فصل وفي ما واحد وعشرة في ما فعلن ثانيا في البقرة
ووسط العقود حرف ومعا في سورة الأنعام كل قطعاً

يشير النص إلى مواقع فصل (في) عن (ما)، نحو التي في البقرة، وقد ذكرت متين، جاءت الثانية منهما مفصولة وهي المقصودة في البيت الأول، تلك في قوله تعالى: ﴿فِي مَا فَعَلْنَ مِنْ أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ﴾ [البقرة:240].

قال ابن معاذ الجهني: "والأصل في ذلك أن يكتب مقطوعاً إذا كان (ما) في معنى (الذي) وعامة ما في القرآن من هذه الحروف مما في معنى (الذي)، ولو كتب كل ذلك موصولا لكان حسناً".³

وقد ذكر ابن البناء الحرفين معا بورود احدهما منفصلا والثاني متصلا، قال عنهما:

"أحدهما في البقرة: ﴿فِي مَا فَعَلْنَ مِنْ مَّعْرُوفٍ﴾ [البقرة:240].
حرف (ما) يقع على حرف واحد من أنواع ينفصل بها المعروف في الوجود على البدلية أو الجمع. يدل على ذلك تنكير المعروف ودخول حرف التبعية عليه...
وأما قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ مِنْ أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:234] فهذا موصول، لأن (ما) واقعة على شيء واحد غير مفصل. يدل ذلك عليه وصفه بالمعروف والمعرفة.

¹ ينظر: عنوان الدليل، ص 129، 130. والبرهان في علوم القرآن، ج 1/425.

² الرسم العثماني قواعده، ص 183.

³ البديع في الرسم العثماني، ص 31.

ثم أضاف ليدلل على الفصل في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي مَا إِشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء:102]، قائلاً: هو مفصول لأن شهوات النفوس مختلفة مفصلة في الوجود".¹

وكذلك مما جاء موصولاً حرف (لكيلاً) في أربعة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿بِأَثَابِكُمْ غَمًّا بَعَمَّ يَكِيلًا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا بَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ [آل عمران:153]، وكذا التي في: [الحج:5، الأحزاب:50، الحديد:23].

وكتبت مفصولة في ثلاثة مواضع منها في سورة النحل [70]: ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾، وكذا التي في الأحزاب [37] والحشر [7]. وخرج الفصل مراعاة للأصل، ووجه الوصل التقوية.²

وقد فصل ابن البناء القول فيما فصل وما وصل، قال: " وإنما توصل حيث يكون حرف النفي دخل على معنى كلي، فيوصل لأن نفي الكل نفي لجميع جزئياته. فعلة نفيه هي علة نفي أجزائه... وتفصيل حيث يكون حرف النفي دخل على جزئي، فإن نفي الجزئي لا يفهم منه نفي الكلي فلا تكون علته علته.

ثم يذكر التي جاءت على خلاف حال: ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [النحل:70] قائلاً: لأن الظرف في هذا خاص الاعتبار، وهو في الأول عام الاعتبار لدخول حرف (من) عليه. وهذه مثل قوله تعالى عن أهل الجنة: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور:26] اختص المظروف بـ﴿قَبْلُ﴾ في الدنيا فيها كانوا مشفقين خاصة.

وقال تعالى عنهم: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ أَنَّهُ هُوَ أَلْبَرُّ الرَّحِيمِ﴾ [الطور:28]، فهذا الظرف عام لدعائهم ذلك في الدنيا والآخرة، ولم يختص المظروف بـ﴿قَبْلُ﴾ في الدنيا".¹

¹ عنوان الدليل، ص124. وينظر: البرهان، ج 1/420.

² رسم المصحف ونقطه، ص229.

(3) ومن قبيل الكلمات المفصولة ما يلي: إن لم، وأن لم، وأين ما، وأن لن، وبش ما، ومال. وقد ذكر بعض من هذه الحروف وسيذكر غيرها. الحرف "إن لم": رسمت مفصولة في قوله تعالى: ﴿بِإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ [القصص:50]، وكذا التي في المائدة [41، 67]. وكتبت موصولة في موضع واحد، في هود [14] من قوله تعالى: ﴿بِإِنَّ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾.

قال ابن البناء عن الأولى المفصولة ﴿بِإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ ما نصه:

"وأظهرَ حرفَ الشرط في الأول لأن جوابه المرتب عليه بالفاء هو علم متعلق بشيء ملكي ظاهر سفلي وهو اتباعهم أهواءهم. وأخفيَ في الثاني لأن جوابه المرتب عليه بالفاء هو علم متعلق بشيء ملكوتي خفي علوي، وهو إنزال القرآن بالعلم والتوحيد".²

يقصد هنا بالخفي العلوي الكلمة التي في قوله تعالى: ﴿بِإِنَّ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ [هود:14] يكمله قوله تعالى: ﴿بِهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ من الآية نفسها، ومعنى ذلك أنه قد حصل لكم العلم بذلك الذي تجدونه عندكم إذا استفهمتكم بأنفسكم عنه كما قال ابن البناء في التعليق نفسه.

ولا يستفهم الله خلقه عن شيء، وإنما يستفهم بفهم ليقررهم ويذكرهم أنهم قد علموا حق ذلك الشيء.

وقد انفرد القرآن بهذا الأسلوب البديع، وهو يختلف في كلام البشر.

ومن ذلك أيضا: ﴿أَنْ لَنْ﴾ جاء كله مفصولا إلا حرفين:

الأول في الكهف [48]: ﴿أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾.

والثاني في القيامة [3]: ﴿أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾.

¹ عنوان الدليل، ص 124، 125.

² عنوان الدليل، ص 133.

جاء في البرهان تعليل هذا الرسم بالوصل: "سقطت النون منهما في الخط تنبيها على أن ما زعموا وحسبوا هو باطل في الوجود وحكم ما ليس بمعلوم نسبه إلى الحي القيوم، فأدغم حرف توكيدهم الكاذب في حرف النفي السالب هو، بخلاف قوله: ﴿رَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا﴾ [التغابن:7]، فهؤلاء لم ينسبوا ذلك لفاعل؛ إذ ركب الفعل لما لم يسم فاعله... فعدم بعثهم تصوره من أنفسهم، وحكموا به عليها توهما..."¹

ومما جاء مفصولا الحرف (أين ما) :

يرسم موصولا إذا كانت (ما) غير متفقة الأقسام في الفعل الذي بعدها كما أشار المراكشي، وبذلك تكون "أين" غير خارجة عن الأين الملكي، لأن شأنها متصل حسا ولم يختلف فيه الفعل الذي مع الحرف (ما).

وقد وردت (أينما) موصولة في قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّهْ لَأَيَّاتٍ بِخَيْرٍ﴾ [النحل:76]، وفي قوله عز اسمه: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾ [البقرة:115]، وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَيْنَمَا تُفِئُوا فُفِئُوا﴾ [الأحزاب:61]، وفي قوله عز وجل: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ﴾ [النساء:78].

وتفصل (ما) عن (أين) إذا كانت (ما) مختلفة الأقسام في الوصف الذي بعدها كما قال ابن البناء، نحو قوله تعالى: ﴿أَيَّنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء:92]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيَّنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد:4]، وقوله عز وجل: ﴿أَيَّنَ مَا تُفِئُوا إِلَّا يَحْبِلَ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران:112].

"فهذه وأمثالها أينات بعضها ملكي، وبعضها ملكوتي، وبعضها غير معلوم فهو مفصول في الوجود".²

¹ البرهان في علوم القرآن، ج 1/426.

² عنوان الدليل، ص 122.

والحرف (بِسْمَا): رسم بالفصل كما رسم بالوصل، وجاء أكثره مفصولا، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ [البقرة: 102].

وقد وصلت (بِسْمَا) في ثلاثة مواضع، حددها البيتان التاليان¹:

وهاك يا سائلا بِسْمَا متصلا ثلاثة مجملا في القرآن رتلا
في لقوا وجاءكم وواعدنا قيدتم والباقي مفصولة ولا تكن غافلا

يقصد بقوله: "في لَقُوا" التي في الربع الأول من الحزب الثاني في قوله تعالى: ﴿بِسْمَا إِشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ [البقرة: 90].

ويقصد بعبارة "وجاءكم" الربع الثاني من الحزب نفسه في قوله تعالى: ﴿فُلْ بِسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ؛ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 93].

أما "واعدنا" فهي التي في سورة الأعراف من الحزب السابع عشر في قوله تعالى: ﴿بِسْمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي﴾ [الأعراف: 150].

علل ابن البناء رسمها موصولة بقوله: "فحرف (ما) ليس فيه تفصيل لأنه معنى واحد في الوجود من جهة كونه باطلا مذموما..."²

ومما جاء مفصول الحرف (مَالِ):

جاءت هذه الكلمة التي رسمت على خلاف الرسم القياسي - الإملائي - من حرفين: ما الاستفهامية وحرف الجر (لِ)، وتقول القاعدة الإملائية بوصل هذه اللام الجارة بمجرورها الذي كان إما (هذا أو هؤلاء أو الذين).

وقد وردت في الأربع آيات التالية:

﴿بِمَالِ هَتُّوْلَاءِ إِنْقَوْمٍ﴾ [النساء: 78].

﴿مَالِ هَذَا أَلْكِتَابِ﴾ [الكهف: 49].

¹ الرسم العثماني قواعده، ص 187.

² عنوان الدليل، ص 123.

﴿مَالٍ هَذَا أُرْسُولٍ﴾ [الفرقان: 7].

﴿بِمَالٍ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المعارج: 36].

قال ابن معاذ الجهني عن فصل هذه الأربع في "باب مال هؤلاء القوم": "اعلم أنه إذا اتصلت لام الخفض باسم مبهم مثل (هذا والذين) وما أشبه ذلك فهي في المصحف مقطوعة، وإذا اتصلت باسم مظهر أو مضمّر فهي موصولة، والقياس أن يكتب ذلك كله بالوصل، لأن لام الخفض لن تنفصل عن الاسم، بمنزلة الباء...

ثم ذكر احتجاج الكسائي للموصول والمفصول في ختام هذا الباب بقوله: وقد احتج الكسائي فيما وُصِلَ من الحروف أو فُصِلَ على الأصل، وكل ما وصل فعلى الاختصار والاستخفاف".¹

أخذ ابن البناء يفصل مواقع هذا الفصل في حرف (مال) آية بعد آية بعد عقد ما لجمعها بعبارة: "وذلك أن اللام وصلة إضافية فقطعت حيث تقطع الإضافة في الوجود.

ثم يذكر الآية التي في سورة النساء ﴿بِمَالٍ هَؤُلَاءِ أُلْقُوا﴾ ويتبعها بشرحه التعليلي قائلاً: هؤلاء القوم المشار إليهم في الآية هم الفريق الذين نافقوا من القوم الذين قيل لهم: ﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [النساء: 77]، قطعوا وصل السيئة بالحسنة في الإضافة إلى الله... والله قد وصل ذلك وأمر به في قوله: ﴿فُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾، فقطعوا في الوجود ما أمر الله به أن يوصل بقطع لام وصلهم في الخط علامة لذلك. وفيه تنبيه على أن الله يقطع وصلهم بالمؤمنين وذلك في يوم الفصل: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا ۗ نَظَرُونَا نَقْتَبِسُ مِن نُّورِكُمْ﴾.

¹ البديع في الرسم العثماني، ص 36.

وقال عن التي جاءت مفصولة في الكهف ﴿مَالٍ هَذَا أَلْكَتَبِ﴾: هؤلاء قطعوا بزعمهم وصل جعل الموعد لهم بوصل إحصاء الكتاب وعدم مغادرته لشيء من أعمالهم في إضافتها إلى الله. فلذلك ينكرون على الكتاب في الآخرة.

وقال عن التي في الفرقان: ﴿وَقَالُوا مَالٍ هَذَا أَلرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾: قطعوا وصل الرسالة بأكل الطعام. فأنكروا فقطعوا قولهم: ﴿هَذَا أَلرَّسُولِ﴾ عن اعتقادهم أنه رسول، فقطع اللام علامة لذلك.

وأما الرابعة التي في المعارج: ﴿بِمَالٍ أَلذِينَ كَفَرُوا فَبَلَّكَ مَهْطِعِينَ﴾، فقال عن دلالة الفصل في (مَالٍ): هؤلاء الكفار تفرقوا جماعات مختلفات كما يدل عليه قولهم: ﴿عَنِ أَلْيَمِينِ وَعَنِ أَلشِّمَالِ عَزِيزِينَ﴾، وقطعوا وصلهم في قلوبهم بمحمد ﷺ، فقطع الله طمعهم في دخول الجنة. ولذلك قطعت اللام علامة لذلك".¹

وأضاف صاحب "الرسم العثماني قواعده..." إضافة زادت التعليل لرسم (مال) المفصولة توضيحا إذ قال بعد أن أثبت هذه الآيات الأربع خطأ: "هناك أسرار لطيفة لهذا القطع والوصل، فمثلا في قوله تعالى: ﴿مَالٍ هَذَا أَلْكَتَبِ﴾ [الكهف:49]، فهؤلاء لشدة ما هم عليه يوم القيامة - حينما وجدوا كل أعمالهم محصية في كتابهم - تملكهم الهول، فييس ريقهم، وارتعشت جوارحهم فعجزوا عن النطق الصحيح، فتقطعت تبعا لذلك حروفهم؛ (ما) (ل) (هذا) (الكتاب)... والواقع يعكس ذلك فعندما يقف شخص موقفا حرجا يتعذر عليه إخراج الحروف، فتحصل له تمتمة وتقطع فيه الأنفاس... فما بالك في الموقف العظيم..."²

ومما رسم: "إِبْرَاهِيمَ" بالفصل حين جرّد من حرف النداء (يا)، ودليله في الأعراف [150] قوله تعالى: ﴿وَأَلْفَى أَلأَلْوَاخَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ

¹ عنوان الدليل، ص 126، 127.

² الرسم العثماني قواعده، ص 188.

أَبْنَ ۙ إِنَّ ٱلْفَوْمَ ٱسْتَضَعْبُونِي وَكَادُوا يَفْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِي ٱلْأَعْدَاءَ ﴿٩٥﴾، وحين سبقت بـ"يا" الندائية جاءت موصولة، وذلك في سورة طه [95] من قوله تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾.

وضح المراكشي أمر هذين المتباينتين في الرسم بقوله: "وذلك علامة تعريف لمعنى لطيف، وهو أنه لما أخذ موسى برأس أخيه اعتذر له فناده من قرب على الأصل الظاهر في الوجود. ولما تمادى ناداه بحرف النداء ينبه لبعده عنه في الحال لا في المكان مؤكدا لوصلة الرحم بينهما بالربط، فلذلك وصل في الخط. ويدلك عليه نصب الميم ليجمعهما الاسم بالتعميم".¹

وقد قال عن الموصولة ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ محمد شملول: "ونضيف إلى ذلك أنه لما أخذ موسى عليه السلام برأس أخيه وأضاف إليها لحيته أيضا في الحالة الثانية فزاد إرهابا هارون عليه السلام، وجاءت كلمة ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ منكمشة سريعة غير مفصولة لتوحي برغبة هارون عليه السلام في فك أسره بفرورية وعجلة وسرعة..."²

ولننظر كيف اختصرت حروف هذه العبارة التي هي ثلاثة أجزاء: حرف نداء بحرفين "يا" و"ابن" بثلاثة أحرف، و"أمي" بثلاثة أحرف، فقلص عدد أحرف العبارة من ثمانية أحرف إلى خمسة أحرف ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾.

¹ عنوان الدليل، ص 127.

² إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، ص 191، 192.

سادسا : دلالة بعض الأحرف بمدّها أو حذفها أو خروجها عن ضبطها المألوف

عند تأملنا المصحف الشريف قراءة وتدبرا تجدنا ونحن نقرأ أول كلمة منه وقد تكررت في القرآن غير ما مرة نتساءل ما بال رسمها خالف ما عهدناه في مرسومنا القياسي. إنها لفظة ﴿يَسْمِعُ اللَّهُ﴾ التي طولت باؤها وحذفت ألفها، ونزداد تعجبا إذا بدأنا القراءة بعد الفاتحة بسورة البقرة المبدوءة بحروف مقطعة ﴿الْم﴾، فلو لم نكن تلقيناها من فم شيخ معلم متقن أو سمعناها من مقرئ مجيد لكان أداؤها على خلاف مقصودها.

ويزداد اندهاشنا حين نقارن ولو بين مصحفين بقراءتين مختلفتين، بين مصحف طبع على ما يوافق رواية ورش ومصحف طبع على ما يوافق رواية حفص، فقد اتفقت معظم كلماته في رسمها وخرجت بعض الألفاظ في ضبطها عن قراءة أخرى، لذلك سيأخذ البحث مقتطفات رصدها صاحب كتاب "لطائف قرآنية" عنونها بما يناسب علتها التي أداها رسمها، ومنها:

هاء الرفع:

يقصد بهاء الرفع تلك الهاء المضمومة وحقها الكسر التي جاءت في كلمة (عليه) من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۗ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسْئُولٌ بِهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: 10].

وردت الهاء مضبوطة بالضم في رواية حفص وهو ما وافق المصاحف المطبوعة بهذه القراءة، وكان الأصل أن تكون الهاء مكسورة، لأنها ضمير المفرد الغائب قبلها ياء، وهي مكسورة ما دامت مسبوقه بأحد حروف الجر: الباء أو على أو إلى أو في، نحو: به وعليه وإليه وفيه.

يخبرنا سياق الآية عن "بيعة الرضوان".

فلماذا تحولت كسرة الهاء إلى ضمة؟

تعرض هذه الآية الحالة التي بايع الصحابة فيها رسول الله ﷺ في الحديبية.

وقد سميت الشجرة التي تمت البيعة تحتها "شجرة الرضوان" وسميت البيعة "بيعة الرضوان"، قال عز وجل: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ...﴾ [الفتح:18].

وقد انعكس الجو على حركة الهاء (عَلِيَّةٌ)، لأنه جو تشريف وتكريم من الله الكريم للصحابة السعداء المبايعين.

ولما كان الجو والمقام الذي يعيشه الصحابة في كنف الرسول ﷺ جواً مميزاً فيه علوٌ منزلة وسموٌ رفعة، أصابت هذه الرفعة الهاء فغدت مضمومة لا مكسورة، لأن الكسر لا يناسب هذا الجو والضمة مناسبة للرفعة، لهذا أطلق عليها هاء الرفعة.

ثم يواصل رحلته في جو هذا الارتقاء بما أوحى به حركة الضم، فيكتشف أنه لما كانت الجملة تتحدث عن الوفاء بالعهد والبيعة، فلا أدلّ على ذلك من صدق المبايع وعُلُوِّ همته ورفعة نفسه وسموِّ خلقه.

ولا شك أن الوفاء بالبيعة يكسب المبايع رفعة وعلواً وإشرافاً في الدنيا وفي الآخرة، ولا يؤدي ذلك إلا ضم الهاء، إذا لا يناسب الكسر هذا الجو الذي تصفه أو النتيجة التي تقررها.¹

وإذا كانت هذه هاء الرفعة فغيرها لقب بلقب مخالف.

هاء الخفض:

وهي هاء الضمير وقد دخل عليها حرف الجر (في) فصارت (فيه)، وحقها أن لا تشبع حركتها غير أنها رسمت ضبطاً بزيادة ياء صغيرة في ما وافق رواية حفص

¹ هذه الخلاصة وما بعدها استقاها البحث ولخصها من كتاب: لطائف قرآنية، لصالح عبد الفتاح الخالدي، دار الفكر بدمشق، الطبعة الثانية، 1419هـ/1998م، ص 47-49.

فكتب ﴿فِيهِ﴾ ، وهي التي في قوله تعالى: ﴿... وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿68﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَحَلَّدَ فِيهِ مَهَانًا﴾ [الفرقان: 68، 69].

وقد نص علماء القراءات والتجويد على إشباع كسرة الهاء في لفظه ﴿فِيهِ﴾ حتى لكانها يجب أن تقرأ (فِيهِ) بالرغم من أن مثل هذه الهاءات يكتفى بكسرتها، لكن لِمَ مَدَّتْ هذه الهاء؟

سبق سياق هذه اللفظة ذكر مجموعة من المعاصي والفواحش التي ليست من صفات عباد الرحمن، إذ أنهم لا يشركون بالله ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون.

ثم ذكرت الآيات ما يترتب على مرتكبي هذه الكبائر من عقوبة وهي العذاب الشديد المضاعف لصاحبها، زد عليه خلوده فيه مهانا ذليلا حقيرا.

وعندما نمد هاء ﴿فِيهِ﴾ أكثر من حركتين كأننا بهذا المد الخاص غير المعهود في مثيلاتها ساعدنا على دفع المجرم في جهنم، وبمدها أكثر من حركتين أيضا نلحظ نَفَسْنَا أخذ ينزل إلى أسفل نحو الرئتين، وبذلك يساعد على الإنزال والخفض.

ولهذا صلحت تسميتها "هاء الخفض".

ومن المواطن التي حذفت فيها بعض أحرف الكلمة تنبيها على أمر الخفة فيها أو لغرض دلالي آخر ما اصطلح على تسميته بمصطلح:
تاء الخِفَّة:

وقد استشهد لها بعبارتي: تستطع.. وتسطع المسبوقتين بجازم "لم"، وكذا ماضيها المسند لجماعة الغائبين في لفظتي: "اسطاعوا واستطاعوا".

وقد ذكرت هذه الكلمات الأربع في سورة الكهف:

1- أما لفظنا تستطع وتسطع، وليست هذه الأخيرة من (سَطَعَ يَسْطَعُ)، بل ضبطها أعلن أنها كأختها من استطاع: تستطيع، وفي حال دخول الجازم: لم تستطع ولم تسطع.

إذا تأملنا قصة سيدنا موسى عليه السلام مع الخضر فسوف نقف على تلك الكلمة التي حذفت منها التاء للتخفيف وهي بلا شك تشير إلى لطيفة أخرى من لطائف القرآن.

فقد وعد سيدنا موسى الخضر عليهما السلام بعد أن اصطحبا في رحلتها ألا يعصي له أمراً وألا يسأله عن شيء أحدث، وذلك ليتعلم منه وكان أن أبلغه - الخضر - بعدم التحمل والصبر على ما سيكون، فاتفقا وانطلقا فحدث ما حدث ولم يقدر سيدنا موسى على صبر، فكان يبادر بالسؤال أو الحث على حل لما كان يطرأ في تلك الرحلة، كخرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار، وقبل افتراقهما جاء على لسان الخضر قوله تعالى: ﴿هَذَا بَرَأَقٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَاءَ تَبَيُّنٌ يَا أُوَيْلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: 78].

ثم أطلعه على حقيقة الأحداث الثلاثة: خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، وختم قوله بما جاء على لسانه في القرآن: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: 82].

فما تعليل حذف التاء في الثانية، وهي التي كما قال صلاح الخالدي أسميناها "تاء الخفة"؟

وهل من فرق بين إثباتها وحذفها، وقد يصدق على كل حالة ما يناسبها من عنوان، فلأولى المثبتة تسمية:

"إثباتها لتناسب الثقل النفسي"

فقد شاهد سيدنا موسى عليه السلام من الخضر أفعالاً غريبة في ظاهرها غير مقبولة، إذ تدعو إلى الإنكار والاعتراض.

فلم خُرقت سفينة سالحة؟ ولم يُقتل غلام صغير؟ وكيف يُبنى جدار لقوم
بخلاء من غير مقابل؟

كانت هذه الأحداث تدفع بالسؤال والتساؤل وطلب التعليل، إذ الموقف
موقف حيرة، وكان سيدنا موسى عليه السلام صار في همّ نفسي وشعوري ثقيل.
وما فتئ السياق يراعي الهم النفسي الثقيل، مثبتاً "التاء" في ﴿تَسْتَطِيعُ﴾ مرة
لتجاري الثقل النفسي الذي صاحب سيدنا موسى عليه السلام زمن الرحلة، لذا
كان قول الخضر له: ﴿سَاءَ نَبِيُّكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِيعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾.

ولكن حين دعا داعي الحذف في تائها جاء العنوان المناسب:

"حذفها لتناسب زوال الثقل النفسي"

فعرف سيدنا موسى عليه السلام أن الخضر على صواب في تصرفاته الثلاثة
التي لم تكن من غير وحي إلهي: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ، عَنِّ أَمْرٍ﴾، وبذلك زال الهم الذي
سيطر عليه وكذا الثقل النفسي الذي عاشه.

وجاء السياق متمشياً مع الثقل النفسي ليزيله كما أزيلت وحذفت التاء من
عبارة ﴿تَسْتَطِيعُ﴾ لتشارك التخفيف النفسي عند موسى بخفة حروف الفعل أو كما
عبّر عن ذلك صلاح الخالدي.¹

2- ويقاس عليها أي على الحالة السابقة تاء الخفة من عبارتي: "اسطاعوا
واستطاعوا"

وقد وردت "تاء الخفة" في السورة نفسها تروي لنا قصة "ذي القرنين" الذي
وصل بين السدين حين شكا إليه القوم غارات يأجوج ومأجوج، فبنى لهم سداً
منيعاً كان لهم واقياً من يأجوج ومأجوج، قال الله عز وجل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ
الْأُفُقَيْنِ وَجَدَ مِيسْرًا بَيْنَهُمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۗ قَالُوا إِنَّا لَفَرِّقْنِي
إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ

¹ ينظر: لطائف قرآنية، ص 52-54.

بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سُدًّا ﴿٩٣﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٤﴾ - اثنون زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال اثنون افرغ عليه فطرا ﴿٩٥﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ، نَفْبًا ﴿٩٦﴾ [الكهف: 93-97].

لقد بنى ذو القرنين سدا منيعا متينا ليس فيه نتوءات تستخدم في التسلق، ولا يمكن نقضه.

وجاء التعبير القرآني مرة بحذف التاء ﴿اسْتَطَعُوا﴾ لينبئ عن عجزهم عن تسلق الجدار ليظهروا فوقه، ومرة بإثبات تاء ﴿اسْتَطَعُوا﴾ ليثبت عجزهم عن نقضه، فكان أن حدث تناسب بين حالتي الحذف والإثبات، فيعطي كل حال ما يناسبه من تسمية:

"حذف التاء لتناسب خفة التسلق"

مما هو معروف عن الكلمة القرآنية أن ما اعترأها من حذف أو إثبات أو تغيير في حركة لا يكون ذلك كما اتفق، بل يجيء ذلك لحكمة مقصودة باهرة حتى يقع الانسجام مع السياق التي ترد فيه والجو الذي يشيعه والمعنى الذي يقرره.

ويتفق حذف التاء من عبارة ﴿اسْتَطَعُوا﴾ مع المعنى الذي تقرره الجملة ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ أي ما "اسطاع" أفراد يأجوج ومأجوج تسلق ذلك الجدار الأملس العالي المدعم بناؤه من حديد، وكيف يقدر أي متسلق أن يصل إلى قمته وقد خلا من النتوءات والمقابض التي بها يكون المسك.

يحتاج تسلق الجدار إلى "خفة" ورشاقة ومهارة، إذ هي المواصفات التي يتوافر عليها المتسلق، فلن يقدر على ذلك إذا لم يكن ذا رشاقة وخفة ومهارة، وشتان بين ثقل الجسم كثير الشحم وخفيف الجسم قليل الوزن حين طلب التسلق.

ولما كان التسلق يطلب هذه الخفة جاء الفعل ﴿إِسْطَنْعُوا﴾ مسهما فيها متخففا من أحد حروفه كما يتخفف المتسلق من بعض أحماله.

فكان حذفها للخفة والتخفيف، ولهذا سميت "تاء الخفة" على خلاف ما يتفق مع المعنى الذي تقرره جملة ﴿وَمَا إِسْطَنْعُوا لَهُ، نَفْبَأْ﴾:

إثباتها لتناسب مشقة الحفر

يحتاج نقب جدار السدّ وكذا جعل نقب فيه إلى جهد وكدّ، ولا يتحقق ذلك إلا إذا تحمل الإنسان كثيرا من المشقة والثقل النفسي مستعينا بأدوات مادية لعله ينقض بها الجدار وذاك ما يأخذ منه وقتا طويلا يمرّ عليه ثقيلًا.

فلهذه الأثقال المادية والنفسية والزمانية والمكانية التي تقررها الجملة جاء الفعل مثبتا التاء في لفظة ﴿إِسْطَنْعُوا﴾ مشاركا بثقل إيقاعه وتركيبه عن طريق زيادة حروفه أو كما عبر عنه صلاح الخالدي.¹

وقد قال في حق اللفظتين فاضل السامرائي: "وهذه الآية قالها ربنا في السدّ الذي صنعه ذو القرنين من قطع الحديد والنحاس المذاب [الكهف: 96-97].

فقال: ﴿بِمَا إِسْطَنْعُوا أَنْ يُظْهِرُوهُ﴾ أي: يصعدوا عليه، فحذف التاء... ثم قال: ﴿وَمَا إِسْطَنْعُوا لَهُ، نَفْبَأْ﴾ بإبقاء التاء. وذلك أنه لما كان صعود السد الذي هو سبيكة من قطع الحديد والنحاس أيسرَ من نَقْبِهِ وأخفَ عملاً، خَفَّفَ الفعل للعمل الخفيف، فحذف التاء، فقال: ﴿بِمَا إِسْطَنْعُوا أَنْ يُظْهِرُوهُ﴾، وطَوَّلَ الفعلَ فجاء بأطول بناء له للعمل الثقيل الطويل، فقال: ﴿وَمَا إِسْطَنْعُوا لَهُ، نَفْبَأْ﴾ فحذف التاء في الصعود وجاء بها في النقب".²

¹ ينظر: لطائف قرآنية، ص 55-57.

² التعبير القرآني، فاضل السامرائي، ص 75.

ألف العزة وياء الذلة :

وألف العزة تصدق على كلمة (العباد)، وقد وردت كلمة "عباد" حوالي مائة مرة في القرآن الكريم، وصف بها المسلمون المطيعون لله في أكثر من تسعين مرة. قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان:63].

جاءت لفظة (عباد) ثابتة الألف في وسطها، يستخرج من ذلك لطيفة من لطائف القرآن كما أشار صلاح الخالدي.

توحي هذه الألف الممدودة في عبارة (عباد) بالعزة والمنعة والأنفة والرفعة، وكأنها مرفوعة الرأس منصوبة القامة باستمرار.

نلاحظ هذه العزة والأنفة والرفعة في حياة العباد المؤمنين المطيعين لله.

يعيش العباد المؤمنون حياتهم في الدنيا بعزة ورفعة واستعلاء، تنفر نفوسهم من الذل، وترتفع رؤوسهم عزيزة لا يخفضونها إلا لله ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:8].

ونظرا لعزة العباد المؤمنين، جاء التعبير عنهم بلفظة (عباد) رسمت بإثبات ألف منتصبة في وسطها تشير إلى معنى العزة، فأنعِم بها من "ألف العزة".

وهي مناقضة لياء الذلة من لفظة: "العبيد" فإذا كان استعمال لفظة (عباد) غالبا مستعملا في القرآن للعباد المؤمنين، فكلمة "عبيد" وردت وصفا للكفار والعصاة.

"العبيد في القرآن : الكفار"

وردت كلمة "عبيد" خمس مرات في القرآن الكريم:

1- في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران:182].

2- وفي قوله تعالى يصف الذين كفروا عند الاحتضار: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَقَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوفُوا عَذَابَ الْحَرِيِّ ۖ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال: 50، 51].

3- وقال سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّثِيرٍ ۖ تَأْنِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيفُهُ، يَوْمَ الْفَيْلَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيِّ ۖ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الحج: 8-10].

4- وجاء ذكر الله للمحسن بمنح الثواب وللکافر بإيقاع العذاب في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: 46].

5- وتبين هذه الآية عدل الله في تعذيب الكافر: ﴿قَالَ فَرِيضَةُ، رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتُهُ، وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۖ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُمْ إِلَيَّكُمْ بِالْوَعِيدِ ۗ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: 27-29].

نخرج بعد تدبر هذه الآيات الخمس بالإيحاءات واللطائف التالية كما أشار إليها بعضهم:¹

- 1- وردت لفظة "العبيد" في الآيات الخمس في الكلام عن الكفار.
- 2- بينت الآيات الخمس عدل الله في إدخال الكفار النار وإذاقتهم عذاب الحريق.
- 3- نفت الآيات جميعها الظلم عن الله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.
- 4- اشتملت في المواضع الخمسة كلها على عبارة أفادت النفي: ﴿... بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾.

وبناء على ما تقدم صلح انتقاء اللفظة لعنوان:

¹ ينظر: لطائف قرآنية، ص 60-62.

"عبيد لتناسب ذل الكفار"

يوحي التعبير بكلمة "عبيد" بالذلة الملازمة للكفار، إذ هم أذلاء جنباء مهانون ضعفاء، لا يبتغون العزة والرفعة، ولا يشعرون بالكرامة والأنفة. تجدهم أحرص الناس على حياة، يُذلّون أمام المتسلطين الظالمين، لا ترتضى مواقفهم. وقد جاءت كلمة "عبيد" بالياء تفيد وصفهم في حياتهم وتوحي صياغة الكلمة بشكلها بالذل، إذ جاءت الياء وسط الكلمة منبثحة ملقاة بذلة.

سابعاً : الدلالة في بعض التلوينات الصوتية

تؤدي التلوينات الصوتية من إدغام كامل أو ناقص أو مد زائد أو إبدال حرف بآخر، أو سكتة أثناء التلاوة أو قلقلة وظائف ودلالات لا تكتشف حين القراءة غير المتأنية الخالية من التدبر والتمعن. وصدق الله إذ قال: ﴿وَإِذَا فُرِغَ الْقُرْءَانُ فَأَسْتَمِعُوا لَهُ، وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:204].

وأمرنا بترتيل القرآن على الوجه الأتم: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل:4].

وقد أورد محمد شملول طائفة من هذه التلوينات في القسم الثاني بعنوان: إعجاز ترتيل القرآن الكريم، وتصلح لأن تكون من عناصر الدلالة في الرسم القرآني، وسأذكرها مختصرة:

1- بيان المعنى من خلال المدود:

إذا كان مد الحرف ينبنى على ما بعده من شدّ أو همز أو وقف، وهو بذلك يعتبر ظاهرة من ظواهر زيادة أحرفها، فإنه حين تتعرض كلمات القرآن إلى مد زائد على المد الأصلي الطبيعي أثناء التلاوة. وليس الأمر مقتصرًا على رسمه بجعل علامته فوق حرف المد، نحو: ﴿الطَّامَّةُ﴾، إذ جعلوا فوق الألف علامة المد الزائد فلا يتحقق هذا إلا بالأداء.

يوحي هذا المد الزائد حين التلاوة ويدل على تفخيم هذه الكلمة وزيادة معناها، لذا لم يأت هذا المد عبثاً؛ وإنما أنبأ عن أهمية الكلمة ودل على شيء مخصوص غير عادي.

وهذه نماذج وشواهد لهذه الظاهرة:

﴿الطَّامَّةُ﴾: قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ [النازعات:34]

السَّمَاءُ: قال عز وجل: ﴿وَالسَّمَاءُ بِنَاءً﴾ [البقرة:22]

جانّ: قال سبحانه وتعالى: ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْكُرُ الْإِنْسَانُ لِمَ لَا يَشْكُرُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ لَهُ الْقُرْءَانَ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الرحمن:39]

[الرحمن:39]

الطائفين: قال تعالى: ﴿أَنْ طَهَّرْنَا بَيْتِي لِلطَّائِبِينَ وَالْعَنَكِيمِينَ﴾ [البقرة:125] حين ننظر إلى هذه الكلمات الأربع وقد جاء المدّ فيها زائدا عن الأصلي قد يصل إلى ست حركات، نجدها دالة على شيء عظيم غير عادي، فكان أن زاد المدّ في معناها.

وبمقارنة المد في الكلمة الأولى ﴿الطَّائِبِينَ﴾ بما قاربها في المعنى لكن من غير وجود داعي المدّ الزائد ككلمة ﴿الْفَارِعَةَ﴾، نلاحظ أن عدم وجود المد في الثانية أمر مطلوب كي يتحقق المرغوب من معنى القرع، لأنها تفرع آذان الناس، ولا يستلزم هذا زمنا فهو لحظي دال على الفجاءة فاستغني عن مدّه فصار طبيعيا.

وحين نتدبر لفظة "ما" من سورة "الكافرون" في وضعها العادي ومجيء الهمزة بعدها: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ و﴿مَا عَبَدْتُمْ﴾، فلا يوجد مدّ لكلمة "ما" للدلالة على تحقير ما يعبد أولئك الكافرون. لكن حين يذكر ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ - وقد ذكرت مرتين - نجد أنه يزداد في مدّ "مَا" فوق الطبيعي قد يبلغ به الست حركات بدل الحركتين ليدل على عظمة ورفعة ما يعبده الرسول ﷺ.

ويرجع هذا المدّ الزائد لوجود حرف الهمزة بعد الألف، وقد طبق هذا الحكم ليوضح إعجاز القرآن في انتقاء الحروف التي تصدر بها الكلمة القرآنية ليجيء المعنى على أكمل وجه.

ويستوي الأمر هنا إذا كان مرد المدّ إلى "مدّ الصلة الطويلة"، وهو ما تولّد عن هاء الضمير الواقعة بين متحركين ثانيهما همز نحو المثالين التاليين:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ﴾، إذ رسموا واوا بالحمرة وضعوا فوقها علامة المدّ باعتبار تاليها همز، فكان أن أطالوا مدّ الصلة الطويلة ليدل على عظمة الربّ سبحانه.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا...﴾ [الأنعام:91]، مدت الصلة مدّا زائدا ليدل على عظمة قدر الله سبحانه.

وقد اصطلح على المد الزائد حين يعقب حرف المدّ حرفٌ مُشدّدٌ بالمدّ
اللازم المثلث، ومن أمثله كلمة ﴿الضَّالِّينَ﴾ من قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ
أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

تُمدّ كلمة ﴿الضَّالِّينَ﴾ في ألفها مدا لازما مثقلا مقداره ست حركات بخلاف
﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾.

ويدل مدّ كلمة ﴿الضَّالِّينَ﴾ على كثرة هؤلاء ووفرتهم من نصارى وكلّ ضالّ
من أمم أخرى، ومن ضلّ من المسلمين أيضا، وذلك بالمقارنة بـ ﴿الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ﴾ وهو اليهود حيث جاءت بدون مدّ زائد لتدل على قلة عددهم.¹

2- دلالة المعنى من خلال أحكام النون الساكنة والتنوين:

يتأرجح حكم النون الساكنة والتنوين بين أحكام أربعة يحددها الحرف التالي
لها، وقد يكون لهذه الحالات بعض الدلالات.

فالإظهار يعنى به إخراج الحرف من مخرجه بدون غنة، وتظهر النون الساكنة
أو التنوين إذا وقع بعدها أحد أحف الحلق الستة: الهمزة، الهاء، العين، الحاء،
الغين، الخاء.

وتتقلص المدة الزمنية لنطق النون الساكنة فيه فيكون أداؤها بدون زمن،
بسرعة فائقة وكأنها وما بعدها من كلمة أخرى كلمة واحدة التصقتا من غير فاصل
بينهما.

ومن الأمثلة التي جمعت بين الإظهار والإدغام بغنة، ويعني هذا الأخير
استغراق زمن أطول في الأداء، قوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾
وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 7، 8].

¹ ينظر: إعجاز رسم القرآن، ص 200-202.

جاء أداء التنوين في ﴿ذَرَّةٌ حَيْرًا﴾ مظهرا بدون غنة، لوجود الخاء بعد التنوين وهو أحد حروف الحلق... ويأتي المعنى دلالة عن طريق التصاق ﴿مِثْقَالٌ ذَرَّةً﴾ ﴿حَيْرًا﴾، فلا توجد غنة ولا مسافة مما يوضح المعنى المراد بأنه وإن صغر إلى مثقال الذرة ذلك الخير فهو ملتصق بالإنسان لا ينفصل أبدا وسيجزي عليه.

أما في الحالة الأخرى المخالفة فقد خالف التركيب واختيار بداية الكلمات ﴿مِثْقَالٌ ذَرَّةً﴾ ﴿شَرًّا﴾ كان الإخفاء لوجود الشين فتتجت الغنة في التنوين مما يعني وجود مسافة بين مثقال الذرة والشر، موحيا بإتاحة الفرصة لمن شاء أن يتوب.

وفي سورة القارعة حالة أخرى يظهر فيها التنوع والاختلاف لاختلاف تالي النون الساكنة من خلال الآيات التالي: ﴿بِأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ ﴿فَأُثْمِرُهُ﴾ ﴿هَاوِيَةً﴾ [القارعة: 6-9].

نجد غنة للنون في ﴿مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ مما يوضح تمام المعنى للراحة والطمأنينة التي يتمتع بها من جاءت موازينه ثقيلة حيث يعيش عيشة راضية.

لكن ﴿مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ ولعدم وجود الغنة في نون ﴿مَنْ﴾ المظهرة الواقع بعدها حرف الخاء، فقد يوحي إظهارها بالسرعة ليتحقق المعنى في سرعة محاسبته وإلقائه في الهاوية.

ولنتأمل الأمثلة القرآنية التالية:

في سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، فالتنوين يؤدي من غير زمن وإن أتى مظهرا تارة ومدغما أخرى إدغاما تاما، لذا لا توجد غنة أو مسافة زمنية، لأنها أمور قطعية.

وفي البقرة قوله تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [38] جاء التنوين مظهرا لوجود حرف الخاء بعده، فلا توجد غنة أو مسافة زمنية، وإنما هي أمور قطعية بعدم تعرضهم للخوف ولو لأقصر زمن.

وفي البقرة أيضا: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَنِيٍّ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [74] وردت ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَنِيٍّ﴾ و﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَنِيٍّ﴾ تسع مرات في القرآن الكريم تليها كلمة ﴿عَمَّا﴾، فلا توجد غنة، وإنما نون مظهرة.

مما يوضح قطعية هذا الخبر بأن الله ليس بغافل عما تعملون ولو للحظة واحدة، فسبحانه يعلم السرّ وأخفى.

ولمّا كان البشر غير منزهين عن الغفلة، فقد وردت في القرآن بعد لفظة "غفلة" ألفاظ لم يكن مبتدأها حرف حلق، بل جاءت مبدوءة بحرف تدغم فيه النون أو التنوين وهو الميم. وهو ما يشير إلى التصاق البشر بهذه الصفة - الغفلة - لمدة طويلة وليس لمدة قصيرة فقط.

يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿إِفْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 1]، وفي السورة نفسها قال تعالى: ﴿يَنْوِيلُنَا فَمَا كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ [الأنبياء: 97]، فكان إدغام التنوين في الميم إدغاما كاملا.

وبتأمل ما جاء في سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: 186]، فلا مسافة ولا انفصال ولا غنة بين ﴿قَرِيبٌ﴾ و﴿أُجِيبُ﴾ المبدوء بالهمزة مما يدل على سرعة الإجابة.

وفي هذه الآيات التي جاء فيها التنوين متلوا بأحد حروف الحلق، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: 228]، وقوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 34]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: 54].

كلها أسماء قطعية لا انفصال بينها كما أشار محمد شملول/ وحين نقرأ الآيات الكريمة الواردة بها يتبين لنا مناسبة المعنى لهذه الأسماء.¹

¹ ينظر: إعجاز رسم القرآن، ص 203-208.

الإدغام:

جاء إدغام النون الساكنة والتنوين بين كلمتين لا في كلمة واحدة نحو: ﴿صِنْوَانٌ﴾ و﴿أَلْدُنْيَا﴾، فلا إدغام فيهما مفرعاً تفرعيين:

إدغام بغنة: ويسمى إدغاما ناقصا، إذا ولي النون الساكنة أو التنوين أحد حرفي الواو أو الياء، وإدغام بغير غنة إذا وليها اللام أو الراء.

وحسب الدراسة والنماذج المطبق عليها: "فإن الإدغام الناقص بغنة يحتوي على مسافة تساعد في إبراز المعنى من ناحية أنه يوجد امتداد أو طول أو اتساع للمعنى أو عدم عجلة..."

أما في حالة الإدغام الكامل بدون غنة، فإن هذا يساعد على إبراز المعنى بأنه لا توجد مسافة زمنية، وبالتالي فإن هذا يساعد على إبراز المعنى بأنه لا توجد مسافة زمنية، وبالتالي فإن الأمر قطعي وبدون زمن... وتعتبر الكلمتان ملتصقتين التصاقا كاملا وبدون أي فاصل بينهما".¹

وقد ضرب محمد شملول أمثلة للإدغام الكامل.²

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:4].

جاء إدغام النون الساكنة من كلمة ﴿يَكُنْ﴾ في لام ﴿لَهُ﴾، وهو بين كلمتين إدغاما كاملا، لذا عريت النون من السكون وشُدِّدَ لام ﴿لَهُ﴾ وكأنهما يقرآن كلمة واحدة (ولم يَكُلَّهُ كُفُوًا أَحَدًا) مما يوحي بقطعية عدم وجود كفاء له سبحانه وتعالى.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة:1].

يظهر الإدغام بين لفظتي ﴿وَيْلٌ﴾ و﴿يَكُلُّ﴾ وبين ﴿هُمَزَةٍ﴾ و﴿لُّمَزَةٍ﴾، مما ينبئ عن عدم فصل الويل أو الهلاك عن الهمزة اللمزة، فتتعلق (ويلللكلُّ

¹ إعجاز رسم القرآن، ص 210، 211.

² ينظر: إعجاز رسم القرآن، ص 210-212.

همز تَلْمِزَةً، فلا ينفصل الويل والهلاك عنه، بل صار ملتصقا حتى غدا جزءاً منه، ولا يوجد أي انفصال بين ﴿هُمَزَةٍ﴾ و﴿لَمَزَةٍ﴾، فالهمزة لا يكون إلا لَمَزَةً.

وجاء الإدغام كاملاً بين لفظتي ﴿عَيْشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ مما يوحي التحام الرضا بالعيشة التي سوف يحيها المتقون في الآخرة، حيث تؤدي وتنطق (عَيْشَتِ رَّاضِيَةً) كالكلمة الواحدة أو أشد من غير شعور بثقل، لأن هذا الرضا لن ينفصل عنهم أبداً... كما لم ينفصلوا عنه مما يجعل المتقين في اطمئنان مطمئنين في الدار الآخرة، ولنعم دار المتقين.

ولمّا كان الإدغام أقساماً ثلاثة: إدغام متمثلين، وإدغام متجانسين، وإدغام متقاربين، فإن إدغام المتمثلين يُعدّ أقوى وأكثر ذيوفاً في العربية، بحيث يقبل كل حرف أن يدغم في مماثله إذا تحققت شروط الإدغام، ويقع في الكلمة الواحدة وبين الكلمتين.

ومن الأمثلة القرآنية الموحية لهذا النوع إدغام الكاف في مثله، من قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ [النساء: 78].

وقد صارت الكاف الثانية مشددة من غير تراخ في النطق، وأصبحت كأنها بكاف واحدة (يُدْرِكْكُمْ)، فقد أنقص من الكلمة حرف واحد مما يدل على سرعة الموت في إدراك من قضى عليه الموت.

وفي قوله تعالى على لسان سليمان عليه السلام: ﴿إِذْ هَبْ بَكِثِّينَ هَذَا قَالِيفِهِمْ﴾ [النمل: 28]، جاء إدغام الباء الساكنة في أختها المتحركة دالاً على السرعة التي طلب بها سليمان عليه السلام من الهدهد أن يطير بها إلى ملكة سبأ، يؤكد ذلك رد هذه الملكة وخطابها ملاًها، قال تعالى على لسانها: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْءَ إِنِّي أَفْضَىٰ إِلَيْكَ كَتِيبٌ كَرِيمٌ﴾ [النمل: 29].

وكانه لم يظهر هناك زمن فاصل بين أمر سليمان للهدهد واستلامها الكتاب.

ولا يقتصر أمر الإدغام في المتماثلين على إيجاد دلالات، بل قد يحمل إدغام المتجانسين دلالات كذلك.

ومما يدغم إدغام تجانس ما كان بين الحروف النطعية (ط، د، ت) أو بين اللثوية (ظ، ذ، ت) أو بين بعض الشفوية (ب، م).

قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة:256]، فإدغام الدال في التاء يدل على قطعية بيان الرشد.

وكذا في قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ اجْتَبَيْتَ دَعْوَتَكُمْ﴾، وقد وقع العكس هنا إذ أدغمت التاء في الدال، وذلك يدل على سرعة استجابة الله لدعوة موسى وهارون على فرعون وملاه بألا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم.

وفي إدغام المتقاربين نلاحظ أنه يدغم اللام في الراء والقاف في الكاف.

قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:144]، فقد أدغمت اللام في الراء حتى كأن لم تكن، إذ صارت الراء مشددة، وكان الإدغام هنا ليبين ضرورة التعجيل في دعاء الله بزيادة العلم وإبراز قيمته كما قال محمد شملول.¹

وفي إدغام اللام في الراء من قوله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:158].

يدل الإدغام هنا على سرعة رفع الله لعيسى عليه السلام وإنقاذه من اليهود.

ويقاس عليهما في الدلالة إدغام القاف في الكاف في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾، وقد اجتمع هنا ثلاثة تشديدات إدغامية؛ القاف في الكاف والنون في الميم والتنوين في الميم أيضا. فحدث للكلمة انكماشات واختصارات دلت على سرعة وإقرار، وتحقير وإهانة لأصل الإنسان الذي يرى

¹ ينظر: إعجاز رسم القرآن، ص 216-218.

متكبرا متجبرا ﴿الْمَ يَكُ نُطْقَةً مِّن مِّنِيٍّ تُمْنِيٍّ﴾، فهناك إدغام وهنا حذف نون من (يكن) وإدغام مرتين ثم إخفاء.

3- الدلالة من خلال السكتات الخمس:

وضع علماء الضبط علامة السكتة برسم سين صغيرة فوق الحرف المراد السكوت عليه، وهي من اصطلاحات الضبط. وقد خُصَّ بها المصحف الذي يوافق رواية حفص على خلاف رواية ورش، فلم يُعلِّم فيها بشيء، بل في اثنين منها وضعوا علامة الإدغام، وفي ثلاثة رسموا الوقف (ص).

فما تعليل هذه السكتات وأين هي من الآيات؟

ورد عن حفص عن عاصم السكت بلا خلاف من طريق الشاطبية على الآتي:

ألف ﴿عَوَجًا﴾ بسورة الكهف.

ألف ﴿مِن مَّقْدِنًا﴾ في يس.

نون ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ في سورة القيامة.

لام ﴿بَلَّ رَانَ﴾ في سورة المطففين.

هاء ﴿مَالِيَةً﴾ بسورة الحاقة.

ويعلل هذا السكت بسكتة لطيفة من غير إدخال نَفَس وهو دون الوقف، إذا ما تدبرنا الآيات التي وردت بعدها بما نجده في هذه الآيات من مقام يوحى بضرورة الوقف للحظات بغية تدبر الأمور والبحث - كما أشار بعضهم¹ - والدراسة وعدم العجلة، لأن الأمر عظيم وليس بالسهل ويحتاج إلى تمهّل وتؤدة.

وهذا بيان أحوالها:

قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ قِيمًا

لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا ﴿[الكهف: 1-2].

¹ ينظر: إعجاز رسم القرآن، ص 219-222.

يقع السكت في هذه الآية على كلمة ﴿عَوَجًا﴾ وهي آخر كلمة من الآية، ولم يكن من شأن أهل الضبط في المصحف الموافق لرواية حفص أن يرسموا أي علامة للوقف بأنواعه، باعتبار الوقف جائزا على رأس كل آية، لكنهم خالفوا ورسموا حرف (س) ليعلموا القارئ بهذه السكته وكذا في كل ما شابه من الأربع الباقيات.

غير أن المصحف الذي طبع ليوافق رواية ورش رسم على هذه الكلمة علامة الوقف ﴿عَوَجًا﴾، وهو من وقوف الهبطي.

جاءت هذه السكته في لفظة ﴿عَوَجًا﴾ للنظر والتمهل في صفة هذا الكتاب والغرض منه، وقد تعطي معنى إضافيا بأن الله لم يجعل للرسول ﷺ أي عوج، فأول صفة له ﴿قِيمًا﴾ يعني أن له قيمة عظيمة ومكانة شريفة عالية.

وأما التي في سورة يس: ﴿قَالُوا يَنْوَلِّنَا مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس:52]، وقعت السكته على كلمة ﴿مَّرْقَدِنَا﴾ موحية بضرورة الوقوف والتريث، إذا الكلام الذي بعدها ليس من كلام الكافرين، وإنما هو من كلام الملائكة أو كلام المؤمنين.

وقال تعالى: ﴿كَأَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الرَّاقِيَةَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ [القيامة:26-27] واحتفظ هنا بإظهار النون من كلمة ﴿مَنْ﴾ مع أن الراء هي أحد حروف (يرملون) التي تدغم فيها النون إدغاما كاملا، خالفت لوجود السكته.

جاءت السكته بعد كلمة ﴿مَنْ﴾ لتفرق بينها وبين ﴿رَاقٍ﴾ لتدل بذلك على حالة الشخص وهو يحتضر، فيطلب له الراقي المعالج رجاء أن يدفع عنه مكروه الموت، إنها سكته لا بد منها لتبحث عن ﴿مَنْ﴾... وهل ينفع من ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ أَحْلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْشُرَ حَيْبِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَخُنْ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ [الواقعة:83-85].

وفي قوله عز وجل: ﴿إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: 13-14].

تقع السكته هنا على كلمة ﴿بَلْ﴾، وكان الواجب أن تدغم اللام الساكنة في الراء - كما في رواية ورش - لكن جاءت السكته لتدل على ضرورة التمهّل والأناة، إذ سيأتي بعد كلمة ﴿بَلْ﴾ ما دفعهم إلى التشكيك في القرآن الكريم، بأن ذلك حدث لأنهم معتدون آثمون، قررته الآية السابقة: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [المطففين: 12].

فقد أصبحت قلوبهم غلفا وأذانهم صما وعيونهم عميا بسبب ما كسبوا من الإثم والبغي.

وتأتي السكته الخامسة وهي التي في قوله تعالى: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ﴾ ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ [الحاقة: 28-29]. جاءت السكته على هاء كلمة ﴿مَالِيَّةٌ﴾ الساكنة لتدل على ضرورة أخذ وقفة ولو قصيرة، حيث إن الظالم لم يعد ماله يغني عنه من الله شيئا بالرغم من أنه ملك من المال ما حول له الجاه والسلطان في الدنيا، فأين السلطان لقد هلك، لقد ذهب وانتهى، وستكون النهاية أدهى وأمر، سيقذف في الجحيم مقيدا في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا، ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ. وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَمِيٍّ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: 16-17].

4- مصرَ ومصرًا:

يراد بمصرَ إذا جاءت غير مصروفة في الاستعمال القرآني البلد المعروف قديما وحديثا، وهو القطر المعروف الذي يجري فيه نهر النيل.

وقد ذكرت في القرآن بهذا الانتساب أربع مرات، اثنتان منها في يوسف وواحدة في يونس ورابعة في الزخرف.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ أَلِدِي إِشْتَرَيْهِ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِي أَكْرِمَ مَثْوَاهُ﴾ [يوسف:21] إشارة إلى اشتراء العزيز ليوسف.

وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [يوسف:99].

قالها يوسف عليه السلام لوالديه وإخوته لما وفدوا إليه بعد أن صار عزيز مصر.

وقال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف:51].

كان هذا حين اشتدت المعركة بين موسى عليه السلام وبين فرعون، فاستنفر قومه ضد موسى وامتن عليهم بملكه مصر.

وقال عز وجل: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ [يونس:87].

كان هذا بعد أن آمن السحرة بموسى عليه السلام وهددهم فرعون وبدأ في إيذاء أتباع موسى، جاء أمر موسى قومه المؤمنين أن يختاروا لهم بيوتا في مصر. لقد جرت أحداث قصة يوسف عليه السلام في مصر، وجرت المعركة أيضا بينه وبين فرعون في مصر.

أما "مِصْرًا" المنونة المصروفة فتعني أي قطر. وقد وردت ﴿مِصْرًا﴾ بهذا الشكل في القرآن الكريم مرة واحدة.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَئِن نَّصَبْنَا عَلَىٰ طَعَامٍ وَاجِدٍ قَادِعٌ لَّنَا رَبُّكَ يُخْرِجُ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ مِنْ بَفْلِحِهَا وَفِثَائِهَا وَغُدَسِيهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ أَلِدِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالذِّمَىٰ هُوَ خَيْرٌ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيُّوتٌ وَمِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ﴾

[البقرة:61]. تقص علينا الآية إنجاء الله بني إسرائيل من فرعون وأسكنهم في "سيناء" وظلل عليهم فيها الغمام، وفجر لهم العيون وأطعمهم فيها "المن والسلوى"... لكنهم طلبوا البقل والقثاء والفوم والعدس والبصل.

ولا تعني كلمة مصرأ المصروفة في الآية السابقة ما كنت تعنيه غير المصروفة "مصرأ" لكونها نكرة تنطبق على أي مصر كان أو قطر.

"ومعنى قول موسى عليه السلام لبني إسرائيل: ﴿إِهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ﴾ أي ما تطلبونه من الخضروات غير متوفر في الصحراء فذهبوا إلى أي مصر أو بلد أو قرية فستجدون فيها ما تريدون".¹

5- الدلالة في حروف متقاربة تختلف في اللفظ لاختلاف المعنى:

وردت كلمات كثيرة خرجت بعض أحرفها في رسمها عن مألوف طبيعتها، فجاءت أحيانا كلمة "بسطة" بالسين وأحيانا بالصاد. وكذلك كلمة "قسمنا" بالسين والصاد، ولم يجئ هذا التباين عن غير قصد، إذ السياق يقتضي أن تكتب واحدة بالسين لتفيد معنى لا تفيده لو كتبت بالصاد.

وقد عقد ابن البناء فصلا لهذه المسألة ثم سار على نهجه الزركشي في جمع الشواهد والتدليل عليها من غير أن يضيف شيئا.

قال ابن البناء في "باب حروف متقاربة تختلف في اللفظ لاختلاف المعنى":

"مثل ﴿وَرَادَهُ، بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة:247].

﴿وَرَادَكُمْ فِي الْخَلْيِ بَسْطَةً﴾ [الأعراف:69].

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [الرعد:26، العنكبوت:62].

﴿وَاللَّهُ يَفِيضُ وَيَبْضُظُ﴾ [البقرة:245].

¹ لطائف قرآنية، ص 69.

ذكر ابن البناء بعد ذكره هذه الآيات التي جاءت فيها مرة بالسين ومرة وبالصاد:

فبالسين السعة الجزئية، يدلک علیه التقييد. وبالصاد السعة الكلية، ويدل علیه معنى الإطلاق وعلوّ الصاد مع الجهارة والإطباق.

وكذلك: ﴿قَاتُوا بِسُورَةٍ﴾ [البقرة: 23].

و﴿بِحِ آيِ ضُورَةٍ﴾ [الانفطار: 8].

﴿بِضَرْبِ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ﴾ [الحديد: 13].

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ [الكهف: 99].

بالسين ما يحصن الشيء خارج عنه، وبالصاد ما يضمه منه.

وكذلك: ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة: 77].

﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ﴾ [الواقعة: 46].

بالسين من السر، وبالصاد من التماذي.

وكذلك: ﴿يُسْحَبُونَ فِي الْبَارِ﴾ [القمر: 48].

و﴿مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾ [الأنبياء: 43].

بالسين من الجر، وبالصاد من الصحبة.

وكذلك: ﴿نَحْنُ فَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ﴾ [الزخرف: 32].

﴿وَكُمْ فَصَمْنَا﴾ [الأنبياء: 11].

بالسين تفريق الأرزاق والإنعام، وبالصاد تفريق بالإهلاك والإعدام.

وكذلك: ﴿وَجُودَةٌ يَوْمَ يَهْدِي نَاضِرَةٌ ﴿٣٣﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: 32-33].

بالضاد منعمة بما تشتهيه الأنفس ، وبالطاء منعمة بما تلذ الأعين".¹

وقد خالفه الزركشي في بعض أحرف النص كعبارة: "فبالسين ما يحصر الشيء خارجا... وبالضاد ما تضمنه منه".²

6- الدلالة في رسم الألف ياء والياء ألفا:

خرجت كلمات في رسمها المصحفي عن رسمها القياسي ، فرسم ما حقه الياء ألفا وما حقه الألف ياء ، ومن هذه الألفاظ:

رأى:

ويحسن الرسم القياسي كتابتها بهذا الشكل ، لأن أصل ألف المد ياء من الفعل "رأى" ، استثقلت الفتحة على الياء فانقلبت حرفا من جنس حركة ما قبلها ، لكنها حافظت على أصلها ، بخلاف ما إذا كان أصلها واوا فإنها ترسم ألفا ، نحو: دَعَا من الأصل "دَعَوَ" يؤكدُه إسنادها إلى المتكلم: دَعَوْتُ ، في مقابل الأولى: رَأَيْتُ ، ويشترك في هذا بعض الحروف كحرف الجر "إلى" و"على" إذ رسما بألف مقصورة لتصبح حال الإسناد إلى متكلم أو إلى أي ضمير كان يَاءً حيث نقول: إليك وعليك وإليهم وعليهم وإلينا وعلينا.

فما الوجه الذي يعلل به رأى بألف لا بألف مقصورة؟ فقد وردت في القرآن إحدى عشرة مرة بهذه الشاكلة "راء" لتعطي معنى الرؤية البصرية البشرية ، كما في الآيات التالية:

- ﴿قَلَمًا جَنَّ عَلَيْهِ إِلْيَل رِّءَا كَوُكَبَا قَال هَذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: 76]
- ﴿قَلَمًا رَّءَا أَلْقَمَرَ بَارِغَا قَال هَذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: 77]
- ﴿قَلَمًا رَّءَا أَلشَّمْسَ بَارِغَةً قَال هَذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: 78]
- ﴿قَلَمًا رِّءَا أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ [هود: 70]
- ﴿لَوْلَا أَن رِّءَا بُرْهَنَ رَبِّي﴾ [يوسف: 24]

¹ عنوان الدليل ، ص 139 ، 140.

² ينظر: البرهان في علوم القرآن ، ج 1 / 429 و 430.

- ﴿قَلَمًا رِءَا قَمِيصَةً، فَدَّ مِسْ دُبْرِي﴾ [يوسف: 28]
- ﴿وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ ظَلَمُوا أَلْعَدَابَ﴾ [النحل: 85]
- ﴿وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شَرَكَاءَهُمْ﴾ [النحل: 86]
- ﴿وَرَءَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ﴾ [الكهف: 53]
- ﴿إِذْ رِءَا نَارًا بَقَالَ لِأَهْلِيهِ إِنَّمَا كُنْتُمْ أَتُونَ﴾ [طه: 10]
- ﴿وَلَمَّا رَءَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾ [الأحزاب: 22]

جاءت هذه المواضع الإحدى عشر بألف بعد الهمزة لا بألف مقصورة على الرسم القياسي، لأنها رؤية بصرية والرؤية البصرية البشرية التي تمثلها لفظة (رءا) بهذا الرسم تعد رؤية محدودة قد تصيب وقد تخطئ، ولا تحيط بكل شيء، حيث - كما ذهب بعضهم¹ - يوحي وجود الألف في نهاية اللفظة بنوع من الحاجز أو الحد...

أما إذا انتقل الحديث إلى النوع الثاني من الرؤية رؤية البصيرة فإن لفظة (رأى) تأتي برسمها المتعارف إذ يوحي وجود الياء في نهاية الكلمة بنوع من الامتداد. وقد جاءت هذه الكلمة (رأى) بهذا الرسم في موضعين اثنين لا ثالث لهما في القرآن الكريم، وهما خاصان بالرسول ﷺ حين بلغ ما لم يبلغه البشر من السماوات العلى وسدرة المنتهى حين عُرج به ﷺ فكانت الرؤية الحقة، لأنه ﴿مَا رَأَى أَلْبَصَرٌ وَمَا طَغَى﴾.

جاء ذلك الموضوعان كلاهما في سورة النجم:

قال تعالى: ﴿مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: 11].

وقال عز وجل: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: 18].

¹ ينظر: إعجاز رسم القرآن، ص 184، 185.

فتقدم في الأولى نفي الكذب عن الفؤاد في المرثي وصرّف الشكّ وأثبت المشهد الرباني بتدعيم "قد" التحقيقية.

فكان أن أتى الرسم في الكلمتين رسماً متسعاً فسيح الأحرف كامل الرصف من غير حاجز أو تضيق.

ومن الكلمات ما رسمت ياؤه ألفاً كلمة: (لدا) و(طغا).

فلفظة ﴿لَدَا﴾ جاءت بهذا الرسم غير المعهود إملائياً مرة واحدة في القرآن الكريم من سورة يوسف في قوله تعالى: ﴿وَقَدَدْتُ فَمِيصَهٗ، مِّنْ دُبُرٍ وَأَلْبَيَا سَيِّدَهَا لَدَا أَلْبَابٍ﴾ [يوسف:25]. وكان رسمها باستخدام حرف الألف في نهاية الكلمة ﴿لَدَا﴾ وبداية كلمة ﴿أَلْبَابٍ﴾ يوحي بأن سيدها كان ملتصقاً بالباب من غير مسافة فاصلة بينهما ليعطى المشهدُ شدة المفاجأة.

أمّا رسمها بما يطلبه الرسم القياسي، فقد رسمت بذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْزِقَةِ إِذْ أُلْفُلُوبُ لَدَىٰ أَلْحَنَاجِرِ كَتَّظِيمِينَ﴾ [غافر:18]، وهي الصورة الواحدة التي جاء ذكرها في القرآن، ولم ترد أكثر من مرتين، واحداً التي في يوسف، وثانيتها التي في غافر.

وقد اختلف المعنى المستفاد هنا من خلال رسم الكلمة ﴿لَدَى﴾ بهذا الشكل عن السابقة مما يوحي بأنه ليس هناك التصاق كامل بين القلوب والحناجر، إنما هناك مسافة يرمز لها استخدام الحرف (ى) بشكله الممتد.

يؤيد هذا ما جاء في آية أخرى من قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءَ وَكُمْ مِّنْ قَوْفِكُمْ وَمِنَ أَسْفَلِ مِنْكُمْ وَإِذْ رَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ أَلْحَنَاجِرَ﴾ [الأحزاب:10].

فقد أوضحت كلمة ﴿بَلَغَتِ﴾ معنى الدنو والقرب لا معنى الالتصاق "وقد أثبت الطّبّ الحديث أن هناك عَصَبًا يربط بين القلب والحنجرة، بحيث إنه حين

يواجه الإنسان موقفا خطيرا ويزداد نبض القلب، فإن أثر هذا النبض يصل إلى منطقة الحنجرة، فكأثما القلب وصل إلى الحنجرة".¹

أما لفظة ﴿طَعَا﴾ وهي من الطغيان مصدرا، مضارعه يطغى، إذ الأصل في ماضيها أن ترسم ياءً.

وقد جاءت بهذا الرسم الألفي مرة واحدة في القرآن الكريم في وصف الماء الذي أغرق قوم نوح عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَعَا أَلْمَاءَ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة:11]، هذا طغيان ماء، وعن طغيان فرعون جاء الفعل برسم عادي، قال تعالى: ﴿إِذْ هَبْ إِلَىٰ بَرْعُونَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ [النازعات:17]. فلا نلاحظ مهلة زمنية تفصل الفعل المائي حين الهيجان، بخلاف الفعل المتحدث عن فرعون حين ﴿طَغَىٰ﴾ بتجبر وتسلط وربما بتفنن وامتداد حتى كذب وعصى، لكنه كان له الله بالمرصاد ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ [النازعات:25].

يوحي رسم كلمة ﴿طَعَا﴾ بألف بدل الياء بطغيان الماء رأسيا بشكل كثيف، يدعو إلى العجلة وأخذ التدابير اللازمة من ركوب السفينة، لذا جاء حرف الألف ممتدا في نهاية الكلمة في الاتجاه الرأسي، وكأته ألمح إلى طغيان الماء بشكل سريع مباغت.

أما ﴿طَغَىٰ﴾ المرسومة بالياء في نهاية الكلمة وهو رسمها العادي فقد جاءت ست مرات، ثلاث منها في حق طغيان فرعون، في سورة [طه:24 و43] و[النازعات:17]، وعن الإنسان في سورة [النازعات:37] و[العلق:6]، وعن البصر في [النجم:17].

"ويوحي رسم كلمة ﴿طَغَىٰ﴾ بالياء في نهايتها بامتداد الطغيان في الاتجاهات العرضية والجانبية لتشمل الناس والأشياء، كما يوحي ذلك الامتداد الأفقي بطول مدة الطغيان وأن الطغيان يكون ماديا ومعنويا".¹

¹ إعجاز رسم القرآن، ص 185.

وما هذه الأسطر التي خطت وجمعت لتمسّ هذا الموضوع من حيث معرفة رسمه واختلافه عما تواضع الناس قديمهم وحديثهم على سطره، وتباين آرائهم في قبوله أو استبداله أو استحداثه تصرف فيه يبلغ به المتعلم غايته ليترقى إلى امتلاك أدوات القراءة المصحفية، ثم بعدها يتساءل عن إحياءات رسمه العجيب الذي عده بعضهم معجزا كلفظ القرآن.

ومهما يكن من أمر فإن محاولتي في هذه الرسالة أراها قاصرة غير ملبية للمنشود، كيف لا والمقام مقام تدبر كتاب إن في قراءته وإن في رسمه وإن في عللها وإحياءاتها وإن في ترتيله، وليس يسعفني في هذا كله إلا القرآن نفسه، فمنه الأخذ وإليه العودة للأخذ ثانيا لأنه وصفه ربنا بأنه كتاب مبين أنزله على رسوله الأمي وأمن له الحفظ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فلن ينال منه ملحد ولا كافر ولا معاند في كلمة أو حرف أو حركة، وصدق الله إذ قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:9].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

¹ إعجاز رسم القرآن، ص 186-187.

خاتمة

خاتمة

تراءى لنا ونحن نعالج مسألة الرسم في القرآن الكريم أن له دلالات تحددها طبيعة الرسم الذي تخط به الكلمة من جهة، ومقصود السياق الذي ترد فيه من جهة أخرى، واتضح لنا أيضا أن هذا الرسم انبنى على ضوابط وقواعد كان لها الأثر في الدلالات. ويمكن أن نفصل في ذلك أكثر بتسجيل النتائج الآتية:

1- لرسم الحرف العربي أثره في التبليغ يترجمه رسم كلمات المصحف الشريف، حيث أسهم في إقناع العقول وشد النفوس إلى تشريعاته وأحكامه.

2- تابع البحث موقف العلماء من الرسم العثماني، إذ انقسموا بين قائل بالتوقيف ومناد بالإصطلاح، وهل يلتزم به أم هو قابل للتبديل؟ ولكون خط المصحف سنة تتبع وجب الالتزام به على الرأي المختار.

3- يعد الرسم القرآني جزءاً من ذاتية القرآن ومظهرها من مظاهر إعجازه، لارتباطه بدلالات تحمل لطائف وأسرارا لا يمكن أن يؤديها غير هذا الرسم، ولو عدل به إلى الرسم الاصطلاحي لتعطل ذلك الاتجاه.

4- للرسم العثماني حكم خاصة به مستمدة من علل خط حروفه، جعلته يتميز عن الرسم الإملائي، ولكننا نؤكد من هذا البحث أن قواعد هذا الأخير تعود إلى ضوابط رسم المصحف الذي يؤثر ولا يتأثر.

5- دلت مخالفة كتابة الصحابة رضوان الله عليهم للقرآن الكريم الرسم الاصطلاحي على عبقريتهم وأعاجيب عقولهم، إذ من أعظم ما دعاهم إلى ذلك اضطرارهم إلى جعل المصحف الشريف مطابقا لمختلف القراءات الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

6- يعد الرسم العثماني ضابطا من ضوابط القراءة الصحيحة، ولم يكن الضابطان الآخران (موافقة اللغة العربية ولو بوجه من الوجوه، وصحة السند) مستحدثين من عمل المتأخرين، بل جميعها متجذرة بأصولها إلى عهد الصحابة الذين سارعوا إلى كل ما من شأنه أن يحفظ عليهم كتابهم العزيز، ويدفع عنهم ما يمكن أن يقع فيه من تحريف أو تغيير. ولا ينكر جهد من تلاهم من المتأخرين بما أضافوا من عملية استجلاء وتفنن في حسن إيضاح من غير أن يمس جوهره ومضمونه، لأن الشكل والهيئة في هذا الفن - فن الرسم والضبط - قد اكتملت قواعده وأرسيت ركائزه.

7- أكد البحث أن رسام المصحف كانوا على دراية بفنيات الكتابة، وثبت لهم بما يقضي أنهم كانوا على يقين مما كتبوا وبصيرة مما خطوا، ولم يأت عملهم كيفما اتفق بل جاء على أمر قد تحقق، ولا نملك من أن نستدرك عليهم في ذلك شيئا.

8- لا يكفي الاعتماد على القراءة المصحفية، ما لم تدعم بالتعلم من شيوخ القراءة المتقنين أخذًا ومشافهة.

9- لرسم القرآن صلة وثيقة بأشكال التلوينات الصوتية المختلفة من مدّ وإدغام ووقف وإمالة؛ إذ يُسهم في إبراز الدلالة التي تتحدد من سياقها. هذا جهد المقل، فإن صادفه توفيق وسداد فمن الله وحده فهو الموفق للصواب، ونعم الوكيل، وإن كان من تقصير أو عجز أو خطأ أو نسيان، فلن أبرئ نفسي منها، والعصمة للأنبياء عليهم جميعاً أفضل الصلوات وأزكى التسليم. وليعذرني أساتذتي أهل إجازتي، ثم من بعدهم كل قارئ إن حظي البحث بالنشر.

والعذر عند خيار الناس مقبول

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿٢﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣﴾

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، المصحف المطبوع بالمطبعة الثعالبية، لصاحبها ردوسي قدور، سنة الطبع: 1356هـ-1937م، برواية ورش عن نافع.
- القرآن الكريم، المصحف برواية ورش عن نافع من طريق الأزرق بخط الخطاط عثمان طه، دار ابن كثير، ط 11/1424هـ-2003م.
- القرآن الكريم، طبع بالرسم العثماني على رواية الإمام ورش بالخط المغربي التونسي الجزائري الإفريقي الموحد.
- مصحف التجويد، جزء عمّ، برواية ورش عن نافع، طبعة دار المعرفة، الطبعة التاسعة، 1429هـ.
- القرآن الكريم بالرسم العثماني برواية قالون عن نافع، دار ابن كثير - دمشق، الطبعة الرابعة، 1428هـ.
- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، وعلى هامشه كلمات القرآن تفسير وبيان، دار المعرفة - دمشق، الطبعة الرابعة، 1420هـ.
- مصحف الشروق، المفسر الميسر مختصر تفسير الإمام الطبري، دار الشروق.

1. الإبانة عن معاني القراءات، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مكتبة نهضة مصر، 1960م
2. الإتقان في علوم القرآن، الإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق عصام فارس الحرساني، دار الجيل، بيروت لبنان، ط1 / 1419هـ - 1998م
3. الأغاني
4. الأنصاف القرآنية، لعبد العزيز العروسي العيادي، مطبعة سبارتيل، طنجة، الطبعة الثانية، 1998م
5. البديع في الرسم العثماني في المصاحف الشريفة، لابن معاذ الجهني الأندلسي، تحقيق: حمدي سلطان العدوي، دار الصحابة للتراث بطنطا، الطبعة الأولى، 1427هـ / 2006م
6. البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، 1408هـ / 1988م
7. البيان في علوم القرآن، محمد الصابوني، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى، 1405هـ / 1985م
8. البيان في مباحث علوم القرآن، تأليف عبد الوهاب غزلان، مطبعة دار التأليف، 1965م
9. البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة السابعة، 1418هـ / 1998م
10. التبيين في أحكام تلاوة الكتاب المبين، للشيخ عبد اللطيف فايز وريان، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ / 1999م
11. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور

12. التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، دار عمار، الطبعة الرابعة: 1427هـ/2006م
13. التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو والداني، تح: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث بطنطا، ط/1247هـ-2006م
14. الجامع لأحكام القرآن، الطبري
15. الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، ط2
16. الخط العربي وتاريخه، محمد مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، 1994
17. الدليل الأوفى إلى رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق، تأليف: مصطفى اليحياوي وعبد الهادي حميتو وعبد العزيز العمراوي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1/1430هـ-2009م
18. الرسم العثماني قواعده وبدائع الإعجاز فيه - رواية ورش -، محمد بن عبد الوهاب، إفريقيا الشرق، المغرب، 2010م
19. الرسم العثماني للمصحف الشريف مدخل ودراسة، لحسن سري، مركز الإسكندرية للكتاب، الطبعة الأولى، 1418هـ/1998م
20. الصاحبى في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، المكتبة السلفية - القاهرة، 1328هـ/1910م
21. الصديق أبو بكر، محمد حسين هيكل، مكتبة النهضة المصري، الطبعة الخامسة، 1964م
22. الفهرست، محمد بن إسحاق، تحقيق: مصطفى الشويمي، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1406هـ/1985م

23. القاموس المحيط، للشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار الفكر بيروت، 1403هـ/1983م
24. القراءات القرآنية وما يتعلق بها، لفضل حسن عباس، دار النفائس، الطبعة الأولى، 1428هـ/2008م
25. القراءات القرآنية، تاريخها، ثبوتها، حجيتها، وأحكامها، عبد الحلیم قابة، دار الغرب الإسلامي
26. القراءات المتواترة وأثرها في الرسم العثماني والأحكام الشرعية، محمد الحبش، دار الفكر، ط1/1419هـ-1999م
27. القراءات أحكامها ومصادرها، شعبان محمد إسماعيل، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ط3/1424هـ-2004م
28. القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، عبد العالي سالم، مؤسسة علي جراح الصباح - الكويت، الطبعة الثانية، 1978م
29. الكتاب، لسيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي - القاهرة، الطبعة الثالثة، 1408هـ/1988م
30. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، تحقيق مصطفى حسين أحمد، المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة، الطبعة الثانية، 1953م
31. المتحف في رسم المصحف، عوض صالح، دار الصحابة للتراث بطنطا، ط1. 1427هـ - 2006م
32. المحرر في علوم القرآن، لابن ناصر الطيار، الناشر مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، جدة، ط2/1429هـ-2008م

33. المحكم في نقط المصاحف، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق: عزة حسن، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، ودار الفكر دمشق، سوريا، ط2، 1418هـ/1997م
34. المزهري في علوم اللغة وأنواعها، للعلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، شرح وضبط وتصحيح محمد أحمد جاد المولى بك، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، منشورات الكتبة العصرية، 1408هـ 1987م
35. المستصفي، للغزالي
36. المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - بيروت
37. المقدمة، تاريخ العلامة ابن خلدون، (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، الدار التونسية للنشر، 1984م
38. المقصد لتلخيص ما في المرشد في الوقف والابتداء، تأليف أبي يحيى زكريا الأنصاري (ت926هـ)، تح: جمال بن السيد رفاعي، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ط1/2006م
39. المقنع في معرفة مرسوم مصاحف الأمصار لأبي عمرو الداني، تحقيق جمال السيد رفاعي - المكتبة الأزهرية للتراث - القاهرة، ط1/1428هـ- 2007م
40. النشر، لابن الجزري، تصحيح ومراجعة علي محمد الضباع، دار الكتاب العربي - بيروت

41. الواضح في علوم القرآن، تأليف مصطفى ديب البغا ومحي الدين ديب مستو، دار العلوم الإنسانية ودار الكلم الطيب، ط2/1418-1998
42. إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، تأليف الشيخ أحمد بن محمد البنا، عالم الكتب، ط1/1407هـ-1987م
43. إرشاد الفحول، للشوكاني
44. إرشاد القراء والكاتبين إلى معرفة رسم الكتاب المبين، للعلامة الشيخ رضوان بن محمد بن سليمان المخلاطي، دراسة وتحقيق أبي الخير عمر المؤايطي، مكتبة الإمام البخاري، ط1/1428هـ-2007م
45. إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، تأليف محمد شملول، دار السلام، ط2/1431هـ-2010م
46. إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، الطبعة الثانية: 1405هـ-1985م
47. إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز الجامع للقراءات الأربعة عشر تأليف محمد بن أبي بكر شمس الدين بن عبد الله الشهير بالقبقيبي (777هـ-849هـ)، دراسة وتحقيق فرحات عياش، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995م
48. إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام، تأليف محمد حبيب الله بن الشيخ عبد الله الشنقيطي: تحقيق جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث بطنطا، ط1/1428هـ/2007م
49. أثر القراءات القرآنية في الفهم اللغوي، دراسة تطبيقية في سورة البقرة، تأليف محمد مسعود علي حسن عيسى، دار السلام مصر، ط1، 1430هـ-2009م

50. أدب الكاتب لابن قتيبة، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط 4/1382هـ-1963م
51. بصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي
52. تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، 1385هـ/1965م،
53. تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، لمحمد الطاهر الكردي، ط 1، جدة، 1946م
54. تاريخ المصحف الشريف للشيخ عبد الفتاح عبد الغني القاضي (ت 1403) ط، مكتبة المشهد الحسيني بالقاهرة 1965م
55. تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، 1394هـ-1974م
56. تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، ط 3/1401هـ-1981م
57. جمهرة اللغة، لابن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة الأولى، 1987م
58. جواهر العرفان في الدعوة وعلوم القرآن، رؤوف شلبي، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط 1/1406هـ-1986م
59. حياة محمد لمحمد حسين هيكل
60. دليل الحيران شرح مورد الظمان في فني الرسم والضبط، منظومة إبراهيم الشريشي الشهير بالخرّاز بشرح الإمام إبراهيم المارغيني التونسي، دراسة وتحقيق عبد السلام محمد البكاري، دار الحديث، سنة الطبع: 1426هـ-2005م

61. رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم، دوافعها ودفعها، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، نشر وتوزيع دار المنارة، جدة، ط3، 1410هـ-1990م
62. رسم المصحف إحصاء ودراسة، لصالح محمد عطية، الناشر: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا، ط1/1426هـ
63. رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية لغانم قدوري الحمد، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر، ط1/1402هـ/1982م
64. رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة، تأليف شعبان محمد إسماعيل، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1/1419هـ-1999م
65. رسم المصحف ونقطه، تأليف عبد الحي حسين الفرماوي، مؤسسة الريان، بيروت، دار نور المكتبات، السعودية، الطبعة الأولى: 1425هـ/2004م
66. روح المعاني في تفسر القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، قرأه وصححه محمد حسين العرب، دار الفكر، 1417هـ/1997م
67. سر صناعة الإعراب، لابن جني، تحقيق مصطفى السقا وجماعة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة الأولى، 1954م
68. سفير العالمين في إيضاح وتحريرو وتحبير سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، تأليف أشرف محمد فؤاد طلعت، مكتبة الإمام البخاري، ط2/1426هـ-2006م

69. سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، علي محمد الضباع، المكتبة الأزهرية للتراث، ط1، 1420هـ-1999م
70. سير أعلام النبلاء، شمس الدين بن محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار المعارف، 1957م
71. سيرة ابن هشام
72. شعب الإيمان، للبيهقي
73. صبح الأعشى، الشيخ أبي العباس القلقشندي، دار الكتب الخديوية، طبع بالمطبعة الأميرية بالقاهرة، 1332هـ-1914م
74. عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، أبو العباس أحمد بن البناء المراكشي، تحقيق: هند شلبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1/1990
75. غاية النهاية لابن الجزري
76. فتح الباري لابن حجر
77. فضائل القرآن، ابن كثير، صححه محمد رشيد رضا، مطبعة المنار، ط: 1347هـ
78. في الأصوات والحروف والكتابة، السكاكيني،
79. في علوم القرآن، دراسات ومحاضرات، تأليف محمد عبد السلام كفاقي وعبد الله الشريف، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، 1981
80. كتاب المحجة في تجويد القرآن - مقرأ نافع، رواية ورش، مذهب الداني، تألف محمد الإبراهيمي، مكتبة السلفية، الدار البيضاء، ط1/1410هـ-1990م

81. كتاب المصاحف لأبي داود، تحقيق محمد بن عبدة، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 1424هـ/2003
82. كتاب المصاحف للسجستاني، تحقيق آرثر جفري، المكتبة الأزهرية للتراث - الجزيرة للنشر والتوزيع، ط1/2007
83. لسان العرب، لابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير وجماعة، دار المعارف - القاهرة
84. لطائف الإشارات لفنون القراءات، للإمام شهاب الدين القسطلاني، تحقيق وتعليق: عامر السيد عثمان وعبد الصبور شاهين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1392هـ/1972م
85. لطائف البيان في رسم القرآن، شرح مورد الظمان، تأليف أحمد محمد أبي زيتحار، القسم الأول، ط2، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر، مصر
86. لطائف قرآنية، لصلاح عبد الفتاح الخالدي، دار الفكر بدمشق، الطبعة الثانية، 1419هـ/1998م
87. مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، 1964م
88. مذاهب التفسير الإسلامي لجولد تسهير، ترجمة: عبد الحلیم النجار، مكتبة الخانجي - القاهرة، 1955م
89. مسائل في الرسم والنطق، لغانم قدوري الحمد، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، ط1، 1433هـ/2012م
90. معاني القرآن، للفراء، تحقيق محمد علي النجار وجماعة، دار الكتاب المصرية، الطبعة الأولى، 1955م

91. معجم العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، الطبعة الثانية، 1409هـ
92. معجم القراءات القرآنية، تأليف عبد العال سالم مكرم وأحمد مختار عمر، ط1/1402هـ-1982م
93. معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر - بيروت، 1399هـ/1979م
94. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر
95. منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لابن جزري
96. نكت الانتصار لنقل القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي، اختصره الصيرفي، تحقيق محمد زغلول سلام، منشأة المعارف الإسكندرية، 1971م
97. ومضات من سورة الفاتحة، محمد الصالح الصديق، دار البعث، ط1 1405هـ/1984م

المجلات والدوريات :

1. مجلة "رسائل وبحوث" يصدرها معهد البحوث والدراسات الأدبية التابع لجامعة الدول العربية، الطبعة الأولى، 1967م.
2. كتاب الأصالة، ملتقى القرآن الكريم، محاضرات ومناقشات ملتقى الفكر الإسلامي الخامس عشر، الجزء الأول (من 1-7 سبتمبر 1981م)، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة-1983م.
3. مجلة الخط العربي أصوله، نشأته، تطوره، انتشاره.

الفهرس

فهرس الموضوعات

أ.....	مقدمة
1	مدخل: أصل الكتابة العربية
2	الكتابة في الجاهلية:
10.....	الروايات العربية في أصل الكتابة العربية:
17.....	رأي المحدثين في أصل الكتابة العربية:
20.....	ترتيب حروف العربية:
23.....	نشأة الكتابة:
23.....	مرحلة الكتابة التصويرية:
52	الفصل الأول: القرآن وكتابه قبل الرسم العثماني
53.....	أولاً: قراءة في مصطلح القرآن والقراءات
53.....	1- القرآن في اللغة:
54.....	2- القرآن في الاصطلاح:
63.....	ثانياً: الفرق بين القرآن والقراءات
63.....	1- تعريف العلماء للقراءات:
69.....	2- الفرق بين القرآن والقراءات:
73.....	ثالثاً: كتابة القرآن قبل الرسم العثماني
109	الفصل الثاني: الرسم القرآني، مصادره وموقف علماء السلف من لهوهره وقواعده ..
110.....	أولاً: الرسم في اللغة والاصطلاح
110.....	1- الرسم لغة:
112.....	2- الرسم اصطلاحاً:
128.....	ثانياً: مصادر الرسم العثماني
133.....	ثالثاً: الكتب المؤلفة في الرسم:
142.....	رابعاً: منهج التأليف في الرسم

154	خامساً: موقف المتقدمين من مظاهر الرسم
154	1- موقفهم من التزامه في كتابة المصحف:
163	2- موقفهم من عدم التزامه في رسم المصحف:
166	3- الموقف الوسط:
169	4- نظرة ابن خلدون للرسم المصحفي:
189	سادساً: قرارات المجامع الفقهية حول الرسم العثماني
195	الفصل الثالث: قواعد الرسم القرآني ومزاياه
198	أولاً: قاعدة الحذف
198	1- حذف الألف:
220	2- حذف الياء:
224	3- حذف الواو:
226	4- حذف اللام:
227	5- حذف النون:
230	ثانياً: قاعدة الزيادة
230	1- زيادة الألف:
235	2- زيادة الياء:
238	3- زيادة الواو:
241	ثالثاً: قاعدة الهمز وأحوال رسمها
256	1- أحكام الهمزتين في كلمة واحدة وكيفية قراءتهما لورش:
262	2- أحكام الهمزتين اللتين من كلمتين وكيفية قراءتهما لورش:
273	رابعاً: قاعدة البدل
273	1- إبدال الألف ياء أو واوا:
279	2- إبدال السين صاداً:
281	3- إبدال الهاء تاء:
285	4- إبدال نون التوكيد الخفيفة ألفاً:
287	خامساً: قاعدة القطع والوصول ومسائلها

- 305.....سادسا: ما فيه قراءتان ورسم على إحداهما
- 305.....1- النوع الأول: ما فيه قراءتان ورسم على إحداهما اقتصاراً
- 309.....2- النوع الثاني: ما فيه قراءتان ورسم برسم واحد صالح لهما
- 316.....3- النوع الثالث: ما فيه قراءتان وجاء برسمين على حسب كل منهما...
- 323.....مزايا الرسم العثماني:
- 328الفصل الرابع: المصحف وعناية الأمة به
- 330.....أولاً: المصحف، تسميته ورسمه ونقطه
- 330.....1- تسمية المصحف:
- 331.....2- رسم المصحف ونقطه:
- 339.....3- ضبط المصحف:
- 350.....ثانياً: الرسم المصحفي في عصر الطباعة
- 362.....ثالثاً: تعريف بالمصحف الشريف برواية ورش عن نافع
- 362.....1- القراءة التي ضبط وفقها هذا المصحف
- 363.....2- الهجاء المعتمد في هذا المصحف:
- 364.....3- طريقة ضبط هذا المصحف:
- 4- طريقة عدد آيات هذا المصحف، وبيان أجزائه وأحزابه ومواقع
- 365.....السجادات:
- 367.....رابعاً: مصادر تحديد مواضع الوقف، وعلامات الوقف الهبطية (ص)
- 370.....1- أوقاف الهبطي ومدى صحتها:
- 373.....2- أمثلة لما انتقد من وقوف الهبطي ومناقشة بعضها:
- 380.....خامساً: اصطلاحات الضبط
- 380.....1- همزة الوصل:
- 381.....2- النقطة المستديرة ():
- 382.....3- الصفر المستدير ():
- 383.....4- الصفر المستطيل (°):
- 384.....5- علامة السكون والمد وغيرهما:

395	6- علامات الحروف المحذوفة في الرسم: (وى).
396	7- علامة الإدغام والإظهار والقلب والإخفاء:
400	8- علامة الأوقاف الهبطية (ص):
402	الفصل الخامس: الدلالة في الرسم القرآني
413	أولا: الهمزة وأمثلتها ودلالات رسمها
424	ثانيا: الدلالة في قاعدة الحذف
425	(1) حذف الألف ودلالته:
446	(2) حذف الواو ودلالته:
449	(3) حذف الياء ودلالته:
463	(4) أمثلة حذف النون ودلالته:
466	(5) أمثلة حذف اللام ودلالته:
468	ثالثا: الدلالة في قاعدة الزيادة
469	(1) الدلالة في زيادة الألف:
482	(2) الدلالة في زيادة الواو:
483	(3) الدلالة في زيادة الياء:
490	رابعا: الدلالة في قاعدة البدل
503	خامسا: الدلالة في الفصل والوصل
516	سادسا: دلالة بعض الأحرف بمدّها أو حذفها أو خروجها عن ضبطها المألوف
526	سابعا: الدلالة في بعض التلوينات الصوتية
545	خاتمة
549	قائمة المصادر والمراجع
561	الفهرس